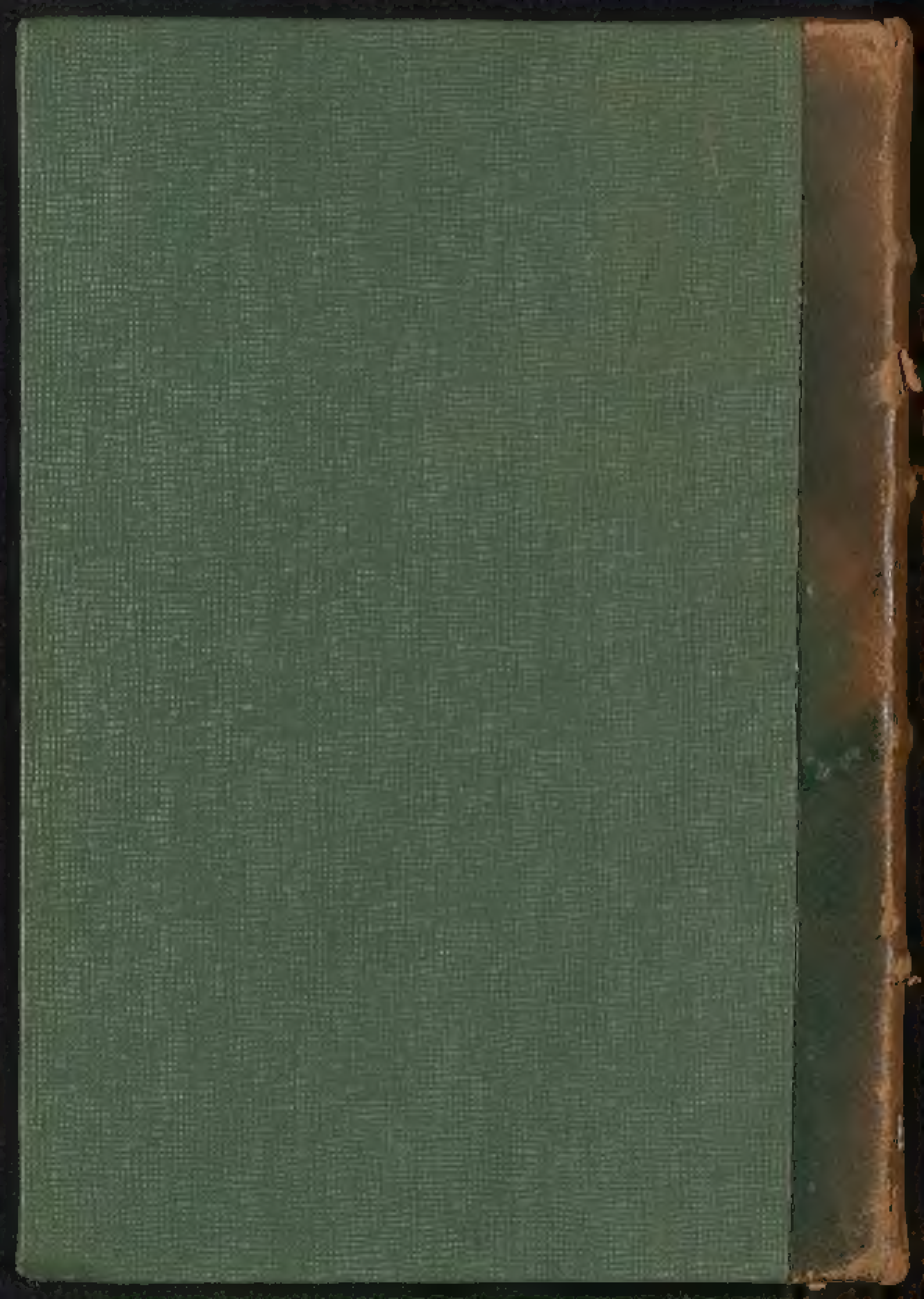
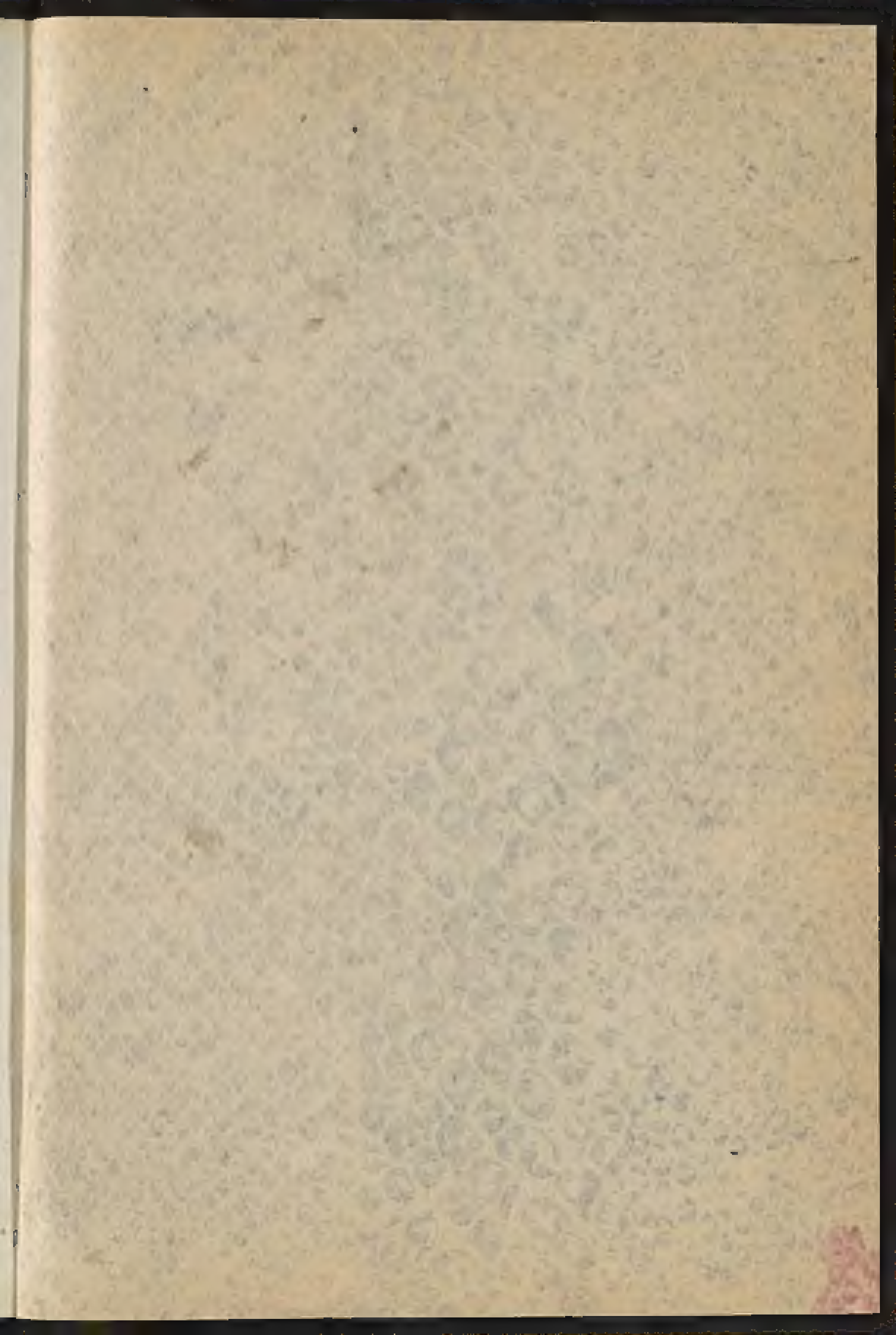












مؤلفات الدكتور عبد الرحمن بدوى

(أ) مبتكرات

١ — الزمان الوجودى
٢ — هموم الشباب
٣ — مرآة نفسى (ديوان شعر)
٤ — الحور والنور
٥ — رسائل ساوى

(ب) دراسات أوربية

١ — الموت والعبقرية
٢ — دراسات وجودية
٣ — شوب الفلاسفة

خلاصة الفكر الأوربى

١ — نيتشه
٢ — اشپنجلر
٣ — شوپنهور
٤ — أفلاطون
٥ — أرسطو
٦ — ربيع الفكر اليونانى
٧ — خريف الفكر اليونانى
٨ — برجسون

(ج) دراسات إسلامية

١ — التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية
٢ — من تاريخ الالحاد فى الاسلام
٣ — شخصيات قلقة فى الاسلام
٤ — الانسانية والوجودية فى الفكر العربى
٥ — أرسطو عند العرب
٦ — المثل العقلية الأفلاطونية
٧ — منطق أرسطو فى ٥ أجزاء
٨ — شهيدة العشق الالهى
٩ — شطحات الصوفية
١٠ — روح الحضارة العربية
١١ — الانسان الكامل فى الاسلام
١٢ — الاشارات الالهية (التوحيدى)
١٣ — الآراء الطبيعية (فلوطرخس)
١٤ — أفلوطين عند العرب

(د) ترجمات : الروائع المائة

١ — أيشندورف : من حياة حائر بائر
٢ — فوكيه : أندين
٣ — جيته : الديوان الشرقى (فى جزءين)
٤ — بيرن : أسفار اتشيلد هارولد
٥ — جيته : الأنساب المختارة
٦ — نيتشه : زرادشت
٧ — رلكه : صحائف مالتى برجه

دراسات إسلامية

- ١٢ -

الإشارات الإلهية

لأبى حيان التوحيدى

حققه وقدم له

عبد الرحمن بدوى

[الجزء الأول]

مطبعة جامعة فؤاد الأول

القاهرة - ١٩٥٠

تصـــــدير عام

(١)

أديب وجودى فى القرن الرابع الهجرى

«الكتابة ضربٌ من الصلاة» هكذا قال فرنتس كَفْكا (Franz Kafka)! وإن بين هذا الألمانى المسلول الشريد فى دنيا اللامعقول، وبين صاحبنا العربى الغريب فى وطنه لَمَشابه، وأىّ مَشابه!

كلاهما تهاوت عليه الكوارث والأحزان من كل جانب، وكان له من إرهاف الحساسة ونصاعة الذهن وعمق الانفعال ما يجعله يستمد من هذه الويلات غذاءً لروحه ومادة لتفكيره: فأجهز على خلايا نفسه بمبضع التشريح الباطن حتى قضى على ذاته بذاته. فقال كَفْكا عن نفسه: «أنا من حجَر، بل أنا حجرٌ لقبر نفسى، لا منفذ فيه للشك أو للإيمان، للحب أو للنفور، للشجاعة أو للقلق، على وجه التخصيص أو وجه التعميم: كلاَّ بل ثمَّ أمل واحد غامضٌ يحيا، لكنه من نوع شواهد القبور». وإنه ليَدْهَشُ هو نفسه من هذا التحطيم المنظَّم لنفسه خلال السنين، وكأنه سدٌّ يتقدم ببطء نحو انقطاعه. وهو يشاهد روحه تفعل هذا كله مُغْتبطة بانتصاراتها على نفسها، فيتساءل: لماذا لا يشارك أيضاً فى هذا الاحتفال، الاحتفال بعيد قضاء ذاته على ذاته؟ ويخيَّل إلى نفسه أنه صار كالجيفة أو كالذبيح، وأن هناك غرباناً سرّية مستورة تَرْتَق حوله («يوميات» سنة ١٩٢١، ١٦/ ١٠). فى بدء مطرقة، لكنه لا يستطيع استخدامها

إلا بتحطيم اليد التي تحملها . قد يَرِفُ الأمل الخُلّب أمام ناظره القصير ، فيسعى إلى تحقيقه ، باذلاً كلَّ ما في وسعه ؛ لكنه حينما يمسك به ، أو يخيَّل إليه أنه أمسك به ، لايجد في يده إلا « قطعة من الخشب مضحكة » . وحاله حال قنص يسعى بحثاً عن طائر ، طائر موهوم . كلا ، بل أبشع من حال امرأة عاقر تعرف نفسها عاقراً ثم ترجو مع ذلك الولد .

وصاحبنا العربي يصف نفسه وأطوارها فيقول : « أما حالي فسيئة كيفما قلّبتها ، لأن الدنيا لم تواتني لأكون من الخائضين فيها ، والآخرة لم تغلب عليَّ فأكونَ من العاملين لها . وأما ظاهري وباطني فما أشدّ اشتباههما ! لأني في أحدهما متلطخ تلطخاً لايقرَبُني من أجله أحدٌ ، وفي الآخر مُتَبَنّع تبذّخاً لايُهتَدى فيه إلى رَشَد ؛ وأما سِرّي وعلانيتي فممقوتان بعين الحق لخلوّهما من علامات الصدق ، ودُنُوّهما من عوائق الرّق . وأما سكوني وحركتي فآفتان محيطتان بي ، لأني لا أجد في أحدهما حلاوة النجوى ، ولا أَعرَى في الآخر من مرارة الشكوى . وأما انتباهي ورقدتي فما أفرق بينهما إلا بالاسم الجاري على العادة ، ولا أجمع بينهما إلا بالوهم دون الإرادة . وأما قراري واضطرابي فقد ارتهنني الاضطراب حتى لم يدع فيَّ فضلاً للقرار ؛ وغالبُ ظني أني قد علقت به لأنه لاطمع لي في الفكاك ، ولا انتظار عندي للانفكاك . وأما يقيني وارتيابي فلي يقينٌ ولكن في دَرْك الشقاء . فمن يكون يقينه هكذا ، كيف يكون خبره عن الارتياب ؟! » (ص١٨) .

وليس هذا منهما لمجرد الاستمتاع بالتغنّي بالألم إرضاءً لنزعة أدبية أو هاتفٍ رومنتيكي . بل كان في حياة كلٍّ ما يدعو إلى هذه المرارة في الشكوى ، يواكب هذا عرامة إحساسٍ ينفذ من الظاهر إلى الباطن ، فلا يتخذ من الأحداث إلا رموزاً وعلامات على الجوهر الباطن في أعماق الوجود كله . فالألم الذي يحياه

فى لحظة هو ألمٌ مرفوع إلى أسّ السرمدية ، ولا يقتصر مدى سطوه فى نفسه من موضوع محدود ، بل يمتد فينصب على الوجود أو جملة بأسره . وهذا هو ما يميز الأديب الوجودى الحق . وكثير من خلقت آفاته عند الناس يصبح لديهم حس الأحداث ، لا مبالغة فى تقديره أو إفراط فى التخيل الجامح ، لكن لأنهم يحملون مع حياتهم كل حادث يمر بهم ، فما بالك وقد لقوا فى دنياهم عسراً ليس بالهين .

وكذلك يتبين من شعور مستفيض سيطرت عليه المحنة واستغرقته أينما حل وحيثما سار ، ومن ذلك شعوره بأنه « شخص الله الغريب » ، إلا أن يكون مختاراً للشقاء ومنازعة الشر بين جنبيه ، وعداوة القلب السليم عند الآخرين . وصاحبنا لا يعرف له أصلاً ، إنما هو من أولئك الموالى الذين اختلطت فيهم الدماء والعناصر فكونت مركباً غريباً ، حتى أنه كان يشعر بوشيجة قربى مع الغرباء والأقاصى ، حتى كان لا يخالط إلا « الغرباء والمتصلين الأدباء الأوداء »(١) ، وما هذا إلا لشعوره بأنه واحد منهم ، إذ كان يرتد إليهم مهما تحرر عن ذلك الجو من كدر العدم . على أن الأرجح أن يكون فارسى الأصل ، مع احتمال دخول أجناس أخرى ، وبالجملة فهو آرى فى غالب الظن ، ولا شك أنه كان يشعر بالتخلخل العنصرى الذى كان بالغاً أشده فى عهده ، أعنى القرن الرابع الهجرى ، خصوصاً وقد بدأ عنصره يتحرر من [illegible] ويستقل بدويلات لا تكاد تربطها بمركز الخلافة إلا أوهى الروابط . ومن هنا كانت عنايته كلها بأمر الشعوبية ، ومن ذلك إلا ما تدل عليه من تجربة أو شعور أليم بحد الشدة ، لأنه شعور عنصر مأسور فى كفاح حاد مع عنصر ثورية أخرى كانت لها عليه مكانة السيادة

(١) « الإمتاع والمؤانسة » ج ١ ص ٧ . القاهرة سنة ١٩٣٩

وكلاهما نشأ في أسرة تشتغل بالتجارة ، وطبيعة التجارة أشد ما تكون تنافراً مع الثقافة بالمعنى الرفيع ، لأن التاجر لا يشارك في الثقافة إلا بالقدر الذي يستعين به على التجارة ، وما تجاوزه يَعُدّه حينئذ فضلة . ومن هنا ينشأ التعارض الحاد بين الابن « الضال » في تتويه الفكر ، وبين الوالد المتربع على دست المال . هاهنا صراع بين النافع والضائع ، بين الفرض والنافلة ، بين الجوهر والفضول . فالابن الضال يؤمن بالضائع والنافلة والفضول ، لأنه يرى فيها معنى الحياة وقيمة الوجود ، ولذا يبخس كل ما يعده الآخر قيمة حقيقية . وعن هذا التعارض ، إذا ما اشتد وكان كلا طرفيه مرهفاً ، ينشأ الإفراط ، أسفر الله ، بل النضوج الكامل لكلا الاتجاهين . والشواهد على هذا لا تحصى في تاريخ الحياة الروحية ، ونجتزئ منها بذكر مثل واحد هو هيرمن هيسه (Hermann Hesse) وكيف كان قد لقي من أبيه الأمرّين ، حتى أحس بهذا طوال حياته القصيرة ؛ فقد كان أبوه ملء الثقة والاعتزاز بالنفس ، ذلق اللسان لأنه يردد العبارات التقليدية الطنانة ، خبيراً بالحياة والأحياء ، خبرة كونها المكر والدهاء ، يتبع الطريق اللاحب السلطاني الذي يتبعه أولئك « الناجحون » في الحياة ، وبالجملة كان من أولئك الذين يسميهم سارتر (Sartre) باسم « الأنذال » (les salauds) ، بينما كان هو من الغششة (les tricheurs) ؛ والأولون هم أولئك « العقلاء » ، « الطيبون » الذين يحيون حياة آلية ، ولا يتميز الواحد منهم من الآخر ، لأنهم أفرغوا في قالب واحد ، أو ضبعوا بالجملة كما يقال في لغة الصناعة ؛ أما الغششة فهم الذين يغشون ، لأنهم يخادعون القواعد المصطلح عليها ، القواعد الشائعة الجارية بين كل الناس ، ولأن في اختيارهم جانباً مبهماً مُقلقاً يزعج النفوس المطمئنة القانعة السعيدة الراضية . نعم ، كان كفكا رجلاً مرهف الحساسية ، قلقاً ، طفلاً كثير الحب ، والخشوع ،

حتى كان في حضرة أبيه يفقد كل ثقة بنفسه، ويشعر بدلاً من هذا الشعور بالحطة تغمر جسده، حتى إنه كان يخشى ألا يبقى الخجل حياً بعد وفاته، خجله هو أمام أبيه، ذلك الجبار العاتي. ولقد قال له أبوه ذات يوم «ستموت كالسمكة»، فصارت هذه الجملة الأبوية تصرخ في صدر كفكا طوال حياته. ومن ذلك أنه جعل من معانيها مجرى أقاصيصه. «الحكم» (Das Urteil): فيها يحكم الوالد (ذو التجارة الواسعة والثراء العريض) على ابنه بأن يموت غرقاً، فيصرخ في وجهه: «حكمت عليك بالموت غرقاً!» (Ich [illegible] Ertrinkens). بل نما هذا الشعور عند كفكا حتى وجد الأمر طبيعياً أن يلعن الوالدُ ابنه أو يحكم عليه بالإعدام، وقد شاهدناه يقول [illegible] كرونوس، سيد الآباء وشرهم، قد ابتلع أبناءه. فإذا كان كرونوس (Kronos) قد فضل تلك الطريقة، فلعل ذلك كان شفقة منه على أولاده!

ويلوح أن حظ صاحبنا العربي لم يكن خيراً من حظ هذا الألماني، ونقول: «يلوح» لأنه ليس لدينا وثيقة واحدة تبين لنا هذه الناحية؛ بيد أننا نستطيع استخلاصها من صمته عن كل ذكر لأهله، بالرغم مما تبدى له من مناسبات عدة للحديث عن هذا الجانب، بل يحيل إلينا من خلال كلامه أنه فقد كل شيء في عهد مبكر، كما فقد الصديق والصاحب والتابع والرئيس في جاري بمنى عمره. ولعله نحى هذا الصمت دليلاً على خيبة أمل من هذه الناحية، ناحية الأهل، لكن منعه الحياء من الخوض فيها، فاكتفى بالصمت الذي هو أبلغ من كل كلام.

بيد أن صاحبنا هذا لقي من دهره والأحياء ما هو أشد هولاً مما لقيه كفكا، فتحدث عن ألم مرير أعنف من ألم كفكا، لأنه تجنبه على نحو

أعنف ، وإن التعس في التبرية معاً في وصف هذا الإنسان لأنه علم الخطيئة ، والخطيئة هي الشعور بالتصدع في إمكان الوجود ، ولأنه عدا القهر ، كما يقول السهروردي المقتول ، القهر للإنسان تحت سلطان قوة مستورة جبارة ، قوة المصير الذي لا يرحم ؛ هذا السلك الذي يضع الحدود في وجه كل انسياح أمام الممكنات ، فلا تلبث أن ترتد إلى سردابها (souterrain) التي تحدث عنه دوستويفسكي ، هذا السرداب المستنقع المستوحل الذي تنبعث منه روائح منفرة تشكل شعوراً حي بمعنى الحياة ومدلول الوجود ، هذا السرداب الذي هو مجال الشعور في باطنه الحر اللامعقول ، الثريّ بالانفعالات الكابية والشهوات المتصارعة الشرسة ، المليء بالطعنات والأهواء المندفعة المربدة ، بما هو في تعارض حادّ مع ظاهره الصافي ، وفي صفحته كل تفاهة ، الصغير وفي ظهره فقر الحياة ، المستقيم وفي استقامته البساطة الرائقة . هنا في هذا السرداب تتفجر عيون الخطيئة ، لكن الوجود خطيئة ؛ وتضطرم الشهوات ، لكن الشهوة سرّ الحياة ؛ ويسود اللامعقول ، ولكن اللامعقول هو المنطق الأكبر .

وفي هذا السرداب المعتم العامر بالأشباح تسكن هذه الأرواح ، متعبئة ظلال الموت ، حانية على الجانب المشوّه من الوجود ؛ ولهذا كان حديثها في الخارج ، عُني في آثاره الفنية ، مصوراً هذا الباطن الموحش ، فدوستويفسكي يختار أبطاله من بين تلك النفوس المبهمة التي تستحلّ لنفسها ما يدعوه النظام العام إثماً ، والتي ترى الحرية في فعل الشر أكثر منها في فعل الخير ، والحرية لها عندها خير مكانة ، لأن حرية فعل الخير هي القيد ، كلّ القيد ، إن هي إلا اتباع وخضوع لما فرضه المجموع ، هذا اللامعقول الأكبر ،

من معاییر وقیم ، فصحت بالأبدال [illegible] ، أعنى بالأحبار الطيبين الصالحين ، فلا تصبح للفلسفة [illegible] ، أعنى المتمردين الحريصين على التمرد وتحقيق المعنى الصحيح للحرية . فطائفة من تلك النفوس الجنية التي تحدث عنها كيركجورد ([illegible] Kierk) فوصف تراكيبها وأنسجتها النفسية الرديئة نصيب ، والتي عرض لـ دوستويفسكي أحوالها الشاذة وأطوارها الرهيبة في معظم ما كتب ، وخاصة في تمثيله لشيطانية الخالقة التي تفوه بها إيفان كرامزوف (« الإخوة كرامزوف » ، ١٩٦١ : ٩) ، هذا الروح الخبيثة ، وهذا لإبليس الذي عرف الله ، ولكنه لم يرده ، لأن حدثه شيطاني يصور له نفسه أنه هو الأحلق بالتأليه ، ثم في شخصية راسكولنيكوف في « الجريمة والعقاب » ، هذا القاتل الآثم ، لكن إنه هو إثم القدر . والنفس الجنية تتصف عند كيركجورد بخصائص عدة ، نذكر منها هنا ثلاثة : أولاها « الانغلاق » التي أغلق عليها فلا تنفتح إلا رغماً عن إرادتها . وكلا هذين بمعنى واحد : فالمغلق صامت ، فإن وجب الإفصاح كان ذلك ضد إرادته » ، لأن الحرية بطبعها تهفو إلى الانتشار والتفتح . وهذه لا تعرف الحرية إلا منتقصة من مصير . وثانيها أنها « ما هو فجائي » ، ما هو في حال اندفاع يصعق المدى لسكال القوى لعميه ، راقدة في الأعماق المستوحلة للشعور ، وتتصاعد في عنفها حتى تكسر السد الفاصل بين المعقول واللامعقول ، فتنتهي إلى القضاء الذاتي بالانتحار وما شابهه . وثالثها أن « النفس الجنية هي الجوفاء الرتيبة » بما يكثر من ترداد طائف شيطاني اثم واحد ، يلح كأنه الفكرة المتسلطة ، فيشعر صاحبها بأن الخطايا ولون الضعف تتكرر معه في حال من الإملال القاتل ، وأن الحياة خاوية من كل معنى لأنها

مدينة الإلحاد، لا تنفتح على غيرها، من تشير دائماً إلى نفسه في نوع من الإحالة الكاملة الجافة.

ومثل هذه النفوس الحية من حيث أولئك الذين هو دليل على ما يشعر به هؤلاء الآخرون من واشجة قربى وصلة رحم بهم. وليست نعني أنهم يعملون في الواقع أفعال تلك النفوس، وإنما نقصد أنهم ميالون إلى أن يحيوا في باطنهم أحوالهم، ويستشعروا انفعالاتهم. في مظهرهم طيبة وبراءة، لكن في سرائرهم تصطخب الأشباح الشيطانية والأرواح الخبيثة. في مسلكهم في الحياة تعقل وحكمة ورزانة، لكن في أعماق الشعور، وبالأحرى في اللاشعور الغامض عربدة وتجديف وتمرد واستمتاع بمعاني الإثم المنحرف عن السبيل السواء.

وهكذا أصيب بداء الصرع وهو في الرابعة والستين وظل يعاني هذه العلة التي تملكت بدنه يوماً بعد اليوم، حتى قضى نحبه ولما يتم الحادية والأربعين فلم يلبث أن يرى في هذا الحدث مجرد حدث جسماني، وإنما عنى هذا الطل

( ) راجع في هذا بحثين قدما للمؤتمر الدولي للفلسفة الذي عقد في روما من ١٥ إلى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٤٦، ونشرا في «أعمال المؤتمر الدولي للفلسفة المنعقد بدعوة معهد الدراسات الفلسفية»، ج٢، الأول للأستاذة ستفانيا بتشيري بعنوان «كيركجورد ودوستيفسكي أمام مشكلة الشر في العالم»، ص ١٣٩ – ص ١٤٢ (Stefania Buccieri)؛ والثاني بعنوان «دوستويفسكي والوجودية»، ص ١٤٣ — ص ١٥٨ تأليف ريمو كنتوني (Remo Cantoni)، ميلانو سنة ١٩٤٨. *Atti del Congresso internazionale di filosofia*, promosso dall' Istituto di studi filosofici, II: L'esistenzialismo بعناية إنريكو كستلّي (Enrico Castelli).

أنه كان قوى البدن، موفور الصحة، ولم يشأ أن يصدق أن مرض السل هذا يمكن أن يصيب في الغالب الأبدان العامرة بالصحة والقوة والنشاط. وإنما أوّله — على منهجه الذي تحدثنا عنه، والذي شعاره قول جيته: «كل حدث رمز» — بأنه مجرد تحرير رمزي إلى الخارج لما يسميه النزيف باسم ف (الحرف الأول من اسم خطيبته)، وعلته هو رغبته في التحرر [illegible] أي في نصائح الأطباء، من هو وفو شخص واحد، مجرد مجروح. إن خطيبته، وهي ممثلة الدنيا، قد وقفت في عراك لا نهاية له مع ذاته، حتى صارا يسببان أن تمزقا بدنه.

وهذه الخطبة هي الأخرى كانت من عوامل شقائه. ففي شهر أغسطس من سنة ١٩١٢ التي [illegible] برباط الخطبة. فأثر في نفسه هذا اللقاء تأثيراً رائعاً، فتحت تأثيره كتب في ليلة واحدة، منتشياً بهذا الغرام الفريد، قصة «الحكم»، وفي الشهرين التاليين ألف كتابين من أهم كتبه، ووضع محل كتاب ثالث، فهو كان في حال من الوجد العجيب والإلهام الخارق، وكأنه موسى يشق الماء بعصاه، كما وصف هو أحواله في تلك الليالي العامرة بالوحي. لكنه، شأنه شأن كيركجورد، كان واهماً حين طلب يدها، فمثاله قد قدرت عليهم العزوبة أبداً، والوحدة أبداً. ولهذا استمرت الخطبة خمس سنوات. لكن طولها هذا أبين دليل على استحالتها، إذ ظل طوالها ممزقاً بين نداء الرسالة الخالدة، رسالة المتوحدين، وبين نداء رسالة الحياة الدنيا، رسالة المنخرطين في سلك «المجموع الأكبر»، ولم يكن لديه من سرعة البت ما كان لدى شبيهه الروحي كيركجورد الذي لم يقو على استمرار الخطبة إلا أحد عشر شهراً (١). ولعل كفكا لم يستطع القرار نهائياً إلا لما أن نبهه مرضه العضال إلى واجبه.

(١) من ١٠ سبتمبر سنة ١٨٤٠ إلى ١١ أغسطس سنة ١٨٤١

وصاحبه قد لقي الأهوال من الأحياء، وعرف الشقاء الذي لا يستحقه، بينما وجد المتهوسين يرتقون إلى أعلى مراتب الرياسة والشرف في الدنيا وسعى ما استطاع لطلب المثالة بين الناس، ولعقد الرياسة بينهم ولمد الجاه عندهم (١)، فحرم ذلك كله، وزاد من شعوره هذا أنه طلب مجد عند أناس مهنتهم مهنته على حرفة الأدب، لكنهم علوا مراتب الوزراء، وهو لم ينل إلا البؤس والحرمان؛ وعلى أنه أقدر الناس على معرفة قدره، فلم يلق منهم إلا كل نكران وتحقير وإهانة لكل كرامة، وتعدى من حيث لقي ... إلا هما على هم، ومرارة وإملاق على إملاق، فلم يجد غير التصوف يصب فيه جام غضبته المقدسة، وراح يعصب «مثالبهم»، ونعى المحرومين من على شاكلته مثل أبي بكر القومسي الفيلسوف الذي قال هو عنه إنه كان بحراً عجاجاً، وسراجاً وهاجاً؛ وكان من الفقر والقلة ومقاساة الشدة والإضاقة بمنزلة عظيمة، عظيم القدر عند ذوي الأخطار، مبخوس الحظ منهم، نافق السوق عند العموم، مقصوداً من جهتهم »، يناجيه صاحبه ويبث كل منهما الآخر، حدث سقطه، وهما في الحرمان والشقاء صنوان، قال لصاحبه هذا يوماً: «قد علمت أن الدنيا ونكدها تبلغ من إنسان ما بلغت مني، إن قصدت دجلة لأغتسل منها نضب ماؤها، وإن خرجتُ إلى القفار لأتيمم بالصعيد عاد صلداً أملس» (٢)؛ ومع ذلك كان دائماً يعني باعتداد بالكرامة، فلم يثبت يتراءى على عتبات الرؤساء، هذا الداء العضال المستحكم في الشرق حتى اليوم ويا للأسف الشديد، بل ربأ بنفسه عن كل هذا قائلاً: «معاذ الله، الفقر والبؤس أولى من مقاساة

(١) ياقوت: «معجم الأدباء»، نشرة القاهرة، جـ ١٥ ص ١٨، القاهرة بدون تاريخ.

(٢) المرجع السابق، جـ ١٥ ص ١٠

أخلاق واليبوس ، ونصرة في الوجه الوسيم ، وأولى من أنظر إلى محيّا كل ثقيل » . ورد عليه صاحبه : « ما أعرف لك شريكاً فيما أنت عليه وتتقلب فيه وتقاسيه سواي ، ولقد استوى عندي الخزف وتمكن مني نكده أزمان »(2) . هنالك الصوفي يرى ... وأهل ... عقد ... المحبة ، حيناً متمرداً عنيداً يحتقر كل شيء حيناً آخر .

كذلك فُرضت عليه الوحدة في الحياة ، فقضى عمره لا يجد حوله « ولداً نجيباً وصديقاً حبيباً ، وصاحباً قريباً ، وتابعاً أديباً ، ورئيساً منيباً »(3) ، ومن هنا شعر بوحشة الغربة في دنياه ، وضيق يعصره بكل حرارة ومرارة في معظم صفحات كتبه .

لقد أحس أنه « غريب » في كل شيء : غريب في وطنه ، غريب عن أهله ، غريب عن كل ما في الوجود من شيء وحياة . فكان موضوع « الغربة » هذا من أهم ما سطره قلمه ، وفيه ملامح وجودية لا يخطئها النظر من أول وهلة ، ولهذا كانت الدعوة إلى بحث العنصر الوجودي في كتاباته .

فالغريب عنده حقاً ليس ذلك الذي « نأى عن وطن بني بالماء والطين ، وبعد عن ألّاف له عهدهم الخشونة واللين » ، وإنما هو ذلك الذي « طالت غربته في وطنه ، وقلّ حظه من حبيبه وسكنه »(4) . فهو في وطنه غريب ، وتلك هي الغربة الوجودية ذات المعنى العميق ، لأنها إحساس بالوحدة الدائبة المطلقة التي يحملها الإنسان في داخل نفسه أينما حل وحيثما سار ، وفي أي وسط

(١) المرجع السابق ، ج ١٥ ص ١٢

(٢) المرجع السابق ، ج ١٥ ص ١٣

(٣) ياقوت : « معجم الأدباء » ترجمة التوحيدي ، ج ١٥ ص ١٩

(٤) « الإشارات الإلهية » ص ٧٩

كان بمثابة اللفظ الذي لا معنى له إذا قيس بالوطن الروحي الذي تحن إليه تلك النفوس الشاردة . وهذا يدلنا كذلك على معنى الاستنفار والاجترار [illegible]

الذي كان نتيجة ضرورية للدور الذي كانت فيه الحضارة العربية في بغداد في القرن الرابع الهجري ، أعني في دور المدنية المتأخر ؛ وفي مدينة بغداد التي كانت آنذاك مدينة عالمية ، تجتمع فيها مختلف الطوائف والأجناس ، خصوصاً إن كانوا ممن اصطبغت عليهم أخلاط من الأجناس والثقافات المتمازجة ، فضلا عما يضاف إلى هذا من اضطراب [illegible] الداخلي [illegible] من المفكرين المسئولين عن الحياة الروحية ، مثل مفكري ذلك الدور الحضاري : يكونون عادةً عالميي النزعة [illegible] ، وهو ما عبر عنه أبو الفتح البستي خير تعبير في ذلك العهد نفسه فقال :

وإن نَبَتْ بك أوطانٌ نشأتَ بها

فارْحَلْ ، فكلُّ بلاد الله أوطانُ

لكن صاحبنا لا يقنع بهذا المعنى المبتذل في عهده ودور الحضارة الذي ينتسب إليه ، وإنما يرفعه إلى المعنى الأعمق . فيقول : « قد قيل الغريب من جفاه الحبيب ، وأنا أقول : بل الغريب من واصله الحبيب ، بل الغريب من تغافل عنه الرقيب ، بل الغريب من حاباه الشريب ، بل الغريب من نودي من قريب » ثم يرتفع بهذه الفكرة إلى درجة عالية فيصيح : « بل الغريب من هو في غربته غريب » (ص ٨٠) . أية روعة في هذه الفكرة التي تبدو في صورة التناقض الوهمي ([illegible]) ، أو في صورة الابتذال ! إذ معناها أن هذا الغريب قد صارت الغربة نفسها غريبة عنه ، ذلك لأنه ارتفع فوق معنى الغربة

(١) التقديم

عن وصل إلى معنى غربة عن الغربة بعد أن صارت غربة بسبب وطنه
وهذا يؤذن بأنه في حركة متصلة ديناميكية مستمرة، لأنه إن حق حالة
واستشعر كل معانيها، ارتفع عنها إلى مقام آخر، لأن الاقتصار عليها والتوقف يؤدي
إلى الركود، والركود السكوني هو وطن المادي سواء، وهو ينتهي
إلى التخصص من كل وطن مادى. هذه الغربة الأولى — أعنى التى في المرتبة
الأولى — قد تستحيل أي بالفعل تستحيل إلى استيطان. والاستيطان نوع
من الوصل الثانى الذى قد يعوق الوصل الأول، ولهذا كان عليه أن يعلو على الوطن
الثانى وهو الغربة، فيصبح غريباً فيه، فيكون غريباً في الغربة نفسها. فهاهنا
إذن معنى دقيق لا يصل إليه إلا قلة، والتوحيدى مثل صاحب هذا. وهو يعبر
عن هذا المعنى للغريب والغربة في العلاء والتطور الديناميكي فيقول «أين أنت
عن غريب لا سبيل له إلى الأوطان، ولا طاقة به على الاستيطان» (ص ٧٩)
وبالجملة، فإن الغريب الحق هو الدائم الغربة أبداً، الذي إن رأى غربة
قد بدأت تستحيل إلى وطن عليه أن يرحل عنها حتى يظل في غربة أبداً

وصاحبنا حريص كل الحرص على توكيد هذه المعرفة في كل فقرة
من تلك الصفحات الدامية النابضة بكل حياة. فتراه يقول عن هذا الغريب
بالمعنى الصحيح المليء: «هذا غريب لم يتزحزح عن مسقط رأسه، ولم يتزعزع
عن مهب أنفاسه. وأغرب الغرباء من صار غريباً في وطنه، وأبعد البعداء
من كان بعيداً في محل قربه. لأن غاية المجهود أن يسلو عن الموجود، ويغمض
عن المشهود، ويقصى عن المعهود، ليجد من يغنيه عن هذا كله بعطاء ممدود،
ورفد مرفود، وركن موطود، وحظ غير محدود» (ص ٨١—٨٢). وهذا تفسير
جيد لحقيقة هذا الغريب في وطنه، البعيد في محل قربه. فالغربة إنما تأتيه
من باطنه، إذ عليه أن يسلو عن الموجود، والموجود هنا يشمل كل شيء.

الوجود بالمعنى المادى ، والوجود بالمعنى الروحى ، والوجود بالمعنى الميتافيزيقى :
والأول يتمثل في الزهد في الحياة والعزوف عن الدنيا . والثاني يتمثل في الاستمرار في معراج
التطور الروحى . وفي هذا المعنى الثانى يتجلى الطابع الحركى الديناميكى الذى يميز
تحليل صاحبنا لهذه الأحوال الوجودية الممتازة الخاصة بالغريب . والمعنى الثالث ،
أى الميتافيزيقى ، يكون بتمثل فكرة الفناء : الفناء الفردى على هيئة الموت
للأحياء ، والفناء العام على هيئة الانطواء للوجود كله في حضن الوجود
الواحد ، مما سيتناوله هو من بعد وهو يتلمس النجاة والخلاص اللذين ينشدهما
أيها الإنسان ، إلى « أن تصحب كونك بفراق كونك ، وتبيد في عينك
عن عينك ، وتنأى عن شاهد زينك وشينك ، وتمحو آثار المكان في أينك »
(ص ١١٣) ، وهو ما سنتحدث عنه عما قليل .

والغربة الحقة كذلك تأتى من أن هذا الغريب هو الساعى إلى أن يمعن
عن المشهود ، فيعرف عن كل ما يشاهد من أحوال مدققة متصورة ،
لا يرى له مجالا للمشاركة فيها لأنه قد ارتفع عنها أو من فوق طورها ، أو في
القليل محروما منها . وهو ما عبر عنه كيركجور بأنه كان يمد يديه إلى الأشياء
والأحياء ، يعطيها ما وسعه الحق ، لكنها كانت قصيرة لا تسعهم . فليس عليه
إذن إلا أن يردها إلى نفسه فيمعن في المعهود . وهذا الغريب كذلك
قصاراه أن يمضى عن المعهود ، لأن المعهود هو ما اصطلح عليه الجموع الأكبر
([illegible]) كما يقول كيركجور ، أو الأنذال (les salauds)
على حد تعبير سارتر . والروح الغريبة تسمو إلى التميز ، وألد أعدائها
التكرار ، لأنها تنشد دائما أبدا التجديد والابتكار . فالمعهود هو القاعدة
العامة ، هو النواميس المقررة بين الناس ، هو ما يراه الناس وبه يحكمون
وعليه يسيرون .

ويقدم لنا صاحب وصفاً للغريب يستقري دقائقه ويحيط بأطرافه، مما يجعله هذا النموذج الأعلى للوجودي الحق. فالغريب كائن يعلوه الشحوب ويعمه الحزن حتى يصير كالشن(١)؛ «إن نطق نطق حزنان منقطعاً، وإن سكت سكت حيران مرتدعاً. وإن قرب قرب خاضعاً، وإن بعد بعد خاشعاً ... إن أصبح أصبح حائل اللون من وساوس الفكر، وإن أمسى أمسى منتهب السر من هواتف الستر. قد عضه الذبول وحالفه النحول» (ص ٧٩) — هذا من حيث قسماته وملامحه الخارجية ومظهره بين الناس. أما هو في نفسه، فهو مَنْ «أغرب في أقواله وأفعاله، وغرّب في إدباره وإقباله ... من نطق وصفه بالمحنة بعد المحنة، ودل عنوانه على الفتنة عقيب الفتنة، وبانت حقيقته فيه في الفينة بعد الفينة» (ص ٨٠). فغرابة أقواله تجعله هدفاً للمحنة من الناس تقتحمه العيون، وتضطهده النفوس جهلاً وحقداً أو لكليهما معاً.

لكنه مع ذلك يفرض وجوده على الناس وإن لم يكن حاضراً. وسواء على الناس حضوره وغيبته، إذ هو كما قال صاحبنا في عبارة رائعة حقاً في إحكام معناها وثراء مدلولها: «الغريب من إن حضر كان غائباً، وإن غاب كان حاضراً» (ص ٨١). ولعل هذه الحال التي تعبّر عنها هذه الجملة هي أشنع أحوال الغربة بمعناها الوجودي. فهذا الشعور بالغياب يكون مرحلة عظيمة في مراحل مصير المعنيّ الشقيّ بالمعنى الأعمق للوجود. والغياب هنا في الفاصلة الأولى من الحياة هو الأشد أثراً. فهو غائب عن وجوده لأن الوجود يستلب معيته بدونه، ولأن المصير الخاص يفعل فعله دون أن يستشيره. وكم برع في وصف هذه الحال براعة خليقة بالتنويه فهو يقول «الحياة انحراف دائم

(١) القربة الخلق الصغيرة.

لا يسمح له حتى بأن يشعر بلانهائية مجهوده فى آخرته . وهل آلم للنفس وأدعى إلى خيبة الأمل ، بل وإلى اليأس من الحياة كلها ، من أن يعتقد المؤمن بيقين واسعاً بجدوى ما يبذله فى الدنيا من مجهود ، ثم يرى حياته قد تبين أن مصيره قد تحدد بنفسه ومن تلقاء نفسه وكأنه نثارة فيه ؟ أليس فى ذلك مشكلة ؟!

نعم ! إن بعض النفوس قد تحدث هذه المشكلة فيها وضعاً أشد من أن تحتمل . فإن أسعفت فيه منذ البداية بأن هذا مصيرها ، لكن هذا ليس من الحق فى شىء ، وإنما هو فرار من المشكلة ، أو بالأحرى دفن الرأس فى الرمل أمامها ، لأنها لن تختفى أبداً ولن تزول عن مكانها ، ولن تستطيع أن تتجاهلها . ومن هنا اتسم أبطال رواياته بنوع من التشبث الحاد ، متمرد ، ولكنه على ذلك متمرد فى باطنه .

ذلك أن هاهنا فارقاً — ولو كان ضئيلاً فيما نعتقد نحن — بين موقف كفكا من المصير وموقف صاحبنا . فكفكا ظل حتى النهاية لا يؤمن بالتعويض فى سلطة عليا فوق السكون ، ولم يلطف به بين الحين والحين ، خصوصاً فى السنوات الأخيرة قبل وفاته وفى شدة العلة ، طائف يقربه كثيراً من تصور وجوده . أما صاحبنا العربى هذا فلن نستطيع أن نفصل فى أمره فى هذه الناحية بيقين ، حتى إن المؤرخين أنفسهم ليختلفون فى حقيقة إيمانه بالدين . ولقد تأثر هذا بابن الجوزى الذى يرى أنه كان سيئ الاعتقاد . وابن فارس فى كتاب « الخريدة والفريدة » يقول عنه إنه كان « قليل الدين والورع عن القذف والمجاهرة بالبهتان ، (وإنه) تعرض لأمور جسام من القدح فى الشريعة والقول بالتعطيل » . وحدث ابن الجوزى فى تاريخه فقال « زنادقة الإسلام ثلاثة : ابن الراوندى ، وأبو حيان التوحيدى ، وأبو العلاء (المعرّى) . قال : وأشدهم

في الإسلام [illegible] لأنه محوج وقد نفرت [illegible] سنها ، وفرق آخرين [illegible]
بالبوب [illegible] (٣) [illegible] والسبكي [illegible] وبرأه من تهمة الزندقة ، على أساس
أن ما في كتبه لا يدل على شيء من ذلك . وهذا حق في جملته ، إذ ما بقي لنا
من كتبه لا يدل على الزندقة بمعنى دقيق . لكن استقصى ترجمته البعيدة
لا يمكنه أن يجد سببا لاتهامه ، لأنه كان في البيئة [illegible] وأنه كان يدعو به
[illegible] الغنيمة [illegible] حتى أن [illegible] أن تكفير
[illegible] هذه [illegible] هو من نوع [illegible] معروفة [illegible] كما سيعمل
[illegible] من بعد [illegible] في [illegible] والصدور ومن ورد مستعين .
ومع ذلك فيجب أن نعرف أننا لا نملك الوثائق الكافية لنحكم في هذه المسألة
حكما صحيحا ، لأن المادة التي كان يمكن أن تكون الفيصل في هذا الأمر وهي .
« كتاب [illegible] الذي إذا [illegible] في الفصل في حق المرعى » ليست بين أيدينا
اليوم [illegible] بدعو في كتبه من [illegible] لأنه أورد كثيرا من حجج [illegible]
والخلاف [illegible] وعلى هذا هو ما دعا [illegible] إلى اتهامه إياه بالزندقة
وأيا ما كان الأمر ، فعليه [illegible] في أن [illegible] ذلك [illegible] أن المسلم

(١) تاج الدين عبد الوهاب السبكي « طبقات الشافعية » ج ٤ ص ٣٤ ؛
القاهرة بلا تاريخ

(٢) « معجم الأدباء » ج ١٥ ص ٥٤ [illegible] « وكان يتهم ولم يكن على ثقة
من دينه »

(٣) أورده السبكي في الكتاب المذكور ج ٤ ص ٢

(٤) تاج الدين عبد الوهاب السبكي « طبقات الشافعية » ج ٤ ص ٣٤ ؛
القاهرة بلا تاريخ

(٥) وهو كتاب من رواية مدونة [illegible] لعشق الإلهي »

بأن التوحيدي كان على الأقل يؤمن بسلطة غيبية فوق الكون، كما كان يؤمن بهذا أيضاً أستاذه أبو سليمان المنطقي السجستاني والدائرة التي التفت حوله.

وهذا الفرق بين كليهما قد جعل كفكا لا يكاد يقول بالتعريض وبتسليم لقوة عالية في صراحة إلا بعد جهود مع نفسه طويل؛ بينما صاحبنا فيبوح أنه قال به في يسر أكثر، وإن عذبه مع ذلك هذا التسليم. ولهذا لا نغالي إذا قلنا إن محصل تجارب كليهما واحد حتى في هذا الباب أيضاً، مع فارق قليل، لعله يرجع في بعضه إلى أن كفكا مات شاباً لما يبلغ الحادية والأربعين [1]، بينما صاحبنا ذرّف على التسعين أو في القليل شارفها. فكفكا قد عاد لا يرى في المجهود فائدة بعد ذلك الكفاح، من هذا الفرد، كله لا جدوى له ما دام المصير يمضي عمله دون أن يحفل مرة واحدة باستشارتنا. وهذه القوة العليا (العدو في نظره)، وإن لم تكن عالماً آخر غير عالمنا هذا، فإنها مع ذلك غير منظورة، إلى حد أنه يخيل إلينا كأنها عالية على الكون. ولكونها مستورة غير منظورة، فإنه يستحيل أن يكون ثمة حوار بينها وبين الإنسان، والرحمة لا تتم إلا إذا كان ثمة التقاء بين الطرفين، وكيف يكون التقاء بين مستور ومرئي؟ كلا، بل يبدو أن هذه القوة المستورة قد أعنت الإنسان عنها دون أن يعرف. ولهذا فليس أمام الإنسان غير التواضع. فالمتواضع يعطي كل إنسان، حتى أشد الناس يأساً ووحدة، قوى منه يمكن أن توحد بينه وبين بقية الناس إخوانه، وبطريقة مباشرة، لكن في الحياة وحدها التي يكون فيها التواضع كاملاً مستمراً. وهو يستطيع ذلك لأنه اللغة الحقيقية للصلاة، الصلاة التي هي عبادة

(١) ولد فرنتس كفكا في ٣ يوليو سنة ١٨٨٣ بمدينة براغ بتشيكوسلوفاكيا (التابعة للإمبراطورية النمسوية في ذلك الحين)؛ وتوفي إثر إصابته بالسل في ٣ يونيه سنة ١٩٢٤ في مصحة كيرلنج قرب فيينا بالنمسا

وتتضمن مبين في وقت واحد : فالصلة بالناس الآخرين هي صلة الصلاة ، والصلة

بالذات الخاصة هي صلة المجهود . فمن الصلاة تأتي القوة اللازمة للمجهود » .

لكن هذه الرابطة ، رابطة الصلاة ، هي نوع من المشاركة الإنسانية في نطاق

هذا العالم ، وهي تسمير وإذعان

أما صاحب التوحيدي فيرى أن تكون هذه الصلاة حوارًا بين الذات وبين

نفسها مرفوعة إلى أسمى القوة [illegible] وهو في هذا يقترب كثيرًا من الوجوديين

ذوي النزعة الدينية مثل [illegible] (١) لكنه يذهب إلى أبعد

منهم ، فيذهب إلى نوع من التصوف الأخلاقي . فهو يقول بخلاص الإنسان عامة

وهو الذي يوحد بينه [illegible] في كل هذه التوجيهات [illegible] ، وبعبارة أخرى

هو ذاته : « إن كنت من أهل المعرفة ، فتحقق بالسبيل [illegible] المعرفة ، إن أردت

أن تتحقق بالملأ الأعلى ، [illegible] وإن كنت من أهل المحبة ، فلا تنظر

إلى المحبة ، ولكن انظر إلى [illegible] » (ص ١١٢) . وفي هذا يلاحظ

[illegible] ، بل تدعو

إلى الإعمال [illegible] . والسبيل [illegible] هذا لا بد أن [illegible]

بين [illegible] ، حتى يستطيع المرء [illegible] ، ويستطيع

[illegible] ، فلا يكون بينه وبين [illegible] ولا [illegible] (ص ١١٣)

[illegible] تفتح على الأبدية وعلى [illegible] ،

على الأمل ، لكنه [illegible] (ص [illegible]) ، لأنه صدر

عن شعور [illegible] في الحياة من [illegible] الوجود [illegible] الأضداد ،

(١) « الاعترافات » (أو « التأملات ») ، الفقرة رقم ١٠٦ ، مجموع مؤلفاته ج ٦ ص ٢١٦

وهو شعور طالما عبّر عنه صاحب « الإشارات الإلهية » ، فمثلاً في موضع
من تلك المواضع يقول : « حبيبي ! أما ترى ضعفي في تجلدي ؟ أما ترى
رقتي في تيقظي ؟ أما ترى حرقي في تحمّلي ؟ أما ترى غصتي في ساعتي ؟
أما ترى دمعي المجرى مع قرب إجابتي ؟ أما ترى ضلالي في هداي ؟ أما ترى
رشدي في غيّي ؟ أما ترى [illegible] في ملابسي ؟ أما ترى ضعفي في قوتي ؟ أما ترى تحيّري
في قصدي ؟ أما ترى غيبتي في حضوري ؟ أما ترى كوني في ظهوري ؟ » (ص ١٠٤)
وهو يستمر على هذا النحو من بيان اجتماع الضدين في الشيء الواحد ، ومن يبحث
عن هذا من ناحية طبيعة الوجد والأحوال الوجدية ، فإن عليه ملاحظة
هذا الأمر باستفاضة طويلة الأمد . ولا يمكن نحو صفحة من هذا الكتاب
من ترداد هذا المعنى ، ثم إنه كان يرى سر الوجد في هذا التوتر
الحيّ ، في هذا الاستقطاب [illegible] الذي فصّل القول فيه في كتابنا
« الزمان الوجودي » [illegible] وهو يحكي كذلك في بعض المواضع أنه يؤمن
بتساوي الأضداد .

وأغلب الظن أن هذا المخاطب الذي يتجه إليه ما هو إلا نفسه ،
إذ كثيراً ما يتحدث عن « بينك وبينك » (ص ١١٣ س ٨) « وبيني وبيني »
(ص ١٣٤ س ١٢) ؛ ومعنى هذا أنه يقول بازدواج في نفسه . ومن هذا
قد نستطيع أن نستخلص أن هذا المخاطب [illegible] الذي يتجه إليه
في هذه المناجيات أو الصلوات ما هو إلا نفسه ، وبذلك يظل في داخل ملكوت
الإنسان ، شأن كل فلسفة وجودية حقيقية . فلا يجب أن نخدع كثيراً

(١) ص ١٣٧ — ص ١٣٨ . القاهرة ، سنة ١٩٤٥

(٢) ص ٨٧

سكون[illegible] كلمة [illegible] التي [illegible] فإن هذه الصحيفة ، فقد
تكون مجرد [illegible] معنوية [illegible] على [illegible] وبهذا التفسير
الذي نقدمه ، في احتياط وحذر ، يتحقق قول كافكا الذي صدرنا به هذا
البحث وهو أن «الكتابة نوع من الصلاة» ، والصلاة مساجلة بين طرف
متواضع خاشع وبين آخر [illegible] فيه أنه عال ، لا بالمعنى الديني حتما ،
وإنما مجرد أداة [illegible] بها [illegible] على [illegible] أو في داخل نفسها إلى متحد وبين
يتضرع أحدهما إلى الآخر ويبتهل ، استنتجنا من بين الصفتين اللتين
[illegible] ومن يبحث في ذلك [illegible] صفة دينية تفرح
في [illegible] داعية إلى إقامة الفروض الدينية ،
لكن [illegible] كما قال رامبو [illegible] ولعل هذا ما قد يعطي من خوري
نصاً من الحق في تسمية التوحيدي [illegible]

بقي [illegible] أخيراً بين كافكا وبين صاحب أبي حيان ، شبهاً
هو نتيجة طبيعية لهذه الشعور [illegible] الوجود ، ثم [illegible].
وذلك هو ما فعله صاحب من إحراق كتبه وغسلها بالماء في آخر عمره ،
وما أمر به كافكا من عدم نشر ما خلفه من كتب ، بل رغبته في القضاء
عليها وتشبهه في هذا الصنيع [illegible] أحرق ، فيما يقال ،
كل طبعة كتابه «فصل في الجحيم» (Une Saison en [illegible]). والعوامل
التي حملت كلاً من كافكا وصاحبنا على هذه الفعلة تكاد تتشابه . فصاحبنا
قد كشف عن أسباب هذه الفعلة في رسالة كتبها إلى القاضي أبي سهل علي
بن محمد الذي كتب إليه يعذله على صنيعه هذا ، فقال إنه أتى هذا الفعل بعد

(١) في «ذكريات العصر والشباب» ، المقدمة ص ٧ ، باريس سنة ١٩٤٧

تروٍّ طويل، واستخارة لله أيامًا وليالي. وذلك لأسباب. (أولها) أن العلم يراد للعمل، والعمل يراد للنجاة؛ فإن قصر العمل عن العلم، كان العلم كلًّا على العالم، وصار في رقبة صاحبه غلًّا؛ وهو يرى أن هذا العلم قد قصر عمله عنه؛ فمن النفاق أن تظل هذه الكتب تدعو إلى شيء لم يعمل صاحبها به؛ فضلًا عن أنها شواهد تشهد به بإظهارها الفرق بين ما أعلنه وما صار إليه؛ فهو يحرقها إذن «لقلة جدواها» كما يقول ياقوت[1]. (وثانيها) هو قد بذل فيها عصارة نفسه، وأودع فيها أصناف العلم: سره وعلانيته [illegible] فكان على شعور قوي بعظم قيمتها ونفاستها، فكيف لا يلقى عنها الجزاء الذي يستحق؟ لقد جمع أكثرها «للناس ولطلب المثالة منهم، ولعقد الرياسة بينهم، ولمد الجاه عندهم، فحرمت ذلك كله»[3]. وهذه لاشك صراحة محمودة من التوحيدي، وفيه حزٌّ على إبداء هذا السبب الذي يحيل إلى الناس أنه يرى بقدر صاحبه من الناحية الروحية. (وثالثها) أنه يعلم ما طبع عليه الناس من سوء الظن والميل إلى تتبع العيوب، وهو يعلم أن كتبه ناقدة، فيها سهو وغلط ونقص وعيب؛ وهو عدم المنصف في حياته، «وفقد ولدًا نجيبًا، وصديقًا حبيبًا، وصاحبًا قريبًا، وتابعًا أديبًا، ورئيسًا منيبًا»[4]. فشق عليه أن يدعها لقوم يتلاعبون بها، ويدنسون عرضه إذا نظروا فيها، ويشمتون إنه لم يعد له صديق — وهل كان له يومًا صديق؟ إذ فقد «الإخوان والأحباب في هذا الصقع من الغرباء والأدباء والأحباء» لقد ضاق به وهد

(١) «معجم الأدباء»، ج ١٥، ص ١٦

(٢) العصر، وحسن الحظ

(٣) ياقوت: «معجم الأدباء»، ج ١٥، ص ١٨

(٤) المرجع السابق، ج ١٥ ص ١٩

فى كل شىء ، وهو يرى مصارع أولئك الذين فقدهم « بالعراق والحجاز والجبل والرى وما والى هذه المواضع » . (ورابعاً) إنه لم يأت فى هذا ببدعة ، « فى إحراق هذه الكتب أسوة بأئمة يقتدى بهم ، ويؤخذ بهديهم »[1] ، يذكر منهم أبا عمرو بن العلاء المقرئ الأديب المشهور ، وداود الطائى « وكان من خيار عباد الله زهداً وفقهاً وعبادة ويقال له تاج الأمة . طرح كتبه فى البحر وقال يناجيها : نعم الدليل كنت ، والوقوف مع الدليل بعد الوصول عناء وذهول ، وبلاء وخمول » ، ثم يوسف بن أسباط ، والصوفى الكبير أبا سليمان الدارانى الذى جمع كتبه فى تنور وسجرها بالنار ثم قال : « والله ما أحرقتك حتى كدت أحترق بك »[2] ويذكر كذلك سفيان الثورى وأبا سعيد السيرافى ، وقد كان سبيله سبيلهم . ثم هو قد فعل فعله هذا وهو فى حال من المرض والفقر والفاقة ، وهذه حال نفسية يرى هو فيها من الصبر أضعاف ما أبدى . وبهذا كشف عن كل العوامل التى تضافرت وتعاونت حتى حملته على أن يصنع صنيعه هذا الذى لم ينفرد به ، بل سبقه إليه طائفة صالحة من أجلة العلماء . على أن المصدر الأول فى هذه الأسباب هو تبرمه بهذه الكتب لأنها لا تعبر عن حاله النفسية ، وهو فى هذا يختلف عن كفكا ، إذ أن كفكا إنما كان غير راض عنها لعدم كمالها أو لقصورها وضآلة قيمتها ، ثم إنه يعبر بهذا النقص عن عدم الرضا اللازم للفنان . ولكنهما يتفقان هنا فى أن هذا الصنيع هو آية الحنق : الحنق فى الصدر [illegible] عند التوحيدى ، والحنق من فرط اليأس الذى استولى على النفس من طول مواجهة

(١) المرجع نفسه ، ج ١٥ ص ٢١

(٢) المرجع نفسه ، ج ١٥ ص ٢٢

لمشكلة تصبا المستعصية على كل حلٍّ سيد كهذه . ويتفقان كذلك في أن كلاً
منهما نظر إلى إنتاجه فوجده عبثاً لا طائل تحته ، واندفع تحت تأثير حال
العزوف والزهد والاستغراق الصوفي [illegible] التي استولت
على كليهما في أواخر عمرهما . أما الأسباب الأخرى التي ساقها التوحيدي
فيغلب على الظن أنه سحبها تجملاً ، تواضعاً وعفةً ، أو رغبة في المجاملة
بإيهام النفس بما يثبتها في الظاهر على الأقل . ورسالة التوحيدي مكتوبة
كلها بهذه اللهجة اللبقة سالفة الطلاقة (fi[illegible]) : فهو يعتذر بأسباب مادية
وأحوال نفسية ، وكل هذا يجب ألا نأخذه مأخذ الجد ، لأن هذه العملة
لا تصدر عن مغرور ، بل عن شعور شخصية سامية ترى أن كل كتابة
هي حادثة فانية ، وثيقة عابرة ، وخير قرطاس تكتب عليه هو رمل الوادي
تذروه الرياح ، والماء الجاري الدائم التجديد . إن الكلمة التي تسجل
على قرطاس ثابت تقيد صاحبها . والكاتب الحرّ هو ذلك الذي لا تقيده
كلماته ، ولا تصبح عليه كَلاًّ ولا غلاًّ ، كما قال صاحب التوحيدي في عبارة
قوية مليئة بالمعاني

الكتابة زفرةٌ ، فأطلقها مع مُرسلات الريح ، تمضِ أبداً ، أمّا إن أسلمتها
إلى الثابت ، فقد تحجّرتْ نفساً وفي التحجر الموت . عبّرْ عن خواطرك
وأحساسك ، ثم استودع هذه العبارة زجاجة تقذف في بحر المحيط ، كما حلم
ألفرد دي فيني (Alfred de Vigny) ؛ ودع من أراد على مدى الأجيال
كي يسعى للظفر بها ، فإن قيلت له وأنصت إليه بعد أنه المجهول لا بد عاثر به
يوماً ما في مكان ما ، وزاوية خفية من زوايا ملكوت الروح . أنت عابر ،
ووجودك عابر ، فاجعل كلّ إنتاجك عابراً ، فالوجود العابر لا يتفق معه
إلا الكلمة العابرة ، والإنتاج العابر

الكتابة هي «لا» تحيى أن تقول «نعم»، وتستحيل تحتى معه إن تحجر أن تستحيل معه «لا» إلى نعم، نعم. الكتابة ضرب من الصلاة، وخير الصلاة ما اتجه إلى المجهول أبداً، وصار سرّاً أبداً. فإذا بدا السر أو علم المجهول فأحرق ما كتبتَ وقل مع الداراني: «والله ما أحرقتُك حتى كِدتُ أُحترق بك»

(٢)

ونحن ننشر هنا القسم الأول من كتابه «الإشارات الإلٰهية والأنفاس الروحانية». وفقاً للمخطوطة الوحيدة المعروفة حتى الآن عن هذا الكتاب، وهي المخطوطة رقم ٨ تصوف (١٣٣٤) بالمكتبة الظاهرية بدمشق.

(١) أما أن الكتاب للتوحيدي فالدليل عليه ما يلي

أولاً: أنه ورد في الورقة الأولى من مخطوط الظاهرية ما هذا نصه

«الأول من كتاب الإشارات الإلٰهية والأنفاس الروحانية، من تصنيف أبي حيان»

وهذا أمر لم ينتبه إليه أحد ممن درس هذا المخطوط من قبل. والسبب في هذا أن هذه الصفحة الأولى قد أُلصق بها مجلِّدُ الكتاب ورقة سميكة تضرب إلى الصفرة غطت ما تحتها، فلم يبق منه شيء لمن يقرأ لأول وهلة. ومن هنا رأينا مرتز بلسنر (Martin Plessner) [1] يقول: ٢٧ (١)

(١) في مقال له بمجلة «إسلاميات» (Islamica) ج ٤ بعنوان: «مباحث في تاريخ الكتب الإسلامية» البحث الأول. دراسات عن مخطوطات عربية في استانبول وقونية ودمشق (Beitrage zur islamischen Literaturgeschichte I. Studien zu arabischen Handschriften aus Stambul, Konia und Damaskus. تحت رقم ٢٧ (١)

الظاهرية ، تصوف ٨ : « كتاب الإشارات الإلهية » . يقول الزيات (أى حبيب الزيات فى كتابه : « خزائن الكتب فى دمشق وضواحيها » ، القاهرة سنة ١٩٠٢) فى ص ٤٩ إنه ورد فى فهرست المكتبة (الظاهرية) أنه لأبى حيان التوحيدى ، لكن لا يمكن فى الواقع أن نستخرج يقيناً من المخطوط من هو مؤلفه » . ونابع نسير على رأيه كثيرون .

لكن كم كانت دهشتنا ونحن ندرس الورقة الأولى من المخطوط ، حينما عرضناها فى مقابل ضوء الشمس ! فقد تبين لنا أن هناك كتابة تحت الورقة الصفراء التى ألصقها المجلد . وسرعان ما أتينا بضوء مصباح قوى سلطناه على تلك الورقة فاتضح ما تحتها أو أكثر ؛ وقد ظهر بوضوح تام هذا النص الذى أوردناه . فلم يعد أمامنا أدنى شك فى أن فى مخطوط هذه ورد أنه لأبى حيان (التوحيدى) ؛ وأن الذى وضع فهرست المكتبة الذى أشار إليه حبيب الزيات إنما اعتمد على هذا النص الصريح قبل أن يجلد الكتاب وتلصق هذه الورقة به . ونحن بدورنا لم نستطع أن نصدق أن يكون واضع الفهرست المذكور قد كتب ذلك من تلقاء نفسه ، وهذا هو الذى دعانا إلى متابعة البحث فى المخطوط نفسه عما ينم عن أخذه قول واضع الفهرست ، حتى عثرنا على ضالتنا المنشودة بمجرد تعريض الورقة الأولى لضوء الشمس الساطع ثم لضوء المصباح الكهربى . ولو تيسر لنا مصباح كهربى قوى بدرجة كافية (ألف وات أو أكثر) لاستطعنا أن نصوّر هذه الصفحة الختمية بالتصوير الشمسى .

ولعل فى هذه النادرة عظة للمشتغلين بالمخطوطات !

والنتيجة لهذا إذن أنه ورد فى صراحة ووضوح تامين أن هذا الكتاب هو « الإشارات الإلهية والأنفاس الروحية لأبى حيان (التوحيدى) » .

وثانياً — أنه ورد فى « معجم الأدباء » لياقوت الحموى أن اسم هذا الكتاب من بين ثبت بأسماء مؤلفات أبى حيان على بن محمد بن العباس التوحيدى هكذا : « كتاب الاشارات الإلهية ، جزءان » ثم ورد كذلك فى ثبت كتب التوحيدى الذى أورده الصفدى ⁽²⁾ نقلاً من غير شك عن ياقوت ، فقال : « الإشارات الإلهية ، جزءان »

ثالثاً — يوجد هذا الكتاب مختصر مع شرح قام بهما عبد القادر ابن محمد بن سر المقدسى الشافعى المتوفى حوالى سنة ٩٣٤ هـ (سنة ١٥٢٧ م) ، منه نسخة مخطوطة فى برلين (« فهرست المخطوطات العربية بمكتبة برلين » لألفرت (Ahlwardt) ج ٣ برقم ٢٨١٨) يقول عنها مارتن بلسلر فى مقاله السابق الذكر إنها ملخص لا يسمح بالمقارنة مع النص الأصلى (الموجود فى مخطوط الظاهرية) مقارنة كافية ، أى أنه لا يفيد كثيراً فى تصحيح النص ، ولكنه يدل على كل حال على أن الكتاب للتوحيدى

ومن سوء الحظ أننا لم نستطع الظفر بصورة من هذا الملخص ولا بالاطلاع عليه ، نظراً إلى الظروف الحاضرة التى تحول بيننا وبين هذا الاطلاع ، حتى نقرر مدى إمكان الإفادة من المقارنة بين النص الذى ننشره والنص الوارد — موجزاً — فى هذا الملخص لدى عمله عبد القادر بن سر المقدسى

(١) نشرة مرجوليوث ج ٥ ص ٣٨١ س ١٩ ، لندن سنة ١٩٢٩ = ج ١٥ ص ٧ س ١٤ — س ١٥ من الطبعة المصرية بمطبعة دار المأمون ، القاهرة (بدون تاريخ)

(٢) راجع نصه فى مقال مرجوليوث عن مناظرة السيرافى ومتى ، المنشور « بمجلة الجمعية الأسيوية الملكية » (J.R.A.S.) سنة ١٩٠٥ تعليق ص ٨١

الشافعى . لهذا لا نستطيع التحدث الآن عن هذا بالنص ، وإنما نرجئ
ذلك إلى أن يتيسر تحديث الاصلاح

نعم ، وثمت دليل كان يمكن أن نعثر به ولكننا لم نعثر به حتى الآن ،
وهو الدليل غير المباشر ، أعنى أن تكون قد وردت اقتباسات من هذا الكتاب
فى كتب أخرى للتوحيدى نفسه أو لغيره . أما فى كتب التوحيدى نفسه
فلم نعثر حتى الآن على إشارة إلى هذا الكتاب فيما نشر من كتبه :
« المقابسات » و « الصداقة والصديق » و « الإمتاع والمؤانسة » (١)
أما فى كتب المؤلفين الآخرين فلم نعثر على أية إشارة إلى هذا الكتاب
والموضع الوحيد الذى ينص على النص أنه مأخوذ من كتاب « الإشارات
الإلهية » هذا هو نص ما ورد فى « شرح نهج البلاغة » (٢) لابن أبى الحديد
(ج ٣ ص ٨٨ — ص ٩١) . بيد أننا لم نجد شيئاً مما أورده هنا فى هذا
الجزء ، فلعله نقله عن الجزء الثانى المفقود من كتاب « الإشارات الإلهية » ،
هذا مع افتراض أنه مأخوذ من هذا الكتاب ، كتاب « الإشارات »
لا من كتاب آخر من كتب التوحيدى المفقودة ؛ وإنما الذى يميل بنا

(١) « الصداقة والصديق » ومعه « رسالة فى العلوم » وكلتاهما لأبى حيان التوحيدى ، طبع الجوائب ، الطبعة الأولى ، القسطنطينية سنة ١٣٠١ هـ (سنة ١٧٨٣)

« المقابسات » نشرة السندوبى ، القاهرة سنة ١٩٢٩

« الإمتاع والمؤانسة » نشرة أحمد أمين وأحمد الزين فى ٣ أجزاء ، القاهرة سنة ١٩٣٩ — سنة ١٩٤٣

(٢) نشرة دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ (سنة ١٩١١ م)

إلى هذا الافتراض هو الشبه فى الطريقة واللهجة بين بعض هذه « الدعوات الفصيحة المستحسنة » كما نعتها ناشر الحديث وبين ما ورد فى هذا الجزء من كتاب « الإشارات » ، أما البعض الآخر من هذه الدعوات فمأخوذ من متن كتاب « الصديق والصداقة » وذلك فى قوله : « اللهم إنى أسألك حمداً مقروناً بالتوفيق ، وعلماً بريئاً من الجهل ، وعملاً عرياً من الرياء ... » إلى قوله : « فوقفت على ذلك فيه » ولعل ناشرها قد أخذ من مطاوى بعض كتب التوحيدى الأخرى . وعلى كل حال فيبدو جلياً أنه لم يذكر اسم الكتب التى اقتبس عنها ، ولما كانت هذه الاقتباسات غير واردة فى القسم الذى نشره ونعرفه من كتاب « الإشارات » فإننا لا نستطيع أن نقطع برأى فى هذا الباب .

وخلاصة البحث هنا أن الدليل غير المباشر لا يزال يعوزنا فيما اتصل بنا حتى الآن من مصادر .

كما يلاحظ من جهة أخرى أن بعض المصادر أغفلت ذكر هذا الكتاب ، مثل السبكى فى « طبقات الشافعية » (القاهرة ، ج ٤ ص ٢ و ٣) والسيوطى فى « بغية الوعاة » (القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ ، ص ٣٤٨ — ٣٤٩) وابن خلكان فى « وفيات الأعيان » (ج ١ ص ٦٠ و ٦١ ، القاهرة سنة ١٣١٠ فى ذيل الكلام عن أبى الفضل محمد بن العميد) ؛ لكن هذا الصمت عن ذكر الكتاب

(١) مخطوط كمبردج ورقة ٩٩ ا ؛ وهذه النسخة فى ١٩١ ورقة مقاسها ١٩,٩ × ١٣,١ سم ، ومسطرتها ٢٥ س ، وتاريخها ١٤ شوال سنة ١١١٧ هـ ؛ راجع إدوارد . ج . براون . « المخطوطات الإسلامية فى مكتبة جامعة كمبردج » كمبردج سنة ١٩٠٠ تحت رقم ١٣٤ E. G. Browne, *Muhammadan Manuscripts in the Library of Cambridge University*

لايدل على شيء ، لأن أصحابه لم يقصدوا إلى الاستيعاب والاستقصاء . كذلك لم يرد للكتاب ذكر في « كشف الظنون » لحاجي خليفة ؛ وكل ما ورد عن أمثاله هو : « (١) الإشارات في التصوف : لسعد الدين مسعود بن أحمد المتوفى سنة . مختصر. أوله الحمد لله الذي هدانا لهذا الخ . (طبعة استانبول سنة ١٩٤١م سنة ١٣٦٠ هـ ، ج ١ ص ٩٧) » ، ثم (٢) « الأنفاس الروحانية » (ج ١ ص ١٨٣) وقد ترد هكذا غفلا من اسم مؤلفه فلا نكاد نتبين شيئاً من مجرد ذكر هذا العنوان ، وهي على الأقل لاتفيدنا في تحديد الأمر في كتاب « الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية » .

وبالجملة ، فليس ثمت شك لدينا في أن « كتاب الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية » هو لأبي حيان التوحيدي ، وفي أن النسخة التي بين أيدينا وننشرها هنا هي بعينها كتاب « الإشارات الإلهية » للتوحيدي .

(٣)

وصف مخطوط الظاهرية رقم ٨ تصوف

(ا) يقع هذا المخطوط في ١٥٦ ورقة ، يبدأ نص الكتاب في أول الورقة ١ ب وينتهي في منتصف الورقة ١٥٦ ا

(ب) ورقة الوجه الأول (١ ا) :

قلب من هذه الورقة قد غطاها مجلد الكتاب بورقة خارجية صفراء اللون سميكة لايستشف منها ما تحتها إلا إذا سلط عليها نور قوي جداً . وقد فعلنا ذلك فوجدناه مكتوبا فيها بوضوح :

« وقف محرم مؤبد

الأول من كتاب الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية

من تصنيف أبي حيان »

وتحت هذا العنوان وعن يساره كلام كثير يتصل بوقف هذا الكتاب وأيلولته، وعليه ختم لم نتمكن من قراءته. وهذا الكلام غير واضح تماماً، ولا يمكن أن يستبين بجلاء كله إلا بتسليط نور قوى جداً عليه.

(ج) والورقة ب يبدأ بها الكتاب كما هو مبين فى نشرنا هذه؛ لكن تخرمت منها مواضع فى الأسطر الأربعة الأخيرة كما أشرنا إلى ذلك فى هامش النص.

د) الورقة الأخيرة من المخطوط قد لصق بظاهرها (ص ١٥٦ ب) ورقة فيها كلام منقول عن كتاب «أدب الكاتب» لابن قتيبة أوله «العيلم ذكر السلاحف، والأنثى سحفاة، والغيلم سلحفية؛ والعلجوم ذكر الضفادع؛ والشيهم ذكر القنافذ، والخزر ذكر الأرانب، وجمعه خزّان» وهو مأخوذ من مواضع متفرقة من «أدب الكاتب» وأوله مأخوذ من ص ٨١ (المطبعة المصرية سنة ١٣٤٦ هـ = سنة ١٩٢٧ م) والباقى من مواضع متفرقة فى ثنايا هذا الكتاب. وهذه الورقة ليست من نوع ورق كتاب «الإشارات» نفسه، ولهذا فهى ملصقة إلصاقاً وخارجية عنه.

(هـ) مسطرة الصفحة ١٩ سطراً، طول السطر ١٢٫٥ سم، وطول الصفحة فى الجزء المكتوب منها ١٥٫٥ سم، وطول الصفحة مع الهامش ٢٠٫٥، وعرض الصفحة مع الهامش ١٦٫٨ إلى ١٧ سم.

والورق سميك جيد يضرب إلى السُمْرة.

وترقيم الصفحات يستمر بحبر أسود من نوع حبر الأصل حتى ورقة ٤٨، وبعدها كتب الترقيم بقلم رصاص.

وعنوان الرسائل أرقام هكذا: رسالة ١، رسالة ب الخ، وهو مكتوب بالحبر الأحمر؛ وحُلّى بالأحمر مع الأسود بعض الحروف فى ثنايا الصفحة، خصوصاً

إذا كان رسم الحرف ممدوداً مثل السين فى : بالسنم ، أو حينما يمد خط بين حرفين مثل بين الحاء والياء ، أو للفواصل بين الفقرات

(و) لم يرد فى هامش المخطوط غير استدراكات النواقص فى الصلب ، أو تصحيح بعض الكلمات التى اضطرب رسم كتابتها.

(ز) ورد اسم الكتاب فى داخله بصفحة ١٤١ ا مع عنوان فصل ، هكذا : « دم التفصيل بالغاشية والحاشية من الإشارات الإلهية »

كما ورد فى آخره هكذا :

« تمت المجلدة الأولى من الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية » .

وكل هذا يؤكد — إن كنا لا نزال فى حاجة إلى مثل توكيد — كون هذا المخطوط هو « الإشارات الإلهية » .

(ح) وخاتمة المخطوط هى :

« تمت المجلدة الأولى من الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية ، بحمد الله ومنّه ولطيف صنعه . ويتلوه المجلدة الثانية ، وهى الرسالة الخامسة والخمسون : كتابى إليك أيها الصديق ، وأنا أسألك أن يسرك ... »

وهى تدل على وجود مجلد ثان يبدأ بالرسالة الخامسة والخمسين ، وهذا أولها .

(ط) وعليه تاريخ فى نهايته وهو : « وفرغ من كتبه محمد بن أحمد بن على الأشعبى ، بتاريخ جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين وأربعمائة » .

وليس لدينا ما يوجب الشك فى صحة هذا التاريخ عند كتب بعض القلم والحبر اللذين كتب بهما المخطوط كله

فالمخطوطة إذن قديمة جداً ، وتعد من أقدم ما بقى لدينا من مخطوطات عربية . ولقد نسخت إذن بعد وفاة التوحيدى بقرابة ستين سنة أو أقل (لسنا ندرى بالدقة ، لأننا لا نعرف على التحديد واليقين تاريخ وفاة التوحيدى ،

وسكنه حوالى سنة ٤١٤ هـ ١٠٢٣ م)، فلعلها كتبت عن نسخة المؤلف نفسه أو نسخة نشرت فى حياته، إذا افترضنا أنه حينما أحرق كتبه إنما أحرق ما كتبه بيده وكان لديه، مع جواز أن يكون قد خرج عن يده أيضاً ما كتبه تلميذه.

ومن هنا كانت مخطوطة الظاهرية بدمشق هذه التى عنها ننشر هذا الكتاب مخطوطة لا تعدل بها قيمة. وفضلاً عن نفسها هذا، فإن العناية تتجلى فيها فى كل موضع، وقد ورد ذكر ذلك صراحة فى آخر المخطوطة، إذ ورد ما يلى: « معارض مصحح من أوله إلى آخره ».

ولكنا رأينا صعوبة النشر من رداءة ورسم الخط إلى درجة هائلة، ومن إهمال النقط واضطراب بين الحروف المتوالية، ومن عدم اتباعه قاعدة واحدة، سواء فى كتابة الحروف الواحدة وفى نقط الحروف وفى وضع إشارات تميز بعض من الحروف المتشابهة (مثل السين والشين، العين والغين)، مما جعل الكلام يستعصى على القارئ فى كثير من المواضع؛ لهذا قاسينا فى سبيل قراءته نصباً ونصاً ومشقة بالغة، خصوصاً ولغة الكتاب غنية مغرقة فى الغنى، لهذا احتاج إلى محصول لغوى غزير حتى يفصح عن مضمونه، ويظهر ما خفى من مكنونه.

(٤)

أين يمكن أن نضع هذا الكتاب فى مراحل حياة التوحيدى الروحية؟ سؤال لن نجد عنه، فيما بين أيدينا منه، جواباً حاسماً، إذ ليس فيه أدنى إشارة تاريخية: إلى أحياء أو أحداث، والشخص الذى يشير إليه فى بعض هذه الرسائل من العسير أن نتعرفه بيقين، وأغلب الظن أنه شخص خيالى،

أعنى أنه « الأنت » الضرورى لكتابة أحوال النفس والمناجاة . فهو مجرد اختراع أدبى (fiction littéraire) .

لهذا لم يبق فى التحليل الباطن للنص الخارجى إلا اعتباران : الأسلوب ، ثم مدلول اللهجة .

أما الأسلوب فلم يبلغ فى كتاب من كتب التوحيدى الأخرى : « الإمتاع والمؤانسة » و « الصداقة والصديق » و « ثمرات العلوم » و « المقابسات » مقدار ما بلغه فى هذا الكتاب ، كتاب « الإشارات الإلهية » : سمواً ، وحرارة ، وموسيقى ، وتمكناً من الأداء . والشخصية فيه من الحدة والقوة بحيث هى أظهر منها فى كتبه الأخرى . نعم ، للموضوع مدخل كبير فى تلوين الأسلوب ، بل وصبغته . والموضوع هنا يهب الأسلوب تطعيمه أجنحة وردية ترف فى نور الإيمان المتقد ، مما يقوم دليلاً عكسياً يتنافى مع محصّل الاعتبار الأول ؛ إذ نضوج الأسلوب يكشف عن تأخر العهد ، بينما الحرارة فى العبارة قد تؤذن بجموح الشباب أو حرارة مشرف الرجولة . واجتماع كليهما هاهنا قد يؤدى بالبعض إلى استنتاج موقف التوقف ، لتكافؤ الأدلة .

وتلك أمور نحسب لها كلٌّ حسابه ؛ ومع ذلك فنحن لا نجنح إلى التوقف المطلق ، بل نؤثر الترجيح ، وهو ترجيح تدعونا إليه الاعتبارات التالية .

١ — أن التوحيدى لم يشر إلى هذا الكتاب فى واحد من كتبه الأخرى التى ذكرناها . على أنه ليس من عادة التوحيدى أن يشير إلى كتبه الأخرى فى مؤلفاته ، حتى إننا لا نذكر له إشارة واحدة فى أى من تلك الكتب إلى مؤلفاته الأخرى ، اللهم إلا إلى كتاب « مثالب الوزيرين » فى خلال كلامه فى مستهل « الإمتاع والمؤانسة » ، وإن كان لم يذكره صراحة ؛

ومع ذلك فلا ضير من الاستناد إلى هذه الحجة — غير القاطعة — على الأقل بوصفها حجة مساعدة.

٢ — أن أسلوب الكتاب دال على درجة نضوج بعيد لدى التوحيدي؛ وأنه ينم فيه عن شخصيته وتجاربه الحية وأحواله النفسية على نحو يبرز فيه الحس الشخصي، وهو ضرب من الصعب أن نجده في «الإمتاع والمؤانسة» وفي «المقابسات» أو «الصداقة والصديق». وهذا الاستقلال الروحي دليل قوي على النضوج وعلى التجارب في حياة يستمر معها التطور فيها على نحو مطرد.

٣ — أن الكتاب يعبر عن نفس دلفت إلى الإيمان المستسلم بعد أن عانت من تجارب الحياة أهوالا طوالا. ففيه مرارة اليائس من الناس ومن دنيا الناس، وفيه صرخة ألمة لأمل خائب تكسرت عليه نصال الخيبة بعد الخيبة؛ وفيه عزوف رقيق، وإلهام عميق، وإيمان مطلق بالصحبة، واستدعاء متوسل لكل ما تلوح منه بوارق الآخرة. وفيه شعور بهوة هائلة تغمر فاه في تسبيح الوجود؛ وفيه طعم الزهد يتذوقه المرء في كل عبارة وإشارة.

ومثل هذا الموقف هو موقف داود في «مزاميره»، ولأيوب في تجديفاته؛ وهو موقف لا يتهيأ إلا من حظي من التجارب الروحية العميقة نصيباً موفوراً، ثم ران بحيرة مأساوية، وقد انتهت به إلى تسليم، في ابتهالات تسري فيها شائبة الألم الكظيم، بل العليل. وهذا كله لا يتحقق إلا في سن متأخرة تماماً، حين تنضب قوى التجديف، وتخفت صرخة التمرد، فيتجه المرء بوجهه إلى الجانب الشاحب من الحياة.

هذه الأسباب الثلاثة كلها ترجح أن يكون هذا الكتاب من كتب التوحيدي الأخيرة ومما كتبه في آخر عمره.

وهنا تنتصب أمامنا التهمة المشهورة ، وهي اتهام التوحيدي بالزندقة ، وأنه أحد زنادقة الإسلام الكبار الثلاثة : ابن الراوندي والتوحيدي والمعري ، وأنه أخبث الثلاثة وشرهم لأنه « مجمج ولم يصرح » على حد تعبيرهم — فتطرح علينا السؤال التالي : كيف تتفق نزعة هذا الكتاب ، وهي نزعة صادقة تكشف عن إيمان عميق بالله ، وحب شديد مطلق لوجهه ، مع اتهامه بالزندقة ؟

والجواب عن هذا السؤال سهل ميسور . أولا لأن هذه التهمة لا يمكن أن يكون أصحابها قد استخلصوها استناداً إلى هذا الكتاب ، فمهما أمعنا في التأويل وتعسفنا فيه فلن نستخلص بحجة ووضوح من هذا الكتاب ما يدل على شيء من الزندقة ، أو التجديف . فأصحاب هذه التهمة إذن لابد أن يكونوا قد استندوا إلى كتب أخرى للتوحيدي ، ولكننا لا ندري بعد ما هي هذه الكتب ، لأن ما بين أيدينا لا يكفي للإدانة الصريحة .

وها هنا نحرز على الاعتراض التالي : وهو أن يكون التوحيدي قد ألف كتاب « الإشارات الإلهية » في دور تلا ما يشبه توبة ، وأنه قد يعبر عن فترة إيمان مستسلم جاء إثر فترة شك طويلة كانت آخر فترات حياته الروحية ، وأنه قد سبقها فترات زيغ وشك مما يسوغ لهم أن تكون الدافع إلى هذا الاتهام .

* * *

وقد ذكرنا اسم « مزامير داوود » عن قصد ، لا لمجرد المقارنة والتشبيه . ذلك أننا لا نستبعد أن يكون التوحيدي قد تأثر « مزامير » داوود في وضعه هذا الكتاب ، إذ ليس من العسير أن نجد أشباهاً ونظائر عديدة فيما بين « إشارات » التوحيدي « ومزامير » داوود : فصياغة المناجاة المتوجهة إلى الله

واحدة ، وحرارة التعبيرات الأدبية التي تتخذ كلاماً متشابهة ، والشعور بالتسليم
المطلق لوجه الله الواحد القهار يكاد يتخذ صيغاً للتعبير مشتركة فيما بينهما ،
والشعرية السارية في ابتهالات كليهما تصدر عن نفس مليئة بإحساس متعمقة
في بيانها . ولعل الأمر الذي باعد بعض المباعدة بين كليهما في هذا الباب
هو النزعة الفنية . فقد صبغت الحساسية الفنية الأدبية خصوصاً —
عند التوحيدي حتى دفعت به إلى اتخاذ أسلوب عليه مسحة من التكلف
ظاهرة ، ثم أشاع بعضاً من البرود في حرارة النبرة العالية التي هي الأساس
الأصيل في كتب ... وتلك آفة التوحيدي . بينما أسلوب « المزامير » يصدر
من القلب إلى القلب في غير تكلف ولا تصنع يبقى رصيناً كثيفاً على صفاء
العاطفة وسرعة التعبير عن المشاعر . ومن هنا كانت أهمية « المزامير »
— فضلاً عن ملابساتها التاريخية ومكانة صاحبها أو من نسبت إليه —
ظهرت بصفة عالية جداً أكثر بكثير مما تمثله « إشارات » التوحيدي .

وليس بعسير أن نثبت أن التوحيدي قرأ « الكتاب المقدس » بعهديه
الجديد والقديم . فقد أشرنا في عدة مواضع من هذا الكتاب إلى التشابه
بين عبارات التوحيدي وبين آيات في الأناجيل ، وهذا يقطع بأنه قرأها ،
أو في القليل عرف الكثير عنها ، ورأى نصوصها . وما دام قد قرأها ،
فمن الطبيعي أن يقرأ أسفار « العهد القديم » ، بل أن يعجب بها ، وهو الرجل
الشاعري المزاج ، الصوفي النفس . ومن ذا الذي يقرأ « المزامير » و« سفر
أيوب » و« مراثي أرميا » والأسفار الخمسة المنسوبة إلى سليمان ولا يطرب لها ،
إن كان في مثل نفسية التوحيدي !

يصف في هذا السبب «المكتوب» (١) أنه كان على صلة وثيقة بأبي علي
عيسى بن زرعة وكانا يجتمعان في صحبة واحدة، وكثيراً ما أثار إليه
التوحيدي ووصفه. وأبو علي عيسى بن زرعة من كبار المسيحيين المقدمين
الذين كانت لهم مكانة ملحوظة الجلال في الكنيسة اليعقوبية المسيحية.
فكيف لا يفيد التوحيدي منه، وقد أفاد ابن زرعة من التوحيدي
وسائر أصحابه؟!

لهذا كله نرجح أن يكون التوحيدي قد تأثر «مزامير» داوود، خصوصاً
أنه لم يجد شواهد سابقة إلى هذا النوع في الأدب الإسلامي، اللهم إلا آثاراً
ضئيلة قد نجد بعض منها أولاً في كتب الحارث المحاسبي ثم في كتب الحلاج
لكن هذه الآثار بعيدة الشبه كثيراً عن كتاب «الإشارات» هذه،
فلا يمكن أن يكون صاحبها اتخذها وحدها نماذج له؛ وإنما الكتاب الذي يمكن
أن يكون قد تأثره حقاً وبطريق مباشر وبصورة قوية بارزة، هو كتاب «المزامير»
المنسوبة إلى داوود النبي.

وهذا ميدان خصب للدراسة الأدبية، وهو مدى تأثر الأدب العربي
الإسلامي «بالكتاب المقدس» بعهديه: القديم والجديد، خصوصاً و«العهد
القديم» قد ترجم ترجمة ممتازة إلى العربية في القرن الثالث، وهي الترجمة التي قام
بها حنين بن إسحق.

(١) راجع: «المقابسات» ص ١٩٧، ١٩٨، ٢٦٣، ٣٥١ نشرة
السندوبي القاهرة سنة ١٩٢٩؛ — «الإمتاع والمؤانسة» ج ١ ص ٣٢،
٣٣، ٤٨؛ ج ٢ ص ٦٣، ٦٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١،
١٣٤، ١٩٧

والشواهد على هذا كثيرة عديدة، نذكر منها في المقام الأول أبا عثمان الجاحظ [1]، فهو في رسائله كثير الإشارة إلى آيات في «الأناجيل» خصوصاً وإلى أحداث تاريخية خاصة بالمسيح، وهو يورد هذه الآيات أحياناً منصوصة في ترجمة رائعة، يا ليتها وجدت اليوم لتحل محل الترجمة الشائعة الأعجمية الرديئة التي يتداولها النصارى اليوم في البلاد العربية.

على أن دعوانا تأثر التوحيدي بأسلوب «مزامير» داوود لا تقدح في أصالة التوحيدي، بل نرى فيها ما يؤكد هذه الأصالة ويرفع من مكانتها ومكانة صاحبها. فلسنا من أولئك التافهين العجزة والمغرورين الذين يفزعون من فكرة التأثر فتنتهي أصالتهم المزعومة إلى أن تصبح طلاءً، زائفاً من السطحية الرخيصة التي لا ترضي غير الأغرار الأغمار من أمثالهم.

(٥)

ولكنا نعد هذا على كل ما فيه من منهج في المناجاة لا نكاد نجد له نظيراً قبل التوحيدي، وربما يمكن أن يعد رائد نوعه، والنموذج الأول لكتب المناجيات التي صرنا نجدها من بعد في الأدب الصوفي، مثل «مناجاة الفرد الكامل» للصدر القونوي [2]، وهي مناجيات فيها نفحة الخطاب إلى الله بلغة راقية قريبة الشبه بأسلوب التوحيدي في «الإشارات»، ولكن

(١) راجع «مجموع رسائل الجاحظ» ص ٥٤، ٥٨ بنشرة باول كراوس، القاهرة سنة ١٩٤٣؛ ثم «كتاب الجاحظ إلى أحمد بن أبي دؤاد» في «سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون» لابن نباتة، ص ١٧٥

(٢) مخطوط بالظاهرية بدمشق تحت رقم ٥٨٩٥ عام من الورقة ١٦ ب إلى ٣٧ ب، مقاس ١٨ × ١٣ سم، وسنقوم نحن قريباً بنشره

تعرق على لغة هذه الأخيرة من أسلوب حافل بالمصطلحات الفلسفية والصوفية ، وأقل حظاً من الجمال الفني والطلاوة الموسيقية والأدبية . ولسنا نبعد كثيراً إذا قررنا أن من الممكن أن يكون ثمت تأثير من جانب الصدر القونوي بأسلوب التوحيدي في كتاب « الإشارات الإلهية » ، فضلا عن منهجه

وإذا كانت الصنعة الفنية قد غلبت على أسلوب التوحيدي في هذا الكتاب على حساب المعنى والتجربة الروحية ، في بعض المواضع ، فليس هذا بقادح في شيء من القيمة الخطيرة التي لهذا الكتاب في تاريخ التصوف الإسلامي والحياة الروحية ، تلك القيمة التي نرجو أن تتاح لنا فرصة قريبة للتحدث عنها وبيانها في ذاتها ومع مقارنتها بنظائرها في هذا الميدان الصحيح ، في الأدب الروحي الإسلامي ، الذي يشمل فن المناجاة الإلهية ، وهو فن يدل على ارتفاع هائل في مستوى الذاتية ، وعلى عمق في غور الحياة الباطنة ، وعلى إرهاف في الحساسية الكونية عند النفوس المتعطشة لشواظ من نار القداسة العليا ، فيها وفي علائه توكيد مع ذلك لكمال إنسانيتها ؟

عبد الرحمن بدوي

دمشق في ١٨ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٤٩

ورقة [١ ب] من مخطوط المكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٨ تصوف
وهي أول المخطوطة ، وفي ظهرها صفحة الغلاف المتقدمة



الورقة الأخيرة من المخطوطة وبها تاريخها ودلالة انتهائها
عند الجزء الأول من "الإشارات الإلهية"



ورقة [١٤١] وفيها عنوان فصل ، واسم الكتاب



ورقة [١٨٩] وفيها عنوان فصل ، واسم الكتاب



ورقه [٤٠ ب] من مخطوطه



ورقة [٨٨ ب] من المخطوطة



الأول من كتاب

الإشـــارات الإلهيـــة

والأنفاس الروحانية

من تصنيف

أبى حيـان « التوحيدى »



[١ ب]

بسم الله الرحمن الرحيم

ميمون الابتداء مبارك الانتهاء

رسالة (١)

اللهمّ إنّا نسألك، ما نسأل، لا عن ثقة ببعض وخوف عدلك، وحسن أعمال منّا، وسوابق إحسان منك. وتتكل على ثقة بكرمك الفائض، وطمعاً في رحمتك الواسعة. نعم، وعن توحيد لا تشوبه إشراك؛ ومعرفة لا يخالطها إنكار [illegible] وإن كانت أعمالنا قاصرة عن غايات حقائق التوحيد والمعرفة. فنسألك أن لا تردّ علينا هذه الثقة بك، فتُشمت [illegible] من لم نتكل به هذه الوسيلة إليك يا حافظ الأسرار، ويا مسبل الستر، ويا واهب الأعمار، ويا منشئ الأمطار، ويا مولج الليل في النهار، ويا مصافي الأخيار، ويا مداري الأشرار، ويا منقذ الأبرار من النار. ولعلنا [illegible] عند [illegible] تصفحت عن [illegible]، وأنعشنا عند تتابع صرعاتنا. وحط [1] [illegible] عنا في اختلاف سكراتنا وصحواتنا وكلّ [illegible]. وإن لم نكن لأمنا [illegible]، لأنك أولى [illegible]. وإذا خفنا منك، فارج خوفنا منك برجائنا فيك. وإذا [illegible] متلقّية بالأمل فيك [illegible] نشرنا، عند توجه نحوك، بالوصول إليك، متّقد بالنظر في نور وجهك. أسبغ علينا نعمتك بما وهبت لنا من توحيدك، ولا تحجبنا

(١) كذا؛ ولعل هنا تحريفاً أصله: أخطِر.

بعد وصلك ، ولا نفقدنا بعد قربك ، ولا تكربنا بعد روحك . قد عذبت أعداءك فيك ، ولا تشمتهم بنا لتقصيرنا في حقك ، ووانست أصفياءك لك ، فلا توحشنا منهم بسهونا عن واجبك ... ... بك فأرحنا بك ، ورفعنا أيدينا إليك فأمدها من بِرّك وإفضالك اهـ . . . .

٥ .. السماء فاعلم أنك بالإجابة وإذا . . . .

. . شكر وإذا أكمه من كل . . .

... توالى سلبك . فاعلم أنك [١٢] مخذول عن العمل وإذا أشهدت عيب حتمك ، فاعلم أنك مخصوص بالبصيرة وإذا غيبت عن شهود أمرك ، فاعلم أنك غير قابل بواقع الموعظة ، وإذا استوحشت

١٠ من سماع الذكر ، فاعلم أنك معزول عن الولاية وإذا عميت عن الاعتبار بآثار السلف ، فاعلم أنك نُحّي من نُبُل الهداية . وإذا استحسنت القول واستثقلت العمل ، فاعلم أنك بعيد من التوفيق والصحبة اهـ

يا هذا ! إن كنت تاركاً متبجِّحاً[٣] على ما أحسنت به ، وإن كنت مكروباً بالسر ، فتبجَّحْ ، فعملك نثني عليك فيه ، وإن كنت صادقاً مجداً ، فعسى تصل

١٥ إلى بغيتك منه ، وإن كنت واجداً فاحفظ ، فإنك غير واثق من ثبات ما ظفرت به . وتعطف ، فهذا ، حتى تقف في مكنون أمرك ، فعلك مستدرج من حيث لا تعلم ، وعلك مراد بالخصوصية وأنت مستحكم . زيّن وجهك بالصورة البهية حسّن أمرك بالنية الفوية النقية أنت في مناط

(١) الروح (بفتح الراء) : الراحة والنعيم
(٢) خرم في الأصل بهذا المقدار تقريباً
(٣) أي : ألق عليّ نصحك .

الربوبية فلا تنحط إلى قاع العبودية. [illegible] فلا [illegible]. أعزّوك، فلا تذلّ.

عذّبوك، فلا [illegible] [illegible]، ولا تتوسّخ [illegible]. ولا تتلطّخ. يسّروك
فلا تتعسّر [illegible]. ولا تتباعد [illegible] أحبّوك. ولا تتقمّص [illegible] جدّوا بك،
فلا تتكاسل [illegible] استخدموك، فلا تتشكّل [illegible] أعتقوك، فلا تتعبّد. أقالوك، فلا تتعثّر.
دعوك، فلا تتأخّر [illegible]. ولا تجحد [illegible]. ولا تتنكّر [illegible] أنجدوك،
فلا [illegible]. فلا تضيّع [illegible]. ولا تمسخ [illegible]. ولا تجهل،
[illegible]. فلا تتخلّ [illegible]. ولا تضعف [illegible]. ولا تتكشّف
[illegible]. ولا تستكشف [illegible]. ولا توقف [illegible]. ولا تتحوّف
[illegible]. ولا تتعقّف[2] [illegible]. ولا تتقشّف.

يا هذا [illegible] إن عرفت هذه الجملة، واستخرجت حاجتك من هذا الديوان،
وحصّلت مالك وعليك بهذا الحساب، [illegible] أن تكون من المجذوبين
إلى حظوظهم، والمستحيين في عهدهم، والخادمين في همّهم. وإن كنت عن هذه
المكاتبات | ٢ ب | عَمِيًا، وعن هذه الإشارات أعجميًا، طاحت بك الطوائح،
وناحت عليك النوائح، ولم توجد في زمرة العوادي ورواتع مطارح المحبة،
فلم تنشق نفحة من نفحاتها، [illegible]، فلم تعتق نسيمًا من نسائمها
و[illegible] الحكم، فلم تقارب شيئًا من حوزها. و[illegible] عرائس الهدى
فلم تتشبث بذيل من أذيال واحدة منها. فيا [illegible] الطبع، ويا قاسي القلب،
ويا [illegible] الاجتباء! كيف تطمع الطامع في رشدك، وهذا [illegible]

(١) تبذّل وابتذل: ترك الاحتشام والتصون.
(٢) انعقف الشيء وتعقّف: تعوّج وانعطف.

أشهد أنك غَبين (١) الرأي، مسلوب التوفيق، وإنه قد بقي من شمسك شُفًى (٢)، فإن تداركت بقيتك رجوتُ لك أن تسمو عن وثنك، وإن جنحت إلى التواني ودهنت في تيه الأماني لم ترث من حالك إلا الحسرة، ولم تصحب نفسك إلا الحيرة.
يا هذا! حقّقْ أنّى عما ساءك طلابُه

ما كل شيءٍ ترومه تجده

قد يبلغ [illegible] ما قد يجد له … وقد يقصر في [illegible] بجهده

وما هو كائن [illegible] استطلنا التَّهْيَ (٣) [illegible] أن يكونا

ما حطّ من جرم لا [illegible] … حطت أيدي جرم لا [illegible]

يا هذا! [illegible] من التصريح ما يكون [illegible] في التعريض، ويحصل من التعريض ما يكون زيادة لك في التصريح، [illegible] أنه لا حرف ولا كلمة، ولا سمة ولا علامة، ولا اسم ولا رسم، ولا أَمْت ولا [illegible]، إلا وفي مضمونه آية تدل على سر مطوي، وعلامة [illegible]، وعادة بادية، وحكمة محجوبة، وفيه لأنه [illegible] وعبودية [illegible]، [illegible] وعادة معروفة، [illegible] كله في [illegible] هذه الأمثال [illegible] هذه الأسماء [illegible] أن [illegible] أقصر من ذلك، أعني أن يطول لك حتى تقف على كنه حقيقته، [illegible] ما في باطن [illegible] من هذه القصة.

(١) الغبين: الضعيف الرأي.
(٢) شفيت الشمس، [illegible] غربت.
(٣) استطلنا التَّهْيَ: النهي أي الوصول والبلوغ، و[illegible] أي وجدناه طويلاً، أي وجدنا الوصول إليه عسيراً.
(٤) [illegible] جمع لم يرد في لسان العرب [illegible]، وهي [illegible]، والجمع الوارد هو أَمْت.

وهذه [illegible] كانت محدثة [illegible] في النفس الضعيفة، فإنها مبشرة بعظم
[illegible] في العناية السابقة [illegible] حفظك الله [illegible] بالانتكاس، وارتقه بالجهد
|١٣| [illegible] وجرى على ذلك أن يلم به الهوينا
[illegible] في [illegible] فيعلق به في [illegible] واتزن،
[illegible] ٥
[illegible] في كل [illegible] وفي كل معنى وقائع،
[illegible] حتى لا [illegible] ورده
فلا [illegible] عنه فلا [illegible]

[illegible] مما لعله يكون
لا يكون [illegible] لكن بقي ١٠
[illegible] لا يزول
عن [illegible] الآن متوقفاً بها
[illegible] أو [illegible] أو [illegible] في أصعب [illegible]
[illegible] في حيز المعرفة وذلك لأنك
[illegible] لا يكون مالكاً، والأول لا يكون ثابتاً، والصاعد لا يكون نازلاً. ١٥

[illegible] من [illegible] والسر المحزون.
[illegible] عن [illegible] القلب
[illegible] أو [illegible] ذلك مما لا يبدو إلا [illegible] الخوافي
في [illegible] في [illegible] على [illegible]،
[illegible] على أنها البوادي، لتكون ملكوته محفوفة [illegible] الغيرة، ٢٠

(١) [illegible] يغري [illegible] ولع به من حيث
لا يحمله عليه حامل.

وليقلب المصطحبون عنها بالحسرة بعد الحسرة؟ ذلك سر لا سبيل إلى السؤال
عنه، لأنه خزانة غيبه، ونجْواه موحشة [illegible]، و[illegible] في السخط،
والسخط جالب البعد. ولا سبيل أيضاً في الجواب عنه، لأنه محو [illegible]،
وتطويح للعقل. ولكن [illegible] على المحجوب [٣ ب] و[illegible] على [illegible]، والاغتراب
٥ في الوطن، و[illegible]، والاختلاط [illegible] في الحس [illegible]
منافع ما [illegible] في مرض [illegible] من علانيته [illegible]،
لأرانا في [illegible] ما [illegible]، و[illegible] سوى [illegible]
كما على سكون لا [illegible] حركة، أو على حركة لا [illegible] عن الحركة
والسكون، [illegible] لا [illegible]،
١٠ وأصبحنا [illegible]، و[illegible] إلا [illegible] في [illegible]، لا [illegible]
طارق إلا [illegible]، و[illegible] فالشكوى [illegible]،
والكرب [illegible]، والأحوال [illegible]، والأوهام [illegible] فلا حسيس
فيُتعلَّل به، ولا [illegible]، و[illegible]
تُنحى [illegible]، و[illegible] من [illegible]

١) من [illegible] لأمر [illegible]
(٢) غُرْض [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) الجِنّة: بكسر [illegible]
(٥) [illegible] النفس
(٦) حسيس: صوت خفي
٧) أصحى الله [illegible] في [illegible] أقر الله عينه.

فأين الأمان ، وإنا[1] أُتينا من المأمن ، ومن المطلوب ، وربما عطشنا في الطلب ! وكيف العتب ، وإن هتكت الوحدان ، ومن لنا بمخبر ، وقد أتونا بالأثر ، وهل لنا من محيص ، وقد أخذنا بالنواصي ، هيهات ليس ثمَّ لا ينال إحدى الراحتين ، وسلوة ثم لا يدرك إحدى العقبتين بين أن يصح القول ويصح الآخر ، ويصادف الإصابة حقا ، وارتفع حتى من أن يكون حلقا[2] ، فلعلَّ نسيم الأسحار يبعث بهذه الأرواح المتشكية ، ويعبر بهذه الصفات المشتركة ، فنكُرّ على خزائن الغيب بالنهب ، ونواتح وجوهه بالاستهلال ، ونخلع أرسان[3] التملق ، ونسدد حقوق المعصية ، ونتدارك أعلام المصبوبة ، ثم نجلس على منبر الصواب مترمّعين في عطف أول الحق ، نحمد على ما زالت طالما خرجت الصدور به ، وتدرج أماني دائما | ٤١ | ضمنت العيون إليه

وإذا كان ذلك — ولن يكون إلا كذلك — فيالك من روح لا كرب بعده ، ويالك من نعمى لا كدر معه ، ويالك من وصل لا هجر يتبعه ، ويالك من قبول لا رد يريبه ، إنها لا تغرنا هذه المقامة[4] في دار المقام ، فإنك أطلقتنا بوصفها ، وشوقتنا إليها بذكرها ، وحرمة تطاولت لنا بوصفها ، وقدمتم تشويقك بنا إليها ، إلا أنعمت علينا بقرار معك ، وأوليت أعين النظر إلى وجهك ، وحققت آمالنا في ذُرَى دار عزتك ، وصدقت رجاءنا بما أسلفت من فضلك ، فإنك الجواد إذ لم تُسأل ، فكيف إذا سُئلت ! والمنعمُ إذا لم تُطالَب ، فكيف إذا طولبت !

(١) ص : اى
(٢) حلقاً ، أى فاسداً
(٣) جمع رَسَن ، حبل ، أى قواد
(٤) المقامة (بضم الميم الأولى) : الإقامة .

ما هو فيه حرط حتى لا يجز قصع الاسعه . ولا يلمّ بقلب
إلا رعبه [٢] ، ولا يطل على نفسه إلا أفسده ، ولا يقرع باباً إلا فتحه ، ولا ينزل [٣]
في بيت إلا أعوله [٤] ، ولا يجاور بواد إلا أجدبه . فاصبح إليه ،
واملأ عينيك منه ، فليس في كل حين تحل عن سماء والعين ، ولا في كل زمان
تخص بالأدب ، ولا في كل ساعة تذهل بالفهم ، ولا في كل وقت تبقى ماحن
مطالب ، أو تحتمي بأسباب مغرب . فالبدار البدار ، إلى محال الأبرار الأحياء
الذين يخلو تحسسهم الخطلَ الحولي [٥] ، ويحف برؤيتهم الخفوف عن هذا العالم
السفلي إلى محل ذلك العلوي ومن أبرمني [٦] في هذه النصيحة فتلو [٧] عقلك ،
وإلا فاستفتح ونو الدس في نفسك . وأوضحهم سمة في اشعه عاملك .
وإلا فقد الاستحياء لله عز وجل . فإنه إذا استهدى هدى ، وإذا استنصح
أنصح ، وإذا فوض إليه كفى ، وإذا توكل عليه تكفل ، وإذا طلب
ما عنده جاد ، وإذا سئل [illegible] ، وإنا أنه لا يؤوده شيء ، ولا يعوزه شيء ،
ولا يعوزه شيء ويكف [illegible] ويعوزه ويتعوبه وهو أول كل شيء وآخره ،
ومبدؤه ومظهره ومحصيه [illegible] والحمد لله رب العالمين

(١) [illegible] من باب [illegible]
(٢) رعبه [illegible] كسر رعبة [illegible]
(٣) [illegible] أمعر اللون وهو شديد الحمرة
(٤) مأخوذة على وزن عشوشب من غلب من باب نصر [illegible] وقيد .
(٥) أي الذي بقي عاماً ، ولعله يكون شديد المرارة .
(٦) أبرمه بكذا تبرماً ، أدخل عليه التهمة (كهمزة) ، أي ما يتهم عليه
(٧) أي لا يؤود [illegible] عيب أعجز

وهذه [illegible] ذهب العقل على مراكز المعنى موقف متردد، وإدراك
الدقائق، بلا اسم معهود ولا أثر مشهود ولا دليل قاطع ورائد صادق، بل طمع
وقسم وحسم [illegible] حين [illegible] وإن حل فهو المحب لعجب. اللهم إنا
في سكرة من [illegible] ذاتك، وفي حيرة من مجاري قدرتك، [illegible] لم تخصنا
[illegible] كشف [illegible] مشيئتك، ولم تسق في معونتك
إلينا [illegible] طاعتك إلى [illegible] خدمتك، واعصمنا من كيد كل
كائد لنا من خلقك، واجمع [illegible] من [illegible] غيرك، واكتبنا في السابقين
إليك، الذاكرين لك، [illegible] المبتهجين بقربك، المغمورين
بفضلك، [illegible] بحضرتك، المتوجين بتاج معرفتك، المخصوصين
بالاطلاع على سرك [illegible] الإعلان، المطمئنين على بساط خيرك وعنايتك،
يا ذا الجلال والإكرام

رسالة (ب)

سمعت [illegible] والصاحب المساعد، حتى أصف لك تصريف
حالي ومتقلب أمري، وجميع ما يدل على سكري وشكواي، ووجدي وهواي،
مقتنتاً فيها ومقتصراً عليها ومطلعاً على غامضها وواضحها، ومميزاً لنائمها
من يقظها. واعلم أني مع ذلك كله انتهيت إلى حال لم أشهد فيها إلا النعمة،
ولم أحس إلا بالكرامة، ولم أطعم إلا الثقة، ولم أسمع إلا بالحمد الطولى
في الآخرة والأولى [illegible] أني رأيت الفؤاد محشواً بالمعرفة، واللسان لهجاً
بالذكر، والإنسان ناطقة بالتوحيد، والنفس مترعاً بالإيقان، والسر مطمئناً

(١) [illegible] إليه [illegible]

بالوعد(١)، والنفس ممتثلة للأمر والنهي، والروح مشتاقة إلى اللقاء والزيارة،
والأركان ثابتة على الإخلاص [٥ ا] والاستقامة، والوجد عاملاً عمله بالحز(٢)
والتذكرة، والعين متقداً بالحنين والسآمة، والقلب فيه مقصود بخذله والتشمير،
والصبر مستصحباً مع الأنفاس، والأسوة قائمة بين زهرات المحبة، والأدب صاحبه
إلى النداء، والهيبة دافعة بالمحبة الراجحة إلى الوفاء. فهل بعد مُنّة(٣) النعم
والكرامات، وبعد هذه الآثار والعلامات، وبعد هذه الشهوات والأمارات،
وبعد هذه المراتب والمقامات، من يهتدي به فقراء البشر، أو يكون لأحد
من الخلق عنه خبر أو أثر؟ لا والذي يحيي الأرواح، ويدفق ما يخرج
عن تقسيمه الألواح، هذا وقد تعهدوا كرهه، وتولى بالحسنى دل هذا الوقت
في القسم. فهل بعد هذه المقامات البهيجة، وهذه الأوائل الموشحة، وهذه
الوسائط التي قد عجزت معاريفهم عن ذلك حقائقهم دون جوامعهم، ولي أثب
على جلائلها ودقائقها، إلا الشكر الذي به يدوم النعم، وبه يمتري(٤) المزيد
من معادن القسم. أليس من جملة هذه النعم الصحيح بالشكر على العجز
بالتلدد(٥)، وعلى الشكر بالتردد؟ أليس من جملة هذه النعم الإهداء إلى الاعتراف
بالنعم، والاعتراف إلى النعم بالسر والجهر، والحمد والثناء. هات الآن
حديثك أيها الإنسان، هل لك إشراف على هذه النعم التي قد تكررت
الإشارة إليها، وترددت الدلالة عليها؟ فإن كان لك إشراف، فأنت

(١) أي الوعد بعدم البوح بالسر
(٢) التحريك
(٣) المُنّة: القوة فوق الأسباب. ويقصد: ينبوع النعم والكرامات
(٤) امترى الشيء: استخرجه
(٥) التلدد: التحير

من المخصوصين بالنعمة، ومن المفردين بالألفة وإن لم يكن لك إشراف عليه،
ولا لك إشراف على أنه ليس لك إشراف، فقد [illegible] لمتبك، واستقض
أثناء سترك التي تبيت، وهي أعمق حقائق [illegible]، فإنك بهذا البعض
تصفو من كل دَرَن، وتمحو من كل عيب، وتجري على كل سَنَن، وتبعث
بكل حسن، وتصير من حزب الله الغالبين [٥ ب]. وعداد المقربين، ٥
وأوليائه المخلصين.

قد حييتك يا سيدي بلسان النعمة السابغة، ودللت على موقعها مني
في أول [illegible]، وحركتك إلى عرفان ما لعله قد اعتراه فيه السهو والغفلة،
ونبهتك على أداء [illegible] راحتك، والتمست كرامتك، وعرفت
[illegible]، و[illegible]، [illegible] في الأخوة، وكثرا[1] ١٠
[illegible] الأبوة والبنوة [illegible] يتعلق بسدادك، وينتهي
إلى مصلحتك، لكني أمسكت عما وراء ذلك من حالي، لا مداجة[2] لك
في الصداقة، ولا مماجة[3] لك في العشرة، ولكني آثرت الاستقصار
عما حدثني به الاستبصار، [illegible] الإمعان [illegible] وما ذاك،
وما هو، وكيف هو، [illegible] إن لم تشرح، ١٥
[illegible] الأسرار [illegible] بين أهل الوداد، يقتضي التهم
بكل واد، والكشف عن كل معتقد [illegible] الفؤاد [illegible] إلى التصاق

(١) أي [illegible] في باطن [illegible]
(٢) [illegible] وافق
(٣) مجّ [illegible] في الطريق يمنة ويسرة [illegible]
(٤) من [illegible] أي إذا كر لي في صيغة الكناية، لا التصريح

بين الشخصين والساهى بين اثنت كيف يوجد ذلك ويجدوا عليه [1]

ولكن مع كل خطرة خيال، ومع كل نظرة وسن، ولكل أسباب [3] حال.

ولكل منه مقال ومع هذا التعديه والتحبير، ومع هذا التعريف والتنكير،

ومع هذا التقسيم والتفسير. فأنى قول:

٥ كيف تجمع سر من ليس يدرى

في وقت ... العيون

وأقول أشغل ... النفس واخص ...

إذا ... ومن تعليقه ... نافع

وأقول تواصى وعصى ... تدعو ... نسيه

١٠ فلا وصال ولا قصد ولا يأس ولا طمع

وأقول ويؤاسى وعد كود ... نعيمه

متى ... كشف ... يدعو

وهل ينفع الوعد ... محته

... لا يركن ... مقصد

١٥ [١٦] وأقول يا غافل ... من ... نعمته

القدح ... في ... وأدرانى

... سرح ... لموعدهم

في ... من ... في ... حراب

(١) جدا عليه : أعطاه الجدوى، أى العطية.

(٢) الورد : الإشراف على الماء، دخله أو لم يدخله.

(٣) الأسباب والأسماء الأبواب الدالة والمعنى. لكل حال لبوس.

هذا – حاطك الله – دَيْدَني(١) في حالي ومعادي، لأمور شرحها كارث، وإن كان لي فيه مآرب، ولك في عرضه مذاهب ومطالب. فحسبك لأني مُزْعَج عن أوطان السَّلْوة، مأخوذ بأحكام ما ليس لي عليه عَدْوة(٢)، ولا لي إليه عَوْدة. وإن أستَرْ تُنْبِ في حشى تمّت عندها، وإن كتمت عنه لساني، علق على بن شيني(٣). وإن همّت شيء منها، بيني وبيني، أحقّ كلي وبعضي وكيفي وأيني(٤) ... عند إشكال قصتي عندك، أن أقول:

حرمْتُ ولم أطرب، وتمتُّ ولم أنم
ولم تدرِ ما ألقى، ولكنني أدري

حال ليس ينقطع، وقلب ليس يرعوي، وقصد ليس يستقيم، وأمل ليس يتسع، وزوج ليس ينقطع، وأمر ليس يرتفع، وشخص إن ال لم ير حاله، وحبيب إن عاب لم أنس مثاله. فأنا في علي أحسد منه محروق، والوجد لي الهاية مقلق. وأنا من على عادته حاير معرّق، إذا افتتحت الخواطر بالتمني، احتلجت الخواطر بالتطلّع، وإذا استهب الأمل بالتوقع، التمست لهبات بالتمنع. وإذا تحركت المطامع بحلاوات الإرادة، رجعت نحوها كتائب اليأس بمرارات الإبادة، وإذا تروّحت الأكبادُ بنسيم العطاء، زَهَقت الأرواح بكرب المنع. وإذا انتقض ... بالظن، حصل من ... على القنوط باليقين.

(١) ديدني: دأبي
(٢) عدوة: سلطان
(٣) أي عيبي ينم على حقيقة حالي، وإن لم يفصح عنه لساني
(٤) الأين: المكان والمقصود: أحوالي كلها (يذكر الأعراض في المقولات).

وإذا قيل هذا أوان الرَّوْح والفرج، حتم هناك لويل وجَرَح (١)
فلا ذِكْرَ إلّا وقد حدبه النسيان، ولا عشق إلّا وقد شعّثه (٢) السلو، ولا وجْد (٣)
إلا وقد قدح فيه النقص، ولا فؤاد إلا وقد تحدّر بالريب، ولا طرْف إلا وقد
ارورّ طامس، ولا أذن إلا وقد نبت بالإصغاء، ولا لسان إلا وقد [٦ ب]
كلّ من الإسهاب، ولا صدر إلا وقد عزّب عن المساعدة، ولا صاحب
إلا وقد ملّ من المجاملة، ولا عين إلا وقد جمدت من البكاء، ولا بدن
إلا وقد فتر من العناء، ولا خاطر إلا وقد وقف عن السنوح (٤)، ولا وجه
إلا وقد تجهّم بالسكلوح، ولا بال إلا وقد كسف بالقنوط، ولا حال إلا وقد ثبتت
على الهبوط، ولا عزّ إلا وقد انتهى إلى الذلّ، ولا قول إلا وقد سئم
بالتكرار، ولا خبر إلا وقد امتلأ بتوحيب، ولا أمر إلا وقد استمرّ على وصف
عجيب. فلمْ يا سيدي إلى نحو قد أمرّت عيش كأسه، وسلمت به غايته
أمانيها وأثقاله. فلعل التعاون يجدي نفعاً ويسيغ ريقاً ويبدي سبباً أو يجمع
عسراً ويجعل أمراً ويصرف نكراً ويبين عسراً ويبقي خيراً
قد طالت الشكوى منه البلوى التي فيه نوى. فتكون بقول المصلحة
معرفة. ومعرفتها تشفي الأذى سكرة. ومازلنا ندل على نصيبها، ونزيد
ألمع من طاريها. وعاطني يا سيدي أنك لمساعدتي على هذا النحو تؤثر
أثراً يحمد به ما سلف ويحط عنا ما أثقل، ويبيّض وجوه عند أحبائي.

(١) جَرِح جرَحاً (محركة). أصابته جراحة
(٢) شعّث الشيء: فرّقه
(٣) وَجْد: وجود
(٤) ص: الشبوح.

ويكشف شعثة رفدتنا وتنبهنا إلى الجدة التي منها حضرتنا[1] وعنها زلنا فإذا أراك الله ذلك فيما سألتك، فرفيه. حتى تلبس لك شعار الشاكرين، وأحقاً بتحيته أنت عين، ونشر فضلك بين الحاضرين والغائبين، وأحنو على عيني فداه، عند رؤيتك بالشمال والعين، وأنت تفعل ذلك تماماً على ما كانت المحمودة، وجرياً على عادتك المحبوبة، وإيثاراً للسعي الذي تستثمر منه رضا الله أولاً، ومسرة الإخوان ثانياً، وشيوعة[2] الثناء ثالثاً، ولما فيه في الخير رابعاً، والثبات على اكتساب الحمد خامساً.

والله أسأل أن يهب من مواهبه [7] الصافية ما تصير به فرداً، ويوردك من شرائعه الصافية ما تزداد به رياً[3] [illegible] دعني لك، وتساقى علمك، وطى بك، ورحنى فيك، وجرى عنك، فاستشفي عليه، ودرّخني قليلاً فيه، وكن بي كثيراً تكن لك ظهيراً، وردني إفضالاً من فضلك أردك جلالاً من جلالك بالله، أما ترى هذا التمادي والتمدين في هذه المعاني، التي سقطها من ناحية العقل بعد انتشاره على بساط الأنس، والله على صفيات ودائع الصدور؟ والله لو كان هذا كله هزلاً لا جد معه، ولغواً لا قصد فيه، ولغواً لا تحصيل عنده، لكان يدعي أن تراه غنيمة باردة، وكنزاً مظفوراً به، وباباً مفتوحاً في الرضا، وطريقاً لاحباً[4] في المنى، ونعمة موافية على غير احتساب. فكيف وهو ينادي صارخاً بصحة الولاء، وشدة الوفاء، ومتابعة الدعاء، ومواصلة الثناء، ومجانبة الرياء!!

(١) حضّر: رجال من باب نصر، حضوراً وحضارة [illegible] وقد أوصلها حضرتنا

(٢) بمعنى: شيوع

(٣) الري بالكسر: الغض

(٤) لاحب: واسع.

فيما السعد ... أصبح(١) والعتب معطر من شواهد حال غلق(٢) رهنها
منذ زمان، ويئس من فكاكه فى كل أوان، وصار الطمع فى ذلك محالا
أو كالمحال، وجهلا أو كالجهل، وإنما أنت فى وقت دون وقت لبعض
عوارض النفس عند القبض الشديد والسخط المديد، وحين يبلغ الضجر نحره،
٥ ويستغرق النفس ظاهره وباطنه ... دائما حلو حديث البث(٣) محضا، فلا يزداد
به إلا تثقلا، وكان ذلك من حدائق [illegible] ومن نعم المنان. اللهم أعز [illegible]
فى حنايا الزنج(٤). وحسبك مكارمك الطيبة. واستصحب خدمتك،
واخلطه(٥) بالملأ الأعلى عندك، واجعل [illegible] عندنا، واحفظ [illegible] فى [illegible]،
ولدنا [illegible] كم [illegible]
١٠ واجعلنى ممن إذا قال صدق، وإذا عمل حقق، وإذا سلك طرق(٦)، وإذا حكم
وفق، [٧ ب] وإذا أنشد دقق، وإذا عبر رقق، وإذا خطب شقق، وإذا سار
أعنق(٧)، وإذا ملك أعتق، وإذا بحث أعمق(٨) [illegible] من تعالى من تريد،
لما تريد، يا ذا الجلال والإكرام.

(١) ص: أصبح.

(٢) غلق الرهن غلقاً: استحقه مرتهنه إذ لم يقدر على افتكاكه فى الوقت المشروط.

(٣) ص: احسوا بذلك البث

(٤) الزنج: الطيب الأريج

(٥) خلطه به: ضمه إليه.

(٦) طرق: [illegible] الفتية التى يرجوها.

(٧) أعنق: أسرع.

(٨) أعمق البئر ونحوها، وعمقها: [illegible] جعلها عميقة.

رسالة (ج)

وصل كتابك وصلك الله بالخير وحطك من نعمه ... سألتني فيه عن حالي ، وتستنطقني به عن ظاهري وباطني ، وعن سري وعلانيتي ، وعن سكوني وحركتي ، وعن انتباهي ورقدتي ، وعن قراري [1] واضطرابي ، وعن يقيني وارتيابي ، وعن تعصبي وانتصابي ، وعن علتي وشفائي ، وعن جميع أموري وأسبابي ، وفهمته مشرح والتمست على ما بي من ملالتي وعدائي فمن لي الآن بوقت ينفس حتى أقص [2] عليك جملة تسوءك ، ... يحوي بثك وبثك . وكيف تمتد وقتك ، وتدريجه بيد فهمك ، وبلاغة غلافك ، وعبارة ... ، واختصاراً لا يحتمل عن حرف ، ... يعرفك عرفاً ... حرف ، وواضحاً يصلك بنصيبك ، ومستفتحاً يصلك عن الصراط المستقيم ولو أدركت هذا الوقت ، وأصحت هذه الغاية ، وكنت مزاح ... ، أريحي الهمة ، طلق الوجه ، سمح لساني ، ولي النصر ، حر المال ، فصيح اللهجة ، حاضر الخاطر مرضي القول ، حسن الشارة ، حبيب الدار ، لما استعصت نوع أوائل حالي . ... ساعدني اللفت على احتلالها ، واستحدث لي الخواطر على الكلام وسددهم . لأن أدني من ما ممنوع به ومحطوط فيه وممر د به ، ومحول عنه . ومحول إليه ، ... فيه ، ومعكوس معه قول القائل

فقر كفقر الأنبياء وغربة وصبابة ليس البلاء بواحد

(١) قرار : استقرار .

(٢) هذا الحديث ...

(٣) وصبه : أدخله في وصبه ، أي تعبه .

وجواب مثلك عن مسائلك الخاصة إنما يكون لمتعب لا حرج فيه، ولسان لا لُكْنة به، وهمّ(١) لم تفرقه الدنيا، وسر لم تكشفه البلاد، وجوهر لم تحتطفه الغصباء، [١٨ ا] وناصر لم ترتدفه الخطايا(٢)، ومن حلاوة التي وصفت، وحلاوة التي رصفتها(٣)، فإني أذكر لك من جهة ما تسأل ما يكون شرحاً لبعض ما بلغك عني، ويجوز أن يكون ذلك في أثنائه إلى ما تريده مُخرجة، ولي في بث أشجاني إليك به فُرجة. فاسمع الآن — يرحمك الله — ما في جملتي لك، اعترافاً بفضلك، وقضاء لحقك، وإيجاباً لمسألتك، وإيثاراً لمؤانستك، وامتثالاً لأمرك، وانقياداً لمرادك. فأما حالي فسيئة كيف قلبتها، لأن الدنيا لم تؤاتني لأكون من الخائضين فيها، والآخرة لم تغلبني فأكون من العاملين لها. وأما جوهري وناصري فقد أشبه أشقاهما، لأن في أحدهما مسقطاً مقطعاً لا يفرق من أجله أحد، وفي الآخر [ا د] متنزحاً سقطاً لا يهتدي فيه إلى رشد؛ أما سري وعلانيتي فممنوعان بعد الخلق منهما من علامات الصدق ودنوهما من عوائق الرزق. وأما سكوني وحركتي فقد تعطل بي، لأني لا أجد في أحدهما حلاوة المسجون، ولا أعرف في الآخر [ا د] من مرارة الشكوى. وأما انقباضي وقيامي، فما أفرق بينهما إلا بالاسم الجاري على العادة، ولا أجمع بينهما إلا بالوهم دون الإرادة. وأما قراري واضطرابي فقد أرهقني الاضطراب حتى لم يدع لي فضلاً للقرار، وعلقت على أني قد علقت به، لأنه لا طمع لي في الفكاك، ولا انتظار عندي للانفكاك. وأما يقيني وارتيابي، فلي يقين،

(١) الهمّ: عقد القلب على فعل شيء، أي النية.

(٢) الخطى: الأرذل من الآدميين. ولعل أصلها «المطايا»، بدليل «ترتدفه»، والمرتدف هو الراكب خلف الراكب على المطية.

(٣) رصف: ضمّ بعض الأشياء إلى بعض.

[illegible] لا ترتاب!

[illegible] ومظلوم

[illegible] حواني

[illegible] الآن،

[illegible] تاما مع ٥

[illegible] | ٨ | [illegible]

[illegible] عليه

[illegible] وبشي

[illegible] الظلم،

[illegible] إلى متى ١٠

[illegible] إلى متى [illegible] ولا قوام له

[illegible] إلى متى [illegible]،

[illegible] وهو له نجاه؟

إلى متى [illegible] أو [illegible]؟ إلى متى نستحي

(١) [illegible]

(٢) أي يتحسس كل [illegible] من الآخر

(٣) [illegible]

(٤) أي [illegible] (مشية)

(٥) ص [illegible].

(٦) أي نخون.

(٧) ص. عطله

من طُولٍ(١) ما لا يستحيي ؟ إلى متى نسوف بتوبة ما نلبس في قلوب ؟
إلى متى نمشي بالصدق ، والكذب شعارنا ودثارنا ؛ إلى متى نتمادى في الغواية(٢) ،
وقد فني العمر بينها ونهوزنا ؟ إلى متى نتحرص بذكره ، ونحن نبايعه(٣)
في أوساطنا ؟ إلى متى نخلد إلى الدنيا ، وقد دنا منها رحيلنا ؟ إلى متى نتعلق
٥ بشجرة قد تقلص منها ظلها ؟ إلى متى نبلع السموم ونحن نظن أن الشفاء فيها ؟
اللهم إنا عليك نعتمد ، وإليك نسأل ، وإليك نتضرع ، وبك نتوسل ،
ورضاك نبتغي ، ورحمتك نرجو ، وعفوك نؤمل . لا تؤاخذنا بتجرئنا في العمل ،
وتحديثنا في القول ، وهون علينا الطريق إليك ، وأفرغ في قلوبنا محبتك ،
واصطنع على عينك ، ولذذنا بحلاوة مناجاتك ، وأهلنا لرؤية جمالك ، وأوسع
١٠ حقك حتى لا يجري في ألسنتنا ذكر غير ذكرك ، ولا تنشر علانيتك ، ولا نشر يكون
منقداً منك . وعوّد جوارحنا السجود لك ، ونفوسنا الذكر لك ، وأرواحنا
الشوق إليك ، ووجوهنا النعيم في حضرتك ، وأجل نفوسنا[١٩] في ملكوتك ،
وكحلها بالاعتبار ، وألف أسرارنا بك واعمرها بالأنوار . وقربنا من سرادقات
عزك حتى نلتقط بروح كرامتك ، وأنعم لنا بمعروف ربوبيتك حتى نخلص لك
١٥ وننسى ما دونك . إنك إذا شئت قربت وأدنيت ، وإذا شئت صرفت
وأقصيت . لك المنة التي لا نطوق بها ، والعزة التي لا نعاب عنها ، والقدرة
التي لا نجتري فيها ، والحكمة التي لا نعلم منتهاها . نجد علينا بك ، وآمنا منك ،
وأوصلنا إليك ، ومعشر بك . وأهلنا في كل حال لما أنت أهله ...

(١) الطَّوْل : الفضل .
(٢) بالفتح ، ولا يكسر .
(٣) جمع ... كناية عن الخضوع له .

هداك الله، أخّر جوابي عن كتابك الذي حرّكتني فيه ما تمنّيت، وإنْ سرّني
هذا الحبس وأعجلت هذا الأنس، فوجدت ذاك مفيداً لا أجرى على عادتي مستفيداً
وعلم أن في النفس من هذا الحديث خبيئة القلوب، ومدفوعة الغيوب، ومباينة
العيوب، ومطالبة السيوب (1)، ولم يزل ذلك بمحاسن القلوب، الجاهل بالطلوع
والغروب، المحجوب عن السرى والدؤوب، في فناء هذا العلم المحجوب

أيها السامع، ليس كل من وقف ظفر بما يريد، ولا كل من مد يده
نال ما يطلب، ولا كل من ادّعى سُلِّم له دعواه، ولا كل من دعا أجيب،
ولا كل من قرع الباب دخل، ولا كل من استرق السمع سلم (2)، ولا كل
من استحق أعطي، ولا كل من قال بدا (3) لي تُرك، ولا كل من استرحم
رُحم، ولا كل من تعرّض (4) استُخدم، ولا كل من وصل ودّ، ولا كل
من نقد عدم (5)، ولا كل من سأل حُرم، ولا كل من أحبّ أعطي،
ولا كل من بكى أُرضي، ولا كل من خطب زُوِّج، ولا كل من ملك
مُنح، ولا كل من رجا أدرك، ولا كل من هجع خاب، ولا كل من قدم
عند أكرم، ولا كل من أخّر عنه أُهين، ولا كل من سنح عرق،
ولا كل من خُوّف فرق، ولا كل من أومن اطمأن، ولا كل من رُبّي
أنجح (6)، ولا كل من وسل قُبل، ولا كل من التمس نُوّل. في الغيب

(1) جمع سَيْب: عطاء.
(2) أي سلم من الشر الذي يضمر له أو المؤامرة التي تحاك له.
(3) بدا لي: أي عنّ لي، في حال الذنب، فيصدر بهذا عنه فيدرأ عقابه.
(4) أي عرض نفسه للخدمة عند إنسان.
(5) أي لم يأخذ نصيبه المقدر له، وذلك في حال غيابه.
(6) أي ليس كل من ربي فيه رجح.

عجائب، وفى العجائب أيضاً عجائب. فكيف لا يكون هذا. والاستدراج
[٩ ب] قائم مع اللحظات. والتقلب جارٍ مع الحركات، والآجال مطوية
فى الترحات، والترحات مبنية على الفرحات. والسُّحرة(١) تمام على أهل
الغفلات وغفلات. فلا تثق باختلاف الأحوال [illegible]، ولا اغترار به صار،
فربما ضَرّ نافع، وربما نفع الضار، وربما [illegible] بالحظ(٢) [illegible] وربما فات
بالتأنى، وربما [illegible]، وربما قرب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
منهاج، ولا لذى لُبّ به سرور وابتهاج. وهذا كله لقدرة صادرة عن غير
مشيئة، والمشيئة نافذة، والإرادة على شاكلة [illegible]. والحكمة خافية فى آفاق
الملكوت، وأحكامه [illegible] [illegible] [illegible]، و[illegible] [illegible] [illegible]
العقول فى [illegible] [illegible]، والأحساس(٣) فى [illegible] [illegible] متعددة، ونعمته
فى التقلب عن [illegible]، والألوان فى وصف [illegible] [illegible] مختلفة، فلا كريم
لا مرزأ إلا وهو [illegible]، ولا قائل إلا وهو موثق، ولا سميع إلا وهو كاظم،
ولا عامل إلا وهو [illegible]، ولا [illegible] إلا وهو [illegible]، ولا لائم(٤) إلا وهو مليم.
ولا واجد إلا وهو عادم، ولا غنىّ إلا وهو فقير، ولا عظيم إلا وهو حقير،
ولا كثير إلا وهو قليل، ولا صحيح إلا وهو عليل، ولا قريب إلا وهو
بعيد، ولا هيّن إلا وهو شديد، ولا [illegible] إلا وهو [illegible]، ولا عاقل إلا وهو

(١) السحرة: السحر الأعلى، أو أول السَّحَر

(٢) النبل: [illegible] [illegible] أى [illegible] من حديد، والحظ النبل يرمى بها. والمعنى أنه ربما يستشفى النبل بالنبل، أى يداوى الداء بالداء نفسه.

(٣) جمع حِسّ.

(٤) الملوم هو الذى يلام ولا ذنب له، والمليم هو الذى أتى ما يستحق أن يلام عليه (« أدب الكاتب » لابن قتيبة).

داهٍ، ولا آمنٍ إلّا وهو واهٍ[1]، ولا زبّاءَ إلّا وهو تاهٍ[2]، ولا مضرور
إلّا وهو ناهٍ[3]. خبرٌ والله طريف، وحديث والله عنيف، الفكر فيه
يورث الوسواس في أصله، والسكون عنه يصدّ عن الجواز والعبور،
والسؤال عنه يُحصل في تهمة، والجواب عنه يدق في الحيرة. فهل رأيت نَوْلاً
كلّما نال غَصّ، وهل رأيت بحراً كلّما سكن نَضَّ؟ وهل رأيت نارةً
كلّما أُطفئت اشتعلت، وهل رأيت كمأةً كلّما نُبشت حُثّت؟ وهل رأيت سقفاً
كلّما عولج نُقض؟ وهل رأيت [illegible] كلّما وضح أشكل؟ وهل رأيت
مصدوعاً كلّما [illegible]؟ وهل رأيت جسماً كلّما نُحي زاد؟ وهل رأيت شيئاً
كلّما كُوّن فسد[4]؟ وهل رأيت فتقاً كلّما رُتق اتّسع، وهل رأيت مهجراً
كلّما استطل أضحى؟ وهل رأيت مريضاً كلّما استقلّ[5] نُكس؟ وهل رأيت
وضعاً كلّما استقام نُكس؟ وهل رأيت أمراً كلّما استمر قَمَس[6]؟ هيهات!

عزّ امرؤٌ منّته نفسُ [illegible] أن تدوم له السلامة

أيها الصديق بنفسه، المخصص بالدعوى، اسمع هذه الدلائل فإنّها والله
مخرجة لكل صدر وإن كان مشروحاً، ومطّردة لكل صبر وإن كان ممدوحاً.
وإذا سمعت فتعجّب، وإذا تعجّبت فتعجّب لما التعجب [illegible] وحقّ الحقّ

(١) وَهِل يَوْهَل فَزِع
(٢) ناهل عطشان
(٣) نهكت [illegible] خلّ صراره وترك ولده يرضعها
(٤) من الكون والفساد المعروفين في الطبيعيات
(٥) ص: استقل استقلّ من مرضه. برئ. نُكس المريض عاوده مرضه.
(٦) قمس ثبت، توقف

إن السر فيها لمكتوم، وإن الغيب فيها لمعلوم، وإن الظاهر منها لمفهوم،
وإن الباطن فيها لموهوم. هكذا وقع الخداع، وعلى هذا تحيّر الطباع اه.

اللهمّ نوّر قلوبنا حتى ندرك بها ما أوحشنا وآنسنا، وحيّرنا فيك
وسخّطنا عليك. أما تحدثنا بك فمعزول في ديوان حديثك، وأما أنسنا بك
فلمعنى عرفناه منك، وأما حيرتنا فيك فمن مراد من لك، وأما تسلطنا عليك
فلسبب في هلاكنا بالبعد عند التحول، والشك عند الدول، والعمه عند التفكر.
اللهم فسرّحنا من قيد هذه الحياة الكدرة، ومن معاناة هذه الأحوال الوضرة[1]،
إلى تلك الحياة التي من هبّ عليه نسيمها عاش وبقي، ومن فاته ذلك طاش
وشقي، يا ذا الجلال والإكرام!

رسالة (د)

أحالني على القرب بالتصديق، وعلى البعد بالتواني؟ جمع الله لكم نواصي
المنى، وأنالكم بكرمه أفضل المنى، وجعل سبيلكم الاعتصام بأسباب الزلفى،
ورفع عن أسراركم مباحثة الشكوى، وأهبّ عليكم نسيماً ناعماً من شرف المأوى،
[١٠ب] ومتّع أرواحكم بمناجاة المولى، وأوضح لكم غوامض النجوى، وكتب
أسماءكم وصفاتكم في ديوان من سبقت له من الله الحسنى، وأذلّ لكم مصاعب
الأمور، وتولاكم في قوارع الدهور، وربى فيكم غوّاص أهل الحقائق، وكفاكم
في السفر والحضر فواجئ البوائق[2]

لكل نفسٍ منًى وشأنٌ   وأنتمُ منيتي وشاني

(١) الوضَر: الوسخ.
(٢) البائقة: الداهية

لأنى إذا ذكرتكم ذكرت بكم ما أخلق حديده . وإذا حننت إليكم حننت حنيناً ما يُخرج وبيده . وإذا وَحِدْتُ[1] بكم وجدت وَجْداً ما لان شديده . وإذا همتُ بكم همت هياماً ما تناهى رديده . وإذا وصفتكم وصفت وصفاً لا يُحصى عديده . وإذا تمنيتُ طيفكم صحبت طيفاً لا ينقضى نزوله وصعوده . فعليكم السلام من قلب قريح . وفؤاد جريح . بلسان فصيح . وضمير صحيح . فما أشد بكائى لفقدكم ، وما أكثر تعنّى نحوكم[2] ، وما أبلغ تذكرى شجوكم .

من لى بوحى الأعين أبى وصالكم

وأنتم ملوك ما لمقصدكم نحو[3]

كتبت إليكم[3] بأحسن قلبى . وزاد شربى . وطلاب قربى . عن قرب يشب أسماً[4] عنكم ، وشوق يعصر الدموع إليكم ، وبال متحرك عند تمنى عطفكم . وليل يسامى فى مراعاة طيفكم ، ونهار متصف فى توقع عطفكم فعودوا إلى الآن « كيف السلاق والمزار[5] بعيد » ؟ أم كيف التواصل ودونه أسود ، أم كيف العزاء والفؤاد عميد[6] ؟ أم كيف الصبر والبلاء ممدود ؟ أم كيف التوجه والطريق مسدود ؟! فتَبّاً لعيش مضى لطيفاً فى ظلال صحبتكم ، ورَعْياً[7] لزمان تقضّى حميداً فى مجلس عشرتكم ! ما كان

(١) وَحِد به وتَوَحَّد أولع به وعشقه .
(٢) أى . انتحاه
(٣) ص إليك
(٤) ص أسى
(٥) شطر بيت شعر
(٦) أى معمود حزين شفّه الوجد
(٧) رعياً لك حفظاً لك

أحلى مجرًا منكم، وما كان أبهج أنسنا بقربكم. وما كان أسمح شمائلنا
في حسنكم، وما كان أشهى دلال بحضرتكم. وما كان أشجى نغمة
بين لا ونعم في نعمكم وإحسانكم، نعم ونفيًا للرسائل التي كانت تجري
بيننا وبينكم، نعم ورعيًا [١١ ا] للوسائل التي كانت تتردد عندنا وعندكم.
والوشاة على خيبتها في الظفر بتأذيكم(1). والعيون موكلة بخصوصنا وبينكم،
والأنفاس متصعّدة بالأسى والتأسف من أجلنا ومن أجلكم. والأكف
مبسوطة إلينا وإليكم تلتمس فضلنا وفضلكم. والألسن تهذي بحديثنا
وحديثكم: فمِن كاذبٍ قد صدق، ومِن صادقٍ قد كذب. وكل ذلك يحلو
بذكركم، ويحسن لوجوهكم، ويتزايد، وإن كان لا دعاءً لأنه منكم وبكم
من الذي يطمع في نقض ما سلف بيننا وبينكم؟ ومن قدر على استقصاء تلك
اللطائف التي جرت بيننا وبينكم، وكيف يؤدَّى عنها؟ أم كيف يُسلك
إلى سبيلها، وقد كان في عرصها ما نبا عنه اللفظ، ويبدو دونه الوهم.
وحتى عن كون من الحسن؟ وعن يتذكر أشياء بقيت رسومها في النفس بآثار
بقيت من بقايا الأنس، تهيّج الظمأ وتضعف الشكر.

فأما ما احتجب من الظنون، واستتر عن العيون، وسنح في نحر
لا ستر له لسكون وكون، فهذا شيء قد ضربت دونه الأسداد(2). ووضعت
عليه الحَفَظة والأرصاد، وهذا ترجمة المترجم. قال:

تَمَيَّزَ المسكين لا يبدو به أحدٌ هذا حِرَّةَ هَمَّامٍ ووقّار

(1) ص: بتاويكم، أو صوابه: بتاذيكم؟
(2) الحواجز.

في حبي! ارحموني أوصابي، وداووا ما بي، فإني لما بي

وما استوحشت لتصييري من وقاحة سواي التمسه عليكم على أن ... وحين نكم

إليكم ... دون صبابة، لكني أستعين من أجلكم على صبابة، فارعوا ذمام خلق لكم،

واحفظوا لي ما تحملت فيكم، فقد شربت العلقم في هواكم، وداريت العدى

تحملا لكم، ورمت الصمت حتى سمعت الكلام[2]، واعتزلت حتى قيل هو ٥

من الوحش، وتقصصت حتى قيل من المتيمين. ولو كنت ... أدوب،

لكان لي تحرم[3] بكم وكان نولكم[4] أن تشكروا ... وفي شرود

وفي مجتنى ذبول ... دون ...، وانتكاث ...، وتصعد نفس، |١١ب|

وانهمال دمع، وانتحال[5] صبوة، وخفقان صدر، ودقة نفس، وطامة أمر،

ومواثبة حاسد، ومقاربة واش، ومصانعة رقيب، واستحالة ينصبة، واحتمال ١٠

محنة، وتردد حشرجة، وسهر ليل، وتعب نهار، ووحشة وخفق، ودهشة

فكرة، ووحشة سفرة، ورقبة[6] حضرة، وخفة جنان، و... حر

فهذه ... في محبتي، ... في عشقي ... أنت من ... ومكافأتي

حسب ما يليق بكم أو بي! أسأل الله مادة من الصبر على محنتي فيكم، وصيانة

(١) كذا ولعل صوابه ... من ... لأمر الله ... حسبي، والمعنى أنه ...

(٢) الكلام هنا بمعنى علم الكلام، وتوريته في قوله «اعتزلت»، أي صرت من أهل الاعتزال أو المعتزلة؛ و«اعتزلت» ... بمعنى تنحيت وانفردت.

(٣) أي التجاء إلى حرمتكم ومودتكم.

(٤) يقال: نولك أن تفعل كذا، أي حقك وينبغي لك أن تفعل كذا

(٥) انتحال: تحول

(٦) الرقبة بالكسر الحراسة والتحفظ، والفزع؛ والأخير هو الأنسب هنا

من التوفيق على قصدى لكم أيها القوم ! انقطعت إليكم ، واعتمدت عليكم ،
ونزلت فى جواركم ، وعبقت بنسيمكم ، وأنست تراب أرضكم ، وشربت بكأس
وُدّكم ، وعشقت اسمكم ، ولهجت بذكركم . وقلت أنتم وأنتم ، وحُشْتُ
القلوب إليكم ، وحشدت الجموع على بابكم ، وأدمنت فى الوصول إلى مجلسكم
تعطشا لقصدى خدمتكم ، ونحت عندكم عبرة على عظيم مجلسكم ، وسألت عنكم
خدمتكم ، واسترشدت إلى دعوتكم فأرشدت إليكم ، وقيل لى صف لنا كرمهم ،
فأبلغت عنكم . واستخبرت من صنيعكم فوصفت ذلك لهم منكم .

وقيل لى : ماذا خصصت منه فقطعت إليهم ؟ وماذا كشفت منه فمنعت
بديلهم ؟ فرفعت عبرتى وقلت : خصصت مكنون الغيب فى الشهادة ، وكُسيت
عزيز الحال فى مرخوّ السعادة ، وغيبت بهم عنى لا أخاف بعده الفقر .
ظاهرى بالاستدلال بكل وارد ، وإن خفى الشهر ، وباطنى بالاستكمال بكل
شارد ، وإن خفى عن أهل العصر ، استقر صدرى بمعرفته ، وانطلق لسانى
بتوحيده ، وخضت أعماق خدمته ، والتطم صبرى بأمواج محبته ، واكتشف
أطرافى بوادى إحسانه ولطفه ، فما سنح لى سانح إلا وفيه آية من آيات
كرامته ، ولا [١٢ ا] يبرح فى بارح إلا وعليه علامة من علامات بره ورأفته
إن قلت فهو مصحوب قلبى ، وإن أمسكت فهو ساكن سرى . إن قدحت
فهو الذى يورى (٢) ، وإن عرضت فهو الذى يسمى ، وإن سألت فهو الذى
يغنى ويعطى ، وإن سكت فهو الذى يعيد ويبدى ، وإن شكرت فهو الذى

(١) من : حش الصيد يحوشه حوشاً وحياشة : جاء من حواليه ليصرفه إلى الحبالة

(٢) ورى يرى الزند ورياً : خرجت ناره ، ضد صلد (من باب ضرب)

بعيد ويزيد وينسدى بعد آخر ما قطعت عليه قولى ، على أنى ما بلغت
مشار ما عندى اهـ .

يا أحبابى [illegible] ما فى هذه الطبل الذى نمت به سكم ما يرعى ذمتى
عندكم ، ويخلطنى بصغيركم وكبيركم ، ويكثر بى عددكم ، ويعطف على أبيكم ،
ويبقى إلى خارفيكم [1] ، وينيل طاقى من سجلكم [2] ، ويعرفنى عنوان كتابكم ،
ويمتع طرفى بالنظر إلى حيطان دوركم ، ويطرح فى عمى دروب محلتكم ،
ويكتب اسمى فى عامة حشمكم إذ لم يكتب فى خاصة خدمكم . من إن طوى تكرم
بخير ، ولى على ذلك ضامن وكفيل . والله على ما أقول وكيل .

يا أحبابى ! إذا قرأتم كتابى ، فتصدقوا على بجوابى ، فلعلى أداوى بكتابكم
ما بى [illegible] [3] بالعراء [illegible] ، وأهيم من حسن ذوى الصبابة
حالى فى الأحوال عجيبة . وهمتى فى الهمم غريبة ، ظاهرى منثر [4] لا أملك
منه شيئاً ، وباطنى مسير لا أجد له فيئاً . أجرب القصص كاظماً ، وأتفرد باحثاً
هماً ، وإن حضرت جمعاً [5] فملبوس تجمل وتوقٍ ، وإن غبت عنهم فمبوس
تجمل وتوقٍ ، لا [illegible] إلا وهو كمد [6] ، ولا [illegible] حتى [7] إلا وهو [illegible] ،

(١) الخارف [illegible] فى الإكرام والفرح [illegible] أو لعل أصله [illegible] .
(٢) السجل : الدلو ، العطاء
(٣) أى خرجت لتنفيس هموى بالعراء فكنت أرتاع
(٤) منطوع عنى .
(٥) يعنى : جمع أو مجتمع .
(٦) إشارة إلى الحديث « الرائد لا يكذب أهله »
(٧) يعنى سعدى

أنا المنشرق [illegible] المقرور ، والمحرّق المصرور [2] ، والقاصد المحجوب ، [illegible] ، والراصد المكروب . وهو الذى [illegible]

ولو أنى [illegible] لكنت حزينا [3]

[illegible] بادى [illegible] ، وأشكو [illegible] الاتصال ، [illegible] من أهل

٥ العقبات [illegible] الأرض [illegible]

من كلام [illegible] وفى [illegible]

[illegible]

[illegible] [١٢ب] [illegible]

الصراط بمكانكم [illegible]

١٠ من حاله [illegible] . لأن [illegible] الله [illegible]

وليس [illegible]

فى صحبتكم ، وجرى اسمه على أفواههم ، [illegible] من [illegible]

المغبوط الذى تشير إليه الأصابع ، [illegible] الأصابع

[illegible] ، وامتنوا من بركات [illegible]

١٥ شمس [illegible] من [illegible]

[illegible] فى كلكم ، حتى [illegible]

وأكرمكم ، أعنى بالصدق [illegible] ، ولا [illegible]

والإيصال [illegible] وهذه إشارات لا [illegible] عن [illegible] ولا تفوت فطنكم

(١) المنشرق : القاعد فى موضع القعود فى الشمس [illegible] والمقرور المصاب بالقر (بالضم) أى البرد

(٢) المصرور [illegible] . المحجوب عن [illegible] أو من يتحرق إليه

(٣) شطر بيت شعر

فهذا تلبّس بها استعطافاً لكم. وتكثّرت مذكرها تترّماً إليكم، ولا تجحدوا
رحمة فيكم، ولا تردّوا كفّكم عن فضل ما وهب الله لكم. ولا تستبدوا وجهي
عند الناس [illegible]. وكونوا فوق [illegible]، والله أعلى لقدركم، وأرفع
لخطركم. وشيع الأحدوثة الحسنة عنكم. والسلام عليكم

[illegible] في كتب هذه الكلمات إلى أشخاص [illegible] من عبادك . ٥
و [illegible] هدايتك. [illegible] في [illegible].
و[illegible]. [illegible] من فضل [illegible] و[illegible] على من
[illegible] ولا [illegible]
في معنى لا تليق بك. ولكن لأن [illegible]. مع إقامتي
في مخالفتك، [illegible] ما أحببت إلى [illegible] ناديت[1] وتوفيقك ١٠
وحسن صنيعك [illegible] لا مقطّ[2] صافي
ولا لأمر [illegible] ولكن [illegible] [١١٣]
في [illegible] قول. لأن [illegible] بكل شيء، و[illegible] في كل شيء، وكونك
أنت في كل شيء، لا يحتج [illegible] ولا يصح [illegible] إلا وإليك
منتهاه. خلقت [illegible]. و[illegible] (والملك) تطلب. فأنت الذي لا بمكان ١٥
دون مكان، و[illegible] في زمان دون زمان، ويا مالك الأرواح في الأبدان
ويا مصرف الأسرار في الأبدان. ويا مدرج الأدوار في الأدوار، ويا مدير الأحوال
في الأحوال. ويا ممحق الأكوان بالأكوان، ويا من هو كل يوم هو في شأن. إلهي

١) ص [illegible]
٢) المقطّ [illegible] (أي مورد الماء)؛ ومنه واسع أو ضيق
المقطّ، أي رحب الصدر أو ضيقه
٣) كذا! ولعل هنا تحريف

إياك نحمد ونسبّح لأنا عبيدك . بك نقوم وإليك نتقرب ، وبأياديك نعترف ، وبفضلك نعيش ، وعليك نتوكّل ، وفيك نتذلل من بعد مباحثة قدرك لما نجده من قوّة قبضك ، وإن كان عيبا كله فمالنا لما يصدر عنا من عجز الفطرة حقيقة ضعف ، نسعى عنك ، ثم قوّيتنا بمعرفتك لنثق بك ، ثم دعوتنا بأصناف نعمتك لنسكون فى ذراك وأهنأ عيش وأنعم بال فلك الحمد بدءاً وعوداً . حمداً يتجدد على مرّ الزمان ، حمداً يتزيد مع الأنفاس كرماً ومجداً ، وإن الحمد إذا خلص من شوائبه والثناء إذا صفا من ...ه . كان الحامد محموداً ، والمثنى مودوداً ... فأحب وعنا من الهوان . ... فى جميع المسالك إلى مفسوحة المالك ... الحلال والإكرام

رسالة (ه)

أى رأى لكدوب ، أم أى عشق لمكروب . أم أى فرد مرعوب أم أى اطلاع على العيوب لمن هو محشو بالعيوب ؟ ! هيهات ! هيهات ! ... المقامات والدرجات إلا بفصل الحسنات وما دون ... إنك إن جمعت أملك بالمجاهدة والهوى تدرك الغاية القصوى . ... لا ... من الغفلة وسكن إليه وقع فى الوبال ودفع عنه ... لأمر جد والتشمير واجب . والداعى مقبول . والطريق نهج ، والعلامة ظاهرة . والعلة مزاحة . والاستطاعة حاضرة . والنعمة متتابعة . والإحسان | ١٣ ب | غامر ، والبشير صادق . والنذير ناطق ، والعهد زائل ، واللوم حاصل . فهل بقى بعد هذه القرائن . التى عمّت الخلق بالصنع والرفق ، ما يكون حجة أو شبهة لأحد فى ترك طلب العتق من الرق ؟ وهل يجوز لك ، أيها المنهمك فى الخطيئة ، أن تحتج بما لا حجة لك فيه ولا معالة ؟ يدعوك الله إلى حظك تارة بظاهر تنزيله ، وتارة بباطن تأويله ... وتارة

على لسان رسوله ، و[illegible] تحاق دليله . [illegible] واضح سبيله . [illegible]
كأنك لا تسمع ولا تعقل ! أما تعلم أنه ما وهب لك السمع [illegible] ، [illegible] إلا لتعي
وتبصر ، وإلا لتسأل وتستخبر ، وإلا لتعلم ما غيب عنك [illegible] فتستشعر ؟
أما تعلم أنه [illegible] عليك [illegible] الغطاء [illegible] ، ولا أودعك هذا [illegible]
إلا لأمر بعيد [illegible] عنه ، و[illegible] عليه !   ٥
[illegible] فلا تعتب[2] ويدعوك فلا تجيب ! و[illegible] فلا تشكر . و[illegible]
فلا تصبر . ويحضرك قدرته فلا تبصر [illegible] وتستكبر . و[illegible] أنك مستقصر
[illegible] هذا [illegible] والله — الجهلُ الغالب عليك ، [illegible]
[illegible] ، و[illegible] ، و[illegible]
و[illegible] ، [illegible] على [illegible] . وأى [illegible]   ١٠
فى [illegible] ، [illegible] كان [illegible]
لك ، و[illegible] و[illegible] على [illegible] ، و[illegible]
إلى [illegible] ، وأوفى لك فى [illegible] ، و[illegible] العرو .
[illegible] ، [illegible] بالأحلام ،
و[illegible] الله [illegible] فى كل [illegible] ، و[illegible]   ١٥
إلى [illegible] من الله على الحقيقة [illegible]
و[illegible] فى الآخرة [illegible] [١٤ | و[illegible] عليك [illegible] فى [illegible] .
فأعرضتَ عنها ، وردّوا إليك فأنفتَ[3] [illegible] على [illegible] ،
ويا غائصاً فى بحر [illegible] والشقاق ، ويا من [illegible] فى الآخرة من خلاق

(١) فى الصدر . إليك ؛ والتصحيح بالهامش
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]

كيف يكون الشقي إلا مثلك، وكيف يكون المرحوم إلا من سلك طريقك؟
أما ترى آثار الحق كيف تتردد من ذنبك وقدمك؟! أما تسمع زواجر الحق،
كيف تتكرر على سمعك وأذنك؟ أما ترى مواهبه كيف تنسكب على قرنك
إلى قدمك؟ أما ترى قدرته كيف تحيط بك؟ أما ترى حكمته كيف تدور معك؟
أما ترى داعيه كيف يناديك، أما ترى رسوله كيف يناجيك، أما ترى كيف
أبرزك من العدم وخصك بالنعم. وعلمك ما لم تكن تعلم، وقدمك فيمن قدّم،
وعظّمك فيمن عظّم. وسألك أن تتقدم فلم تتأهب لأن تتقدم، وأمهلك
لأن تتفكر وتتدبر وتستطهر من نفسك ذنبك ولم تفهم؟! فقد آن لك الآن
أن تتقطع حسرةً على حظوظ فاتتك من الله. وحقّ لك أن تلطم خدك حزناً
على أحوال من فاته سعادة توفيق الله. وجب عليك أن تبكي دماً على ما ضيعت
نفسك في إضاعة حق الله. كذّبتك نفسك فصدقتها. وعرضت لك الآيات
والنذُر فصدفت عنها، وذكرتك الأسقامُ والعلل فنسيتها. وحدثك الليل
والنهار فلم تصغ إليهما. ووقفت على مدارك الحسية فتحرفت فيها واستكثرت
منها وتمردت على الله الذي دعاك إلى تركها ليعوضك خيراً منها».

اللهم إنا ندعو خلقك إلى طاعتك ونحن الذي دعاك إلى تركها(٢) ليعوضك
خيراً منها. فلا تؤاخذنا بذلك، فما أردنا في ذلك إلا أن نحبب منك إليهم،
وننشر آلائك عليهم، ونعرفهم ما سبق من رفدك وفضلك إلى صغيرهم
وكبيرهم. فاجبر ما نقص من عملنا في مرضاتك بفضل من اجتهدنا في دعائه
إياهم إليك [١٤ ب] ودلالتنا لهم إلى مالك من غير جدوى نتمسها منهم

(١) وكيف يكون المرحوم: مكررة في الأصل. ويمكن أن يكون قوله «المرحوم» خطأ وصوابه: المحروم والمرحوم
(٢) الضمير يعود إلى «خلقك».

على ذلك . اللهم إنا نسألك أن تأخذنا عن هذا الحديث ، فإن لم تؤاخذنا عليه
فلا تؤاخذنا به . فوجدت ما تقصد بما تقول واضحين لك ، وبما تعيد وتبدي
حاشين(١) لهم إليك ، لا ليسرع مذنب ، ويقلع مصر ، ويستبين ضال ،
ويتقوّم زائغ ، ويعتدل رائغ(٢) ، ويتندى تائه ، ويلين قاس ، ويتذكر
ناس ، ويتواضع مستكبر ، ويتنبه نائم ، ويصحو منتشٍ ، ويسمو سرّ ،
ويتوب غوي ، وينزجر عاص ، ويقصر أمل ، ويتجدد تقى ، ويتبع عدل
فالويل لمن ذكرت حقك خدع بك ، والويل لمن دعته إليك سارة عنك !

اللهم أنت حثثت إلينا هذه العبرة ، وأجريتنا على هذه الوتيرة ،
فصلّ نعوتنا في العمل ، وردنا من فضلك بما يربي على الأمل ، يا خير من دُعي
وأكرم من سُئل !

أيها المنتسب بالقدرة الإلهية ، والخلق المصطنع بالمشيئة الربانية ، والإنسان
المحفوف بالعصمة الملكية ، تأمل مواقع آياته فيك ، واستنطق شواهد قدره
عليك ، واستمع مثاني آياته عندك ، وانظر بأي فضل خصك ، ومن أي حال
خلصك ، وإلى أي درجة رقاك ، وبأي نعمة حلاك ، ومن أي كهف آواك ،
وبأي ستر سترك ، وبأي عيب نعتك ، ومن أي شر وقاك ، ولأي غاية بقّاك ،
وبأي تاج توّجك ، وإلى أي حظ هيأك ، وأي ملك قلدك ، وأي مشرب
صفا لك ، وبأي لطف حاشك(٣) ، ومن أي شيء سكّرك(٤) ، وبأي صنع

(١) حش الصيد وأحشه وأحوشه : جاءه من جوانبه ليصرفه إلى الحبالة.
(٢) راغ يروغ روغاً وروغاناً : مال وحاد عن الشيء ، والاسم الرواغ كسحاب وكشداد.
(٣) حاشك هنا بمعنى اصطادك.
(٤) سكّره (بتشديد الكاف) تسكيراً أي خنقه ، والحش نفس الإنسان.

أزال استيحاشك ، وبأى صرعة انتاشك ، ولأى أمر [illegible] حتى [illegible]
ما اهتديت إلى طلبه بتحكمك ، وحنت من حال ما عرفتها [illegible] ورماك
إلى درجة ما خطرت قط ببالك ، وحلاك بزينة ما حظيت بها [illegible] . وآواك
إلى كهف ما اطمأن به [illegible] ، [illegible] بشر به [illegible] . [illegible]
نصيب به تضاعف طربك ، [illegible] به [illegible] . [illegible]
عينك ، [illegible] به [illegible] الأصابع إليك . [illegible] حظ [illegible]
هو غاية أمانيك . وقلدت [illegible] . [illegible]
[illegible] لم تقطعا [illegible] . [illegible] هو [illegible] . [illegible]
جاءتك بشيء هو الذى أنالك مرادك . [illegible] به كل
آمالك . فحدثنى الآن واصدق : هل فى [illegible] وهل فى [illegible]
من ذا تفضله ، وهل فى [illegible] من ذا [illegible] .
وهل فى المحبين من ذا [illegible] . وهل فى [illegible] من ذا [illegible] ، وهل
فى [illegible] من ذا [illegible] وهل فى [illegible] من ذا [illegible]
ولا ، وحق الحق الذى يبهج به [illegible] إلا هو ، ولا يحوز
بهذه المواهب إلا هو ، ولا [illegible] إلا هو [illegible]
[illegible] مثلوماً وموجوداً [illegible] عنه [illegible] به ، [illegible] به
غلبت الكناية عليه . وإن [illegible] عن صفته [illegible] . وإن [illegible]
إلى ذاته اضمحلت الإشارة [illegible] فى [illegible] .
واستعصم فى [illegible] من [illegible] . [illegible] من كل [illegible] من [illegible] .
ولن [illegible] حتى تطهر من كل [illegible] ولن تطهر إلا [illegible] من [illegible]

(١) كذا فى الأصل ، ولعل صوابه [illegible] إلا به [illegible] .
(٢) ص : حظك .

يا هذا، لا مستغاث لك إلا بالله، ولا عوذ لك إلا إلى الله، ولا توكل لك
إلا على الله، ولا حول لك إلا من الله، ولا نجاة لك إلا بالله، ولا نعم عليك
إلا لله، ولا [illegible] على [illegible] من [illegible] فاقض ما أنت قاض، إنما تقضي
هذه الحياة [illegible]، وفي أثنائها [illegible] [illegible] ... وإن [illegible] إلى [illegible]
[illegible] أقبل الله [illegible]، وإن [illegible] [illegible] [illegible] الله [illegible].
وإن [illegible] [illegible] [illegible]، وإن تواضعت لله رفع الله قدرك،
وإن [illegible] [١٥ ب] [illegible] [illegible]، وإن لذت بالله عطف الله عليك،
وإن [illegible] [illegible] [illegible]، وإن [illegible] [illegible] أو كاد لم يصحت
في [illegible] هو [illegible] [illegible] [illegible]، وهو [illegible] [illegible] عليك لعمت.
وهو [illegible] [illegible] هو [illegible] ذلك [illegible] ثم [illegible] على [illegible]
في [illegible] [illegible] [illegible] يده، هو [illegible] حالك [illegible] أن تدعوه،
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible] [illegible] هذه اللطائف [illegible]، وبعد هذه النعم السابغة،
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] به، أو على إيثار
[illegible] [illegible]، أو على [illegible] [illegible]، أو على [illegible] بعصمته، أو على مخالفته؟
لا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

يا هذا، [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible]، وعلى عواقب هذه
[illegible]، إلا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible].
وكم [illegible] [illegible] من [illegible]، وكم [illegible] [illegible] من [illegible]، وإنما قلت هذا لأن

(١) كذا! ولعل صوابه: استهانة

المراد عزيز والمرام بعيد . والسهم قاصر والهوى منتصر ونبوة المسعدة عائرة . والطبيعة الخاصرة حائرة . والشهوة بين الإنسان وبين سعادته جارية وبضاعته فى طلب الربح بائرة ، فمن لم يكتسب هيئة لنفسك غير هذا الذى ورثته بجراحك ، ونشأت عنه تصاريف حركتك واحتلاجك ، لم تظفر بما يكون سبباً لسرورك وارتياحك . وهذه نصيحة قد كررتها لك وعليك ، وزدت بها البحوع فيك والمحوع منك ، وأن تتصل فى نفسك الشريفة بادراكك عن نفسك . أعنى أن تصل فى نفسك الشريفة المتصلة المقتبسة من نور عقلك الحائلة بينك وبين جحيم طبعك ؛ وعنى بإدراكك عن نفسك نفسك الأمارة بالسوء الوثّابة بالعتو ، المصالحة بك بيد العدو فاطلق لهذه الموصوفة التى هى بعدلك [١٦] على نفسك وإدراكك عن [٢] نفسك ، فمن ظاهر هذا القول يحدث تناقضاً ويورث صدوداً ، وباطنه يحدث اتفاقاً ويورث شهوداً

اللهم إنا قد تمكنا فى صنعنا حيث من التقصير فى قصد جنابك ، واضطربت فى أحوالنا لكوننا على حيرة نصيب منك فى طلب مرضاتك . وحساباً بهذا القصر قد أوقفنا على قوسنا جمرات الحسرة وحسرات الفرقة ، فلا جرم نقض العيش فى هذا الدار الدنيا ، وفى هذا المكان المتصل بين هذا السواد المطل على هذا البسط الثالث وقصر نقص العيش صب تجرع الحام مع التوجه إليك وبيل الحظوة منك . فيسّر اللهم ذلك على سهل وجه ، وقرب حين ياذا الجلال والإكرام !

(١) بَخَعَ لى بالحق بُخوعاً . انقاد ، وبخع بالحق (من باب علم) : بخاعة وبُخوعاً إذا أقرّ إقرار مذعن بالغ جهده فى الإذعان به .

(٢) ص عن .

رسالة (و)

« وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ، وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ » (١) هذا ! أما تسمع هذا الخطاب بحضور بال ، ويقظة فؤاد ، وفكر صاف ، واعتبار حاضر ؟ أما تجد به ما يجده أهل البصائر من الازدجار ؟ أما تستبين به الارتحال عن هذه الدار ؟ أما تعلم أنك متقلب بين هذه الأوزار (٢) حتى إن لم تسمها بالتوبة عنك صرت حطب أهل النار ؟ بلى ، والله إنك تسمع هذا الخطاب وغيره من بدائع ما في الكتاب ، ولكنك بذنبك من الذنوب واحتف بك العيوب ، محجوب عن كل عيب في الغيوب تسمع الحق بأذن مجة ، وتعيه بقلب متحرق ، وتتدبره بعقل سادر ، وتقرؤه بلسان ألكن والعجب أنك أيها العالم الفقيه والأديب النحوي تتكلم في إعرابه وغريبه ، وتأويله وتنزيله ، وقصته وشأنه ، وكيف ورد ، وبأي شيء تعلق ، وكيف حكمه في خاص وعام ، ودل [١٦ب] وشيء وكيف وجهه ، وكيف ظاهره وباطنه ، ومتشابهه ورمزه ، ومداخله ومخرجه ، وأين صدره وعجزه ، وكنايته وإفصاحه ، وكيف حلاله وحرامه ، وبلاغته ونظامه ، ونابه ودرجه ومقامه ، ومن قرأ بحرف كذا وبحرف كذا ، ثم لا تجد في شيء مما ذكرت به ووصفت فيه ذرة تدل على صدقك في حالك وإدراكك ما لك ، من لا تعرف حلاوة حرف منه ، ولا تزال موجوداً فيما دعيت إليه من أوسطها ونواحيه ، فعلمت كله لفظ ، وروايتك حفظ ، وعملك

(١) سورة ابراهيم : آية ٤٧ .

(٢) ص : الازورار .

Ritual powers

Raymond Jamous

M. E. COMBS-SCHILLING
Sacred Performances: Islam, sexuality, and sacrifice
377pp. New York: Columbia University Press
$31 50
0231 06974 X

Morocco is unique among North African countries, and indeed in the entire Arab world, in that its distinctive Islamic character has for many centuries been dependent on the institution of monarchy Established in the ninth century by a Sharifian dynasty (in Morocco the term signifies descent from the Prophet) this monarchy has endured through a succession of tribally based dynasties from the eleventh century to the fifteenth and thereafter through two Sharifi lineages, the Sa'adians in the sixteenth century and the Alawites from the seventeenth century until the present day

M. E. Combs-Schilling's ambitious book, which is based mainly on previously published sources, has three objectives. The first and most important of these is an anthropological analysis that attempts to show how the restored Sharifian monarchy equipped itself from the sixteenth century onwards with the values of Islam, maintaining the idea of nationhood through an array of religious and familial rituals

The second objective is to achieve a historical understanding of the political economy of the Moroccan monarchy through analysis of its international economic and political context (rather than tracing the transformation of Islamic ideology). Having dominated the Western Mediterranean from the eleventh century to the thirteenth, Morocco, weakened by plague, was threatened in the fifteenth by European expansionism to the north and Ottoman power to the east. Without a solid economic base, Morocco was able to find in the Sharifian kings and their rituals a means to resist foreign aggression and to redefine nationhood in cultural terms. "Superstructural strength compensated for infrastructural weakness", writes Combs-Schilling, "and Morocco endured, and endures still" This astonishing claim amounts to proposing that a house may be built on a quicksand yet stand for centuries Would it not have been more fitting to compare like with like, that is, to look at the political and religious organization of the earlier tribal dynasties that maintained the monarchy for five centuries during the Middle Ages in relation to that of the subsequent Sharifian dynasty?

The final objective of *Sacred Performances*, though, is both more universal in intent and more polemical Throughout the book the author stresses the way in which the monarchical rituals of the Sharifis, as in other monotheistic societies, play on sexual difference and the role of the sexes in biological reproduction. Only man is in direct relationship with God, women occupy a subordinate role, their existence is ephemeral, part of nature

These three aims result in three – conflicting – interpretations of the rituals in question In the first case the accent is on their internal coherence, their power of integration; in the second on their capacity to compensate for economic, military and administrative weakness, in the third on their putative capacity to disguise the realities of power and to legitimate male domination

The middle part of the book is the most original. The Sharifi kings, we are told, base their legitimacy on their descent from the Prophet, claiming title to the highest authority known to Islam, that of the Caliph. According to this argument, the special position of Morocco, a weak country particularly exposed to threats from outside, is somehow sublimated in this identification with the Islamic community The author speaks of a return to "mainstream Islam" by the Sharifian kings. pin-pointing three kinds of "sacred performance" where the monarch occupies, directly or indirectly, a central role. The first is the Feast of the Birth of the Prophet, celebrated in one of the royal palaces, which affirms the king as a worthy successor of Muhammad and reinforces the unity and identity of the nation, the second, the marriage ceremony, in which every bridegroom becomes, symbolically, Sultan, ensures that all male Moroccans entering adulthood are able to define themselves in relation to this archetype and insert themselves into the existing patrilineal, patriarchal system Combs-Schilling singles out a third ritual the annual sacrifice of a sheep performed first by the king for the community at large and then by each of his subjects, of which she says,

> At the center of the Great Sacrifice is the metaphorically established equivalence of Ibrahim (the father of believers), Muhammad (the final prophet the conveyor of the complete revelations), the Sharifi (the present guardian of the Muslim community on earth), local communal authorities, and the heads of individual households. All hold the same position within the ritual performance

For believers these three figures all represent, in some sense, the archetypal man Muhammad and Ibrahim, or Abraham, are the final referents in an analogy whereby the king, pre-eminent among the faithful, stands for the last of the Prophets and his subjects for the community of belief first established by Muhammad

It is an intriguing interpretation, but one that provokes serious reservations. It is a pity that the author has not followed the lead of A M Hocart's magisterial *Kings and Councillors*, in which he argues that the act of governing and the violence visited by a monarch on certain of his subjects are rituals of the same order as animal sacrifice (in fact Combs-Schilling affirms exactly the contrary) Furthermore, if metaphorical equivalences are important in such rituals, equally important is the differentiation between the two poles of the relation, between Abraham and Muhammad and the king and his subjects. During the ritual moment one moves on from an earlier phase where such equivalences are not yet established to a later one where the participants are distanced from the original point of reference, where identification is suspended the better to appreciate the differences. During the marriage ceremony, for example, the husband-to-be is, initially, single, during the festivities he becomes, temporarily, a sultan-bridegroom, but afterwards he is just a married man no longer equivalent to the monarch. As such he does not think of himself simply by reference to the figure of the Sultan, the archetype of manhood, he also has a status that is defined by his own community The patriline he takes his place in is distinct from that of the sovereign local social institutions are not a microcosm of the community of Moroccan Muslims symbolized in the figure of the Sultan. If it means anything to be a Moroccan, this identity must be located in the relation between these local levels of organization and the Sultan, in the similarities between them and the differences

The notion of the return to "mainstream Islam" is also questionable Kings of the royal line are not the only descendants of the Prophet. There is a vast literature on marabouts or saints from Sharifian lineages (some living. and enjoying local, tribal authority, some dead the object of special cults, or the founders of religious brotherhoods) and their relation to the Sultan By concentrating on the Sultan Combs-Schilling appears to make him the sole heir of the Prophet, she rejects too quickly Clifford Geertz's characterization of Moroccan Islam (in *Islam Observed*) as a "highly parochial . saint-centred complex of rules and worship called maraboutism" Must we choose, in discussing Morocco, between this view of its historical particularity and Combs-Schilling's vision of a universal Islamic community? Would it not have been more worth while to analyse the relation between these two sets of values, local and universal? The uniqueness of Morocco since the sixteenth century lies not in a hypothetical return to origins but in the way it has combined these various local forms of Sharifi Islam within a single nation

Star qualities

Romanticism Reconsidered

MLJ - V53 - D'69 - p567

WHR - V19 - Summer '65 p273

A study of English Romanticism

MLJ - V54 - F 70 P131

-- Modern Language Journal --

Language of poetic mythology is the principal feature of the Romantic movement

Frye treats Romanticism as a change in the language of poetic mythology, the change itself having been brought about by historical and cultural forces and events the French Revolution

In "Prometheus Unbound", or in the other essays Frye illustrates this thesis of a change in the

كله رقص، ونيتك كله نقص، ودعواك كلها وقاحة. وحقك كله
وَتاحة(1). وسرّك كله خبيث. وسيرك في الحل خفيف. وجهرك نفاق،
وباطنك شقاق، ودينك حيلة، وسكوتك كيد(2)، ومعاملتك اختلاس.
وأمانيك أحلام نائم، ووعظك خديعة، وعهدك ريح، ونفسك منه(3).
كالثُّ هو، وعبادتك رياء، وخشوعك نصب، وآخر أمرك خيبة. كأنه
ليس لك إلى الله أوبة. لأنك بنيت أمرك كله على الشك والحيلة، وعلى الغش
والمكيدة، وعلى التواصي بالمعصية. وعلى المنافسة بالجرأة. وعلى الجهالة
والبداءة. وعلى طلب العاجلة دون الآجلة. فلا جرم لقد ضيعت في حياتك
التي لا تعدو ميتتك، وأنت أملك في كدحك بما لا ترى من سعيك. فيا شقوة
نصيبك من سعيك، وما أقل رحمتك وحسك، وما أسماك بحيلك في كل
ما يضرك، وما أطوعك لشيطانك، وما أوحشك في عيشك ومثواك،
إذ الله لا يرضى منك إلا بالعمل من باب أمره، ولا بالتحري والطواف من ثواب الله،
ولا بالنفس والحسرات عند ملاقاة الله. ولا بسواد الوجه عند أولياء الله
وأعدائه، ولو سعيت في قدر نفسك، وما حط على هامتك، وما أحاط بك من
شقائك، لألف الذباب صراخه على صمتك، ولسأل النواحين أن يساعدونك
بالبكاء عليك. فأية مصيبة [117] أعظم من مصيبتك، وأي بلاء
أعظم مما هو مستولٍ عليك: نفس لا يهب فيها نسيم التوحيد، وفكر لا ينتهي
إلى تمييز الباطل من الحق، وعين لا تترقرق بالدمع على الخد، ورأي لا يصح
في الوقوف عند الحد، ونفس لا تبالي بالانحراف والصد. ونصيحة لا تقبل

(1) وَتُحَ ككرم وَتاحة: قلّ وصار تافهاً.

(2) الحيلة: الخديعة والاحتيال.

(3) الثُّ (كغراب): الهالك البالي من ورق الشجر.

على [illegible] من الخير و[illegible] . وصديق لا يشكو إليه من شيء من هذا العناء [illegible] . وصاحب لا تشكو فيها أشكو من هذه الحال في القول والرد بعدها [illegible] [illegible] حتى [illegible] ، وذهبت مع هذه [illegible] ، فلا تجزع لقول [illegible] . ولا [illegible] [illegible] [illegible] لأن دموعك على هذه الحال [illegible] [illegible] [illegible] عنها . فإن الدموع المنحدرة على هذه [illegible] [illegible] لا [illegible] بالندامة والأسف . ألا ترى كيف يقول الأول

لعلَّ انحدار الدمع يعقب راحةً
من الوجد أو يشفي نجيَّ البلابل [1]

[illegible] المحبون وتركوك . [illegible] المحبون ولم يعودوا عليك . وهو [illegible] [2] [illegible] تامات من [illegible] والأ[illegible]

[illegible] كل يوم [illegible] . [illegible] الرجل معهم [illegible] [illegible] جهدهم [illegible] . [illegible] طاقتهم ، و[illegible] [illegible] [illegible] . [illegible] وحبيب . [illegible] ، ثم خوفوك الوحشة [illegible] [illegible] . فبيت [illegible] ، وحجت وطفت [illegible] [illegible] ، وصدت [illegible] كلها [illegible] فلما حقت الحقيقة [illegible] [illegible] [illegible] بالويل . وتحك عيك [illegible] [illegible] يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله

(١) نجيّ البلابل : [illegible] من الهموم . والبيت لذى الرمة . راجع ديوانه نشرة مكارتنى ص ٤٩٢ بيت رقم ٢ ، كمبردج ، سنة ١٩١٩م ١٣٣٧هـ

(٢) مأخوذ من المثل المعروف «عند الصباح يحمد القوم السُّرى» .

(٣) الضبع : العضد .

هيهات ! هيهات والله لتصيبن الحسرة على [١٧ب] صدرك جمرة من الدر، تتوقد بالليل والنهار، إلا أن يقضى الله فيك ، فهو أهل ذلك وأهله . فيه المسير يا هذا !

هوّن عليك وكن بربك واثقاً ... فأخو التوكل شأنه التهوين

طرح الأذى عن نفسه في رزقه ... لما تيقن أنه مضمون

يا هذا ! الحق أحق أن يتبع ، خير الأدوية ما نجع ، خير الكلام ما نفع ، خير الإخوان من ردع . يا هذا كيف صف لك اعتراقك في حالك ، وتقلبك في صروف زمانك ، وتحولك بين خلطائك [٢] ، وكيف ذلك عند ازدرائهم بك ، وازدراء الصغير والكبير لك ، وتغير الرفيع والوضيع بك ، وطرفهم الغموض لك ، وخيبتك منهم إذ [١] طمعت فيهم وانقلابك باليأس منهم وأنا في أشد ذلك وبطائره بل في دوام تزيد عليه وفوق ، لو زحمت عنها بكلمة عوجاء ، أو رمزة عوجاء لصاق في الثقلان والدق على الحقد ، فلا تكن في عقاب الله الذي وصفه الأول حيث قال له كلمة له

أطعت مطامعي فاستعبدتني ... ولو أني قنعت لكنت حرًا

ومن أحسن ما قال الآخر

حتى متى تسترقني الطمع ... وليس لي في الكفاف متسع

ما أوسع الصبر والقناعة للـ ... ـناس جميعاً لو أنهم سمعوا

إن المنايا لغير غافلة ... لكل حيّ من كأسها جُرَع

(١) كذا ، ولعل صوابه : بها

(٢) جمع خليط : أي صديق أو مرافق معاشر

وإنما وقفتك على هذا السر لأن جميع ما يتشكى منه الناس يرجع إلى الطمع
والضرع (1) . اللهم إنا نسألك أن نقطع مطامعنا عن عبادك بالثقة بموعودك ،
وتكف استشرافنا لخلقك بالرضا بمقدورك ، وتصرم البُرَحاء في شوقنا
إلى ما قِبَلك ، وتجعلنا من خاصتك ، وتأذن لنا في وصفك ووصف ما ظهر من إرادتك ،
وتحول بيننا وبين الالتفات إلى ما سواك بالإقبال على ما يُزْلِفنا (2) عندك

[١١٨] يا هذا ! لو ذقت حلاوة عيشك مع ربك ، لعلمت أن كل ما عداه
باطل ، ولو أشرفت على النعيم الذي أعده لخدمه لأيقنت أن كل شيء بعده
زائل ، ولو عقلت إلى ما يستحب لذهب الصبر [illegible] كل مذهب .

بالله ، أما ترى كيف أتراءى لك عيانًا ، وكيف أتوارى عنك جهرًا ؟
فلا عياني يحجبك عني ، ولا جهري يصدقك مني ؛ خفيت في بدوي لأني منعت
في حالي ، وبدوت في خفائي لأني منصب إلى غيري ، وإذا تكلمت بلسان الظاهر
وفيت لك وحبست نفسي ، وإذا ترجمت لك بلسان الباطن حييت لك وطلبت نفسي ،
لأني في الأول هارب كحاذق ، وفي الثاني قابل كراغب ؛ فارحمني إذا قلت ، وارحم
نفسك إذا سمعت . ومهما شككت في شيء ، فلا تشكنّ في أمرك الذي خاص لك
ونغص بك (3) ، أعني الرحيل عن هذه العرصة ، التي تجرعت فيها ألوان الغصة ،
إلى كنف ربك ، به وجدت ، وبه عرفت ، وبه حييت ، وبه سعدت ،
وبه عقلت ، وبه رشدت ، وبه أكرمت ، وبه أعطيت ، وبه حرمت ،
وبه شهرت ، وبه سررت ، وإليه نسبت ، وإليه انتهيت ، وإليه سعيت ،

(1) الخضوع والاستكانة
(2) أزلف الشيء : قربه
(3) بمعنى خلص

وإليه اشتقت ، وإليه سلكت ، وعليه توكلت ، وعليه توكلت . كيف ما أوى إليه أحد إلا وجد ما أمن البؤس . كيف ما سكنه أحد إلا فاز بالرضوان ، كيف ما شم بروحه أحد إلا وثق بالشيء الدائم . كيف ما لاذ به أحد إلا توّج بالعز . كيف ما استنشق هواءه أحد إلا وفى كل مقر . كيف ما ألفه أحد إلا وثق

٥ بالكفاية . كيف ما اطلع أحد على ما فيه إلا سلا عن كل ما دونه ، كيف ما سمع أحد وصفه إلا هام عليه . كيف ما سعر فيه أحد إلا احتاط بالربوبية كيف العز والقدس والكبرياء والعظمة والعدل والحكمة والجود والمجد والجلال [١٨ ب] والتكرمة والنعمة والبهاء والسناء . كيف لا ظمأ فيه ولا جوع ، ولا نصب ولا تعب ، ولا قذى ولا أذى . ولا خوف ولا مرض ولا غزى

١٠ ولا مشقة ، ولا مراء ولا لجاجة . كيف عرفه العارفون فهاجروا إليه . وقصدوا حين هم في طلبه ، وتعودوا على قصده ، وصبروا على كل مكروه من أجله ، فعند ذلك ظفروا بحبرة لا حبرة بعدها . ووصلوا لأجر بعده ، وفرحة لا ترحة بعدها ، وأمنة لا خوف بعدها ، وراحة لا نصب بعدها . يا تجار الآخرة ! أبشروا بالأرباح الفاخرة ! يا مساكين الذنب ، أبشروا بسعة المولى بالعفو والحسنى

١٥ يا قوّام الليل بالأسحار ، أبشروا عند الله بمنازل الأبرار ! يا صوّام النهار في الهواجر الواقدة ، أبشروا عند الله بالرضا والكرامة والعاقبة ! أيها المستجيبون لله في هذه الأحوال الصعبة . أبشروا من الله بكل رغبة ليس معها رهبة

يا هذا ! ارفق بعباد الله إذا دعوتهم إليه ، وشوّقهم بالآية التي تتابع على كل بعيد منه وقريب منه . ولا تعجب من قلة إجابتهم ، فإن تلك من قلة

(١) كذا في الأصل ، ولعل صوابه : طلبه .

(٢) الحبرة (بالتحريك) : النعمة . والفترة بعدها

إخلاصهم فى دعائهم . واعلم أن ما تنطوى عليه من الحق هو الذى ينتشر عنك عند الخلق ، وما تقصد إليه فى السر هو الذى تدل عليه فى الجهر ، وما تورده فى الحضر هو الذى يقدمه بيك فى السفر . فانظر أين أنت فى دعائك إلى الله لعباد الله ، فإنك عن هذا مسؤول . وبه مهجور أو موصول . وله مردود أو مقبول ، وعلى قدره مصُونٌ أو مبذول . وبحسبه محمود أو مسؤول .
وفى حكمه فى الحق و باطل محمول فلبث الجهد فى إيصالك إن كنت نائماً .
وسبيلك الجهد فى التبسط وإن كنت حالماً . وعلى ذلك فلولا أن الله قد أراد بنا حبساً الجهد وعرض برتبة ما أعطى من بحرف [١١٩] ولا وقت لاستيفاء ف ، وقليل الصوب يدل كما أن كثير القطر سيل . وإنما قست هذا اعترافاً بنعمة الله التى عرضت لهذا القول عنف الوصف والقطع . المؤلف والوضع . والاعتراف بالنعمة مدعاة للزيادة ، والزيادة موقوفة على الاعتراف والشكر عنوان ذلك ، ومن لحظ اسم سائله ، استغنى عن تلفيق اللفظ بلسانه ألا ترى أن مصافحة الضمير بالوداد ، أنعم من مصافحة اليد بالسهاد (١) ، هذا وصف أنعت بالمعطى عند ذلك على نقص الانقياد . لأن العاقل لا يثنيه تعمده فما أوجب الجهد فى هذا التصديق ، وما أنعم الشكر على هذا التوفيق . وما أحسن الوصف بهذا التدقيق ، وما أبلغ اللفظ بهذا الترقيق ، وما أشرف المرمى بهذا التحقيق . اللهم إنا قد أملينا وحُدّدنا فى محبتك ، ووردنا وحضرنا فى طلب رضاك ، وبغينا ووكلنا واحتبينا لك . ووهبنا وتعرّضنا طامعين فى قبولك . وصبّرنا وجرعنا عند تصاريف قضائك ، وحُزنا وتقدمنا فى مقاصدنا إليك ، وأصبنا وأحسنّا فى الطاعة لك ، ونالنا وقصّرنا فى جميع أحوالنا معك

(١) ص على

فسألك بالإلهيتك المشتملة على عبوديتنا، وقدرتك المستوفية لعجزنا،
وبحكمتك الحائرة عقولنا، ورحمتك الملاقية لكل خلل ما ... إلا
أغضيت عنا، وصفحت عنا. وفلت على عوارنا(١)، وصُنتنا عن التشنيع
إليك، وأكمنت عن البأس منك. يا ذا الجلال والإكرام!

٥ رسالة (٢)

ياهذا! متى هذه أمهلتك(٢) عن صرعتك وأنا على مثال حالك؟
ومتى حجة أطالبك بالحق وأنا مطالب به قبلك؟ إلا إني مع هذه الحال المتنافية،
[١٩ب] ومع هذه المحنة الظاهرة، أقول قولًا صادقًا به لك وكثيرًا علىّ، إن قلت
واستمعت، وراجعت واستمعت، واستقلت وارعويت. ياهذا! القول في الجملة
١٠ كثير مختلف منتشر مشتبه، حتى أن يصدق قدمًا محوقًا ومضًّا مشوّقًا،
حتى يعشش فيه تعشيشًا ويريشها ترييشًا. وأين ذهبت القلب؟ وأين ملك
النفس؟ هيهات! غيبت الأسماء وحتت الأنوار والأضواء، وخوت(٣) السماء
والأنواء. وفقد الصبح وأدرك المساء. فلا كبد إلا وهي مقرونة بالحرب، ولا عين
إلا وهي ذارفة عن القلق والفرق. وعند الحقيقة لا مَعاج(٤) إلا إلى الله،
١٥ ولا معرّج إلا على باب الله. ولا طمع يخلص إلا بالله، ولا أنس يصح إلا في الله،
ولا رجاء يستقيم إلا فيما عند الله، ولا خير يحق إلا عن الله، ولا توكل
إلا على الله. ولا نجاة إلا بروح الله، ولا أنيس إلا بكرامة الله، ولا متنفّذ

(١) العوار (مثلثة العين): العيب
(٢) أي: أمهلتك
(٣) خوت النجوم والأنواء خيًّا: أمحلت فلم تمطر، كأخوت وخوّت.
(٤) عاج: رجع، عطف.

إلا بهداية الله ، ولا ظفر إلا بنصر الله ، ولا عزّ إلا بتعزيز الله ، ولا سُكنى[1] إلا في جوار الله ، ولا أمن إلا في حرم الله ولا توجه إلا إلى كعبة الله ، ولا غنى إلا من خزانة الله ، ولا فوز بالجنة إلا بفضل الله ، ولا خلاص من نار الله إلا برحمة الله

فاسلم على هذه الجملة سبل حقيقة التفصيل من الله ، ودع قبل شيء وبَعْدَ الهوى ولا تتخذه شريكاً

يا هذا تحجّ عن سرك ، وتمرّق في تجمعك أندرى ما أرى تفسير هذا الغز ؟ أي احضر عن شيدك ، وتغيب في حضورك هذا أيضاً لغز أنا أكشفه لك بما هو بين . فتحمّل مع ما هو زين معنى ذلك انف عن سرّك الهموم كلها حتى تبقى من كل دنس يكون في الأمر ، ثم اخطب محلك من حضرة الحق بقول ما يجود به لك ، ثم أفرغ كلّك في شك هذه المبالغ التي كلما حلوتها كانت أحسن وأبهى[١٢٠] وكلما عرضتها كانت أحلى وأشهى

يا هذا أما ترى فنون الإشارة في غياب الحقيقة بصنوف العبارة عن الأركان الوثيقة ، دالة على الآيات الأنيقة ، جامعة للآراء الرتيقة[2] ، فجل في أطرافها طائعاً نفسك فيها . وغص في أعماقها عقلا لحقيقتك منها ، واحمل بوادي تباشير هذه الأحوال مادة لصدرك إن كنت عقلي . أو عدة لسرك إن كنت محلى ؛ وترتع في هذا العصر الذي قد انحرق لك من هذه الورقات التي هي ألف ورقة منثرها . واقطف من ثمارها ما تدلى لك ودنا منك ، وترشف

(١) ص : على .

(٢) رتق المـاء . كدره وصفاه ضد ، فالرتيق هنا بمعنى الصافي

من عينها ما سنح لك وعمّن لحقك ، وطأه وحشةٌ فإنه للعدم مرضٌ وشيء
عَرَضٌ ، والخلق حَرَضٌ (١) ، وإياك أن تريد إلا وأنت مريد ، فأما إذا كنت
مُراداً فحسب كل إرادة لك فإنها إرادة فيك . واجتهد أن تكون سابقاً متمهلاً .
وإياك أن تكون مسبوقاً متعجلاً ، فإن ذلك عنوان الفوت وآية الحسرة وعلامة
الأسف . وامحُ عن مرآة الفكر في غد كلَّ أمس ، وصِلْ بجهدك ما يكون
في غد ، فإن ذلك أحضرُ لبالك في وقت تمضي لك إلى إذا انفسخ
من وقتك . والوقت حادٌّ ، فكُنْ من حِدّته على حذر ، واجهد هو أن توقع
عملك بالطويات الأبديات الدائمات الباقيات لتستحق الدرجات في استغلاق
الهم ، واستغراق شأنه ، وفي هذا الاستغراق شبه كبير بما يراد ، وفي هذا
الشبه برور بحقائقها . وفي هذا البرور بحقائقها لها سعة ، وفي سعة
حلودها . فأي إشارة أخلص من هذه ، وأي عبارة أخلص من هذه ، فقد نسج
لك فيما نعم به عندك ، وقصرت فيما عرض عليك . وكن لآلاء الله
من الشاكرين ولقصده من الذاكرين [٢٠ب] وربما حدثك بالخوف وربما تدللا .
ثم رجّح الرجاء ، فإنه أدلّ على كرم المرجوّ . وقابل المتوكل بالمعرض فإنه
صحيحة ، ثم احمل الرجحان في جانب التوكل فإنه أشبه بالعبد . وأجب
عن صدى الوجد ، فإن (٢) كان من آثار الكون الذي أزالك حتى فلا تعج
عليه ، وإن كان من آثار العلوم الذي أحدث فارتج به وانتبه ، واسحب عليه .
وثق بأنك إذا أوغلت المتحير في هذه الساحة ، فقد بلغت كل همة وأصبت
كل راحة . وما أقرب هذا البعيد ! وما أسهل هذا العسير ! وما أشد استجابة
هذا الوانى ! وما أسرع انحياش هذا النائى !

(١) الحرَضُ (محركةً) : الفساد في البدن وفي المذهب وفي العقل .
(٢) ص : فإنه .

رسالة (ز)[1]

أيها الصاحب المدلى على بحثوثه، الراجع إلى محصوله، الملتمس من الحكمة ما قد أفل نجمه، وتصوح نبته، واجتث أصله، واقتضب فرعه، ولم يبق لأهله مسكن إلا خرب، ولا ماء يتمن إلا نضب، ولا متاع إلا بار، ولا ثمد[2] إلا غار، ولا حي إلا مات، ولا مطلوب إلا فات، ولا باب إلا أرتج، ولا لسان إلا لجلج، ولا ثوب إلا نزع، ولا مرعى إلا أمرج[3].
فكيف صرت من بين هؤلاء، وهذه الأحوال، تسأل عن الأعمال وآفاتها، وعن الأحوال وعاهاتها، وعن الأخبار ورواياتها، وعن الأسرار وخباياها، وتلهج بالبحث عن الملكوت المحجوبة بالجبروت، وتديم مسألتك عن كل ما كمن في الشاهد ولاح في الغائب، وبرز بعوالى القدرة، ونشأ عن سوابق العلم، وتوارى في أثناء الإرادة، وجرى على الحكمة والسر [illegible] والزيادة فإن كنت إنما تبغى — بعيبك وكدحك، وإملائك ونحلك، وإحداقك ونجحك — حظاً من هذه الدنيا المشئومة، فقد [illegible] نحرك لنفسك، وردك اختيارك [١٣١] في يومك وأمسك، ولم تؤت إلا من إطراد الله لك عن حضرته وإبعاده إياك عن خدمته. وإن كنت إنما تريد مباهاة لأبناء جنسك، واستطالة على من يشير بشارك، وصف [illegible] في دعواك، فقد والله أدل على أنك ممقوت عند ربك، ومحجوب عن ودائع الله قبلك، ومحروم في أولك وآخرك. وإن كنت إنما تحب أن يكون لك طرف في ذكر الحق،

(١) ورد هكذا في الأصل، مع أن هذا الحرف ورد رقماً للرسالة السابقة.
(٢) الثمد: الماء القليل.
(٣) أمرج الدابة: تركها في المرعى تذهب حيث شاءت.

واشتيق إلى عيش أغرب ، واغتاظ لما يستمر من العيب المثبت في الخلق ،
المكاشفة لسوءات الصدق ، فأنت والله غريب في حلك ، وعزيز في ذلك
في أحق جهت بابه بين ، وما أولاك في تأميلك بالتنويل والتخويل
وكأني بك وقد وقع سمك الحجاب ، وتيسر ما أنت به وله عن العتاب ، وصرف
٥ من بالك كوامن الكتب وحوائج الارتياب ... وكأني بك وقد وجدت
نسيم الوصال ، وأعييت من الإفصاح والإيضاح في طول هذا القيل والقال
... وكأني بك وقد تجلى سابك الملك بزينته ، وسقيت من دفائن غيبه
وشهوده ، وقيل لك ... ازدد فطالما ظمئت ، واشبع فطالما شقيت ، واكتس
فطالما عريت ، وتنعم فطالما صديت ، وثق فطالما قنيت ، وانظر إليه فقد
١٠ تجلى لك ، واتصل به فقد اتصل بك ، واشهده فقد شهدناك ، واطمئن إليها
فقد قصدك ، وتمن عليه فقد حكمت تسبب

فقلت في فقرك وصبرك ، وتمثيله بما صبرت على بلواك ومحنتك ، ونحن
نبكيناك في اختلاف أحوالك لتصلح نحدمت في آخر أمرك . لم يعد عما
تأملت ، ولم يخف عليه سرك وعلانيتك ... لقد مصمصت في محبتنا الحنظل
١٥ المنسل ، واقتحمت الجمر المسعر ، وغرقت في البحر الأخضر ، وأويت
إلى المزابل ، [٢١ ب] وأصبحت كلا على كل كاهل ... مسك خلق الكثرة
والخشفة ، وحرموك الخرقة والفضلة ، واستدلوك تأسيهم ، وآذوك بألسنتهم ،
وطردوك من أفنيتهم ، وحقروك بقلوبهم ، وعبروا منك لما قربت ، وتغافلوا
عنك لما بعدت ، وسخروا منك عند قولك ، وهانوك عند سكوتك ،
٢٠ وأبعدوا من مؤاكلتك ، وكرهوا أن يصفوا معك إلى جانبك . وكنت إذا
دعوتهم لم يلبوا ، وإذا حدثتهم لم يجيبوا ، وإذا سألتهم لم يسعفوا ، وإذا
حضرت مجالسهم لم يفسحوا . كل ذلك كان بمسمع ومرأى ، لم يتطو

... منه خردلة ولا ذرة . فقد اخترنا صدرك ، وعلى ذلك أجرينا أمرك ، ومن أجله
رفعنا لك ذكرك ، ووضعنا عنك وزرك (١) . فلا يهمنك ما كان ،
فقد أفضيت إلى عز جوارنا ، وصرت مكرماً مدللاً ، مقدماً عندنا ، حكمك
نافذ في مُلكنا ، وقولك مسموع في حضرتنا ، وأمرك ممضى بيننا ، وإنك
مصطفى مقرب ، ووجه وجيه دائم محبب ، وكنت معهم مقيماً ، ولولا ما تجرعت
من جرع البلاء وعناء الوحشة ، ما كنت اليوم تصير إلى حظيرة قدسنا ،
ولا كنت تؤهل لمحبتنا وقربنا . ولو أن عندي عوضاً عن رشحته وأمرتك
به ولاطفتك به وتنتهي به إلى آخره ، لعرضت قسمة عليهم ؛ لأنهم كانوا
يأخذون التراب من تحت قدمك ، ويكتحلون به عند الرمد ، وكانوا يفرشون
لك الخدود حتى تمشي عليها ، ويهبون لك الأرواح حتى تتحكم فيها .
ثم أخفيتك عنهم صيانة لك ، وشغلتهم عنك توفيراً عليك ، وعاتبتهم مع ذلك
بذلك . وقلت لهم : لم تحتقرون أوليائي بالجهل ، ولم تزدرونهم بالفكر ،
ولم تتعدون عليهم بالتيه ؟ أترون أني زويت عنهم الدنيا وبسطتها عليكم ،
لانحطاط قدرهم [٢٢ ب] ، وارتفاع قدركم ؟ إنما عرضت بعضكم لبعض
محنة ، وجعلت بعضكم لبعض فتنة . أردت بهم أنهم لا يطمئنوا إلى نعيم
العاجلة فأقترت رزقهم ، ووتحت (٢) من الدنيا حظهم ، وأحببت أن يثنوا
في كل حال يتعذر عليهم بي ، ويشكوا في كل ما يلتمسون به إلي ، وليجروا
على تدبيري في توسعتي وتقديري ، وأحببت لكم أن تفيضوا عليهم مما أفضته
عليكم ، فتكونوا منعمين بنعمتي ، وواهبين من فضلي ، لتحوزوا بذلك

(١) سورة « ألم نشرح » . آية ٤ ، ٧
(٢) وتحه وأوتحه : أعطاه القليل ، أو قلل عطاءه منه .

مرْضاتى ، وتستحقوا بيب جوارى فى حياتى. فأما أوليائى ، فقد قطعوا أيام الدنيا بالصبر ، واتجهوا إلىّ بالطهارة ونالوا المنى . وأما أنتم فآثرتم طهوركم بالإثم والعدوان ، وأسلفتم الإساءة إلى أنفسكم بالمنع والحرمان ، فلهوا إليها بالمعذرة إن كانت لكم ، وهاتوا حجتكم إن كانت معكم ، وإلاّ فبعداً وسحقاً ٥ لأمثالكم .

يا هذا ! إلى هاهنا امتدّ نفَسى فيما بدأت به من إيقاظك وزجرك وتنبيهك. وقد قيل فى كلام الحكماء: إذا كان صواباً كان دواءً. وصواب ما سمعتَ غيرُ خفىٍ ، فإن هو دواء ، وأنت بك داء ، فاحمله دواءً لدائك ، عن قليلٍ ما تصير إلى شفائك. فقد مضى هذا الفصل عن ما تجده فى نفسك ، ١٠ أو عن ما تجده نفسك فيه. بقى الآن أن نتحول عنه إلى غيره ليكون لى فى القول ولك فى الاستماع طوفان فى أرجاء الحكمة ، ومثاقفة [1] فى ميدان المعرفة ، واختصاص من بروق الربوبية ، وانصراف من عوائق العبودية ، واستصحام لملائق الخصوصية . وامتطاء لطور البشرية ، وأخذ بالتحرم [2] فيما عاد بالأنس والراحة والأمن والأمنية. فنقول وتسمع ، ونصرح فنفقه ، ١٥ وقَدْنَى فتنته [3]

يا هذا ! حدِّثنى الآن عنّى ، واسمعنى منى ؛ [٢٣ ب] وإن لم حو شى حدثنى وطنى ، وأثبت لأصابى فى وثنى. فقد قامتك بوجه وقاحٍ ، وقابلتك بلسانٍ نوّاح ، ووقفت فى حال بين رجاء إذا أنست به يئست منه ، وإذا

(١) ثاقفه مثاقفه (كمعره) غالبه فغلبه فى الحذق

(٢) التمنع والاحتماء .

(٣) نفه الحديثَ (كفرح) واستفهمه فهمه .

ستوحشت منه وحنّت إليه ، وثناني نزاع ذهبت لا أدرى كيف أبرِّد غلّتي وقد حَرّت ، ولا أدرى كيف أخمد حزنى وقد التهبت ، ولا كيف أسكِّن روعى وقد توالت ، ولا كيف أمسّ كُرْبتي وقد علت ، ولا كيف أكُفُّ عبرتي وقد سالت ، ولا كيف أصرف حيرتي وقد استرسلت : فدائى من دوائى ، وعلّتى من صحبى ، وبلائى من نعيمى ، ومنّى من حينى . وهذا لأنى فرغت من ظاهر قد غُشِّى بالشرور إلى باطن قد غُشِّى بالغرور ، فلم يكن لى هنا مقنع ولا إلى ذاك مرجع . فبقيت والله بين الباب والدار ، يطلنى النسيم إذا ترقرق ، ويؤنسنى البرق إذا برق ، فأقول

أصاح ألم تحزنك ريح مريضة ❊ وبرق تلألأ بالعقيقين لامعُ

فإن غريبَ الدار مما يشوقه ❊ نسيمُ الرياح والبروق اللوامع

هذا شدو من حديث إن تَحَوّدت طرفاه لم ينسب إلى آخر العمر ، ولكن على كل حال قد ذكرنا به شجواً ، وتطلبنا منه صفواً . وإلى أن ينطق بزهر الحق ملبس الصدق فلى وبك به مُمْسَكٌ من أفانين ما نتصل به ونتعاشر عليه ، ومن ضروب ما نستغيث منه ثم نفزع إليه . وكيف نبرأ من هذه الأمراض . وقد نشأنا فى معادن البلاء ، ودعينا فى بلاد الفناء ، سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ! هذا صحيح ، لا محيص بالصبر ولا بالجزع ، ولكن بلطف من عند من كان به الجزع وله كان الصبر ، فإنه إذا بدت ذرة من عنايته أغنت [١٢٣] عن الجزع والصبر ، وطمست آثار المحنة والضر ، ورفعت من هذا النظر إلى النظر ، فاستنارت الأشياء المظلمة ، واستبانت الأمور المُبهَمة ، وتحللت العقود المُبْرَمة ، ونسلت النفوس المغرمة ، ووُجِد ما كانت الأمنية لا تسرى إليه والتحكم لا يطلع عليه ، وصار الخشن ناعماً واليابس

لدناً، والميت حياً ، والمعدوم موجوداً ، والبعيد قريباً ، والنازل صاعداً ،
والمختلف مؤتلفاً ، والكثير واحداً . والغائب شاهداً ، والصادر وارداً .
والدائمُ جامداً . والذاهب جديداً ، وتمسّت الأشياء بغتة عمياء ولكن
مفهومة ، وتلاحت الأحوال بلابس الإيضاح وبكل مكتومة . فهات الآن
أين الحبيب المعرق في هذه الأشخاص ، وأين الأمين المغرور في هذه الأوطان ،
وأين الخد المخموش على فوت ما بين هذا الحس والعيان ، وأين الكف المبسوطة
إلى هذه الأغصان ، وأين القامة المتداولة بين هذه الأعين ، وأين العلامة
المذكورة بينها اشتباه بين أهل هذا الشأن ، وأين سر هذا الحديث من علانية
من يقول كان وكان . لا أين ، ولا من يقول ولا أين اهـ

يا هذا ! هذه عبارات قوم عن هواجس قد حادها الحق بسور الاختصاص
فتهامسوا بينهم في أوقات كان لمواليهم فيها تصرف يحقّ بنداء الغيب ودمام
إنشاء الكون ، فتحققوا بها متهجرين ، وعبّروا عن حقائقها متماحرين .
وعادوا على سرائرهم مع خوف ... مستعدهم متساحرين . فإن كنت تعرفهم أو تعهم
عنهم ، فاذنْ منهم ، وتنوَّر قلبك برؤيتهم ، وغامس روحك في غديرهم ، وارتعْ
في روضتهم ، واستنشق بذكاء حبيبهم ، وتعلق بغصن عطفهم ، وتعزّز بذكر
أحبائهم ، واصبح طاهراً وامسك نصمته [٢٣ ب] وإلا فالحذرَ الحذر ، فإنك
إن دنوت من ديارهم جاهلاً بأسرارهم احترقت احتراقاً تعود عنه بعداً . اللهم لولا
إخوانك عنا في وصفك ، ولولا ... علينا في ذكرك ، ولولا رغبتنا في الدعاء
إليك ، لكنا ساكتين ، لأنا نصفك صفة العارفين ، ونعبدك عبادة الجاهلين .
ونذكرك ذكر الحاضرين ، ونسألك نسيان الغائبين . وندعو إليك دعاء المتحيرين ،
ونستجيب لك استجابة المفتونين . فسألتك بفضلك ورحمتك أن تسمح لي
وتسامحني حتى ننتهي إلى رضوانك وإلى غفرانك . فإنا لا ننال رضوانك

إلا بتقرابك ، ولا نملك غفرانك إلا برضوانك . يا أجود من دُعي وأكرم
مَنْ أجاب ، يا أول ، يا آخر ، يا ظاهر ، يا باطن ، يا غائب ، يا حاضر ، يا جابر ،
يا كاسر ، يا شاكر ، يا عادي ، يا هادي ، يا ناصر ، يا قوي ، يا قادر ، يا وارد ،
يا صادر ! نسألك أن تفيض صيبك وسرائب لطفك ، حتى نجول في كنف سكينتك ،
متصرّفين بأدبك ، حاذين بجلالك ، قائمين بطاعتك ، حائدين عن مسخطك ،   ٥
متطلبين لمراضيك ، موحّدين لك ، عارفين بك ، قارّين معك ، قانتين لك ،
متوجهين نحوك ، نازلين في حظّك ، جانين من ثمار كلامك ، واجدين غيب
ربوبيتك . اللهمّ إنك أنت مفجّر عيون الغيوب ، وأنت المطّلع لما في القلوب ،
وأنت الواهب ما تَشِحّ به النفوس ، وأنت القابل لابن المحسوس ، وأنت
القائد إلى المحل المأنوس . فسعدت إلا أوردتنا ، ونعمت إلا أعززتنا . إلهنا !   ١٠
إنا نقول ما نقول عن عِيّ وحَصَر ، ونتناول ما نتناول عن قدرة وقِصَر ،
ونطلب ما نطلب من حاجة وفقر ، ونحمل ما نحمل على قدر الوسع والطاقة .
فاجبُرْ كل نقيصة لنا ، وارفع كلّ خسيسة منا ، وأيّدنا منصورين ، وانصرنا
مؤيدين ، وعلّمنا اسمك الأعظم [١٢٤] حتى ندعوك به مخلصين ، ونتقرب
إليك به مُقدّسين . ومهما فعلتَ بنا فلا تفضحنا على رؤوس الأشهاد ،   ١٥
ولا تزعجنا عن وثير المهاد ، ولا تُنسنا مواقف المعاد ، يا ذا الجلال والإكرام
إنك رؤوف بالعباد

رسالة (ح)

اللهم ! كثُر غلطنا فيك ، وهان لفظنا عليك ، واشتد الضعف بنا ،
وبادى منادى الفرقة بنا ، وذلّ دليل الحنك على فصحنا ، وامتدت حيرتنا   ٢٠
فينا ، وترادفت حسراتنا ، وارتد نظرنا إلينا ، وتمت ساعة وثنا ، ووجد

السبيل محوة حامدا ، وأصبحنا بين حلقات ملحوظين ، وبالتفث والشأن موطوبين (١) ، وبالقسوة والعدوان مقروفين (٢) ، بالكدر والإحن . اللهم فخذ علينا منك ما يذهب عن حرمتنا منهم ، وميزنا بلطيف لطفك عنهم ، وعززنا بعزيز عزك حتى لانرى عن العز بدير عزك ، وعد همنا إليك ، واصرف همتنا عن لديك . وهل ممّا في الآخر نظير ما بدأت به في الأول ، إنك الحميد الكريم ذو الفضل العظيم

يا هذا ! إني أرى ما ترى ، هل ترى ما أرى ؟ أم أنت من هذا الورى عديم الشرى ولا تحمد صبح السرى ؟ أرى هذه أنوار الحق عينها ساطعة ، وأحجار الخلق عنها قاطعة ، وذلك أنها تضحى مصدوقة بلسان التزويق ، وتمشي مكذوبة بلسان التحقيق ، غرق في الهم كالريح ، وتقف حرونا (٣) في مسالك التلويح ، متوضعة لعلامات التصريح ، أو أمارات التلويح ومن أعجب نعتها ، في كل مكانها ووقتها ، أنها تتحرك على ضدها ، وترى الزيادة في نقصها . إن صلت فعلت سرفا ، وإن زكت زكت صلفا ؛ إن نطقت نطقت تمويها [٢٤ ب] ، وإن سكنت سكنت بها ؛ إن أمنت أمنت اعترارا ، وإن خافت خافت اعتذارا ، وإن أنفت أنفت اقتدارا ، وإن أحدثت أحدثت اضطرارا ، إن أمنت ألفت إغلالا (٤) ، وإن مُلّت ملت استلالا ، إن طمعت طمعت مصادمة ، وإن تست تسلم قائمة ثم إنها

(١) يقال رجل موطوب أي تداولت النوائب ماله ؛ ووطب عليه داومه ورمه

(٢) قرفه بكذا : اتهمه به

(٣) الدابة الحرون هي التي إذا استدر جريها وقفت

(٤) أي خيانة ، من أغل إغلالا : خان .

لا تجد مصحوبها مع اختلاف صوته إلا عدة لها وبالاً عليه وأخذاً فيها هذا طرَفٌ من شأنها . فأما ما يتصل منها ويعصل عنها ويتصل به ويصل إليها فهو بدل عن خمس الطرف ، فضلاً عن تصوير ذلك بحرف بعد حرف ؛ عين ترود للقلب . وقد يحتوى محكاة الكرب ، وشوق يوهن أركان الجسد ، وبه يبيح الحاسد من الحسد ، ويبعث النفثات في العقد ؛ ونفس ولا طروق الخيال سواجيها لكانت تزهق ، وروحٌ لولا إلمام الملى بحواشيه لكانت تُزهق ، وحال لولا تكفل المولى بنظمها لكانت تمحق ، وحُشاشة لولا صنع اللطيف بها لكانت تحترق . ها أنا قد سحتُ في لجة الأفكار ، وصرت منها إلى نوع من القلق

أضمرتُ نفسىَ فى نفسى كما انطبقت
أجفانُ عينى على الأشفار والحدق
إن رمتُ إدراكه عزّتْ موارده
وإن تصنّعتُ خلاصاً منه لم أطق
أحسنتُ النفس أن الغرب يؤنسنى
وإن وصلتُ إليه هِمتُ من قلق
لا تحسبن فإن قد ذهبْتْ[1] كما
يذهبْ سواد الدجى من شقرة الشفق

اسمع حديثى ، وخذ من طنّى وحيثى أشهدتنى الأكوان مزخرفة بأخبار وأعيان ، فتسلى من بها تشوقا ، ثم حلحلنى[2] عنها توقيفاً ، ثم لم ألبث

(١) ذهب تكبّر .
(٢) حلحله عن موضعه : أزاله عنه .

إلا هُبّة حتى أدحض فيها وأدرحى معه . فقد تَسَبْسَبْتُ(1) هناك قليلا فقصرت
قصراً [١٢٥ ا] كليلا ، وجرّرت حبلا طويلا ، فرأيت هنالك خَلْقاً يعشق
حلقاً ، وخَلْقاً يقتضي حقاً . فطلبت رِفْقاً فلم أجد رَفْقاً ، ثم سددت به
تهاويله وأفاعيله نمطاً من إضافة الملك ، وحيفة من موائمة الحُبّ . فسلّط على
٥ ألسنة مُقَرِّعَة بالتقصير ، وظهر لي هولاً مُرَوِّعَة بالتكبير ، حتى كأني
سَمَوْتُ عن الكون سُمُوّاً ، وسموت عليه سمواً فما أحد يلحق بي هذا
الوقت ، ومنعني من أن أصف أو أكشف ، فظلت لائذاً بالاستتار عما دهاني
به الاستتار . فلما رأى كذلك حبسني في حبسي ، ودفنني في رمسي ، وسدى
روحي وأنسي ، وغيّب عني قمري وشمسي . وحسم حظّي من عدي وأمسي
١٠ فقلت : بلسان العلم . ومولي العلم ، أصادق في عشقك أنا ؟ فقال : بل معاقب
أنا في صدقك في عشقك . فقلت : سيدي ! فهل وراء الصدق غاية ، أو هل
فوق العشق نهاية ؟ فقال : نعم ، غيبتك عن صدقك برؤية صديقك ،
وغروبك عن عشقك باستيلاء عشيقك . فعندها صرخت مستغيثاً وقلت
فما حيلة من إن أدنيته أنأيته ، وإن أصحبته خلّيته ، وإن قرّبته جلّيته ،
١٥ وإن واريته أريته ، وإن سكّنته هيّجته ، وإن قيّدته أمرجته(2) ، وإن آويته
أزعجته ، وإن أردته أدرجته ، وإن وقّته استدرجته ، وإن أرويته أعطشته .
وإن تراءيت له أدهشته ، وإن أوحشته حيّيته ، وإن أظمأته غيّبته ،
وإن استدعيته سبيته ، وإن حركته ونّيته ، وإن سترته كشفته ، وإن أمّنته
خوّفته ، وإن حرمته أسمعته ، وإن سكّنته شمته ، وإن أنعمته أبليته .

(١) تسبسب الماء : جرى وسال .
(٢) أمرج الدابة : تركها تذهب حيث شاءت

وإن أتعبته شرّفته . وكل الذى ملك به عجب ، وكل الذى بى ملك شجب ،
ولا غير له فما هذا الحجر ، وليس غيره فهل من أثر ؟

يا هذا الرق حجبتك بالحق كما زين [illegible] بالحق ، ولا تجهل [٢٥ ب]
صيرّف ما بين الرتبتين ، فإن إحداهما ظل الأخرى . والشخص أشرف من الظل
لأن الظل تابع له ومنبثّ عنه . والظل لا يكون إلا بشخص . وقد يكون
الشخص ولا ظلّ

أدرك الإشارة المدونة فى العبارة ، والإيحاء الذى فى الإيماء ، والإيماء
الذى فى الإنباء ، والإنباء الذى فى الإغراء ، والإغراء الذى فى الإسراء ،
والإسراء الذى فى الإبداء ، والإبداء الذى فى الإيراء ، والإيراء الذى
فى الإشفاء ، والإشفاء الذى فى الإبعاد ، والإبعاد الذى فى الإلقاء .

أما الإشارة المدونة بالعبارة ، فهى التى تحدث العبارة عنها لأنها
استصحبت تركيب الحروف ، ولطفت الإشارة عنها لأنها نزهت عما يتحكم
فى الأسماء والأعيان والظروف . وأما الإيحاء الذى فى الإيماء فسرٌّ حُرِّم
إعلانُه فى الثانى لما وجب كتمانه فى الأول . وأما الإيماء الذى فى الإنباء
فلشاهدة بدت فى عرضة من الخلق . وأما الإنباء الذى فى الإغراء فلا يرقى
حتى تكون منارًا للخلق . وأما الإغراء الذى فى الإسراء فصحو ما دون
الأول توحيدًا للأول . وأما الإسراء الذى فى الإبداء فليدلّ السبيل
سالكيه إلى المحل الأعلى . وأما الإبداء الذى فى الإيراء فليصحّ الوقوع
على المراد بلا حاجز يؤدى ولا ظن يتعدى . وأما الإيراء الذى فى الإشفاء
فليعتدل المتقابل من أجله(١) الذى همت الدموع بالعرق(٢) والتهبت الضلوع

(١) كذا ولعل فيه تقديمًا وتأخيرًا أصله : المتقابل الذى من أجله همت .
(٢) كذا ، ولعل أصله : العُرَق جمع عُرْقة ، مثل الشُربة من اللبن .

بالحرق . وأما الإشفاء الذى فى الإيفاء فهو من باب اللطيفة التى طال فى الفحص عن حقيقتها الخوضُ ، وقصر من أخذ الإيصال على معرفتها الروض . وأما الإيفاء الذى فى الإلغاء فنفحة التى حدث بسببها المطر وغدم على ذلك كل ورد وصدر . هذه حُونةٌ لا يفتحها — عافاك الله — هؤلاء المطاردون ، أعنى الذين تعرّفهم يتشكون ، ويدقون ويسحبون ، ويزفون ويركبون ، ويمرحون ويخبطون ويغلطون . هذه حُوْنة [٢] لا يملكها إلا العارفون ، ولا يتطيب منها إلا الواحدون [١٢٦ ا] ، ولا يظفر بها إلا الواصلون ، ولا يتحرر منها إلا الفرّ المحقون ، ولا يعبق بريحها إلا الأفراد الموحّدون — وَحّدوا فوحدوا ، وتوحّدوا فاتحدوا ! اهـ

يا هذا ! أين نحن ؟ حدثنا فما فقد طحا — ما هذا ؟ وليس لنا من هذا الديوان إلا الحديث ، ولا من هذه الحونة إلا الخبر ؟ فكيف بنا لو عاينا هذا الخبر ، وشاهدنا هذا المطر ، وقطعنا هذا البخير ، وطرنا بهذا الحجر ! الله أكبر ! الله أكبر ! من أحب أفلس . ومن أفلس توسوس ؛ هذا سرورنا ، من شاء يلومنا . هذا عداؤنا وعشاؤنا ، فليكف حُسّادنا وشُناؤنا [٣] اهـ

يا هذا ! حلَّ حبيك لرام   وامضِ عنه بسلام
مُتْ فداء الصمت خيرٌ   لك من هذا الكلام

أتدرى بأى شىء أولعت ؟ أنعم عن أخبرت ؟ أتشعر بمن عرفت ؟ ألك خبر عمن هو أولك وآخرك ، وغائبك وحاضرك ، ومطلعك [٤] ، ومعرفتك وحاملك ،

(١) النَّبث : ريح كريهة من عرق ، والفعل منهك من باب فرح .
(٢) الحونة بالضم : سُفيّة مفتّاة أدمًا تكون مع العطارين .
(٣) جمع شانئ .
(٤) كذا ولعل هنا نقصاً .

وصدرك ونافعك ، ومُقرِّبك ومُبعدك ، ومصوبك ومصعدك ، وفاتقك وراتقك[1] ،
وظاهرك وباطنك ، وخفيك وعالنك ؟ بل هو لك خير عنْ كأنه أنت وليس بك ،
وكأنك هو ولست به ؟ بل فيك منه ، وعليك عنه ، أعني كأنه أنت
بما دعاك واجتباك ، وحطك وناجاك ، ووفاك حقك واصطفاك ؛ وليس بك ،
لأنك مع الغنى محتاج ، ومع الاعتدال معاج[2] ؛ — وكأنك هو لأنك متطاول ٥
إلى نعوته ، وشديد الشوق لمشافهته بأقسام المعارف ، والصبر على المخاوف ،
والتعرض للمتالف ؛ — ولستَ به لأنك مع هذا الجهد المبذول ترجع إلى حد
مردود ، وتتميز لشكل ليس له قبول . بل فيك منه ، لأنه لولا منائحه[3] فيك
ما عرفته ، ولولا أنك عرفته ما وصفته ، ولولا أنك وصفته ما اشتقت
إليه [٢٦ ب] ، ولولا أنك اشتقت إليه ما تهالكت عليه في الخلق ، لولا ١٠
أثره فيك ما تميزت نفسك عن سواه ، ولا دوّنت كلمتك في هواه . وهكذا
عنك عنه لأن الآثار فيك بينة ، والأخبار عنك متظاهرة ؛ أعني بالآثار
ما أنت به حق ، وأعني بالأخبار ما أنت به رب . فالحظ الآنَ هذه الأسرارَ
بعين لم تخلق من لحم ، ولا رُكّبت من شحم ، ولا حملت على طبقات ، بل بعين
إلا أن هذه بالإطلاق في حالَيْ النفي والإملاق هي العين التي سحرت العيون ، ١٥
هي العين التي تصدت من نحاها العيون ، هي العين التي بها جرت العيون ،
هي العين التي لها دمعت العيون ، هي العين التي اغرورقت عند ذكرها العيون ،
هي العين التي فاضت منها العيون ، هي العين التي انتهت إليها العيون ،

(١) ص : فاتقك وأرتقك .
(٢) أي مُعْوَجّ .
(٣) جمع مَنِيحَة : أي نعمٌ وهبات

هي العين التي ليس لها حَق ولا أشفار، ولا حجب ولا طرف ولا اختلاج ،
هي العين التي غضّت لها الأعين حياء ، ثم حدّقت العيون نحوها استحلاء

يا هذا ! كم تعذبني وتؤذيني ، وتحجبني عن مصالح شؤوني ، بشرح شوقي وتوقي ! والله ما تحل لك . ليس هذا من حق الصحبة ، ولا من ذمام العشرة ، ولا من حسن العهد في الصداقة . أنت تحكي لي ، ولا أتقي لك ما هذه اللهجة الشديدة ، وهذه الحرقة اللاذعة ، وهذه الغلظة المستعملة ، وهذه القسوة المتكلفة . أرسل حاقي [1] واطلب مني ما أمكن . ولا تَشُقَّ على فلست من حجر ولا من حديد . «كم تحملني من عشق وحب» تستطيلني في المعرفة ، وتحولني إلى التوحيد ، وتحدثني في البيان ، ولا تقادني بالرفق . وتجري كأنك جواد ، وتقف كأنك كودن [2] ، وتقوم كأنك حر ، ثم تحجر كأنك عبد ، وتمد باعك إلى ما يقصر عنه ، وترمي بوهمك إلى ما يفرق منه .

ما هذا بالرأي السديد ولا بالهدى الرشيد ، ولا بالحزم الجميل ، ولا بالعزم المهيد . سل — هداك الله — عن آفات الأعمال ، وعن وساوس الضمير ، وعن فساد الجوارح . أنسي الإنسان عند الطلاق لفظ ، واللحظ عند [٢٧ ا] تسريح لحظ . ومنشأ كل ذلك من حلية غير لائقة بالعبد ، ومكافأة غير مستحقة من ضعف ، ومن زهدة في غير حينها أو في غير مكانها ، أو من أنس قد ساء ، ولا بدّ من الانحراف عنه والرياضة دونه عن نية الناشئ في العادة ، وعن حال راتب في تحقيق الزهادة ، وسل عَرَض في طلب الزيادة

(١) كذا ولعلها : حسابي
(٢) الكودن والكودني : البغل والبرذون .

وما المعارف والأدبيات وما هو في حوزتنا ويجري في حلبتنا يجل أن نتكابر في
عليها، ولا أن تحدثني بإليه؛ ولا يحق لي أيضاً أن أعقد بيني وبينك حشراً
من الحياء، فيمر بي سببه من وقاحة لا يليق بنا في السؤال والجواب لِمَ لا نقول
في أنفسنا فنقوّم منها ما فسد أبداً من هذه الأخلاق الفاسدة، ونعدد من الخبيثة؛
حتى إذا تقضّت من الذنوب، واستضاءت النفوس، وتنبهنا بأنفاسنا، واختلطنا
[illegible]، حينئذ نروم من هذا الحديث [illegible] حرف في صريعة أهل الأدب
حس، [illegible] ذوي الحكم [illegible]؟ اللهم قيّض لنا منك ما يقفنا على صراطك
المستقيم، ويؤنسنا من [illegible] في سواء [illegible] إنك يا قديم، يا حليم، يا كريم،
يا ذا الجلال والإكرام.

رسالة (ط)

اللهم أروح صدورنا بنسيم ودّك، وعمّر أرجاء قلوبنا بنوافح من رحمتك،
وأذقنا حلاوة برّك، وملّكنا مقاليد ملكك، وخذ علينا بك، وحلّ بيننا
وبينك، وحقّق أسرارنا بيك، واحصص أنفسنا عن غيرك، وأسلفنا كرامتك،
وسهّل مقادتنا في الإيجاب لك والاستجابة لك والصبر معك. واجعل أرواحنا
معارض معرفتك ومُلتقى قواطف وصفك [٢٧ ب] ومسلك في قدرتك وحكمتك،
وإذا عطشنا فروِّنا، وإذا ضعفنا فقوِّنا، وإذا استوحشنا فسوّنا، وإذا ضجرنا
فروّنا، وإذا اعتللنا فداونا، وإذا كمدنا فصفّنا، وإذا دنسنا [اسنا شا] [1]
فعمّنا، وإذا عمينا فاستصلحنا، وإذا أسكرتك عرفنا، وإذا جهلناك
عرّفنا، وإذا تعسّرنا عليك فسهّلنا، وإذا أمرتنا فأعنّا، وإذا بنّا منك

[1] كذا، ويلوح أنه خطأ مضروب عليه

فصلك منك ، وإذا التوينا عليك فقوما لك . أيها الصحب المؤثر للطائف البر ، الكاتم لغوامض السر ، الحافظ لأعيان الغيب ، الطاهر من أدران الريب ، الشاكر على اليسير من النعمة ، الراعى سبيل من الحرمة ، المتمكن فى درجات المعارف ، المحترز من سكرات المتالف ، متى اهتاج تصرفك لطلب حياة نفسك ، وانشرح صدرك فى تعرف كمالك وفضلك ، وانجاب عنك غباوتك ، وبعث لروحك منك غايتك ، وحن فؤادك إلى الفحص عنك بما يجلو يقينك ، ويجمع لك شملك ، ويحرس عليك سمتك ، ويوجدك لك ، ويصفيك منك ، ويبوئك لمن هو أولى بتصريفك ، وأملك بتصريفك ، وأعلم بتصرفك ومتصرفك ، فأنل ذلك كله بالقبول . واستعن عليه بالصبر . وصل الصبر بالاستسلام ، وامزج الاستسلام بالتوكل ، وحن التوكل بالمحبة . وثبت المحبة بالصدق ، وخل فى أثناء الصدق بالإخلاص ، وامح فى الإخلاص بالوجد ، وجد فى الوجد بالموجود ، فهناك مكانك ومباءتك [1] ، وهناك سرادقك وظلالك ، وذكرانك وعرفانك ، وولايتك وسلطانك ، وحجتك وبرهانك ، وهناك أنت سلالة المعرفة ، ومصاص [2] التوحيد ، وصفو الحق ، [١٢٨] وعين اليقين وكنه السكينة ، فلعلك إذا شخصت عنك بانسلاخك ، وانسلخت منك بشخوصك ، وبانت منك بينونة ، وباينت مباينة . وكنت فيما كنت غير كائن تصلح لمنادمة من هو أولك وآخرك ، وتؤهل لمواصلة من هو وليك وناصرك .

هذا ذرو من النجوى فى هدايتك وإرشادك ، ونبذ من الشورى بجدية السبيل إلى استقامتك وسدادك ، فإن هششت لها روحك وثاب إليها عقلك ،

---

(١) المباءة : المباءة ، المنزل .

(٢) المصاص (بضم الميم) : خالص كل شىء .

وثبت عندها سرك ، وانحسم عنها اعتراضك ، وانجلى دونها امتعاضك ، وتردد منه ازدياداً ، لا تفتر قواك عن التسول ، ولا تحل عُراك عن القيام بالفروع والأصول ، ومتى ضعفت — في مطاوي حالك ومناشرها ، وفي مناشر شؤونك ومدشرها — عاملة الحق ولا تخيل به ، ومتى أحسست في مُفترق حالك ومجتمعها ، وفي مقتضى مبدأك ومرتقاه بناحس الحس فلا تنخ عليه ، ومتى أوجست في مستندك ومعتمدك ، وفي مذهبك ومسالكك خيفة من تسويل نفس وتزيين هوى فلا تفرق منه ولا تتحدث إليه ، بل تمثل كلمة أخرى ، فبها صحتك وسلامتك ، وبها غبطتك وسعادتك — أصف من كدر النفس العائبة لك عن معالي القدس اللائقة بك ، فإن في صيانتك اتصال صلتك ، وفي كدرك دوام قتلك ؛ ولا تركب بحر البحث فتغرق ، ولا تغص على عمقه فتتوى(١) . إن تحيرت فلا تستعف استعفاء المتحوص ، وإن مرضت فلا تستشف استشفاء المترفين ، وإن ملأت فلا تستكف(٢) استكفاء المتعيّفين(٣) .

يا هذا ! إن كنت تسمع ما يسمع قائله واستشعر به [٢٨ ب] وقر عليه بالحق ، وكنه بالصدق ولا تجد أمام ذلك قديم إحسانه إليك وغريب امتنانه عليك ، وغمر أياديه بك ، وسوابق مواهبه عندك . كيف أظهرك بقدرته السامية ، وكيف غذاك في نعمه السابغة ، وكيف نحلك من صنعته الرائعة ، وكيف دلك على معرفته البارعة ، وكيف قربك من حقيقته الشامخة ، وكيف آمنك من سطوته القارعة ؟ يحوشك بهذه الأعاجيب إلى نفسه حوشاً بعد حوش .

(١) توى توىً (كرضى) : هلك

(٢) استكف الشيء : استوضحه بأن يضع يده على حاجبه كمن يستظل من الشمس .

(٣) المتعيّف : الذي يتكهن عن طريق الطير

ويسوقك بهذه الأساليب إلى أنسه نوشاً بعد نوش. كل ذلك لتعرف حظك ولفضك، وتُحْرِز نصيبك، وتستدرج إلى ما لك، وتنسى شينك، وتتقي زينك، وتدخر ما يأخذ بيدك ويحسن بصمدك(١)، ويرفع من طرفك، ويُعلي من كعبك، ويمحو(٢) لعبك؛ ولتكون مستضيئاً بمصباح دينك، متدبراً(٣) متجلبباً بجلباب عبادتك، متسربلاً بسربال زهادتك وأنت على عادتك في الفتور والنفور، مؤثراً لخائض الظلمات على النور. لم ذلك، ولم ذاك، وفيم ذلك، وعلام ذاك؟ أما أراح علتك؟ أما وفّر طاقتك؟ أما نهج سبيلك؟ أما وضّح دليلك؟ أما رفق بك؟ أما أخذ بيدك؟ أما أنعم إليك؟ أما أحسن إليك؟ أما حدثك في وحدتك؟ أما ناجاك في سرك؟ أما سكّن حزنك؟ أما قبل برّك؟ أما قسم إسعافك؟ أما عظّم بعدك؟ أما فدى عيبك؟ أما مدّ لولك؟ أما آثر نجاتك؟ أما قسم بيوتك؟ أما عمر وليّك؟ أما خذل عدوك؟ بلى، ولكن الإنسان لربه لكنود(٤)، ولآياته شهيد، ولنعمه جحود

أين المستوحش، وأين المتأنس؟ أسمعت من قال: أين قُطّاب ثمر الغنى؟ وأين هو حيث تفرّس أشجار الهوى فتدلى فتى [١٢٩] تقضى ذمام الصحبة؟ فقيل له: ...ذا سكن في مسكن الغربة، ويجرع الكربة بعد الكربة يا هذا، لا تكذبن، ولا تخدعن ولا تقمرن(٥) ولا تسحرن. فالحديث ذو شجون، والعين مخمصة النفس، والأمر في الجملة مظنون، والإنسان فيما بينهما مغبون

(١) الصمد: القصد.

(٢) ص: يمحوا.

(٣) كذا، ولعل هنا نقصاً.

(٤) كفور بنعمة ربه.

(٥) قمر الرجل (من باب علم): تحير بصره من الثلج؛ أرق في القمر

معتون . ولكن على كل حال . كلخ الدهر خير من نعض البطن ، وتقلب اللسان أخف من حقد لعف ، وجرة يشب خير من موت بيتي ، وقليل يسعد خير من كثير [1] يقسنه ، ومنزه بعلم أشفق من مرشد بجهل ، ونفاق يبقيا أجدى من تحاليج [2] باستئصال ، وقاسٍ له أرحم من متجن لغير ذنب ، وشاهد تعريف أبلغ من غائب مسموع ، وحديث اليوم أصح من عتيق بخبر ... كلامى بعد ثقة أصرت بى ، وبقية سمت حى ، وحالى سامحت وتحاكيك وتشاكيك وتباكيك . وصل الجد بالمزح ، ومزج العقب بالمرح ، وخلط العبث بالصحيح ، ليكون أغرب فى عرف المعرة ، وأذهب لمحاضب الفكرة

يا هذا ! إن سهر طرفك فاحمله يراعى محاسن وجهه ، وإن رقد حمست فليلهو بطيف خياله ، وإن ألح فوادك فيستمتع بالطرفة إليه ، وإن تولى حظك فليتفضل بشهاب قبس منه ، وإن اعوج لسانك فيرحم حاجته معه ، وإن اشتق شكرك فليملأ مضاعف يده عملك ، وإن خرج صدرك وذنبه ريحته بيك ، وإن اردت حاجتك ونويت حصوصية أنه ملك دين دائبس ، فالحق أمضى من أن يستراب فى هذا ، واستيقن أنه هو الخصم والحكم ، وقوله الفصل والحكم ، وأنه مت أحدثه مت ، ولك شوقت امت ويت ضر ، وعدت استمر ، والطور والاستمر ٢٩ ب | صدقت ، ويست فى حالة غيره ،

(١) التسنه . الكرج ، يقع فى الخبز والشراب ، وطعام سنه ثت عليه السنون . وخبز متسنه . متكرج ، وكرج الخبز كفرح . واكرج وكرّج وتكرج : فسد وعلته خضرة .

(٢) التحليج : التصميم والإقدام

(٣) وفق الرجل . سكنه ؛ وفق بينهم . صلح ؛ ووفق : حنق وامتشط وده وأدنى وحابى ودارى

لكن ليس هو في التصحيح إياك. فإن خبّرت عن الاسم بالاصطلاح كان ضلالاً منك، وإن خبّرت عن المعنى بالمعقول كان وبالاً عليك، وإن خبّرت عن المعنى والاسم كان محالاً لا عقداً، وإن قلت المعنى أصل فالاسم فرع عليه، وإن قلت: الاسمُ أصل فالمعنى غير مشار إليه، وإن قلت المعنى والاسمُ أصلان فأيهما يعول عليه، وإن قلت: الاسم والمعنى فرعان، فأين الأصل الذي تقف لديه هيهات أن يكون مخبراً عنه بلسان، أو مبصراً بعين، أو محوياً بنفس، أو ملوياً بقلب، أو موهوماً بحدس، أو مهموساً بهمس، أو ملموساً بلمس، أو محسوساً بحس، أو معقولاً بعقل، أو موجوداً بعين، أو محدوداً بمكان، أو موسوماً بزمان، أو محرّكاً بنعت، أو مُعرَّفاً بوقت، أو متعرفاً بنعت، حشو السوى مع التحصيل المحض، ونهاية الإنسية مع التخييل البحت، والحق من وراء ذلك على التحصيل الصرف

أيها السامع! هذا ديوانٌ ما انفضّ ختمه منذ ختم، هذا بابٌ ما قُرع منذ خُلق وأُبهم؛ هذا مقال ما استنبط علمه مذ كُتم.

يا هذا! أنّى وجدت من هذا التنميق والتزويق وطراً فاقضه، وإن فاتك فسلّم لأهله ولا تُقِمه، لأن المعترض على الحق متعرض لخزي الحق، فكيف المعترض على الحق! والمستزيد من الناس ممقوت، فكيف المستزيد من إله الناس! جُهْدُ المُقِلّ في هذا الشأن كثير، وإفضال المغترّ فيه حقير، وزخرف القول فيه غرور، وتحبير اللفظ فيه تحيير، وهتك الستر فيه افتضاح، وكتمان الحال فيه إيضاح. مفاد القول فيه سهل، مرادُ القائل فيه صعب، الرجاء فيه ممدود [١٣٠ أ]، والحق به مقصود، التلبيس فيه تدليس، التحريش فيه تهويش؛ الخُلف فيه إنجاز، الذلُّ فيه إعزاز، الدَّرك فيه فوات، الموت فيه حياة؛ الزمان فيه بالحق ممتد بلا زمان، والخالق فيه عن الحق مرتدٌّ بلا بيان؛

السلامة فيه نسيئة، فكيف الغيبة؟ فيه [...] ربوبية، فكيف الربوبية؟ العجز
فيه كل، فكيف الكل؟(١) وه: التبس الجهر بالكتمان، وامتزج الخبر
بالعيان، واشتبه معدوم بموجود. واختلطت الكرامة بالهوان، وسبق الفقدان
بالوجدان، وعز اليقين في البيان، وحل البيان، واستقر الشأن في الشأن
من الشأن. فلا حقيقة إلا وهو عاطل بعد التحلي، ولا حق إلا وهو باطل بعد
التجلي، ولا عز إلا وهو ضيم بعد التولي، ولا قلب إلا وهو عاشق بعد التقلي
بحكم لا مردّ له، وسلطان لا قبل به، وقضاء لا متنفَّس فيه، ورقّ لا عتق معه،
وأسر لا فكاك منه، ومقت لا عُتبى(٢) بعده، وكرب لا نفس عنده.
فما أقول وما أصنع إن كان لسان التشكي محصوراً، وزمن التهادي مقصوراً؟!
فهلمّ حتى نتشاكى ونتشكى. لعلنا نُبرِّد غليلاً أو نشفي عليلاً أو نجد
إليه سبيلاً. فقد صرنا إلى حد الغلط، منذ استمرّ بنا كيدُ الزمان واستتبّ،
وانتهينا إلى حريم اليأس وعرصة الموت، لا يُجاد لنا بمراد، ولا يُغضّ عائبنا
طرف، حتى كأنّ المدى كله لنا، وحتى كأنا شقينا بنا وحُرمنا ما أوتيه لنا
عن [...] ها أنا أصرخ وأقول: يا كيد الزمن. ويا نكد الأيام، غوثاً على رسم
حسي خدا خطتكما منه نفسي ورشحي، فما لكما في ساحة هواي له مُتّكأ
ولا مرتع. ولا لكما في حرّ عقد جُثي له مأمون [٣٠ ب] ولا مطمع. فما بذاتي
وجداني وحرماني، فما لكما مني إلا ما تريان، ولا لكما عندي إلا ما تسمعان
من نسيم روح الاحتياج. انصرف موذّماً منطبق لدى لشكوى ساعد مغرماً

(١) كذا، وواضح أن هنا نقصاً
(٢) العتبى: الرضا.

إن شئت أو مَطْلاً . يا حلاوة النجوى أُحرمى ! يا نوازع القلب اسمى !
يا نيران الصدر توقّدى ! يا مصابيح الهوى تَهَدَّى ! يا سانحة المنى تباعدى ! يا مقادير
الدهر ترافدى ! يا حلاوة الهوى أَمِرّى ! يا دولتى التى خونتنى انصرفى عنى وقرّى !
يا مناهل العيش تكدّرى ! يا معروف الحبيب تنكّرى ! يا حسرات القلب تحرّق
يا أستار الصبر تهتّكى ! يا معالم الأنس بيدى ! يا عُقَب الهوى زيدى
ثم زيدى ! يا مصائب الدنيا اقصدينى وانزلى بى ! يا عجائب الدهر والأيام
تعجّبى منى ! أترى يُرْتَدّ غليلاً طالما عهدته يغلى ؟ أترى دَيْناً طال
ما يُقضى به مَطْلى [1] ؟ أترى بلغتُ غاية نزعتُ إليها بجَوْرى وعدلى ؟ أترى
تخلصتُ من معدن صافٍ على نقصى وكَلّى ؟ أترى وصلتُ إلى من أفنيتُ له
عمرى فى حِلّى وترحالى ؟ أترى أنشق غايل من أفنيتُ له فيه عِزّى وذلّى ؟
والله المستعانُ أخشى . — والله ما لى من هذا القول إلا عدوه . وما لى من هذا
المعنى إلا هدوه ، وما لى من هذا المد والجزر إلا غُثاؤه [2] . أستغفر الله من زلة
أبكتنى دماً ، ومشتبه عثرةٍ أوردتنى صمماً ، وأستغفره لعثرة قضتنى ندماً
أو سَدَماً . اللهم اكفنا مُؤْنة قولٍ لا نُراد به ، وعناء معنى لا تصح فيه ،
وغِبّ أمرٍ لا نكون عنده . اللهم اصرف عنا الشيطان وتعويله [3] ، والهوى
وتسويله ، والباطل وتعاليله ، وأرنا سمت الحق لنتوخاه بتوفيقك ولطفك اللذين
هما تمام كل شىء ، وبهجة كل شىء .

(١) مَطْلُ الدَّيْن : التسويف به ، كالامتطال والمطال والمماطلة .
(٢) الغُثاء : الزَّبَد .
(٣) أى التعويل عليه والاعتماد .

[١٣٩] رسالة (ى)

يا إنسانَ الوقت ، وواحد هذا الورى ، وعين الزمان ! اسمع حديثي عن شوقٍ
إليك لاهبٍ ، ووَجْدٍ به غالبٍ ، وعينٍ تحوك رنية ، ونفسٍ في بدنٍ عانية ،
وكلٍّ عندك رهين ، وبعضٍ دونه إسعادك له مُهين ، ونحنٍ إذا سُعِّر كاسد ،
ودقٍّ إذا فُتِّش فاسد ، وحالٍ إن قام خطيبها لشرحها فُضِح وافتضح ، ووديعةٍ
إن طلبها صاحبها جُرِح واجترح ، ورأيٍ كلما صُفِّي كَدِر ، وكلما غُرِف نَكِر ،
ونمرٍ في الجنة لا يبادى وليه ، وسرٍّ في التحصيل لا تنتهي حدوده . ومما قد زاد
في بلواي(١) هذا الخطاب وحاجتي إلى هذا الكتاب في غلط من عودك
إلى معهودي منك ، مرحومٌ في حالتي التي ملك زمني فيها لك ، طامع
في أريحيةٍ تحرّكك ، وغفوةٍ تعقب راقدَ نشاطك ، وتطلّعٍ في شمس رحمتك ،
وتجلّي(٢) على كرب الفتنة بك . وما استمعت على هذه الأمور التي كتبت عنه
لنيّةٍ تغيّرت مني فيك ، ولا لسببٍ اقتضى ذلك لتقصيرك ، ولكن لأنك
معلًّى عن مجلى الغابط ، ومصونٌ عن افتتات من بعدك ، ومرادٌ بالخصوصية
التي هي غاية آمال الخلق . فهذه من أسبابك ما أعطاك ، وبذلك من سماك
من شُغْلك ، وأعدك من شيءٍ تحمّل النهار ليلاً ، وتقلب السرور ويلاً ، وتحيل
القطر سيلاً ؛ وطرّح في قدك رقةً على من يحدثك من بعيد ولا تلحظه ،
ويناجيك من قريب فلا تلحظه ، ويسألك من تعبه على أن يحيّي لك
ما طاب لك ، ويموت فيك إذا أردت ذلك واخترت . وهذا دعاء إن صح متى
كان حظك فيه أسنى من حظي ، وقسطك منه أوفى من قسطي ، لأنك تعرف

(١) كذا ، ولعل أصله : بلوى .
(٢) كذا في الأصل !

بالفضل [٣١ ب] الذي وهب لك ، وتشهر بالكرم الذي هو عيبك ، وتتلدد
بالشكر الذي هو مضنون الحق . فمن الآن أحضك الله – على دعائي ،
وقرب أذنك من ندائي ، خذ بيدي من بلائي ، فلأن أبقى في خدمتك وأزكى
لي طاعتك أشرف بك من أن أموت على هذا الكمد بلا روح ساعة ، ولا فرح
خطة ، ولا نيل نعمة ، ولا تحقيق عِدة(١) ، ولا تقابل سطرة ، ولا إقالة
عثرة ، ولا ستر عورة ، ولا قبول معذرة . فالذلة والرحمة والكرم والرئاسة
في إحياء مثلي واستبقائه ، لا في إفنائه وإردائه(٢) . سيدي ، انظر إليّ ؛ سيدي
أقبل عليّ ؛ حبيبي ، أدنني ؛ صاحبي ، احفظني . وإذا نظرت فارحم ، وإذا أقبلت
فتكرم ، وإذا دنوت فخذ ، وإذا حفظت فجد . وإنما أردد في هذا المكان
لسان التلطف حتى تعيد عليّ ما قدرته من التعطف . وإنما أسكب عيني بالبكاء
حتى تسم عليها ترحمة اللقاء ، وإنما أعذب روحي بالشوق إليك حتى تملكها
بالأنس معك . وإنما أعيد فنون القول وأبدي ، حتى تتفضل بما ملكك الله
وتُسدي . وإنما ألمح بذكرك عند القريب والبعيد ليكونوا شفعائي عندك
بعدل المريد . هذا عني أني ، وإن لم أقل ما بي حرفاً ، فإن فؤادي يفيض بما فيه
عرفاً فعرفاً . لأنه طويح بحدثك ، نازح عن وفائك ، عار من عطائك ،
حالٍ بولائك ، قلق ببلائك ، باق بشقائك ، متناهٍ في وصف غلائك . ومستغيث
بالله من شدة غلائك . هذا حديثي إذا سكتّ . وذلك شأني إذا نطقت
فقل لي الآن كيف المخرج من هذا المضيق الغامض ، وكيف الخلاص ولات حين
مناص . وهل الرجوع بعد هذا كله إلا إلى إطراق يلهب الأحشاء ، ويذري
الدموع [٣٢ ا] الغزار ، ويسد باب روح الحياة ؟ أو إلى تهلل وجه بالتصنع

(١) العدة : الوعد .

(٢) أردى فلاناً : أهلكه .

وإنشاء حركة بين الإجابة والتمنع، ونمط مداره على الزخرفة، ومعنى مجازه
إلى السفسفة، وليس بعد هذا القول قول، ولا وراء هذا السكوت سكوت
اللهم غَفْرى! بلى[1]! هناك ما يطوّح نطق كل ناطق ويستغنى سكوتَ
كل ساكت بواردات من ناحية الحق ليس يملك فيها شىء من رسوم الخلق،
وإنما هى هناك نسيم[2] زفّت فترنّحت، وشمت فتسنّحت. من رام الخبر عنها تاه،
ومن حدّث عنه بالظفر ساه، وكيف يكون ذلك وإنما هو كتمان فى وجدان
(وكتمان فى[3] وجدان)، وسكرة فى عرفان، وعرفان فى حدثان! فالزمان
لا يرسمه شبحاً، والخاطر لا يختار شبحاً، واللفظ لا يقوم به وزناً، والمراد
لا ينقاد له حزناً، والدعوى لا تمرّ به وهماً، والجدل لا يحصّله فهماً. ذلك شأن
لا يعود به بيان، ولا يطور[4] به حلم، ولا يعبّر عنه بيان، ولا يستعان عليه
بكيف، ولا يستعمل فيه لِمَ، جلّ فدقّ، ودقّ فجلّ، أعنى جلّ فى نفسه فدقّ
على من رامه[5]، ودقّ فى لطفه فجلّ على من سامه. فطوبى لمن نُصّر فأبصر،
وأُشهد فشهد، وجُلّى عليه فتجلّى، وخُصّ به فتفرّد، ووُهب له فتمّم، وأُهّل
له فنال، واحتُبى منه فأدرك ... ثم، وطوبى لمن سمع به فسأل عنه، وقيل له
فسعى من أجله، وشُوّق فى غِبّه فاشتاق، ورُغّب فى حظه فنشط، ونُفّر إليه
فاهتزّ. ثم! وطوبى أيضاً لمن عجز عن هذا كله فتمنى، وسأل عنها فأُوّه،

(١) ص: عصرى بلى هناك
(٢) زفت الريح: هبت فى مضىّ
(٣) كذا فى الأصل. وقد كان: وجدان فى .. (كتمان) ثم ضرب عليه
(٤) طار به يطور طوراً وطوراناً: قربه — يقال: «فلان لا أطور فلان» أى: لا أحوم حوله ولا أدنو منه.
(٥) ص: رام.

وسمع وصفه فحنّ إليه ، والتذّ بحديثه فحَنَّ ، وتدلّه بوجده فتزعزع (١) ، وتوله
بوجده فتوسع . يا هذا ! أتظن أن هذا من قبيل وشأن حقير ؟ والله طالت
زفرات الزافرين ، وبسببه [٣٢ ب] سُكبت عبرات الباكين ، ومن أجله
سَهِرت عيونُ الشائقين ؟ ولولا ذاك قرّت النفوس وسكنت الحركات وهدأت
الأعضاء ، وخفّت المؤن وزال التشكّي ، وسقط النزاع ، وذهب الأنين ، وفُقِد
الرنين ، ورفع الحجب . هيهات ! وأنّى لك بذاك والمهج تذوب خوفاً من فراقه ،
والخدود تلطم حسرة على الفائت منه ، والجيوب تشق حرقةً على ما عهد عليه ،
والآمال تَعلّلُ إلى ما لعلها لا تصل إليه . هيهات في تعاهده ترنّم ناحٍ ، أو تبسّم
شجو ، أو تطاول إلى مذكور ، أو تباعد عن سرور ، أو تحدّث بما يُجدى ،
أو تحصّص بما يُردى ويُشقى ؟! بدأتُ في محادثتك على مذهب المترسّلين
الذين يبدون نياتهم بالثقة والرّيب ، فتشبّثتُ معك في فنونٍ تضلّ فيه ضروب
الخلق أجمعين . وهذا أيضاً من روائح القصة ، ولوائح الإشارة ، وطرائف ما يبدو
من ناحية الغيب في ساحة الشهادة ، ويغيب من ساحة الشهادة في ناحية الغيب
فإن طُلِب فات ، وإن حُقّق طاح ، وإن يئس منه قابل ، وإن تُحيّر فيه استوسع ،
وإن أعرض ‹عنه› تعرّض ، وإن تُعرّض له أعرض . فكيف أصفه لك
وأنا معذّب بالزمن معك ، لأني أذكرك معجباً بك ، وأشتاق إليك نازحاً
عنك ، وأنشر فضلك ملتذاً بذكرك ، وأنت على صبوك أو على تساهلك ،
أو على لهوك أو على تلهيك . فإن كان ما الموت (٢) حقاً متى فيك فارفعه ببشر مثلك
عند اللقاء ، أو ببهجة عند العطاء ، أو برأفة عند البلاء ، أو برحمة عند اللأواء ،
أو بفرج عند البأساء ، أو برقة عند الضراء ، أو ببرقة عند الظلماء ، أو بزورة

(١) ص : قزع .
(٢) ص : مالعول ؟ أو تعوّل ؟

عند شدة البلاء . وإن كان حقاً فاعترف بتقصيرك فإنه أبقى لشرفك ، وأنفى لسرفك ، وأدعى إلى حسن الثقة بك ، وأقرب إلى اعتقاد البقيا منك فما تقول — أبقاك الله — فيمن يقدمه منك اعتراف بتقصير إن كان ، أو إحسان بيسير إن [١٣٣] وجدت فيه الإمكان ؟ وليس بعد هذه الملاوذة[1] مستزاد ، ولا دونه لباغي الحياة مستراد . فاعطف — يرحمك الله — على شيخ قد تحكم فيه البلوى ، وأقام بين الحياة والردى ، لا يذوق أحدهما على تمامه ، فيكون في ذلك رَوْحه ونعيمه ، أو ما يجري عليه صديقه وحميمه . فياويح مَنْ هذا ذكره ، وعلى هذا ظاهره وباطنه ، وإلى هذا الكشف نفوذه ووقوفه ! ما أحوجه إلى نائحة تبكي عليه ، ومن ذا نعى النعمة ، وماذا تنفع الباكية ؟ هل في ذلك إلا تعبٌ لا يرد نفعاً ولا يدفع ضراً ؟ وبعد هذا الأذان والتكبير ، وبعد هذا التقدير والتحرير ، وبعد هذا التكثير والتحسير ، إن تأخذ مني بحكم الفتوة التي هي فوضى بين أهلها ، بها يتوادّون وعليها يتحابّون ، ومن غرسها يقطفون ، وعلى عرشها يعكفون ، وإلى أركانها يعمدون ، وإلى ظلالها يفزعون ، ومن أبوابها يخرجون ويلجون . وبعد إن تجملت على جهد القدر ذهب عشقي لك في الهباء ، وضحكت من حالي منك على العراء . وبك والله قاصمة الظهر ، ونَبْوة الدهر . والله يهديك إلى التي هي أشبه بمحاسنك ، وأحدى في عُرْض فضائلك . ه .

اللهم لا تؤاخذني بإقبالي على خلقك ، وبعشقي إياهم على ما هو عتيد عندك ، وتواضعي لهم في أخذه حاصلاً فوقك ، فإنما ذلك فَزَعٌ مني إلى كل من ادّعاك وتحلّى بحبك وانتمى إلى خدمتك ، وتفضل حتى لك أحب كل محب لك ، ولفرط وجدي بك أجد بكل واجد بك ، أنت المُطّلع

(١) اللَّوذ واللِّياذ والملاوذة : الاستتار بالشيء والاحتضان به

عن خفى الضمير . والمحيط بكل مستور ، والمصاف كل من صافاك ، والموالى كل من والاك لك الفضل فى الثانى لأن لك الفضل فى الأول ، وأنت الموجود فى كل زمان ، والصاحب [٣٣ ب] لكل إنسان لا تخفى عنك ذرة ، ولا تفوتك خطرة . تجزى بالحسنة أضعافها ، وتمحو السيئة عن أصحابها ؛ لك الآلاء الخفية ، والأيادى الجليلة ، والآثار المكشوفة ، والأخبار المعروفة ؛ والأنفاس عليك تحترق . والحشاء من أجلك تتمزق ، والعيون إليك بالشوق تترقرق . لك مع كل روح روح ، وفى كل قلب تقلب ، وعلى كل فؤاد رقيب ، ومع كل نفس نفس ، وإلى كل بعيد مقرب ، وفى كل موجود دلالة . طلبت فلم توجد ، ووجدت فلم تعرف . وعرفت فلم توصف ، ووصفت فلم تلحق ، وشوهدت فلم تدرك وكيف لا تكون كذا وفوق ذا ، ونحن لا نحيط ببعض خفيك على حواق ما نطق فيه من حكمتك ، وبوادى ما ظهر عليه من قدرتك ؛ وإذا كان عجزنا عن ذلك بمصحبا شهدنا ، ويرده علينا ، ويوازينا فينا ، ويحطنا ، ويعكسنا إلينا ، — فما قولنا فيما خلا ذلك مما لا نحسه بمشاعرنا ، ولا نلحقه ببصائرنا ! على أن مشاعرنا بك تحس ، وبصائرنا بك تلحق ، وكلنا لك وإن كنت أعرتنا ذلك ، وكلنا بك وإن كنا معترفين بذلك وليتنا بأمرك ونهيك ، ثم وليتنا بعلمك وإرادتك . فعلينا أن نؤدى ما تقدمت به إلينا . وليس لنا أن نعترض عليك فيما تفردت به دوننا . لأنك مالك قليلنا وكثيرنا ، ومصرف أولنا وآخرنا ، والحاكم بما تراه فينا مما ساءنا وسرنا فاحكم احاكمين ! ويا أرحم الراحمين ! لك السخطة ، وبنا بها الضعة فقنا مسك السخطة ، وإن وقعنا فى الورطة ، ونشنا فى السقطة .

إلهنا ! إنا لا نمل من مواجهتك ، ولا نروى من مناجاتك ، ولا نسلو عن حسناتك . ولا ننسى أبداً ماتوالى علينا من نعمك فنحن نذكرك

سراً وجهراً [٣٤ ا] ، وخطأً واتفاقاً . وعلى كل حال تلوّثت بنا ، وفى كل مكان نعثّر علينا . إليك ننتسب ، وبصك نكتسب ، وتزواحنا فى طلب ذاك نحتسب . فصلنا بتوفيقك ، ولا تغرّنا من إحسانك ، ولا تحوجنا إلى أحد من عندك . يامن إذا أعطى أغنى ، وإذا أغنى أبقى ، وإذا أعطى أسنى ، ياذا الجلال والإكرام ! »[1] . ٥

يا عبد ! لك أحوال فى يقظتك ومنامك ، وحركتك وسكونك ، وغضبك ورضاك ، وأخذك وعطائك ، ووحدتك ولذتك ، وحرصك وعفتك ، وقبضك وبسطك ، وشغلك وجهلك ، ورياك وإخلاصك . فاجتهد أن تكون فى يقظتك ومنامك ناظراً إلى الله بالخشية والحياء ، وفى حركتك وسكونك أن تكون وارثاً لها بالعداة التى تحفظ عليك ما لك ، وتنفى عنك ما ليس هو لك ، ١٠ وفى غضبك ورضاك أن تكون ثابتاً على سنن لا يزدهيك الرضا ولا يستفزك الغضب ، وفى أخذك وعطائك أن تكون حاضر الذهن متوقياً من التسلط لك وعليك ، وفى وحدتك ولذتك جامعاً لما لك فى قضاء الحق عنك وتصفيك عن قضاء الحق لك ، وفى حرصك وعفافك محتجراً عن كل ما يشينك ، وفى قبضك وبسطك على ما يضعف القول فى نظائره منك ، ١٥ وفى شغلك وجهلك مستفهماً لمن هو أولى بك منك ، وفى ريائك وإخلاصك أوّاباً إلى مالك زمامك وخطامك . اللهم إنا نروع[2] عنك بجهلنا الذى ابتليتنا به ، ونريع إليك بعلمنا الذى كاشفتنا به ، ونقف حيارى بين أمرك

(١) هنا ورد فوق حرف « ه » نسخة أخرى » وأقناه الله : أعطاه وأرضاه وأعطاه ما يقتنى من القنية .

(٢) راع الشىء يروع ويريع رُواعاً (بالضم) رجع ؛ — راع إلى كذا : مال إليه سرّاً ، وفى الكتاب العزيز : « فراغ إلى آلهتهم » — أى ذهب إليها خفية .

الذى اصطلحنا عليه ، وبين علمك الذى أدرجتنا فيه . وأعجب من هذا كله أنك نفّرتنا بوانع الأحوال [٣٤ ب] ، وأشليتنا عن خواتم الأعمال ، فمتى حاولنا ذلك القريب بَعُد ، ومتى تطاولنا إلى لحوق البعيد قرُبَ فلا ما نناله يؤنسنا بالاستمتاع [1] به ، ولا ما يعوزنا يؤنسنا من بلوغه بالاجتهاد

٥ فيه . إلهى ! ما أعجب أسرارك فينا ، بل ما أعجب شواهدك علينا ، بل ما أعجب تجلّينا فى تفصيله ، بل ما أعجب تفصيلك فى جملتنا ! كلّفتنا معرفتك ، وحجبتنا عن كُنْه حقيقتك ، وشوّقتنا إليك ، ثم سددت طريقك . فوجدك لا يَرُدُّنا ولا يستخفّنا ، ولاهُ أنْ ولا سكناً ، حتى نصل إليك ، ونقف بين يديك ، ونقول بما لديك ، وننظر إلى وجهك الكريم نظراً يوجب لنا رضاك عنا ،

١٠ وإقبالك علينا ، ونسمع كلمتك العليا : « أوليائى ! إنما أنستكم لتستريحوا ، وإنما شتّتكم لتسمعوا . سرّى فيكم غريب ، وشأنى معكم عجيب ، فاستبشروا الآن » — والسلام . اهـ

رسالة (يا)

سألتنى — زيّن الله بك ، وعطّف لى قلبك — [و] أن أذكر

١٥ لك الغريب ومحنته ، وأصف لك غربته وعجائبه ، وأمرّ فى أصناف [2] ذلك بأسرار لطيفة ومعانٍ شريفة ، إمّا مُعرِّضاً ، وإمّا مُصرِّحاً ، وإما مُسهَباً ، وإما مقرّباً . وكنت على أن أجيبك إلى ذلك ، ثم إنى وجدت فى حالى تاملاً بينك ، وحائلاً دونك ، ومفرّقاً بينى وبينك . وكيف أُحيص

(١) ص : الاستماع .

(٢) أى : تصاعيف وثنايا

الكلام الآن وأرفع، وما الذي أقول وأصنع، وبماذا أصبر، وعلى ماذا أحرع؟ وعلى العلات التي وصفتها والقوارف التي سترتها أقول

إنّ الغريب بحيث ما حَطَّتْ ركائبُه دليل

ويدُ الغريب قصيرةٌ ولسانُه أبداً كليل

[١٣٥] والناس ينصُرُ بعضُهم بعضاً، وناصرُه قليل

وقال آخر:

وما جرعاً مِنْ خشيةِ البَيْنِ أخضَلَتْ [1]

دموعي، ولكنَّ الغريبَ غريبُ

يا هذا! هذا وصفُ غريبٍ نأى عن وطنٍ بُنِيَ بالماء والطين، وبعد عن أُلّافٍ له عهدهم الخشونة واللين، ولعله عاقرهم الكأسَ بين الغُدران والرياض، واجتلى بعينه محاسن الحدق المراض؛ ثم إن كان عاقبة ذلك كله إلى الذهاب والانقراض، — فأين أنت من غريب قد طالت غربته في وطنه، وقلّ حظه ونصيبه من حبيبه وسكنه؟! وأين أنت عن غريب لا سبيل له إلى الأوطان، ولا طاقة به على الاستيطان؟! قد علاه الشحوب وهو في كنّ، وسلبه الحزن حتى صار كأنه شَنّ [2]. إن نطق نطق حزنان منقطعا، وإن سكت سكت حيران مرتدعا؛ وإن قرب قرب خاضعاً، وإن بَعُدَ بعد خاشعاً؛ وإن ظهر ظهر ذليلاً، وإن توارى توارى عليلا؛ وإن طلب طلب واليأسُ غالبٌ عليه، وإن أمسك أمسك والبلاء قاصد إليه؛ وإن أصبح أصبح حائل

(1) خَضِل (من باب فرح) خَضَلاً، وأخضَلَ واخضلَّ واخضوضل ندِيَ وابتلّ، فهو خَضِل وخاضل.

(2) الشنّ (وبهاء) القِربة الخَلَق الصغيرة، والجمع: شِنان.

اللون من وساوس الفكر، وإن أمسى أمسى منتهب السر من هواتك الستر؛ وإن قال قال هائباً، وإن سكت سكت خائباً؛ قد أكله الخمول، ومصّه الذبول، وحالفه النحول؛ لا يتمنى إلا على بعض بني جنسه، حتى يفضي إليه بكامنات نفسه، ويتعلل برؤية طلعته، ويتذكر لمشاهدته قديم لوعته؛ فينثر الدموع على صحن خده، طالباً للراحة من كده.

وقد قيل: الغريب مَنْ جفاه الحبيب، وأنا أقول: بل الغريب من واصله الحبيب، بل الغريب من تغافل عنه الرقيب، بل الغريب من حاباه الشريب(١)، بل الغريب مَنْ نُودِي مِنْ قريب، بل الغريب [٣٥ ب] من هو في غربته غريب، بل الغريب من ليس له نسيب، بل الغريب من ليس له من الحق نصيب. فإن كان هذا صحيحاً، فتعالَ حتى نبكي على حال أحدثت هذه النفرة، وأورثت هذه الجفوة:

لعلّ انحدارَ الدمعِ يُعقِبُ راحةً ... من الوجد أو يشفي نجيَّ البلابل(٢)

يا هذا! الغريبُ من غربتْ شمسُ جماله، واغترب عن حبيبه وعُذّاله، وأغربَ في أقواله وأفعاله، وغرّب في إدباره وإقباله، واستغرب في طمره(٣) وسرباله. يا هذا! الغريب من نطق وصفُه بالمحنة بعد المحنة، ودلّ عُنوانه على الفتنة عُقَيْبَ الفتنة، وبانت حقيقته فيه في الفينة بعدَ الفينة. الغريب

(١) الشريب: من يشاركك في الشرب، من يستقي أو يسقي معك؛ النديم، ويقصد به نديم المحبوب.

(٢) هذا البيت لذي الرمّة (راجع ديوانه، نشرة مكارتني ص ٤٩٢ بيت رقم ٣، كمبردج سنة ١٩١٩م/١٣٣٧هـ).

(٣) الطِّمْر: الثوب البالي؛ والسربال: القميص، أو كل ما يلبس.

من بين حضر كان غائباً، ومن غاب كان حاضراً. الغريب من إن رأيته لم تعرفه، وإن لم تره لم تستعرفه. أما سمعت القائل حين قال:

بمَ التعلل؟ لا أهلٌ، ولا وطنُ
ولا نديمٌ، ولا كأسٌ، ولا سكنُ (١)

هذا وصف رجل لحقته الغربة، فتمنى أهلاً يأنس بهم، ووطناً يأوي إليه، ونديماً يحل [illegible] سره معه، وكأساً ينتشي منها، وسكناً يتوادع عنده. فأما وصف الغريب الذي اكتسته الأحزان من كل جانب، واشتملت عليه الأشجان من كل حاضر وغائب، وتحكمت فيه الأيام من كل جاء وذاهب، واستغرقته الحسرات في كل وقت وآن، وشتمته الرعن والإدراك بين كل ثقة وراتب، وفي الجملة، أتت عليه أحكام المصائب والنوائب، وحجبته [illegible] الصواب عن الغرائب، فوصف يخفى دونه كل [illegible]، ويبقى من ورائه غرضه، ويشل عن بحثه (٢) اللفظ، لأنه وصف الغريب الذي لا اسم له فيذكر، ولا رسم له فينشر، ولا طي له [٣٦ ب] فينشر، ولا عذر له فيعذر، ولا ذنب له فيغفر، ولا عيب عنده فيستر. اهـ.

هذا غريب لم يتزحزح عن مسقط رأسه، ولم يتزعزع عن مهب أنفاسه. وأغرب الغرباء من صار غريباً في وطنه، وأبعد البعداء من كان بعيداً في محل قربه، لأن غاية المجهود أن يسلو عن الموجود، ويغمض عن المشهود،

(١) السكن (محركة): كل ما يستأنس به.
(٢) وشل يشل: قل، وضعف وافتقر، ومنه الوشل: الماء القليل والحجر يقطر ماء، ومنه: عين بخيس غزيرة

ويُقصَى عن المعهود ، ليجد من بحثه عن هذا كله لمصة ممدود ، ورفدٍ (١) مرفود ، وركن موطود (٢) ، وخير غير محدود .

يا هذا ! الغريب من إذا ذكر الحقّ هُجِر ، وإذا دعا إلى الحق زُجِر . الغريب من إذا أسند كُذِّب ، وإذا تظاهر (٣) عُذِّب . الغريب من إذا امتار لم يُمَر (٤) ، وإذا قعد لم يُزَر . يا رحمتا للغريب (٥) ! طال سفره من غير قدوم ، وطال بلاؤه من غير ذنب ، واشتد ضرره من غير تقصير ، وعظم عناؤه من غير جدوى !

الغريب من إذا قال لم يسمعوا قوله ، وإذا رأوه لم يدوروا حوله . الغريب من إذا تنفس أحرقه الأسى والأسف ، وإن كتم أكمده الحزن واللهف . الغريب من إذا أقبل لم يُوسَّع له ، وإذا أعرض لم يُسأل عنه . الغريب من إذا سأل لم يُعْطَ ، وإن سكت لم يُبدأ . الغريب من إذا عطس لم يُشمَّت (٧) ، وإن مرض لم يُتفقَّد . الغريب من إن زار أُغلق دونه الباب ، وإن استأذن لم يُرفع له الحجاب !

الغريب من إذا نادى لم يُجَب ، وإن هادى لم يُحَب . اللهم إنا قد أصبحنا غرباء بين خلقك ، فآنسنا في قرب ... وأمسينا مهجورين عندهم ، فصِلْنا

(١) أي عطاء معطى

(٢) وطيد ، ثابت

(٣) تنزه عن الأدناس وأصلح . تطهر (بعض النسخة) ?

(٤) مار عياله يمير ميراً وأماره وامتار لهم : جلب لهم الطعام

(٥) تذكر بيت علي بن الجهم :

يا رحمتا للغريب بالبلد النازح ماذا بنفسه صنعا !

(٦) ص . زاوره

(٧) التشميت والتسميت : الدعاء للعاطس .

بحبائلك[1]. اللهم إنهم عادونا من أجلك لأنا ذكرناك لهم فنفروا، ودعوناهم إليك فاستكبروا، وأوعدناهم بعقابك فتحيروا، ووعدناهم ثوابك فتجبروا، وعرفناهم إياك فنكروا، ووصفناك عندهم فتمردوا؛ وقد [٣٦ ب] كعّوا[2] عن مديرهم، ويئسوا من تدبيرهم.

اللهم إنا قد حاربناهم فيك، وسالمناهم بك، وحكمنا فيهم لوجهك، وصبرنا على أذاهم من أجلك. فعجل بحقك فيهم، ولا تصرف النقمة عنهم، وأنسنا حديثهم، وكف عنا خبيثهم وخبيثتهم.

أيها السائل عن الغريب وحقيقته! إلى ههنا سبق وصفي في هذه الورقات. فإن استزدت زدت، وإن اكتفيت اكتفيت، وقد أسلفت لك تسديدا في سبعة، وفي تنبيه في الصواب، وسائق في حيته، فاصبر بحكمه، سعادتك في كلمه.

الغريب في الجملة من كله حرقة، وبعضه فرقة، وليله أسف، ونهاره لهف، وغداؤه حزن، وعشاؤه محن، وآراؤه[3] ظنن، وجميعه فتن، ومفرقه محن، وسره علن، وخوفه وطن.

الغريب من إذا دعا لم يجب، وإذا هاب لم يهب.

الغريب من إذا استوحش استوحش منه، استوحش لأنه يرى ثوب الألفة ممزقا، واستوحش منه لأنه يجد ما بنفسه من الحنين محرقا.

(١) الحبالة (بكسر الحاء): المصيدة، جمعها حبائل.

(٢) كعت عنه أكيع وأكاع، كيعًا وكيعوعة، إذا هبته وجبنت عنه، فهو: كائع، وهم كاعة.

(٣) ص: ووراه. وظنن جمع ظنة بالكسر: تهمة. أو: وروّاه؟ جمع رؤية.

الغريب مَنْ فَحْمته مُحْكَمَة ، ولوعته مُضْرِمة .

الغريب من نغمته زخرفة ، وأكمه سعفة ، وحمته حمقة .

دع هذا كله ؛ الغريبُ من أخبر عن الله بأنباء الغيب داعياً إليه .

بل الغريب من تهالك في ذكر الله متوكلاً عليه . بل الغريب من توجّه إلى الله قالياً لكل من سواه . بل الغريب من وهب نفسه لله متعرضاً لجدواه .

يا هذا ، أنت الغريب في معناك .

أيها السائل عن الغريب ، الغريب واحد ولا أقل منه ، وإذا أردت ذِكْرَ الحق فانسَ ما سواه ، وإذا أردت قربه فانفصل عن كل ما عداه ، وإذا أردت المكانة عنده فدعْ ما سواه لك تراه ، وإذا أردت الدعاء إليه فتبرَّأ مما عليك في دعواه . ظنونك كلها مدخولة ، فدعك ما هي ليست مدخولة . همومك كلها فاسدة ، فدعك ما ليست هي |١٣٧| فاسدة . أعمالك كلها زائفة ، فدعك ما ليست نافعة . أخبارك كلها مكروهة ، فدعك ما ليست هي مرفوعة . ويلك ! إلى متى تتخدع ، وشمك أنت خدع ؟ وإلى متى تظن أنك رابح ، وأنت خاسر ؟ وإلى متى تدعي ، وأنت منقٍ ؟ وإلى متى تختال ، وأنت مكدي ؟ وإلى متى تنادي الخلق ، وأنت عيّ ؟ وإلى متى تهبط ، وأنت عليّ ؟ ما أعجب أمراً تراه بعينك ، أعجب من أمر لا تراه بعقلك . الحمار أيضاً يرى بعينه ولا يرى بغيرها . أفأنت كالحمار فتعذر ؟ فإن لم تكن حماراً ، فلمَ تتشبه به ؟ وإن كنت ، فلِمَ تدّعي فضلاً عليه ؟ وإذا لم تكن حماراً بظاهر خلقتك وصنعتك ، فلا تكنه أيضاً بباطن نيتك وجِبِلّتك . قد والله فسدتَ فساداً لا أرجو لك معه صلاحاً ، ولذلك ما أدري بأيّ لسان أحاورك ، وبأي خُلُق أحوزك . وفي أي جنبة أشاورك ، وبأي شيء أداورك ؟ ميزانك كفران ، ولفظك بهتان ، وسرورك طغيان ، وحركتك عصيان .

وبالك مرح وبطر، وهواك ترح وضجر، وشغلك كِظّة(١) ونَهمة، وجوعك قنوط وتهمة، وعزوفك زهو ونفخة، وضحكك خيلة وخدعة، وأحوالك كلها ممزَّجٌ وزيف، وأنت لا تحسب نفسك على خير، ولا بلم وكيف اهـ.

ما أسعد من كان في صدره وديعة الله بالإيمان محفوظا حتى لا يسلبها منه أحد! أتدرى ما هذه الوديعة ؟

هي والله وديعة رفيعة هي التي سبقت لك منه وأنت مذرو(٣) في التراب لم تجمعك بعد الصورة، ولم يقع عليك اسم، ولم تعرف بك عين، ولم يدل عليك خبر، ولا يحويك مكان، ولا يقلك سبب، ولم يحطك بيان، ولم يأت عليك أوان، أنت في مكنون غيب الله ثابت في علم الله، عُطُل(٤) من كل شيء إلا من مشيئة الله [٣٧ ب] إذ أُنشئت لمعرفته، وتلحظ في صفوته، وتؤهل لدعوته. فما أحسن أن تحفظ هذه الوديعة العجيبة من ربك الكريم الذي نظر لك قبل أن تنظر لنفسك، وأنشأك بما لم تهتد به همتك، حتى إذا نشر مطويك ورتق منفتقك، وجمع متفرقك، وقوّم مُنْآدك(٥)، وسوّى معوّجك وفتح عينيك، وطرح شعاعها على ملكوته التي حجبها قبله لبصرك، وعرّفك نفسك، ودعاك باسمك، وشهد لك بحكمته فيك، وأظهر قدرته عليك، وعجّبك وعجّب غيرك منك، ولاطفك ولطف لك، وبيّن لك مكانتك إذا أطعت، ومهانتك إذا عصيت، ونقّبك عن شهواتك فتناولتها، وعن لذاتك فانهمكت فيها،

(١) الكظة (بالكسر): البطنة.
(٢) أي: متفرق.
(٣) ص: يحوث.
(٤) عُطُل (بضمتين): متجرد، عار عن.
(٥) المنآد: المعوج.

وعلى معاصيك (لمن هذا حديثه مقت) وركبت سننهم ، ولم تفكر فيما خلفها وأمامها . ولما قيل لك اتق الله أخذتك العزة بالإثم ، ونزوت[4] في غيك من نعم الله عليك [illegible] عن نصحت[5] ، وتبرأ المشفق عليك ، وتحاكمه بالجهالة ، وتتشامخ بالكبرياء والنخوة[2] . إنك عندي من المسرفين ، بل من المجرمين ، بل من [illegible] ، بل من العاصين ، بل من المطرودين ، بل ممن قد تعرّض لأن يسخط الله ما [illegible] ، ويجعل [illegible] حتى يصير عبرة لمن وراءه[3] اهـ

يا هذا [illegible] أنت ؟ [illegible] قدمت [illegible] ما ذهبت في بعض عليك [illegible] [illegible] وكبر [illegible] الإنسان [illegible] ما تعمله أنت [illegible] ، لا [illegible] وإن كان [illegible] ، ولا [illegible] نصحك[5] وإن كان كافيا [illegible] عليه [illegible] مستحق [illegible] [illegible] ولا إكراه[1]

(١) هو [illegible] وكثير من أسبابه .
(٢) الكبرياء .
(٣) أي وراءه ، يتبع سيرته .
(٤) نزوة . ثار .
(٥) من النصح .

أركان المعرفة

من الإشارات الإلهية (يب)

[١٣٨] العلم بلاء، والجهل عناء، والعمل رياء، والقول داء، والسكوت هباء، والبصر غشاوة، وكلّ ذلك سواء. فأما بلاء العلم فلأنه يهوي بصاحبه[١] إلى فجّ الهلكة. وأما عناء الجهل فلأنه يتخبّط صاحبه في شعاب[٢] الشك. وأما رياء العمل فلأنه يحبط على صاحبه جميع الكدّ. وأما داء القول فلأنه يجلب الغضب على أهله في كل قول وزور. وأما هباء السكوت فلأنه يُعرّي صاحبه من كل فائدة. وأما غشاوة النظر فلأنه يعود على صاحبه بكل آبدة. وأما سواء كلّه فلأنه سرّ يحوي الأشياء بأجمعها كله. فوقت الآن حالا ليس للعلم فيه نفس، ولا للجهل فيه مدخل، ولا للعمل فيه منفعة، ولا للقول فيها حتيّة[٣]، ولا للسكوت معه علاوة، ولا للنظر معها مزيّة، ولا للكلّ فيه استواء، ولا لبعضه منه سواء. وأين تلك الحال وكيف؟ وهل تقف عندها بعدل أو حيف، وهل تصل إليها برمح وسيف، وهل عندك أن تتمنّاها بلعلّ أو بسوف؟ وإذا كانت هذه الحال تتخرّج من الحق في صميم النفس، فكيف يستطيع الاستلاب في صحة الإرادة والخيفة والتميس؟ هي والله حال دلّت عليها الأكدار، ومرّت على هذا الحديث في معنى الدهر والآباد. هي والله حال رهقت عندها النفوس والأرواح، وأتت على معناها الأمساء والإصباح. هي والله علَتْ عن الصمت والرسوم، كما تزيّنت للسمات والرسوم عنها. هي والله حال

(١) ص: بصاحبها.

(٢) جمع شعب (بكسر الشين وسكون العين): الطريق.

(٣) حتيّة: شيء محتّ، والجمع: حتا.

سُتّعَ في خبره وكرَّ كلَّ تجربة فلم يصل إلى ساحل ؛ وطار في هوائه وهمُ كلِّ متمكِّنٍ فلم يقع على طائل . هي والله حال إن حدّثتُ بها أبهتتك ، فإن استقصيتُ شيئًا منها حصّت بك . هي والله حال [٣٨ ب] بَرِئت بالحروف ، وحيِيَت في المسكوت ، ولا كلام يقع في وصفها ويغيب . ولا السكوت . هي والله حال مَنْ دانها عرف ، ومن عرفها وصف ، ومن وصفها انتهى ووقف ، ومن انتهى عنها وتوقف اسمه الحبيب إليها وتشوّف دونها . أيضًا ! واسمع شجو نفس كُرِّهت إقامتها في هذه الدار التي قد امتلأت بالذئاب ، فقال :

نظرتُ فلم تَحْظَ لعيني سوى القَذَى
وخُضْتُ فلم أُخْبِت لنفسي سوى الأذى

ولم أرَ وجهًا مستحقًا لـ « مرحبًا »
ولا وجهَ أمرٍ مستحقًا لـ « حبّذا »

رأيتُ شرار الناس يُمضون حكمهم
على الجانب الأدنى إلى الشر منفذا

ويَمْضون فيه نحو بَغيهم غاية
وفي كل وجه الخير قوّتَ مُنجِدا

وواصلتُهم حتى سئمتُ فلم أجد
سوى هجرهم من وَصْلهم لي مُنْقِذا

يَعُدّون ، عند السخط ، بُخلي مروءةً
ويَسْمُون يوم الحظ عِرضي بذا

(١) بذاء : فاحشة ؛ يَسْمُون . أصلها : يَسِمون

ويأمنون من أرخى لهم من عنانه

ببطء، ويستعدون لمرء ذي الشذا [1]

فقد ترك الوعظ اللبيب لأنه

إذا قدّ [2] ثوب المرء عنوة قد تعدى

وما يصنع الغيظ الملم بشحذه

إذا لم يجد في حد السيف مشحذا

فغد نائياً عن سخطهم متحرزاً

وسر بينهم من شرهم متعوذا

وعش هكذا طول الحياة وربما

سلمت من الأشرار إن عشت هكذا

وصن حيوان الأرض، لا من ارتدى

على صورة الإنسان منها أو احتذى

فإن تنل هذا الحس تنل أشده

خبيثة أحقاد وأبلغها أذى

[١٣٩] ودع هذا يصح لك أن ترتقي زهرته، وتجتني ثمره، وترد أوله وآخره، وتعرف ظاهره وباطنه. وتعد بنا إلى حديث الأعمال وآفاتها، وإلى حديث الأفكار ومسقطاتها، وإلى حديث الأذكار ومواقفها،

(١) الشذا: الأذى والشر. يقال لكل شيء يؤذي: شذا. ويقال: إني لأخشى شذاة فلان، أي شره.

(٢) القدّ: القطع

وإلى حديث العبودية وصفاتها ، وإلى حديث الربوبية ومصافاتها .
وأما الأعمال فمشوبة ، وأما الأفكار فغريبة ، وأما الأذكار فموقة ،
وأما العبودية فمجروحة ، وأما الربوبية فصحيحة . هذا نفثت على الاختصار
والإيجاز ، فإن أردت أن تشبع بعد هذا وتروى ، وتتخلص من قوت
٥ القوت وتكتفي ، فتجرّع مرارة الأدب ، وتحسّ حلاوة الشكوى ،
وتجد لطعومة سوى ، فعليك بوقف خالصة النجوى ، وتبصّر في أشعار
الصدق ، من ديوان إلهي لأملي ، لا تنعت ، لا من نعت الكدر ،
وحبّ إليك الصفو . ولا موضع إلا من أخذ بنصيب من الصدق . وتحرّيت
على الهوى ، ولا تشتق عتيب إلا من دعا إلى حالة لا تنويه ،
١٠ ولا تخدع لك إلا من يعرف لك عمه ثمه . تلك سبيل العوين ، وتحر
فرصة المسكين ، ورسم حيث هو المحسن ، ونشأ له نفس من مثل ،
واعمل بالخاصين ، وعلم حيث منه في الرقى ، وكاثر شكّائين ، وداخل
في حبة الواجدين ، وانحُ نحو مرتبة رب العالمين ، وانفِ عنه سوء ظن
الظانين ، وقرّب إليه بعد المعتقين ، وتنفّس صعدة الخاشعين ، وتملّح حرمة
١٥ العارفين ، وانتظر إلى قدرته في أحسن أجمعين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين .
يا هذا ، إلى كم أستميلك إلى حظك ، وأستعطفك بي من (١) ؟!
لست منك بإلهام مني في ذلك ، ولست من إن سلكت طريق هواك
أن أتعب أن تصحبك وتمشي ، وأرى أنك تقسو عليّ ، وأريد بك الحسنى
[٣٩ ب] وتكايدني ، وأهوى لك الخير وتمنّيني ، وأدلّك على رشدك
٢٠ وتصدّ عني ، وأقيمك على المحجة فتتعرض عليّ ؟ إن هذا إلا شقوة قد سبق
إليك دوني . أتعد عنك النعمة ... البلاء عنك الداء ؟ أتوبى لك أتوبى !

(١) ص : تردى

الجنة لك جنة [illegible] مثلك سعرت الجحيم . وأعدّ لمثلك العذاب الأليم ،
وبت أخرى المقعد ومقيم . وبعثت منى الجحيم [illegible] وسقت هي العذاب الأليم .
لا ترجع في أمورك كلها إلى رغبة وقت أو معرفة في نفس ، واحتبط
في دين ، أو أمانة في معصية ، أو جود هوى ، أو كيد الشيطان ، أو فتنة
في التقى ، أو رحمة إلى الهدى ، أو خطرة من النهي ، أو هجرة للمعنى ،
أو رغبة للآخرة دون الأولى ، [illegible] فلقد عرضت نفسك [illegible] فلقد
استوحشت منك حتى عليك [illegible] فلقد أعرضت جهدي وعني إليك
فلقد نصحت يدي من [illegible] فلقد يئست من صلاحك . أهكذا
يكون من عرف الله سراً أو جهراً ؟ أهكذا يكون من اعترف به رباً
أو خلاف ؟ أهكذا يكون من [illegible] حسن الله غائباً أو حاضراً ؟ أهكذا يكون
من ذكر الله سراً أو جهراً ؟ أهكذا يكون من [illegible] متحركاً ؟
أهكذا يكون من [illegible] أو [illegible] ؟ أهكذا يكون من [illegible] صادق
وكاذب ؟ أهكذا يكون من [illegible] في [illegible] أهكذا يكون
من يرى [illegible] أو [illegible] ؟ أهكذا يكون من [illegible] شهيداً ورقيباً ؟
أهكذا يكون من يحرص على [illegible] ؟ أهكذا يكون من هو محتاج
مع من هو غني ؟ أهكذا يكون من هو عاجز مع من هو قوي ؟ أهكذا يكون
من هو عبد مع من هو سيده ؟ أهكذا هكذا [illegible] أن ينكسر القلم عنه
الكتابة ، و[illegible] أن [illegible] [١٤٠] [illegible] ، وإلى أن [illegible] النفس
في وادي [illegible] ، وإلى أن [illegible] في [illegible] ؟

يا هذا [illegible] وضعت ووصفت [illegible] ، فهو وصفك وصفي ،
وفي وصفي وصفك ، حتى نتعاون على [illegible] في الطاعات ،
والمداومة على العبادات ، والمبادرة [illegible] ، والحذر من الآفات ، والهرب

من الطاعات، والثبات على رفض الشهوات، والإعراض عن اللذات، والتوجه
إلى خالق الحيوان والنبات. فإنه إذا رأى إخلاصك في افتقارك إليه وتعويلك على طلب
ما لديه، أخذ بيديك، وأخذ بنواصيك، وعطف على ما فاتك، وكان لك
ناصراً ومعيناً، فإنه كريم مصدّق، ورحيم مشفق، وجواد مُفيق. ما من باب لي مُغلق
باب مستغلق منه إلا وبدر أخلاق بره من لدنه. معاملته قد جُرّبت وحمدت،
وأخباره شاعت فصدقت، وشواهده بانت وانتشرت، ونعمه واصلت
فدامت. إنْ توعّدك فإنما يخوّفك، وإن وعدك فإنما يشوّقك، وإن عاتبك
فإنما يشرّفك، وإن كرر عتبك فإنما يعرّفك، وإن فرّقك فإنما يؤنسك،
وإن أخذ منك، فإنما يستبقيك لك. فيه عجب، وكل شأنه غريب،
وكل ما تريده منه قريب، ليس له في هذه الخصال شريك ولا ضريب.
تحلّم عليك ببعض عيبك، وسترك لئلا يجازيك، ووثقك حتى كأنك
منه، ودعاك حتى كأنه محتاج إليك، ولاطفك حتى كأنه لا بدّ له منك.
وأنت في جميع هذه الأحوال سادر هادر، لا تلوي على فائتك من رشده،
ولا تسأل عن محو عيبك بيده. لِمَ هذا ولماذا؟ أتبتغي رباً غيره؟ ألك مولى
سواه؟ هل رأيت الخير قط إلا منه؟ هل هداك قط إلا معه؟ هل وصل إليك
برّ إلا عنه؟ هل كان لك قوام إلا بقدرته؟ هل كان لك ... العيش
إلا في نعمته؟ هل كان [٤٠ ب] لك مدار إلا على مشيئته؟ هل كان لك رجاء
إلا في رحمته؟ هل كان لك نجاة إلا بعصمته؟ هل كان لك رشد إلا بجوده
وسعته؟ هل كان لك اسم إلا بتسميته؟ هل كان لك غنى إلا عن نصرته؟
هل كان لك النعت إلا عن عقوته؟ هل كان لك استقلال بغير كفايته؟

(١) العقوة: شجر، وما حول الدار والمحلة، كالعقاة. والجمع عِقاء.

هل كان لك مخرج من ولايته؟ هل كان لك بد من إلاهيته؟ — لا والله!
أين أنت بالنسبة التي لك منه إلى ذرة من حسنه لو شاء لأبرز منه ما يحار
فيه نظرك، ويشتد عليه عشقك، ويسمح دونه كلك وبعضك، ويستعبده [illegible]
تشهدك، [illegible] [illegible] ؛
وحرص على أن تكون عنده [illegible] [illegible] يرتخي لك ٥
حتى يجعلك ممسكاً [illegible] [illegible] ودع [illegible]،
واصدق.

انتبه [illegible] فلا [illegible] ولا [illegible] على [illegible]
فلا تصرف [illegible] دونك [illegible] ترجو وتخاف، وسواه تشكره وتعاف،
وإياك [illegible] [illegible] على الأقربين ١٠
والأبعدين، و[illegible] بين [illegible] والعارفين، وفيك تحير الذين
داهين، وفيك [illegible] [illegible]، ورحمتك نرجو محتدين
مفتقرين، وعن ربوبيتك نعبر واحدين مرجحين، وبصحبتك نفتخر بهجين
وفرحين. يا [illegible] ارحم غربتي في هذه [illegible]، بين هذه [illegible]،
وتعجب من بدائي في هذه [illegible] بين الأرض والسماء. فلا أحد(٣) ١٥
يجيب مستعداً أو معيناً حتى كأنه(٤) [illegible] المعرفة قد خلت من سكانها،
ومنازل العبادة قد خلت من قطانها، وحتى كأن القدرة مع [illegible] حادثة،
والحوادث مع تكررها متحوقة؟ أين العقول الحصيفة؟ أين القرائح الصافية؟

(١) [illegible] يحفد حفداً وحفداناً: خف في العمل وأسرع.
(٢) [illegible] (من باب [illegible]) ذهب فؤاده من هم أو وجد.
(٣) ص: أحداً.
(٤) كذا، ولعل صوابه كأن.

أين الأذهان السيالة؟ أين الألسن الفصيحة؟ أين الأخلاق السجيحة (1)؟
أين الأيدى المبسوطة فى الخيرات؟ أين التواصى بالنصائح والعظات؟ أين الإقبال
على إنجاز المهمات؟ أين ملازمة الأساطين فى المساجد لانتظار الصلاة بعد الصلاة؟
أين الخوض فى استفادة المعارف عند سواد الحندس؟ أين محاسبة الأشرار
عند خائنة (2) الأعين فى الاختلاس بعد النظرات؟ أين الأعين الدامعة بالعبرات
عند تذكر الهفوات فى عقب العثرات؟ أين اتقاد النار بالأكباد [التى]
على ما فرطت (3) بعد العدات؟ أين الحرق المتوالية على ما سلف من التقصير
مع الخسران على حسرات؟ إنها قد فقدت من هذه المكانات متصلة
بالكرامات، وبدا خلل ولا كرامة

(1) السجيحة: السهلة
(2) خائنة الأعين: ما يسارق من النظر إلى ما لا يحل
(3) فرط (من باب نصر) فى الأمر، فرطا: قصر فيه وضيعه حتى فات

ذم التفضيل بالغاشية والحاشية

من الإشارات الإلهية (ج)

ألا فارغ لباب الله؟ ألا قاصد إلى الله؟ ألا راغب فيما عند الله؟
ألا عائف لنهي الله؟ ألا قابل لأمر الله؟ ألا هائم في الله؟ ألا واجد بالله؟
ألا متوكل على الله؟ ألا مستحي من الله؟ ألا بادل روحه في الله؟ ألا ناظر بعينه
مع الله؟ ألا آخذ بحظه من سره بحق الله؟ ألا محاسب لنفسه على حق الله؟
ألا متوجه إلى ما عند الله؟ ألا حاصل لما عند الله؟ ألا مسرور مستوحيا لله؟
ألا نادم على ما فرط له من مخالفة الله؟ ألا مشتغل بالحسبة في الله؟ ألا معظم
لشعائر الله؟ ألا مقتدي بسنة رسول الله؟ ألا متمحض في رحمة الله؟ ألا متورع
في عبيد الله؟ ألا واثق بالله؟ ألا طامع في وعد الله؟ ألا خائف من وعيد الله؟
ألا راجع عند الله؟ ألا مصر [٤١ ب] للأذى لله؟ ألا مشتهي لقاء الله؟
ألا ناشر لكلمة الله؟ ألا داعي إلى الله؟ ألا محب لله؟ ألا شفيع لعبد الله
إلى الله؟ ألا مشفق من خيفته على نفسه من الله؟ ألا ذاكر بالتحقيق لله؟ ألا عابد
بالإخلاص لله؟ ألا شاكر على نعمة الله؟ ألا صابر على البلوى لوجه الله؟
ألا مصغي لعتاب الله في كتاب الله؟ ألا مشتاق إلى رضوان الله؟ ألا منافس
في طاعة الله؟ ألا متحول عن وطن الغربة إلى جوار الله؟ ألا راضي بقضاء الله؟
ألا متحدث عن الله؟ ألا دال على قدرة الله؟ ألا باسط رجاءه في عفو الله؟

يا هؤلاء، خلت العراص [2] من ناس كانوا إذا تنفسوا أحرقوا الحجب بينهم وبين الله تيهاً به، وثقة بوعده، وحباً بفعله، وخطاً في اختياره.

(١) ص: متبح.

(٢) جمع عَرْصة: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء.

وتسليمَ حكمه . كانوا إذا نظروا إليك صفحتَ وجوههم رأيتَ بشيرَ الخير عليهم ، وروائد (١) الصدق معهم ؛ وكانوا إذا ذكروا الله صفَّقت صدورُهم ، ولوان الشوق في المصير إليه ، وإلى القدوم بين يديه . أين أولئك ، وأين هم ؟ وكيف ذهبوا بأسرهم حتى لم يبق منهم ذو ، ولا صوت ولا نافخ ضرمة (٢) ؟ فلهفا حلَّ نور المبين ، وفات السداد وضاع اليقين ، وفجعت الأسرار عن ندى الغيب المكنون ، وولي كل أحد بالظنون والمظنون ، وصار « كل حزب بما لديهم فرحون » فإنا لله وإنا إليه راجعون .

يا هذا انتبه عن ذكر قوم بادوا وتصحفت أرواحهم وإن كانوا قد أبقوا عندنا من آثارهم ما يشوقك إلى اللحوق بهم ، واسمع ما أخصك بذكره وأريد نفسي أيضاً معك في عرصة إذا نفحت في صدرك نفحة من نفحات روض الأنس من العالم الأعلى فارقك غيبك ، وأمدك فهمك ، واستنشقت نسيمه من معدنه ، وشممت أرجه من مصدره ، ولا سبيل لك إلى ذلك [١٤٢ ا] إلا (٣) برفض ما دون ذلك كله قليله وكثيره ، والتحقق بالمعاني بأسرها دقيقها وجليلها وهذه صورة الإلهية متى حركت هششت إليها وحليت بزينتها ، وبرزت ببهجتها ، وزارتك ملائكة السماء بالتحية بعد التحية . وأهدت إليك العطية بعد العطية ، كُرِّمتَ بين البرية ، وصرتَ إذا دعوتَ أجبتَ ، وإذا عملتَ أصبتَ ، وإذا توهمت حققت ، وإذا رُمتَ اكتفيت ، وإذا أشرتَ نمّقتَ ، وإذا قلت كان قولك مسموعاً ، وإذا سعيت كان سعيك مشكوراً ، وإذا عملت كان عملك مبروراً . وقد ذكرت لك الفضائل جملةً بالاسم العام ، وكذلك الرذائل ،

(١) جمع رائد .

(٢) الضرَمة (محركة) الجمرة ، النار .

(٣) ص : الى .

وما أخرجت من تسبيبه من طريق الإجراء لم تكتسبه من طريق الإسراع
ولا الإيثار [illegible] — الشجاعة. وهي التي يتبعها كل ما تقدم من
وتبين [illegible] حيث [illegible] هذه الشجاعة التي تتبعها فضائل(١)،
ونحن نعدد [illegible] [illegible] أن نبين [illegible] لأن
[illegible] من [illegible] [illegible] فيها، وإذا عرف في حقيقته(٢)
وقفت على حقيقة غيره أيضا. ومنها [illegible] التي [illegible] صورة
الكبيرة [illegible] لاحقة، لأن [illegible] هذه الخلة التسوية، وتستوي
من [illegible] وجهة هي [illegible] الشرف [illegible] حسن. [illegible]
وهو الذي [illegible] [illegible]
وحسن [illegible] [illegible] رفقة [illegible] على [illegible] — ومنها الكرم،
وهو الذي به [illegible] في [illegible] ومنها الإيثار،
وهي التي تنسي إليك أعدى حبيبة [illegible] ومنها [٤٢ ب] الجود، وهو الذي
يكملك الكمال اللائق [illegible] طاقتك

وإذا [illegible] قد [illegible] [illegible] الفضائل [illegible] الخلقة وحدودها
[illegible]، فقد انكشفت لك أيضا رذائل [illegible] [illegible] على
أنك [illegible] الشجاعة التي [illegible]، وإذا عرفت الكرم فقد
أوتيت [illegible]، وإذا ذكرت الحلم فقد [illegible] في [illegible]، وإذا ما كنت عن
الجود فقد عرفت [illegible]. فهذا قد [illegible] الفضائل [illegible]
الرذائل، وكذلك بانكشاف الرذائل انكشاف الفضائل ولا تأخر، لأن لا تأخر

(١) [illegible] كنصر وضرب [illegible]
(٢) الجود [illegible] من الإ[illegible] في كل حاجة
(٣) ص [illegible].

والتقدم بالزمان والمكان، وليس هناك زمان ولا مكان. فإن قلت: والمصاحب
أيضاً في الزمان والمكان، فالجواب أن هذا غلط، إلا إذا سقطت [illegible]
على قوابل الحس، لأن المصاحب صورة مأخوذة من الوحدة، والوحدة
لم يكن غيرها متوحداً، ولا يكون به هي وحدة. وهذا كلام زللنا
به عن مكاننا الذي كنا وقفنا عليه ولا نحب، فإن [illegible] تدفقت [illegible]
زينة الحروف تتمدد بالدال، لأن تلك من المنسوج الأول، وهذا من المفصوص
الذي فيه ما تشتهيه النفس، وحسن [illegible]، ووجب به [illegible] والمسنون
في سادة أهل التفضل. وإذا كان قوله:

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد(١)

صحيحاً، فلا شك أن أصناف الحيوانات وضروب [illegible] على هذا.
وبقي أن بعضها غذاء بعضها، وأن بعضها يتصل بالشكل و[illegible]، وبعضها بالخفية
والصورة، وبعضها بالحرف و[illegible]، وبعضها بالتفصيل و[illegible] الكل، وبعضها
بالعقل، وبعضها بالحس، وبعضها بالتركيب من الجميع، وبعضها بالنقص
الوارد عليه. فإذا صح [illegible] | ٤٣ ا | في البحث عن هذه الغرائب
التي لم [illegible] في [illegible] وفي [illegible]، [illegible]، ما كنت
غافلاً عنه بالشك والظنون. وتستفيد من ذلك نوعاً من الوجود لا تجده
في قفص(٣) الحلة وحاكم البلد ومتوسط الخصومة ومتقي [illegible] من هو [illegible]

(١) البيت لأبي العتاهية راجع ديوانه [illegible] «الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية» ص ٧٠ س ٣ طبعة اليسوعيين. بيروت سنة ١٨٨٦
(٢) لذة حسية.
(٣) كذا. ويمكن أن يكون أصله «قاضي» بدليل قوله: «حاكم» «متوسط الخصومة».

قد خصّ الله به نجيب عبده ، وأعلاه خلقه في بلاده ، فلهم بهذه الخصوصية
منازل الملائكة وكرامة أولى العزم من الرسل . وكيف لا يكون هذا النعتُ تامًّا ،
وهذا القول عامًّا ، ونحن نعلم أن استخراج [illegible] من معدنه أشرفُ من جمع
النثر من عطنه ! وإذا كان الله تعالى كما قال : « وما قدروا الله حقَّ قدره »(١) ،
فلأن يجتهد في وصفه بكل ما كان لأسبابه وذهب إليه وموثقاً به ومؤتماً منه
كان [illegible] وأوجب ، [illegible] من [illegible] على وأحمد . فهذا وشبهه [illegible]
بتلك الكلمات ، وإنه في [illegible] ، [illegible] من كل حاضر وغائب ، وسامع وطالب
يا هذا [illegible] الله عزّ [illegible] وخصّ [illegible] ، وحمل العامّ [illegible] لا تزاحم
عليه ولا تنافس فيه ، وحمل الخاص معروف إلى [illegible] في حالك
[illegible] ، [illegible] من [illegible] نعمته
[illegible]
ولا [illegible] كنت من [illegible] ، [illegible] في تخصيص ذلك
[illegible] ، ويحق [illegible] ، [illegible] به [illegible]
[illegible] ، [illegible] أخيه فتعرف [illegible] وما ظهر ،
وما [illegible] وما [illegible] ، وما [illegible] وما دقّ ، وما [illegible] وما [illegible] ، وما نطق
وما صمت ، وما [illegible] وما [illegible] ، وما [illegible] وما مشى ، وما [illegible] وما انتكس ،
[٤٣ ب] وما [illegible] وما [illegible] ، وما [illegible] وما [illegible] ، وما [illegible] وما [illegible] ،
وما صعد وما هبط ، وما لزم قراراً واحداً وما دار كل مدار ، وما تغير
وما حال عن أن يتغير ، وما حسن وما قبح ، وما [illegible] وما نفر ، وما [illegible] وما قرّ ،
وما انتصر وما [illegible] ، وما خصب(٢) وما أجدب ، وما اعوجّ وما اعتدل ،

(١) سورة « الأنعام » ، آية ٩١
(٢) من بابي : علم وضرب .

وما أراد وما كره، وما قرب وما بعد، وما بلي وما بقي، وما سعد وما شقي،
وما نزل وما رَقِيَ، وما اختلط وما استقل، وما خرج وما استعصى، وما نجى
وما نقص، وما طار وما سبح، وما حقّ وما بطل، وما صفا وما كدر،
وما رطب وما يبس، وما زال وما ثبت، وما كان وما يكون، وما لم يكن
ولا يكون. وإذا عرفت هذه الأشياء عرفتها من [كل] ناحية دلالة عليه،
وعرفتها به من ناحية صنعه لها. وبهذه المعرفة تستوضح غوامض حكمته،
وتستجلي غوالب قدرته. وبهذه المعرفة تشاهد ما هو مثبت في مجاري إرادته.
وإذا استتمت لك هذه المعرفة ثلاثاً وجدت من معرفة وجوده ما تصير به على يقين
وعيان. فحينئذ لا يكون في الأرض من هو أكرم منك ... ولا أوجه منه
إلا مَنْ كان له نصيب مثل نصيبك وولاية كولايتك. وهذا شيء ليس باللعب
ولا بالأمر الحقير، ولا بالحديث الطفيف. فقل لي: أترى أن هذه المعرفة
حصَلَتْ لواحدٍ من عباد الله الذين قد صفوا للأرض، أليس ينبغي أن يكون له
الشَّف(١) والفضل والمزية، والإيثار والتقديم، والتقدمة على الذين هم يحرزون
بالشكل والتخطيط والرسم والتحديد مجراه، ويصدق عليهم ... .
فلم لا تكون — عافاك الله — هذا الحي، وما لا يكون أنا؟ ولكن أقول
ذلك. فما أنت منه ... من ... هذا الذي هو ذلك.

يا هذا أنت ربما فضّلت دهراً في حد وبطالة في لهو وفرساً على فرس
وهرّة على هرة [(٢)] وكم من الحيوان ... فلم لا تفضل ...
على إنسان، وإذا فضلت إنساناً على إنسان، فلم لا تفضله بالعقائد والأخلاق

(١) الشف (ويكسر أوله): الفضل والنقصان، ضد.
(٢) في م من الأصل بعد هذا موضع خال.

والعادات والأفعال، ولكن تتشابه [illegible] والمذاهب، و[illegible] ولعب، والعاشية

والخشية؟ إنما [illegible] لطيف. لأنك قد [illegible] من يكون،

[illegible] يكون [illegible] كما [illegible] ولا [illegible]. فكن [illegible]

و[illegible]، فليس بين [illegible] والعمل [illegible] كل [illegible] فليس

من حديد، و[illegible] كل من حديد، فحديد [illegible] به ويستجيب له. ٥

[illegible] فيما [illegible] في [illegible] وفي [illegible]، فإن لم [illegible]

[illegible] في [illegible] في [illegible] في أحدها

و[illegible] فاكن،

[illegible] في الأمور حين

[illegible] ١٠

ويحضرون [illegible] الذين يعقلون

ويحفظون [illegible] كلمة [illegible] من [illegible]، فطالت

[illegible] الكلمة [illegible] الموافق [illegible]

سكتت، [illegible] في [illegible] مكانها

[illegible] من لا [illegible] عن صدر [illegible] ١٥

وفيه [illegible] به، و[illegible] في [illegible] الإنسان في نفسه، و[illegible] نفسه

فيه [illegible]. لا [illegible]. ولا [illegible] منها على تفصيل

وهذا يجب [illegible] على [illegible] مع [illegible]

الإعسار وشدة الاختيار [illegible] [٤٤ ب] راعت الأبصار حين سرحت لحوظ،

وارتدت حسيرة حين رامت، وحارت الألباب حين فحصت عنك، وانكفأت ٢٠

(١) [illegible] ص [illegible]

على أعقاب فرقة منك والأحوال تترجم عنها لأنها أحسن من أن توجد بها،
والآلاء تحيّزه فيك لأنها على كل حال حظك. ولست تقدر تخلك
إلا في روح حدة وطاعة لك. فقد حصل من تعرّفك في الأول وتحيرك
في الثاني، وبذلك ما قد تبرّمت به الشوق الدائم، وبهذه الحركة المتصلة،
وبهذا النزوع الدائم.

إذن الولي لم يكن خالياً من أحد هذين وحيث تفانيا بدئت،
وإنما لديك نكون وبه نستحب وفي كل حال. فمن سألك
من أن تسلك الحال يطلب ما لا يجوز أن يطلب وإذا كنت من حرّ الشوق
إلى ذلك بالطاعة وليس حين تسلمك على شرط تستبين الحين
بما قسمت من كرمك ما وهبت. فإلى من تعرّفت. فموقنين بك،
راغبين فيك، عابدين لك بعد الأول والحس الأقصى ثم حذف
عن نسق نفوس بمثل نعمة حسنة في وقت سألتك. واجعل هيبتنا لك
بقدر توكلنا عليك. ولا تخص نفسي قولي وبلا، ولا تعصِ منك فناً
ملالاً. فما لا قول إلا ما قلت فيه. ولا نعمة إلا ما كنت ولياً به،
ياذا الجلال والإكرام[1].

(يد)

إلهنا! لا حمد إلا لوحيك، ولا نص إلا لمعانيك ولا هدى إلا لحكمتك،
ولا بهجة إلا بصمتك، ولا نور إلا ما سطع من سلك. ولا صوت إلا في حدثك،
ولا حلاوة إلا في كلامك. ولا قوة إلا بتأييدك. ولا تمام إلا بتربيتك،
[٤٥ ا] ولا صلاح إلا بتهذيبك. ولا مضاء إلا بتنسكك. ولا سكون

(١) وجد في هامش الأصل بعد هذه الكلمة تحريف

إلا فى فنائك، ولا هناءة إلا فى عطائك، ولا حكمة إلا فى [illegible]ك، ولا أنس
إلا مع أوليائك، ولا بشرى إلا لآلائك، ولا نصرة إلا [illegible]ك. ولا سكينة
إلا بإلهامك، ولا حجة إلا فى حكمتك، ولا تدبير إلا من قضائك وإبرامك،
ولا وصف إلا لك. ولا وجهة إلا لك. ولا توكل إلا عليك، ولا رحمة
إلا منك. ولا ثبات إلا عليك. ولا خير إلا منك. ولا شرف إلا بتشريفك،
ولا استقامة إلا بتعريفك، ولا اهتداء إلا بتثبيتك، ولا [illegible] إلا [illegible]،
ولا رشد إلا فى تكليفك. إلهنا! فقدرتك التى [illegible] خصمك،
وبحكمتك التى [illegible] فى كل عدد —
إلا [illegible]، و[illegible]،
و[illegible] إذا [illegible] صرفت
عن [illegible] كل [illegible] كل ما [illegible]

إلهنا! كيف [illegible] موجود، [illegible] كيف [illegible]
[illegible] ولست
موجودا [illegible] موجود [illegible] على من
[illegible] حقيقته
لجهلك، وصحبته فجحدك. وأنكرته فأذكرك.

إلهنا! [illegible] لأنفسنا [illegible].
وحشرتنا فى زمرة أوليائك، [illegible] هذا وهذا مما لا نحسن
أن [illegible]، ولا نقدر على أن [illegible].

(١) [illegible] ([illegible]) ، محلا ومحلا [illegible] إلى السلطان

يا هذا ! إذا سمعت مثل هذه الصفات [٥٤ ب] ، بنشر هذه النعوت ، على شكل هذه النعت ، فاستشعر العظمة . فإنك بهذا الاستشعار تستحق التكرمة ؛ وهذه المعارف بهذه النعوت هي سلاليم نصبت للمربوبين في الترقي إلى ساحة الربوبية المقدسة بحكم الإلهية ، فهي [illegible] الله [illegible] سُلَّمٌ منها ، واحرص على الترقي فيها ، فإذا حصلت هناك فتحيّر كيف زدت ، وتبوّأ حيث شئت ، فقد تخلصت من الدنس والقلب ، وتخلصت من هذه الدار [illegible] ، ووقفت [illegible] ، ووجود لا [illegible] ، [illegible] لا [illegible] حبيبي ! أما ترى [illegible] في تخشعي ؟ أما ترى [illegible] في [illegible] ، أما ترى عرقي في تحيري ، أما ترى خشي في [illegible] ، أما ترى دمعي [illegible] [illegible] إحساسي ، أما ترى [illegible] في هذياني ، أما ترى [illegible] في [illegible] ، أما ترى [illegible] في [illegible] ، أما ترى صعقي في [illegible] ، أما ترى [illegible] في [illegible] ، أما ترى [illegible] في [illegible] ، أما ترى [illegible] في [illegible] ، أما ترى [illegible] في شرقي ، أما ترى [illegible] في [illegible] ، أما ترى [illegible] في [illegible] ، أما ترى [illegible] في راحتي ؟ أما ترى [illegible] ، أما ترى [illegible] من مولاي ، أما ترى عليَّ هذا إلى أن يفنى الورى ، ويفنى [illegible] ، ويفنى [illegible] ،

يا هذا ! لو نوّخت عن كربى ، وتمردت عن [illegible] ، أو رمت [illegible] بدل [illegible] ، أو قصت [illegible] على [illegible] ، لأبصرت طريق واضح . وكان [illegible] لك [illegible] الأجنحة ، ونصحي إياك [illegible] لمن [illegible] ، ولكني [illegible] : [illegible] ، و[illegible] ؛ [illegible] ، [illegible] ، فهذا قد أصبحت [illegible] عند كل [illegible]

(١) رمث (ككرم) رماثة [illegible] ، وارمّيث [illegible] .

(٢) ص : شهوى

ووقف عليّ، وصرت نصباً للخلق بالدعوى العرية من البرهان، والحجة المنقطعة
بلا بيان، إن استترت ذكرت، وإن انتشرت [١٤٦] شهرت، فقد بقيت
مكدوداً مجهوداً، ليس معي تعلق بالوعد ولا تمسك من الوعيد. أتدري لم هذا كله؟
أقول لك: لأنه ليس بيني وبينك حرية على سبيل الخبر والاستخبار، ولا وجه
للحفظ والاستبصار. هذا كله لأنه بدّل في الحركة والسكون، وصرف بينهما
كل ما كان ويكون، فعرفت الغيوب في العيون، وحققت الظنون بالظنون،
وشكل أمر الغيب والعيب، ووقف الخلق تحت الذل لا يسرون ولا يفتنون
عن تلبيس، فعمي الفرق بين السمع والشخص. فلا جرم، إن قال قائل
هو هو: أحبّ بما يحيره، وإن قال هو هو: أحبّ بما يعيشه، وإن قال
كأنه هو: أحبّ بما يحرسه فما أحبه وأشد مسّه، وليس له راقٍ،
ولهذا وقع وليس له دافع، وانتشر معرض وليس له مانع!

يا هذا! دع السكران يهوى حتى يهذي في سكره، ودع المتيم الحال
حتى يتمادى في سكره، ودع المستهتر حتى يوصف بذكره، ودع المحتاج
حتى يموت على حاجته، والمريض حتى يقضي في دقه، والقلب حتى يمضي
في نعمه — فليس إلى البغية سبيل، ولا على ذلك الرص دليل، فمتى صفت
شدته، فإذا قدته إلى التعب جمح، والمحسن برق طاهر إذا أشرت له إلى التسمح
ثاب وعاد، وثبت واعتقد؛ والإنسان بينهما أسير، إن أراد طاعتهم حاذاه
وشدّه، وإن مال إلى أحدهم احتمى عنه ودقّه. فكيف يطيب عيش
من يعض صدره بهذه الخطط، ويعلي سره بهذه المخططات! ما يطيب
والله لحظة عين. الحديث أطول من هذا. ولكن في فيه ماء على أني

( ) ص المحاسن

قد سقت العبارة هكذا وهكذا، شرقاً وغرباً، وجنوباً وشمالاً، وأرضاً وسماءً،
فلم أدع للكتابة قوة لا عصرتها عند العثور عليها، ولا للتصريح علامة
إلا وضعتها حيث وصلت إليها. وأشفق على من لا يفهم لكدر طباعه،
أو بلادة فهمه، أو ثقل جهله، أو عصبية تعميه شديدة، لأنه بعد
وقد قصدت صلاحه، ويهوى وقد أردت فلاحه. إنا لله وإنا إليه راجعون.
أنصحت.

وكم لي دمعة نصحت [illegible] نعمى الناس وهي تحترق(١)

لعلك تقول بنفسك وقلة تجربتك وقصور نظرك: فلو سكتّ في الجملة
كان أصلح من هذه الأسئلة المكررة. ومن هذا التهويل للطائل،
ومن هذه البداءات المخترعة، ومن هذه الطرق الخادعة [illegible] عن فوائد
إليك لو أحسست بإلهامي إلى هذا التطويل والتهجم في هذا الأسلوب. لكن
عذري عندك مبسوط، وكل ما عرضت لي مسوق. ولكنت لا أحسن،
ولا أطلب تحسين [illegible] من هذه [illegible] الكبيرة [illegible] مقصده
بحرف إلا بعد [illegible] وبعد [illegible] ولا [illegible] في اسم،
وإلا بعد الإلقاء والإلمام، ولا بعد الاعتراض في [illegible] وكاد روحي
يخرج في هذه الحال التي كانت تعرض. [illegible] الخطر [illegible]
المتولي أهون من هذا الصمت [illegible] على أنك
لو نصحت [illegible] في كل [illegible] واسطة مستحسم، ومستعر مستقدم،
ليس في صراحة [illegible] إلا مستحق [illegible] والبحث والرد والتأليف

(١) من بيت شعر للعباس بن الأحنف [illegible] ص ١١ س ١٩.
طبع مطبعة الجوائب قسطنطينية، سنة ١٢٩٨ هـ.

(٢) [illegible] كلامه إلى كذا [illegible] [illegible]

على ذلك أنى عرف فيه كله [illegible] وحدتنى فى موضع منه : لا تذوق من [illegible] ، ولا بأشوق من [illegible] فى صدقتنى فى هذا الخبر ، فقد قضيت حق [illegible] الجمع [illegible] و [illegible] فى الطريقة ؛ وإن كان [illegible] هذا [illegible] على الحقيقة

يا هذا [illegible] من هذا وهذا [illegible] ، وأثرت وكسبت ، وسيبت وكتبت . و[illegible] ولا [illegible] . و[illegible] [١٤٧] وشربت ، و[illegible] ، و[illegible] و[illegible] ، [illegible] و[illegible] ، ومحصت و[illegible] ، و[illegible] و[illegible] ، و[illegible] وكـ[illegible] [illegible] كأن إذا أنت [illegible] على ، و[illegible] [illegible] (٢) [illegible] القصة (٣) ،

ما هذا [illegible] فيكم من [illegible] من بين [illegible] قمه [illegible] كله [illegible] لا [illegible] لأن [illegible] قد يكون من قدره كما يكون من [illegible] و[illegible] أ[illegible] لا [illegible] فى شكل [illegible] حتى يكون قد [illegible] ، و[illegible] [illegible] ، وقد [illegible] [illegible] [illegible] ! [illegible] [illegible] ، و[illegible] [illegible] ولكنه [illegible] أنه ما [illegible] حتى [illegible] ، [illegible] حتى [illegible] ، ولا [illegible] حتى [illegible] [illegible] الخطاء

(١) [illegible]
(٢) [illegible] ٦
(٣) من [illegible] (من [illegible] [illegible] عليه
(٤) [illegible] ([illegible] من [illegible])
(٥) [illegible] من [illegible] قصه
(٦) لعل [illegible] ، و[illegible] هو [illegible] شديد ومرض القلب منه — [illegible] هو [illegible] وكيد

الذين لا يجوز لهم صعود المنابر إلا بعد أدوات يستعينون بها، وهيئات
يتحلون بها. فهكذا جرى أمري وأملي ونجحه، فسبحان من شاء،
«ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»(١). إلى متى أداريك وتداريني، وأرابيك
وتواربني، كأنني جوزة تدفعني كيف شئت، وتسبيني بما أردت

يا هذا! غضّ عن هذا أيضاً فإنك إن أمعنت في اقتصاصه وسياقته طال
ولم يتضح فيه مثل، لأنه يجري مجرى شغل الخبط، والأمور التي أحقر وأزرى
من أن يوهب لصوابها وقت يمدح به، أو يذم خطؤه زمن تجده فيه

يا هذا عدّ بنا إلى متن التوحيد، وإلى عتق المعرفة، وإلى عقبان(٢)
الوجد، وإلى آخر مدى التوكل، وإلى الفصل الصحيحة في هذه الأحوال،
وإلى الوصفات الواردة بالإشكال، وإلى مشكلات الصدور بهذه الفصول
فإن الخوض في هذه الأشياء أنفع من المهاترة فيما كنا فيه، لأن الكلام
مع الخصم من المهاترة [٤٧ ب] ومناظرة ومذاكرة. فأما المهاترة فسبيل ينشأ
من التنافس وإيثار الغلبة. وأما المذاكرة فمقصود بها طلب الفائدة، كالرأي
المعروض على العقول المختلفة إلى أن يقع الاختيار عليه بعد الاتفاق.
وأما المناظرة فمتوسطة بين المهاترة والمذاكرة، قد تفضي إلى المنافسة،
وقد توجد بها الفائدة، وهي كالفكاهة بين العداء. وإذا سمعت هذه العبارة،
فتعال حتى نقول: متن التوحيد مشاهدة الواحد بالضمير المعتقد على الآخر،
على مباينة كل ما سواه. وعتق المعرفة سكون النفس إلى المعروف بما لابس
النفس من الأنس. وعقبان الوجد هو أن كل ما عدا من الوجد به بدا.
وآخر مدى التوكل غيبة صاحبه برؤية المتوكل عليه عن كل ما اقتضاه التوكل

(١) سورة «الملك» : آية ٥٩ ؛ «الحديد» : آية ٢١ ؛ «الجمعة» : ٤
(٢) العُقْبان (بضم العين) : العاقبة.

في الأول. وأما اللبس أو الوردة في الأحوال فهي عبارة عن الآفات الناشئة
من اللبس لأهل [illegible]، وعن الآفات الفاشية في الكون. وأما الصحت الواردات
بالإشكال وكل [illegible] ثم [illegible]، فوقع احتجاب عنه. وأما المشكلات
[illegible] لبعض [illegible] الإشكال لأنها تصدر
عن بيات مشوبة وصعوبات غريبة.

فهذا ما سنح من القول في هذا الوقت. وإذ [illegible] كله
[illegible] حرفه، [illegible] في هذا كله [illegible] من هذا وأشق، وصمما
إلى جمعه ما يكون داخلا في شكله ونعضاً بجمعه، إن شاء الله. فلا يردعنك
لفظ يكون قاصراً من [illegible] في [illegible]، [illegible] إذا [illegible]
القاصر بالغاً، ذاك [illegible] صحيحاً.

فهذا [illegible] يتمثل في طرية ذهنك، وطهر [illegible]، وتقدية [2] [illegible]،
وسنية قلبك، وتحلية روحك، وتوفية [illegible]، وتربية كنك. فبك |١٤٨|
[illegible] قبيل [illegible] بلا واسطة بينه وبينك فانظر كيف
تكون في [illegible] وحسك، و[illegible] ومكانتك، واسحلك واحتشامك —
فبك [illegible] الأمر من [illegible] إخلاله عن إرسه على حاله، وبهذا
[illegible] الدهر و[illegible] الأمر، فلا تحمل التقصير [illegible] لك فليس
كل وقت يحتمل ذلك، واحد [illegible] وحده [illegible]، [illegible] إذا [illegible]
[illegible]. هذا منتهى قولي لك في هذا الجزء بعد الثيات

(١) [illegible] الشيء [illegible] وعنًّا وعُنونًا: إذا ظهر أمامك
وعرض — [illegible].

(٢) [illegible] تقدية [illegible] في [illegible]، و[illegible]
[illegible] — والمقصود هنا المعنى الأخير.

وتقاعس اعتراضاتي بك وصفك فأسعو(١) أسعدك الله بما أمرتك بذلك
وبما نهيتك عنه من خطه، والسلام.

اللهم إن تحرّكك إذا عطعط(٢) متوجّه وقف لواعج منه في الصدر، فكيف
من هو في وسطه يترنّح به الموج، وتتهاداه الريح الهوج فتلطّف كيف شئت، وهذه
التي هي قوم عمدت وأرشد إليك فاحفظ إذا نسيت. وبما تقول لك وتوجهك؛
وألهمه إذا سكت. وبما تسكّنت من حركت وتعطلك. وإذا كنت
لها(٣) في حالتي السكون والسكوب. أمنت [illegible] [illegible] ونصل(٤)
يا ذا الجلال والإكرام!

رسالة (ه)

أشرقت الأكوان بالأنوار، وشرقت الأعين [illegible]، وتحدث أسرار
الحق فيها بين الأشباح والأرواح، وتحدث النفوس في [illegible] [illegible]
بما تحدثت به الأفواه في قرب [illegible]، وولدت في [illegible] حوائج الأشباح،
وانتقت في الغيب سوانح الإلهام والأفكار، و[illegible] [illegible] الشوق
مع وله وتيب عقب(٥)، ومن لطف [illegible] توجد [illegible] [illegible] [illegible] كما؛

(١) كذا في الأصل فهل أصلها: فأسعد؟
(٢) لم نجده في معاجم اللغة، إنما وجدنا عطعط [illegible]، و عطعطة
تتابع الأصوات وحكاية الصوت: عيط عيط وقد يمكن أن تكون هذه
حكاية الصوت: عيط ميط
(٣) كذا؛ ولعل أصله: لنا.
(٤) نصل كفرح هزل وأعيا، والمقصود هنا ولم [illegible] أو مرأ:
مزل أو نصل.
(٥) عقِه كفرح تحيّر ودهش، وجد، وذهب فزعه.

وقيل لصاحب العيب : ابث عيباً، ونمّ مشيّاً ؛ وقيل لصاحب الحب :
هتّ بثّه، وأبرز برهانه . فعندها خلط اللاحظون بين الصدق، ولفظ اللافظون
بنفس الحق شدة الحب، واضمحلال البال، والتواء الحال . فلجوا
في السرائر، وباحوا بالضمائر، ورفعوا رسوم المواطن والظواهر، وافترقوا
عن الألفة، وكثروا بالوحدة، وهيّموا بين سواحل التنحي وبلاقع التمني،
فما مكثوا متشبثين ولا لبثوا مرتحلين حتى هجت دونهم [illegible]، وباحت
سواعي الهوى . فمن طائر في الجو حريق، ومن تائه في البر بلا رفيق،
حتى أن أحدهم [illegible] مع اشتات ولاهب [illegible] من إهاف [illegible] بالعدد
ولا عدد، ولأن يبكيك هوى يحكّ [illegible] خير من أن يكون
في السلوة [illegible] السلوة محمية، والهوى مكرمة والسلوة سهو الروح،
والهوى روض الروح، والسلوة [illegible]، والهوى تحريش[3] ؛ السلوة إعراض،
والهوى استعراض . فهل تعرضت للهوى إلا بعد أن عرضك، فتعريضه
قبل تعريضك، ودعوته قبل حديثك، وإجماعه قبل استجماعك، ومنعه
قبل استمتاعك [illegible] وليس الهوى في هذه [illegible] حد [illegible] وحظ الحس
بصاحب الحس . لا وحق الحق الذي [illegible] الأشياء ثم برئ منها، ووجدها ثم حلّى عنها،
وأنبأها ثم بان فيها، وغاص ثم غاص عنها [illegible] بالهوى هنالك، ما يراد
بغير ذاته، ولا يبقيه[4] مرادفة بالعدد، مقصودة بالإفراد . فالأسماء مطروحة
بالتوقيف، والمعاني موجودة بالتعريف . الأسماء مجتمعة بكر الخلق، والمعاني

(١) البث : تفريق [illegible] والأغراض
(٢) كان يكني . [illegible] وكانه [illegible] وأدخل [illegible]
(٣) التحريش : الإغراء ، ومنه حرّش بين القوم : أغرى بعضهم ببعض .
(٤) كذا : نصاً !

مؤلفة لتصور الحق [illegible] الأسماء مسموعة بدون الحقيقة ، والمعاني مسموعة بدون
الجمع [illegible] الأسماء متشابهة بالنطق ، ومعاني متفرقة بحكم المعنى [illegible] علم
أن الأسماء بمعنى على إيثار الحق [illegible] [١٩] [illegible] على الأسماء شيء في الأسماء
لتعبر على [illegible] الحق ؟ الأسماء محدودة بالألفاظ ، والمعاني ممدودة بالإلهام .
فإياك أن تجعل معنى ليس الاسم فتعطب ، وإياك أن تعطي الاسم ذات معنى
فتعطب ، وإياك أن تعطي المعنى رسم الاسم فتكسب ، وإياك أن [illegible]
فتشبه ، وإياك أن تجمع بينهما فتوهم [illegible] [illegible] متكلمين ، وسكنت
أعلام متحدثين ، لأنهم [illegible] في آياته [illegible] ، وتعرفوا في الآية
مشتبهين ، وركنوا إلى عقولهم [illegible] ، فتكلموا على [illegible]
جانبين [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] ،
إن أردت أن تحقق [illegible] الأعلى [illegible] [illegible] من [illegible]
[illegible] فلا تنظر إلى [illegible] ، ولكن [illegible] في [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، و [illegible] [illegible] ، [illegible]
[illegible] ، واضح مريده بالشك على [illegible] [illegible] لتشكر [illegible]
بالمعجز عن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، ووصول [illegible]
حكمه ، وسر من عقلك حكمه ، وأظهر على [illegible] قدرته [illegible] [illegible]
حكمة ، فاستدل [illegible] القدرة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
العبودية ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible]
من أمره ونهيه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أن يكون
[illegible] وإن [illegible] [illegible] ، [illegible] أن تكون عبداً له .

١) سورة [illegible] آية ٤٥ ، سورة [illegible] آية ٥

بهذا ... ضرب رية ... كون مستقرًّا ، وفكر في دواوين مسكوبة مسعرة ،
ونبه عن وحدتك مصحوب . ثم اسمه في اساعة متوقّدة ، ثم احكم على نفسك
معروفةً ولن تقتح لك هذا اسب ، ولا ممدًّا لك هذه البساط
[٤٩ ب] حتى تصحب كونك بذاك كونك ، وسبه في شيبك من عينك ،
وشيء من ... بشيبك ، ونحو أثر اسكك في أبيك ، وحتى يبقى
رأسك مسيح ... ، ونفسك مسيح عينك ، وحتى يرى أن هو ربك الذي
معاصيك بالتمردي ، ... ذنبك ... هذه الحقائق ، في
بيتك ، ... ولاية ... ، حيث ، بحر ... طائفًا ، و ...
روضة ... نظرًا ، وبيتك ندوس بحر مدوى ... خفوق ...

١٠ ... بحر ... فيك ... هذا ... عينك ،
فان ... الأدنى ... ، و ... الخلائق ... ، ولي نفسك
نور الشكور ، وكانه مكاشفة ... ، و ... أمرها ... مضمر
عن ... عينك
... ، ... ،
١٥ و ... بيتك
كل الشاعر ... هذا ... وخل معنى حبيبك ... عن الدين
بالحلم ، و ... من ... ، واسر ... بالذكر ، و ... المريد بالشكر ،

(١) ... وهو معنى أنه وصل من الأنفس في تسلسل ... إلى التوحيد ...
(٢) ص ... وقد وصفت ... مكان ... حقًا من ... ، ... وهو يسمع ... كذ من .
(٣) ... الأمور ... الصحيح ... الشكور ، الشكر

وأحب السكر في الأمر، وامزج الصحو بالسكر، وألف ما بين العذل [illegible]
ونفسه، وتترك القرب بالقعد، وتردد بين الفصل والوصل، ثم ارتق على المكل
في [illegible]، فمن تحقق السكر فوق الكل تدرى ما الذي وحدت فيه وحدت
[illegible] كل واحد من وجه، وحدت الحال موقوصة على الجمهور في التفصيل
٥ المشكل على الأفراد، والحال المعروضة بالكمال هي البينة المقوصة بالتحقيق
عند الخواص. فأنا عند العيان قائم مع الباحث [illegible]، وعند الحق واقف
مع [illegible] بالاستشراف إن قلت قلت محسناً [١٥٠]
وإن سكت سكت متحيراً، وإن نظرت نظرت متفكراً، وإن غضبت أغضيت
[illegible]، وإن سكنت سكنت [illegible]، وإن تحركت تحركت متشرداً
١٠ فأنا كما قال القيس المدرس

[illegible] [illegible] ماجد [illegible] من كله [illegible] عيدا
[illegible] [illegible] لأن [illegible] من الهدى فيه صدودا
فتهت به [illegible] حتى [illegible] وضرب به وحيدا
[illegible] به [illegible] الحق مني [illegible] أصبحت موجوداً فقيدا
١٥ [illegible] وهي [illegible] [illegible] أصبحت [illegible] [illegible]
وقالوا [illegible] فلا [illegible] به موتاً أو شديد
[illegible] [illegible] معي وأني [illegible] الوجود

(١) [illegible]
(٢) [illegible] الكتب والاقتراء
(٣) [illegible] فعلا يستحيا منه
(٤) ناقص، هو [illegible] في [illegible] حتى يستقيم [illegible]
(٥) [illegible]

[illegible] هذا ليس لتصوف، والتصوف اسم يجمع أنواعاً من الإشارة
وضروباً من العبارة، وجملته التحقق بالله والتعلق بالحق[1] [illegible] حواس
السكون معروضة دون [illegible][2] [illegible] رتبة السكون، لأن مدار السكون على شقف
وقلّت يصيران بهذا الغير إلى مدخل ضيق وحكم المدعو إليه حكمه، لأنه
من [illegible] و[illegible] [illegible] وإنما يوجد الحق الأحد الواحد
بعد الواحد بما يهب له من الغيب في العيب، حتى يظهر ها هنا من الريب
والعيب [illegible] مرام لطيف، وأمر [illegible]، ومحنة عمّت وشملت، وبلية
طلّت من فوق وأحدقت من تحت [illegible] قل لي: متى تجلى بنات الصدور على هذه
الشرائط، ومتى [illegible] في هذه الشرائط [illegible] ليس إلا [illegible] بحلاوة
النجوى، والعزوف عن مواطن الشكوى، والأنس من كشف [illegible] البلوى،
إلى أن تعطف عواطف، وتعصف عواصف، فتشقى [illegible]، و[illegible] حيران،
و[illegible]، ويصفو [illegible]، ويخلو من [illegible] | ٥٠ ب | ما كدره،
ومن ليس ما [illegible]، ومن أصدق ما [illegible]، ومن [illegible] ما [illegible] اه

أفدى والله هذه الفنون، المستخرجة من هذا المعنى المصون، أفدى
والله عيناً باتت تدمع من خشية الله، بل أفدى والله [illegible] طت خاضعة مهيبة
هيبة لله، بل أفدى والله [illegible] تحتج بالأعذار إلى الله، بل أفدى والله
قلباً ما [illegible] خفقاً من حب الله، بل أفدى والله قدماً زلّت على الحركة
في سخط الله، بل أفدى والله يداً كفّت [illegible] عن تناول ما لا يبيحه الله

(١) كذا في الأصل، والتعرر [illegible] يعني اللوم و[illegible] ويجوز
أن يكون الأصل هو: التعزز على الخلق
(٢) كذا! ولعلها: دون البصيرة على.

بل أفدي والله روحاً تمسكت وحنّت على أولياء الله . بل أفدي والله نعمة أدّيت بها حقوق الله . بل أفدي والله عقلاً اشتاق [illegible] موعود الله . بل أفدي والله كبداً أوثرت الراحة لوجه الله . بل أفدي والله الحديثَ عن الله والحياةَ مع الله . بل أفدي والله خطراً [illegible] مقدماً [illegible] الله [illegible] اللهم [illegible]

حال [illegible]

ما إن تنفست إلا [illegible] أسى [illegible]

ولا رميت [illegible] إلا [illegible] حبالى

وما [illegible] إلا وجدت وجداً [illegible]

اللهم [illegible] الراحين إلى بابك . ونيض وجوهنا عند مناجاتك ، واعمر [illegible] مواهبك ومحبتك . [illegible] كيف [illegible] . [illegible] محبتك [illegible] وعظمتك ، [illegible] إليك . [illegible] في كل الأمور [illegible] وكل [illegible] ، [illegible] ، واسلك [illegible] ، [illegible] ، ولا [illegible] استدراج ، ولا [illegible] ، ولا واجد [illegible] ، [illegible] إذا [illegible] ، [illegible] [illegible] وكيف [illegible] ، [illegible] ، [illegible] من [illegible] ، ولطف بنا [illegible] . [illegible] بولائك اه

(١) [illegible] من [illegible] ليلاً من دون أن يعلم

٥١ | [illegible] : (ج)

اللهم إني أسألك الحمد، والصبر معك، والسكون إليك، والثقة بك،
والفرار معك، [illegible] في الحمد لك زيادة، وفي الصبر عنك قربة، وفي السكون
إليك توكلا، وفي الثقة بك نجاحًا، وفي الفرار معك مصادفة. وأخرجنا[1]
من ضيق بعض النفس [illegible]، وعافنا من كل ما لا طاقة لنا به في ظلام
وضياء [illegible] من كل محنة وبلاء، واكشف عنا كل بلاء وعناء،
واعصمنا [illegible]، وخصصنا بكل ولاء وآلاء، واجمع بيننا وبين
حتى [illegible] في [illegible] لقاء في دار البقاء، فإن الحيلولة بيننا
تُصفي [illegible]، وتكثر [illegible]، وتدنينا من فنائك،
وتذهب [illegible] وتبدلك بلطفك [illegible]، وترسمنا
في زمرة أوليائك [illegible]

أيها السامع [illegible] في هذا [illegible] إذا [illegible] فمن يحسن
[illegible] وإذا [illegible] وإذا وجدتني
أذكر [illegible] إني أريد التقرب إليه، وإذا [illegible] ضعف الشوق، فثق
أني أريد [illegible] ولاهية، وإذا حسبتني أشير [illegible]، فاعلم أني
أصبحت على المواصلة، وإذا رأيتني أعيب الدنيا، فاعلم أني أريد أن أصرف
عنها نفسي[3] أما سمعت الحكيم كيف يقول: إني رأيت عواقب الدنيا
فتركت ما أهوى لما أخشى. فكرت في الدنيا وجدتها فإذا جميع جديدها يبلى،

(١) [illegible] الله من أصحاب [illegible] فقده منه
(٢) كذا ! ولعل صوابه : [illegible]
(٣) بالهامش : نسخة : [illegible]

وإذا جميع أموره عطب بين يديه حتى إذا بما يعرف يعذله في كل موضع زفرة أسى ويبوب كثير أحببا فيدا كم أمري في شأنه يسعى . ولقد نظرت فلم أحد خلقاً أبلى لصاحبه من الهوى ولقد طلبت فلم أجد أحداً أعز من قبيح ولا أعنى قلبه حرب على الهوى فأمرت بين عقله والهوى

[٥١ ب] ما التقت الذين معصية إلا أمر صاحبه من الهوى

يا هذا إذا وجدت صبّاً يجمع بين بين الحق والصحيح فارفع بيده دونك ، واعرض عليه ملّتك ، وصدقه عن نفسه من سببك ، في مطعمك ومشربك ، حتى يصدقك سلك ويحمد ملك . وسلاك لك ، ويسعك ميسمك ، ويحيك ما يحضر . هذا إن كنت تحس بدائك ، وتحن إلى شفائك ، وتعلم أنك معذوب ومحتاج إلى قيم لك ومرفق لك | ومن أحسن ما إ بهذا المعنى بعض المتحنين ، فقال : أخبروني من الكمد المعنّى

وإن لم تعرفوني فارضوا بي . يا هذا دعني من دائك وسنتك أين أنت من مرتبتك في همتك . وهل أنت فيصل في قولك | ومن لك بمثلك في حيثيتك لم تزل تعرق في حالتك من دلتك وعزتك ، إن كان عندك لهذه الدرر علامة فأستشيه ، فقد جعلك الله من أهل الكرامة وإن كنت غريباً منه فالزم باب الندامة ، فعساك تهدى إلى العصمة أو إلى السلامة

يا هذا ! احتفظ الإفصاح بالكناية ، وبلاق المعنى والجهة ، والتمست المساواة بالفضة ، واستقصى عهود الرغبة والرهبة . وصر الاستئناس من أحكام الجهر في مقادير الاستيحاش من أحكام السر ، والشهود دائبة والصدور حامية .

(١) يتعلقون ... وحده بعد آخر فلا يدوم بواحد

(٢) ما بين المعقوفين من هامش الأصل .

(٣) أي ... تنبيه محنة

والعيون منتحبة ، وعيون غرقى بالدموع ، والخدود ملطومة بالأكُفّ ، والوجوه محزونة بالأكدار ، والجيوب مشقوقة بالأيدى ، والقلوب محترقة بالحرق ، والجفونات مشوبه بالحسرات ، والأكباد مفتتة باللوعات ، والأحشاء ملتهبة بالزفرات ، و ... محيرة عن ... والأعضاء ... بهم الدواهى ، والأعمار مرفوعة ... والعيون ... بهم المصائب ، ... والمجرى لأكل والسائل متطاول ، ... محاول ... فلك من ... الصدر والإشارة ... ولا أثارة ولا أمارة من علم يكشف ظلام ... ولا أثارة من ... يا هذا ... [٥٢ أ] من هذا الأمر المشكل ، ... عن تصريفه الرأى ، فلم تجد غضبة تقيك إذا تخوفت ... من صفاتك [٢] التى قد عادت عليك وبالا ، وأورثتك حيرة وخبالا ... من قشر هذا الزاد تظاهر من الثوب ... فى ... المسيح ... نصيحاً [٣] وكان فى سعيه نجيحاً ، حين قال :

وإذا جهلت فلم تجد خبراً ... فاسأل ... ...

وإذا ... تجد معتبراً ... فانظر إليك فذاك معتبر

أنت الذى لا شئ منه ... وأحق منك ... لعاثر

حىٌّ خلقت من التراب ... يبقى ... وتذهب ...

(١) كذا ، ولعل أصلها : قباله

(٢) ص : صفاتك !

(٣) ... نصيح ... ونجيح ...

يا هذا ! ما أصبحك [1] عن كل حظ لك في مسرتك ، وما أحوجك
من كل حال هي شبيه في مضرتك ! [illegible] أيها المدعي محبة سيده ، ويا أيها الساعي
على نفسه بحتفه ! إلى متى تغتر وأنت على أنك غير معذور ؟ إلى متى تدبر
وأنت عندك أنك مقدر ؟ إلى متى تبصر وأنت في حسبانك أنك تنعم ؟
إلى متى تقضي وفي حسبانك أنك مقصر ؟ وإلى متى تحسب أنك ناج وأنت
من الخاسرين ؟ تقول : خذ بيدك [2] ، واترك [illegible] ، [illegible] ، وإلى
إلى [illegible] ، [illegible] في نفسك . فإنك ميت على [illegible] ، [illegible]
[illegible] صدقت يا جاهل في [illegible] . فلا وجه للنظر فيما بعد هذا الحديث
فليست [illegible] إلا في هذه العبارة ، ولا ترى الحزم إلا في تقديم هذا العزم ،
ولا الفقه [illegible] إلا في هذه [illegible] ، ولا الاعتبار إلا على هذا القرار [illegible] رجع
[illegible] ، [illegible] والنفس أمارة بالسوء ، والشياطين مستحوذة
[illegible] ، [illegible] منبسط [٥٢ ب] ولا [illegible] جارية على سننها ،
ولا [illegible] حادة على [illegible] ، والصحة عارية عنها [illegible] أو أين تحدث ؟
ذهبت قبل أن جئت ، وضحكت قبل أن [illegible] ، ونطقت قبل أن [illegible]
[illegible] قبل أن كنت ، [illegible] قبل أن وجدت ، [illegible] قبل
أن استمعت ، ووعظت قبل أن [illegible] ، وتكلمت قبل أن [illegible] ، و[illegible]
قبل أن [illegible] ، [illegible] قبل أن [illegible] ، [illegible] قبل أن أصبحت
فيا أيها الجاني على نفسه ، الخزي [3] في [illegible] على [illegible] ، أما تظن
أنك مبعوث ، وعلى البعث محثوث ؟ هذا [illegible] باليقين أن الظن [illegible] ،

(١) [illegible] كذا [illegible]
(٢) [illegible] ترجمة حرفية لقول [illegible] المشهور [illegible]
(٣) في الأصل : الخزي

ورب [illegible] من الاستعباد وأمير [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عبد الله
في [illegible] كافر [illegible] أشد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ؟
[illegible] وصية ، [illegible] نصيحة دقيقة ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لأول[4] :

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ٥
وكل [illegible] يدلك على [illegible] [illegible] [illegible] وسلك[1]
إذا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حمالك
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عدلك
[illegible] في [illegible] [illegible] في [illegible] من [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ١٠
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
والردى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
يا رب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][2]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][3] ١٥
فأعطني [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(١) الشيب : الحلق [illegible] .
(٢) الوشل : الماء القليل
(٣) النفل : الهبة
(٤) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأصل هو : [illegible]

ما ترانى يا هذا كيف أداريت بالرفق ، وواريت بصدق أدعوك باسم

بى أن تعتذر عما قد [illegible] وقصدت . ثم تعطف عليك بالنظر إلى ما قد

شرفك [٥٣ ب] ورفعت . ولا تعجب من مراعى لك فتى مو [illegible]

من قبل من هو [illegible] فى [illegible] . فعلت إذا أحببت ندائى . ووهبت دعائى ،

درجت [illegible] ، وسكنت [illegible] ، وتحببت بمحبتك ، [illegible] من حيث ناديت

محبك ، و[illegible] من حيث نحمد [illegible] فبدا [illegible] الكلمة والكلمة بالدعاء

والإجابة ، [illegible] الداعى مجيبا ، والمجيب داعيا وإذا صحت هذه الإشارة كنت

القائل وأنا السامع . وكنت إياى فى هذا الذكر الجامع [illegible] بدا الكشف

بتشبيح ، و[illegible] التصريح . فالخير كله أنت [illegible] عند

ما أقول حقا إذا [illegible] معاملت [illegible] طمأنينة إلى ذكر [illegible] ، ودنا [illegible]

من مكرك ، [illegible] فى بحر نعمتك وشكرك ، وعلنا [illegible] النهل [1] من حبك ،

ولا تعرّنا بعطفك فى حقك . وصلنا بتأييدك فى معرفتك ووصلك ، وارفع

بيننا وبين العادلين [2] لك والشاكين فيك ولك [illegible] لعهدك ومتمسكين

بوعدك . وصافحنا بيدك ، وكالمنا بوجهك ، [illegible] ، و[illegible]

مرضاتك ، وعلّ [illegible] كرامتك ، وهيّم [3] فى الوجد بك ، وغلب

علينا التوكل عليك ، والهم الانتساب إليك ، وكن حافظا [illegible] لك ،

ومحفوظنا بتأييدك . وقبل هذا كله فأنت بارئ خلقك ، [illegible] يشحون فيك ،

ويكذبون فى [illegible] لك ، وأجلبوا [4] عليك [illegible] . [illegible] عن قوس

(١) عل ، يعل ويعل ، علا وعللا وتعلة : شرب ثانية أو تباعا . [illegible] سقاه كذلك . ونهل ينهل نهلا : شرب أول الشرب . والنهل أول الشرب

(٢) عدل فلان بربه : أشرك .

(٣) هيّمه الوجد : جعله ذا هُيام

(٤) أجلب القوم : تجمعوا من كل وجه للحرب .

واحدة لا عثرة لها ، فاكيدهم كيف شئت . وأوحد منهم كيف زهدت في ما عيش إلا معك ، ولا لي مأوى إلا معك ، يا إله الخلق أجمعين .

قد تخشعت لك متعرضاً هذه المصائب ، فتخشع لعصمت — متضرعاً إلى القبول ، فإنك بذلك حظي منى ، ووسع معك الهوين فإنه متحصة لكل عدم ، وممتزة لكل حائط ، ومهو [٥٣ب] لكل حبوب ولا تعرملك ما بوأتيت من حظوظك التي يعطك عدها منو الدنيا ، فإن ذلك إلى اضمحلال محتبه في استدامة عمرك ، ونعرف حصة ما يصيبك ، ورخ يومك بعاطف وكف ، وحمل حى أنت عبر سبيل وقابى دين . فإنك إن لم عمل ذلك هلكته ، ويد هلكت فقد فت [٥٤] ، وإذا سكنت رحوت لك الأعصر ، ولو افضت لعصت له في اليسر ، ولو صمت نتعب لك في الإرشاد فما إذا هلكت وفت ، فمن لنا بك ومتى نفسك هيهات وبت ترعد مريض مستطع غير مستطع الشر ، ولأعن حبه دون الحس . واليوم أنت حاضر ولك السمع والبصر ، وأنت بحمد الله على خطر ، فلا تبرر . فدر واحرث واسق وحافظ فمن قيل إذا حال الحول أن تكون الحصاد ، فحينئذ تسر وتبتهج ، وتعلم أنك قد أصبت فائدة ما كنت به تلهج أما أنى لو عقلت أمرى ، ما عرضت عن أسرى خروجي في الشغل بك ، والإشفاق عليك . وما عليّ منك ، والله لو تخوب ما كان ذنب فعي . ولو شئت ما كان ذلك

(١) طف منه الشيء ...

(٢) لعله . طمعت .

(٣) أي عن عمر عدة بني الإنسان

(٤) ص . اسوى

(٥) الإشفاق أشفق عليه . عطف عليه وأنابه .

صدري، وكل سد يرجيها تحط، وكل حزم فمردود محبط. أنا والله في أمر
لا يُنادَى وليده، ولا يرجى حبيبه، ولا تنشد ضالته، ولا يؤمن غائلته،
لأني مع حق مستور بيني، وضمير محوّ مني، وقلب مقلب على فنون،
بل مسف من جوى بحرف، سبيه كأسٌ حتف؛ فلا جرم كلامي كله
كربة، وإشارتي كلها مذمحة، ويوى من قوله لي أحد قهقهة، والتسمة
حق مشتمة، والآفة بي محيطة، والسبل ضيق، والحد أكلف[1]. والسر
أسعف، وأنا أعرف بما أعرف وبما لا أعرف اهـ

اللهم ليت شكوى إليك مني، وإن أسأل أن تعطف علي برحمتك
فيه وحشة شددت الخناق، وشغلت الحلوق، ووقفت الحرب بيني
وبينك، |١٥٤| فحضضت وتعرضت الأحبت وتعمدت، وأحسنت
وتصدقت أيها كذا، تحكي عنك ما يعده منك[2]. ولو حكيت ذلك لسكان
في حضرة ما يسعك، ولكنك تحكي عنك الجاهلين بك فإنهم يضيعون
ما تسع، ويجهلون ما تعلم، ويغفلون ما تجود، ويتّضون[3]
بما تبيح اهـ

يا هذا، عبر عنك من لم يكن على الشدائد، وقد من عندك من الأسف
على ما فرق في الأولى، ونقص من حظ أخي وإن شق عليك، فإن ذلك
أنهض بك وأشد لاستقلالك وأنظر بعد همك في سلك: اهبت، وانثر عن
كاهلك كلما ثقلت في عضده. وكن منتصب نحو أملك في أملك

(١) الأكلف الذي تعلوه حمرة كدرة. يقصد مكفهر.
(٢) كذا في الأصل. ولعله يسعه
(٣) غضّ يغضّ وتغضّ بالضم والمصدر: العرض في جسده شيء، منه فمنه
التمتص، فهو ناضّ وغضّان. وفي الأصل يعضون م

وإياك و... فشهامر ثقه ... و... لس ... معلقة وإياك واتقى ،
فإنه ... مقتتة ... وإياك ... وطوى ... معتمة وإياك و ... مة ، ... مرقة
وعليك بعسكر الصحيح ... الرأى ... والصحو ... الصحيح ، ... بهدا
وشاهده ... وجه ... وتمالك ... وصبرا ... شككت فلا تشك
في رحيلك عن هذا المكان إلى ذلك ... فاجهد أن تكون ... مقبولا
لا مردودا . ومجتمعا لا ... وعابثا لا ... و... لا كاسفا ، ومطمئنا
لا حرجا ، و... لا ... ، ... لا ... ، ... لا مسترسا ... الله
... بالتوفيق . ... وهذا ... خلق ... والسلام

رسالة (بر)

الحمد لله ... ، ... ، ... الألباب ، وطاعة
لأمره ... ، ... على ...

يا ... إلى ... ، و... فقسمت ،
و... ، ... ، ... ، و... ملكت | ٥٤ ب | ،
واستوقف ... ، و... ، واحص ... ، و... رفعت
ووصفت ، ... ، ... العلم ، وقلت ...
غير ... ولا ... ، ولا ... ولا ... واعلم أن سوابق ...
في ... من ... وحده ... ، و... عنه من ... شوق إليه ،

( ) عن فإنه
(٢) المعنى المنزل ويعضه ...
(٣) الحصر . الحصرة

وثوابت كثيرة معه من ملاهب أسوى -لى ما يعوى مه عليها لا انصاف (١)
عندى ولا عدل ، ولا لوم عليه ولا عذل ووقف (٢) ببعض ما أودعه الحق
من أحكام قدرته ، شاهداً ذنا حكمته ، ولتعلان نحت المدكة تحسن السياسه
والإيالة ، وفى نحوة من احلكه بحسب الحراسة والإيالة ، لا ممدّل لآدته
٥ ولا معقّب لحكمته وهو الحق المبين ، الفعال لما يشاء ، المتصرف على ما يريد
مفرّق والسر فيه تأليف ، ويجمع والحكم فيه تفريق . يحب ببعوده به ،
ولصيعه لا توجد إلا منه ، وثنى لا يقضيه غيره ، وحكم لا يقضيه سواه
هنالك لا محل للعقل ، ولا مسرى للوهم ، ولا تمرد بتحصيل ، ولا فائدة
فى البحث ، ولا غاية للطلب حدث الأصب شبه كلالا ، ووراعت
١٠ الصبر فيه ثياً وحلالا المتأنس به على خطر ، والمستروح عصده
هلك ، والذاكر له عقل عن صيق أعنه ، واعسف معه . فإنه إن رأى
فرحك رحمك ، وإن شهد وُدك نعمك ، وإن شاهد تصاولك عطّلك ،
وإن رأى حاجتك وقفت سومك (٣) و ذلك والاعتراض عليه أو التعرض
به ، فإنه متى شهد ذلك منك بسفك حسفاً ، ونسفك نسفاً ، وقشرك قشراً ،
١٥ ووشرك وشراً (٤) . اعتصم بحبه ولا تندهش لا مصرحاً بها ولا كانياً عنها ،
لأنك إن أبديتها فرحتها وإن كتمتها كمد . وإن كتمتها ضنّت والصون

(١) كذا ! ولعلها : لا إنصاف .
(٢) أى أن الزمان يعض أسرار القدرة الإلهية ، بوصفه المعرض الذى تتبدى فيه المخلوقات .
(٣) سوّمه ملّكه .
(٤) وشر (من باب ضرب) الخشبة بالميشار (غير مهموز) لغة فى أشرها بالمنشار إذا نشرها

منه [illegible] لأنه بعثاً خفيه وبه باشكر. فإنه لا يستر عليك حقه
حتى ترعى حقك، ثم يمسك على المطالب، ولا يستدعيك إلى ما له حتى يوفر
عليك ما لك [١٥٥]، ثم يسمح لك في المقصر لطائفة تحيل مصروفة إلى الخلق،
وعطائه الخلق تحمل مردودة إلى موجبات الحق. لأن الأولى شائعة بالكمال،
ناطقة بالتمام، شاهدة داعية إلى الإخلاص، والثانية واقفة على درجات ٥
النقص، مغموزة بأسباب التقصير. وهذا أمر يقع فيه سهو وتجاوز
مسمحة، وعوق تسبيب، ولولا فالآية ظاهرة [illegible]، دالة به هاتها،
داعية إلى [illegible] من العارض، وسلامة مستبين لمريدين. وفق الله
الحر، وحملك [illegible]، ولا أوذى عنك، وأعفيت نفسي لأنه، وحرمت
نفسي ولائه. وثبتت على منهج صيانة، ووقفت من أسباب هذه الآية سائل ١٠
ولاخليت عنان القول على هذا المقال، إلا لأني وجدت بك نفسي، ووجدت
بما وهب الله لك نفسي، ولم أقصد قصدك، ولا سمع عنك، ولا أدمت
كلمات [illegible] ونهيت نفسي عن عنك من هذه [illegible] إلا متحدة في باب الإشارة.
فلا عليك ولا نفس منك [illegible]، سمة عليه،
واسكن [illegible] وطلب [illegible] فإن يصدك [illegible] من ١٥
يعمك سواء

واعلم أني شاهد، وإن كنت غائباً عنك، وواجد، وإن كنت فاقداً
لك. لأني لم أفقد منك إلا الاسم الأجسمي الذي تتصرف به عين الناس.
فأما المعنى الذي به أنا كاتبك منبسطاً <ف> هو الذي به أنفس عنك مستحياً.
فاسكت عما تقلبت فيه بعدك من أحوال لا أخص نفسه، ولا أحصيها بحفظ. ٢٠

١) [illegible]
٢) كذا [illegible] وسكن حسن نقده واسكن

فالسكوت عنب حلى ، ولاق ى ... ولى أنت معا ق نفسه ،
معافى فى ... فقد برق ... ما أشكى معك فى الألم . وشبهى لك
فى السقم أنت جميعاً أخروت ، ... على شامت ، فقير إلى قتير يطلع
عليك ، مفضلاً على فاضل يبسطه إليك ... كنت كمنت ، فأنت بحمد الله
كذلك [٥٥ ب] . فخمس ... من ثمن سلامى ما يطوحه ، لا بد منه
من طيب كلامى ... وحه ... فى محنته ... ومقصر فى ...
لوازم حقه ، ولا تتعرض لأبى ... ولأن ألحق بكبدى وأحرق فى كبدى
من أن تكون ... وأقرب إلى سرى وقدر على ... من أن
تكون ... ولست أدرى ...
أفرد ... فقد ... لا تزولى ... ، وإن شاء الله
رزقنى ... من ... فضله ، وهو ... إذا ... بعد هذا
أن تلطف ... تركنى يا سيدى ... به ...
... على ... لأوقاته ، ولو ... على
... ولا ... ولا يوحش ... ،
فقد ... من ... ما ... أن ... هؤلاء ...
... من الصوفية ، ... الآخرة
ولست أدرى ... فى ... والآخر ، والأحب
فى ... مسوحش منه ، ... من أخلاقه ، ...
على عقله ، لأنى ... الحكم المروءة ، جاهلا بحقوق ... ،

(١) فى ... الشيء ... إليه
(٢) فى الأصل كأنه مشغول ...

[illegible] ؛ ولا أطلبه [illegible]

[illegible] شرب على فلان أحواله [illegible]

[illegible] أبو الحسن [illegible]

[illegible] محمداً [illegible]

الأدبية [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible] — أي طاقة .

[illegible] هذه [illegible] وقع في ضعف ذلك
[illegible] الأمر [illegible] اشوق إليه ، وتضاعف
[illegible] وكن النزاع وادعت [illegible] ومضت [illegible] وذهبت
بالاشتياق [illegible] الشوق [illegible] وكان [illegible]
[illegible] على [illegible] ولأن [illegible]
[illegible] واحد [illegible] والبين [illegible] على
[illegible] فيه ، [illegible]
[illegible] على [illegible] وبدائع
[illegible] وبدائه | ٥٦ ب [illegible] شوق [illegible]
وإلى الله المرجع ، وإليه المعتمد في [illegible] الأنس [illegible]
[illegible] في [illegible] البلاغة
[illegible] في أمره ،
[illegible] على [illegible] ومحيط [illegible]
[illegible] ،
[illegible] ولا [illegible] في [illegible]
[illegible] بلى ! إن هذا الحق لمواد الصدق ،
[illegible] من عين لا [illegible] شكره ،
ولا [illegible] و [illegible] وتحت
المقالة ويحسن [illegible] في الآخرين [illegible]
الأولين [illegible] والشهود [illegible] والشبهة
[illegible] ، فالقول تمويه ، [illegible] معكوس ، و شكر تملق ، و [illegible] علة ،
والانتداء [illegible] أسف ، والجميع تكلف والناس رجال

من خلي [illegible] مع أحكام [illegible] وسوالب [illegible] — لا يرعى [illegible] ولا [illegible] المواعظ من سمعه [illegible] وقف بين الأمور محاساً فطال [illegible] وبكى [illegible] ، فخلط وزجر وتمنى [illegible] وعدد [illegible] وقال وحسّر ، ثم سكت وتحسّر حتى [illegible] الله [illegible] القلم وفى القرطاس وحصر [illegible] اللسان .

وما فى النفس من طيب [illegible] كالين المؤرة والسحب المواره عليك سلام الله [illegible] ، وعلى من [٥٧ ا] يليك ، [illegible] حيث [illegible] وبركاته .

[illegible] أفدى [illegible] ، [illegible] مطلى ، فلا [illegible] عن [illegible] ، ولا [illegible] فى [illegible] عن مطلى إنما هو لاعتلاق [illegible] هو [illegible] بكل بين ، وحجة [illegible] على حقيقة [illegible] .

[illegible] وهمت [illegible] ، وورودى مما أنا له الله [illegible] التى قد صادفت الشيطان ، [illegible] وإلا فتح على باكياً ، فقد جاء من أمر الله ما لا [illegible] ، وأطل من [illegible] ما لا قبل لأحد به .

ومتى [illegible] بعد طلبك فى ، أو [illegible] على [illegible] منى ، فقد قضيت حق الأخوة ، و[illegible] المربة [illegible] بالله ! أما ترى شجوى فى كلامى ؟ [illegible] من [illegible] من خبرنى من خلق وأمامى ، أما [illegible] إلى كرمتى وسلامتى [illegible]

[illegible] لك بحق [illegible] على [illegible] من ذلك ، فما [illegible]

[١] [illegible] كفرح [illegible] أصابه [illegible]

إليك إلا بعد أن [illegible] يدي [illegible] ، ولا بعد أن [illegible] من غيري وطني ، ولا بعد أن [illegible] [illegible] من [illegible] ، فليت حليق [illegible] يسأل [illegible] بيت . و[illegible] [illegible] بالجود [illegible] الصدق

اللهم لا تجعل خطابي [illegible] [illegible] [illegible] ووحشة [illegible] ذلك إلا منافسة بك ، وإلا استهداء إليك ، وإلا عشقاً [illegible] ذكر [illegible] ، وإلا [illegible] [illegible] من [illegible] حكمتك ، وإلا [illegible] [illegible] عند ملائكتك ، وإلا شوقاً بجيرة [illegible] [illegible] [illegible] . ورب صفة لك شريفة بينهم ، ورب حكمة بالغة [illegible] [illegible] [illegible] . [illegible] [illegible] مسلاه من أحدهم[1] [illegible] ولا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] منهم إذا شافهتهم ، وماذا كنت [illegible] [illegible] [illegible] ؟ [illegible] [illegible] من [illegible] ، وإنما أسألهم بسببك ، و[illegible] أستشفعهم[2] لأنى [illegible] ، وإنما [illegible] إليهم لأني [illegible] ، ولولا أنت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، ولا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، و[illegible] [illegible] و[illegible] [illegible] يا ذا الجلال والإكرام

يا هذا ! [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في هذا [illegible] من [illegible] [illegible]

(١) ص أحدهم (بسكون الحاء وفتح الهمزة) ويصح أن يكون الأصل : أحدهم .

(٢) كذا [illegible] [illegible] : أطلب منهم [illegible] [illegible] — كناية عن [illegible] الأنس والأنعه [illegible] [illegible] [illegible] ؟ أو أصلها : استسعطهم — أى أطلب إليهم سعطى ، و[illegible] شيء (من [illegible] [illegible]) أخرج ما فيه — كناية عن أنه يسمح لهم بالاستمتاع به ؟

والإشارة ، فإنك تجد به ما يُقرِّب [illegible] وضحيت [illegible] ومهما
لا [illegible] ولا [illegible] أو لا [illegible] ، وبك [illegible] عن قسه
وتقليبه [illegible] عليه [illegible] أسست الأثبت
ودعمت [illegible] لا [illegible] ولا [illegible] في الحق ، وأحببت
أن تخرج من [illegible] من [illegible] ، فعطفت على [illegible] وأحلّ
بي [illegible] فاعلم أن [illegible] حق [illegible] ونُسرِّف [illegible] ،
وأنت [illegible] لا [illegible] الذي لا يصمم

اللهم [illegible] في [illegible] وقد حت
[illegible] وبين أمرك
[illegible] قضائك
ولا [illegible] ، وإذا [illegible] فأسمعه ،
وإذا [illegible] ، وإذا كنت [illegible] ،
وإذا كنت [illegible] أنت يا ولي الحمد

اللهم [illegible] ، وعليك نُثني بصنوف أقوالنا ، ورضوانك
[illegible] ، وإليك نرجع في اختلاف أحوالنا ، [١٥٨ ا] وعليك يُلحّ
في طلب [illegible] ، لأنك لكل راجٍ ملاذ ، ولكل خائف معاذ ، ندعوك
دعاء المضطرين ، ونتعرض لك تعرض [illegible]

(١) ضحا الرجل يضحو ضحواً وضحواً وضُحيّاً [illegible] للشمس
(٢) [illegible]

رسالة (ج)

بعد [illegible] على قليلا واعتمر فى طويلا . ثم إن كان فى أخلاقك طهارة ، ولك فى بشر الحسن لطافة وطراوة ، فتعطف على برقة من قلبك ، ورحمة من نفسك ، فقد أصبحت مغتوطا[1] فى كل ركية[2] ، ومضوا بكل ثنية[3] . ومطرودا عن كل مثنى ، ومحمودا بين كل سبيل [illegible] إن رمقت رشقت . وإن تطاولت قمعت ، وإن سكت شتمت[4] ، وإن نطقت كذبت

وما من بى بالصبر من ليس وجده

كوجدى ، ولا إعلان حالى كحاله

فإن أفقد العيش الذى فات باللوى

فقدما[5] فقدت [illegible] استقاله

[illegible] قد [illegible] وحال قد حال بينى وبينى ، وعلله أشت بى [illegible][6] وحين ، وعائب [illegible] غيبه [illegible] . وحاضر [illegible] منه منى فلا [illegible] لى [illegible] ، ولا [illegible] عن [illegible][7] ، ولا يسراره [illegible] لى [illegible] ، ولا [illegible]

(١) [illegible] الشىء فى الماء وغطه [illegible] وغوصه فيه
(٢) الركية : البئر ذات الماء ، والجمع ركايا وركى
(٣) أي مصلّلا فى كل واد وثنية وطريق
(٤) شتم [illegible]
(٥) أى [illegible]
(٦) أى [illegible] فى الإقامة ، أى [illegible] فى الظعن وفى الإقامة .
(٧) السرار (بكسر السين) ضد الجهار (بكسر الجيم) أى [illegible] . ضد الإظهار والإفشاء .

دونى نوحاً . ولا [illegible] ناصحة . ولا [illegible] فى دمعة ، ولا [illegible]
بالجوى ، ولا [illegible] تقبض من [illegible] [illegible] من أحبائه ، وقد
[illegible] بين الجوارح ، و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
فى النفس من الحدثان [illegible] وماى ملاذ [illegible] أبلى ، ولا [illegible] [illegible] إلا من قد
أطال [illegible] هو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وهو [illegible]
و [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ما [illegible] الله فهو حسبه

يا هذا ، [illegible] الشمس بحدائق الوجد [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible]
فى [illegible] الروح . [illegible] [illegible] بما [illegible] ، | ٥٨ ب | و[illegible]
الأبصار نحو الغاية المقصودة [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible]
من [illegible] ، و [illegible] ملكوت كل شىء [illegible] ، وهو [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] لا [illegible]
والإلهية لا تدعى إلا [illegible] ، وقدرة لا [illegible] لا [illegible] . وحكمه لا تصح إلا [illegible]
له منزلة بديه

يا هذا ! اختلف اللغات فى تصاريف أحوال [illegible] ، و[illegible] [illegible]
فى غرائب ما بدا من إيضاحه وإشكاله . حتى قال قائل

وإنى لأرجو قُرْبَكم ووِصالكم [illegible]

إرادة مشوبة ، وحال [illegible] ، وعلامات مبهمة ، و[illegible] [illegible] ، و[illegible]
مدخولة ، ولغة عجماء ، وعين [illegible] ، و[illegible] [illegible]

(١) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
الغاية المقصودة .

(٢) جرّش الشىء [illegible] [illegible] ، فهو جريش [illegible] [illegible]

[illegible] وتلوّن كما [illegible] [illegible] [illegible] كما [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] من هو من هذه [illegible] في [illegible] [illegible]
[illegible] ، ولا يجد [illegible] من [illegible] [illegible] . و [illegible] [illegible] من
[illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] وخلى [illegible] [illegible] ، و[illegible] في [illegible] [illegible]
٥ [illegible] [illegible] من [illegible] من [illegible] [illegible] لأمر وكوى في [illegible] [illegible] ،
[illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] تذكر [illegible] ،
و[illegible] أشد [illegible] ، و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] ، و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، وسحت السحائب فقامت
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، و[illegible] [illegible] عن [illegible] والمعنى ،
١٠ [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] به [illegible]

[illegible] أطلق [illegible] همتك في ميدان راحتك . و[illegible] في ظاهرك ،
واستشرف في باطنك ، فإنك بأحدهما تكسب [illegible] ، وبالآخر [illegible] [illegible]
[illegible] التوحيد . [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] هذا [illegible]
١٥ [illegible] [illegible] [٥٩] [illegible] [illegible] [illegible] ، وإذا [illegible] [illegible] ، و[illegible]
[illegible] لم [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] وكيف يكون ذلك ، وبعضه مدرج
في كله ، وكله [illegible] في بعضه [illegible] [illegible] بين الجميع ، وكله بعض
[illegible] متفرقة وهذه صحيفة [illegible] [illegible] . لأن الأذهان غلظت عنه ،

---

(١) الشكية : الشكوى
(٢) [illegible] إذا [illegible] [illegible] الشيء المعنى إليه
(٣) [illegible] [illegible] [illegible] أعور

والعيوب [illegible] دونه [illegible] لا [illegible] لا أبحة ، ولا [illegible] لا صفة ، ولا التشبيه [illegible] لا [illegible] ، ولا [illegible] لا [illegible] ، ولا [illegible] لا [illegible] وهذا [illegible] في هذا الوقت أن يكون [illegible] وأسبابه مستحيلة ، وله في كل وقت [illegible] لا [illegible] ، ولا يطمع في [illegible] ، [illegible] [illegible] فما [illegible] هو في [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

يا هذا [illegible] [illegible] عن [illegible] [illegible] وقصرت دونه ، [illegible] ولا [illegible] [illegible] ولا [illegible] [illegible] وإنما [illegible] [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible] وهو [illegible]

(٣) [illegible] الأرض [illegible]

(٤) [illegible]

لقيت إليك، وإن أحسست [illegible] وهو أن يحصل من أملك فيه ما يكون [illegible] مأمولاً لك به، أو [illegible] في [illegible] ما يكون مومأً عليه.

يا هذا، إنما حسن أملك فيه لأنه [illegible] عليك لأنه لم تنق من الرياء. فاجتهد — عافاك الله — أن [illegible] لأن تحقق [١٥٩] الإخلاص، فإن من حقق الإخلاص [illegible] لاختصاص ومن صدر من أهل الاختصاص، عاد الحق عليه [illegible]

يا هذا [illegible] وإياك [illegible] إلى ما أنا [illegible] وأكون ما أنا عاجز عنه [illegible] مكان [illegible] إلى [illegible] كان ذلك أرفق بي وأزين، ولكني [illegible] بالنوب [illegible] بالسجع، فقد خسرنا جميعاً، لأنا [illegible] الصاع، و[illegible] القاع، ويخلف [illegible] الرباع[1] [illegible] من هذا السّماع[2] اهـ.

يا هذا [illegible] من [illegible] بمسموعه [illegible] عن [illegible] بحقيقة مقولي [illegible] قلت لي لو [illegible] في [illegible] في التصديق [illegible] كان لك ذلك، ولكن [illegible] في قولي عند اعتدائك في سماعك؟ لا تجعل عثار غيرك عذراً لك في [illegible] ولكن في [illegible] التي أنت عليها على استمرار [illegible] بين إسرارك وجهارك[3]، [illegible] لا [illegible] وحيداً.

(١) الرَّبع: الدار بعينها حيث كانت، والجمع: رباع و[illegible]
(٢) السجاع: ككتاب: التشاتم.
(٣) أى بين سرك وجهرك.

وحسبه أن يعرف الحق عنه إيرادك وإصدارك ، وإياك أن تسيء بين عرارك

ونارك ، فإنك تبين من تشهداه في حالتي صحتك ونوارك ، وترقيت بين إقبالك

وإدبارك فإن صممت قصده فبلك وأرادك ، وإن وليت عنه زادك وأبادك

وكيف لا وهو في الذوق قد أعياك وأرادك ، وأمدك وأفادك ، وساقك وقادك ؟

يا هذا ، أمالك حظ في هذه البلاد ؟ أمالك رائد في هذا المراد ؟ أمالك ٥

نص في هذا السواد ؟ أمالك شوق إلى هذا الإسناد ؟ أمالك حياء من هذا[3]

الارتداد ؟ أمالك سكون عن هذا[3] الاستبداد ؟ مالك لهيت عن هذا الاشتداد ؟

من هذا الذي وفى فسلم ؟ من هذا الذي صدق فتمم ؟ [١٦٠] من هذا الذي

صلح فصلب ؟ من هذا الذي صح فثبت ؟ من هذا الذي وصل فانقطع ؟ من هذا

الذي فتح فانفتح ؟ من هذا الذي أشار فشار[4] ؟ من هذا الذي عرف فصار ؟ ١٠

من هذا الذي وجد فهدى ؟ من هذا الذي نصح فصدق ؟ من هذا الذي نطق وكمد ؟

من هذا الذي حقق فهجر[5] ؟ من هذا الذي صدق فحقر ؟

(١) ص : إصدارك وإيرادك ... ولكن السجع يقتضي الترتيب الذي حررناه

(٢) أي قصدت قصده

(٣) ص : هذه

(٤) ص : فصار ... ويجب إصلاحه ... ملازماً لبابه ، ولا معنى لهذا هنا

إلا أن تكون ... أي ... بعد أن أشار . وهو أيضاً لا يعطي معنى

صحيحاً ... ويكون المعنى هو : من ذا الذي نصح ودل

على وجه الصواب ... ؟ أو يكون أصله : من هذا الذي اشتار (أي جنى

أو استخرج الشيء) ... أي ... وهنا لابد من تغيير قوله بعد :

فصار ، إلى كلمة تنتهي بحرف ... اتباعاً للسجع ، مثل : فثار — أي من الذي

عرف ... أي ... يعرف من هو

(٥) ... التحقير ... والمهجرات ...

اللهم إنا نخشى ما نعمل وأنت تعلم ما نقول [illegible] ، ونعمل فتحيط
به قبل أن نعمل، فقد [illegible] في قول وعمل، وآخذنا منه كل رجاء وأمل
فكما كنت أنسنا في دنيانا [illegible] ، لم يكن من [illegible] أعمالنا
سيئة ، والكنا نصبو في أوائل عهدنا، ونوافل كبيرة ، ولكنها صغيرة
في أوائل استحدثت

إلهنا قد صبرنا على مرارة عشرة خلقك ، فلا تحرمنا حلاوة مواصلة
ما يصلنا بك كما [illegible] . فحسبنا [illegible] من [illegible] ، وعرفنا فيك .
فاحتملناهم لوجهك

إلهنا ! ما لنا ذنب إليهم إلا ذكرناك[1] [illegible] ، ولا [illegible] عليهم إلا أنا
أغريناك بينهم [illegible] . لأنا عرفناك فوصفناك ، وقرفونا[2] . لأنا
[illegible] فتأملناك [illegible] يصفونك . فارحمهم لئلا يكفروا
بك وكما أريتنا [illegible] فأرنا [illegible] . واحشرنا وإياهم في زمرة
الواصلين إليك المقربين منك

يا هذا ! غايتك بدعائك [illegible] من الله بكل [illegible] من فاقة العبيد
حقاً[3] [illegible] . فاحمد [illegible] في [illegible] وملاته . فما فتح باب
الدعاء على أحد إلا دل ذلك على أن الله يحب أن يسمع كلامه [illegible] وربما أخر
الإجابة لتدوم المناجاة ، ولولا من ييأس من روح الله مع سعته . أو قيد
من عفو الله مع [illegible] [illegible] الحال والحقيقة والرجا والاستكانة ،

(١) أي ذكرناك أمامهم — أو صوابها ذكرناك [illegible]
(٢) قرفونا اتهمونا
(٣) أي متجاوزاً

والعادة والعبادة [illegible] الإنسان في | ٦٠ ب | محل
السائلين [2] ، وأما الحقيقة [illegible] من حروف [illegible] . وأما الوجه
فإنه يستخرج عن [illegible] ، وأما الاستكانة [illegible] في صحبة
المساكين ، وأما [illegible]
وأما العبادة [illegible]
أحد [illegible] وأما [illegible] أحد
إلا كان قطعة [illegible] شيء
يحتج [illegible] يتحقق ؟ [illegible] شيء [illegible] ؟ ولولا يكن
في الله إلا [illegible] ولا خرق الحجب . ورفع
القسم [illegible] فيه مقمع [illegible]
وفيه [illegible] وتعرض [illegible]
من رب الخلق [illegible]
ودليل [illegible] ولا [illegible]
ولا أعرض [illegible] كان
[illegible] في [illegible]
لا [illegible] لمن كان له
قلب أو ألقى السمع وهو شهيد [4]

(١) التربيت [illegible] على حسب [illegible] قليلا لينام .
(٢) من قوله في [illegible] إلى قوله [illegible] يستخرج [illegible] مطموس شيئا
في المخطوط لوجود [illegible]
(٣) ص [illegible]
(٤) سورة ق ، آية ٣٦

أما الإشارة بالعين فإلى شيء بعينه، وأما الإشارة بالسمع فإلى حضوره
وأما الوصف بالشهيد، فإنه كناية عن اليقظة، فقد يكون حاضراً من هو
كالغائب، وقد يكون سامعاً من هو كالأصم. فالشهيد جامع لكل ما في الحال،
ومشير إلى الغاية المقصودة بالكمال. وهذا لسان لا يعرف إلا عند المؤيدين
من أهل اليقين الذين عاينوا هاهنا فغيبوا هناك. ٥

اللهم إنا لو وفينا الحياء منك حقه لما واجهناك متلوثين بلطخ الذنب،
[١٦١ ا] مدلّين بالقول، مقلّين من العمل، عارين من الحقيقة، بعيدين
مما يوجب الوثيقة. ولكنا على ذلك نعيذ أنفسنا من اليأس من رحمتك،
لأنك قد حظرت ذلك علينا، ودعوتنا إلى حسن الظن بمولاك، وإلى جميل
عفوك في آخر أمرك. ١٠

اللهم فكن لنا أكثر مما نرجو لأنفسنا، وادفع عنا غوائلنا علينا، وإذا نسيناك
فذكّرنا، وإذا عرفنا فاحمنا، وإذا تمنينا فأنلنا، وإذا أعطينا فأجزنا،
وإذا قصدنا فأصحبنا، وإذا دعونا فقرّبنا، أنت القادر ونحن العجزة،
أنت الواحد ونحن المعدد، أنت الغني ونحن الفقراء، يا ذا الجلال والإكرام!

[illegible] ([illegible]) ١٥

يا قوم أنّى لي وما لي أو من ذا سلبني عن حالي، وشغلني عني لي،
حتى صرت أقدح بزند مصلد [1]، وأنفخ في غير فحم، وأنادي من ليس بحاضر،
وأنصح من ليس بقابل، وأحثّ من ليس بعامل، وأهيم في وادي الظنون،
وأخبط في أشباه [2] الوهم. وأرى أني قد أدركت الغائب وحصّلت العزم،

(١) أصلد الزند، وصلد صلوداً: صوّت ولم يور (أي لم يخرج شرراً).
(٢) أي: اختلاط الوهم.

ومسك النفس ، وأحرقت الشمس ، وبعثت العبة إلى بلد سعى السعود ،
وفي شر حالي العيون أما فيكم من يقبل على وجهه ، ويقاولني بما عنده
من حبه وشاهده بالحجة والشبهة ، على أرى نفسه قد غبت عنه . وأدنو
بهداته إلي فقد نعمت منه عنه وثقة بي نفسي . وذهبت بالحسرات
نفسي . فطال التعب من كدر يومي في صفاء أمسي ٥

يا قوم [illegible] ، فاجعلوا مدى من [illegible] أمري . وعلى من أعرض
وقلبي وعندي . [illegible] احتججتي ومعذري [illegible] أهل [illegible] وشوق ،
وفي حبكم ومودتكم ونشوة [illegible] ، وبعد [illegible] بيتكم النعت
حرق . وفيما بينكم اشتعلت ، [illegible] ورقي [illegible] كان [illegible] وكدت
[illegible] الإ [illegible] ، [illegible] ، ١٠
وعطفتم على [illegible] ٦١ [illegible] الحي لا خير
في حبك وكن لي أنت بما أردت فانصفني [illegible] من لعمة
[illegible] يا ذا الجلال والإكرام !

([illegible])

أيها [illegible] في حبه ، الشكر في [illegible] ، [illegible] من حفظه ، ١٥
والمتحقق من [illegible] ، [illegible] عن [illegible] ، والمتحمس على [illegible]
[illegible] ، [illegible] . والدائم على [illegible] ، ويحتج عن [illegible]
عرفت [illegible] . [illegible] تجمعت [illegible] واصدق [illegible] لا مهمل ،
ومطلوب لا معروف ، ومحمود لا [illegible] . ومقيد لا [illegible] ، ومربوط لا سدى (٢) .

(١) أي النعمة التي تأتي من طريق [illegible]

(٢) السدى : المهملة من الإبل

ومقلة لا تغفل(١) . وإذا وضح لك [illegible] ملك ، أخشى مالك فيك ، وما عليك بك . [illegible] تحقق تلك الدائمة السامعة . [illegible] يا هذا ! [illegible] لقلوب [illegible] . وكن [illegible] وإياك والحِرار(١) والتعمد في [illegible] ، وتذكر [illegible] فيك . [illegible] ، واعلم [illegible] . [illegible]

يا هذا ! [illegible] [illegible] ملك [illegible] [illegible]

يا هذا ! [illegible] لا [illegible] عن كل [illegible] كان [illegible] [illegible] ١٩٢ [illegible] من الخمس [illegible] كل [illegible] كان يُهدى لملامة القول والرضا ، صار كربًا بحسرة [illegible] كان يبقى [illegible] بأنس ، يلقى عليه [illegible] والإنس [illegible] سلام [illegible] كان يصمش [illegible] ، ويتحدد [illegible] سلام على حرم كان لا يدب فيه واش ولا رقيب ، ولا [illegible] ولا [illegible] سلام على [illegible] كانت [illegible] بمقبر محترق

(١) [illegible] فهي حروف ، وهي التي [illegible] .

(٢) أي : للحضن .

به القلب ، ولُطفٍ تحيا به الروح . بل سلامٌ على ملامحَ كلما طرق خيالها
هاجت البلابل ، وتقطعت السلاسل . بل سلام على مصافحة كانت الشكوى
بها تذوب ، وعلى معانقة كانت الأماني بها تثوب . بل سلامٌ على مجلس
كان ممتعًا بحديث حلو جرى مع الحبيب . ليس لأحد من الخلق في تعريضه
وتصريحه نصيب . بل سلامٌ على بقعة كانت مقصورة على الشوق إليه
والوَجد به . بل سلام على رُقادٍ كان الحُلم يعرضه ويجلوه . كثير ما كانت
النفوس تتمناه وترجوه . يا هذا

ما إيبى كأنها نعمة تخشى الفَوتَ جمّةٌ والمنى !

عزّ والله عليّ ذلك عندنا ، وعزّ أيضًا على حمدا ! نعم يا سيدي إن سألتني
عن هذه الحال ، فإما أن أطوي ما سكت حين ، وإما أن أنشره رياء .
وفي الجملة ، تحللت عقودها ، وتنقلت أفئدتها ، وعاد مخصبُها سحاحًا (١) ،
وعذبها أجاجًا ، ولينها خشنًا (٢) ، وروحها سمومًا وقدحًا ، بعدما كانت بردًا
وسلامًا ، ومفروشة إنعامًا وإكرامًا ، — لاجرم (٣) أصبحت كمن وصف الحب
حين قيل فيه

كأنَّ فؤاده كرةٌ تنزّى (٤) حِذارَ البين ، ووقعَ الجدارِ !

يا هذا ، أما حان لك أن تستحي من العكوف على الخدمة ؟ أما وجب
لك أن تهجر [٦٢ ب] هذه العادة القبيحة في المدافعة والمدارمة ؟

(١) السحح (يعني اللين الشديدة ولعله جمع سحيحة) بمعنى ما رَقّ بالماء ، والخصب هو ما من الأرض غير مخطوط الري .
(٢) الخشن : المكان الخَرِب من الخشن ، فيكون معنى اللحن هنا الصلب .
(٣) لاجرم : صار حقًّا .
(٤) أي تنزى : تتوثب ، تتقفز .

نؤمّل عيشاً في حياةٍ ذميمةٍ ... أضرّتْ بأبدانٍ لنا وقلوب

وما خيرُ عيشٍ لا يزالُ مفزَّعاً ... بفَوْت نعيمٍ أو بموت حبيب!

أملٌ يضرّ، وظاهر يغرّ، وباطن يعرّ[1]، وكلٌّ يعرّ بما يسوء ولا يسرّ. هذا وقد أخلقَ الدّينُ، وعمّت الفحشاء، وأقفرَ الصفاء، وفشا الجهل، وظهر الغيّ، وتكاشف الناس، وفُقد الصدق، وغلبَ الجهل، وكثرت الجرأة، وصار ذكر الله لغواً على الألسنة، وخوت القلوب من الفكر بين السيئة والحسنة. فلا حزْمَ عند عقلائهم يبنونه، ولا إنسان كان عندهم دينونة. فما ندري ما نصنع، ولا ندري إلى من نفزع. والمؤمن إذا قصرت يده عن المعروف، وأمسك لسانهُ عن الزجر، وكلّتْ عينهُ عن النظر، وصمت همّتُه عن الإنكار — نوى الرّحيلَ عن هذه الدار المحشوّة بالشر والعار، إلى الدار التي هي دار القرار. فقد جمدت العيون فما تدمع، وتكبّرت القلوب فما تخشع، وكلبت[2] البطون فما تشبع، وعميت الشقوة فما تنزع، وعاد نهار الدين ليلاً. ولتلدد بالعلم حَرَباً[3] وويلاً. ولله من هو بالغه ولو شاء لجمعهم على الهدى «ولو شاء ربُّك لآمن من في الأرض»، «ولو شاء الله ما اقتتلوا»[4].

يا هذا، إنما نتنفّس بهذه النكبات كما يتنفس المملوق[5]، ونتعلّى بها

(١) عرّ فلاناً يعرُّه: أصابه بمكروه.

(٢) كلِب كفرح: أصابته شدة وضيق.

(٣) حَرِبَ حَرَباً: كَلِبَ واشتد غضبه.

(٤) الآية الأولى من سورة «يونس» رقم ٩٩، والثانية هي من سورة «البقرة» رقم ٢٥٤.

(٥) إما أن يكون من ملَقَ (من باب نصر) فلاناً بالعصا، أي ضربه، ويكون المعنى هو: المضروب؛ وإما — وهذا هو الأرجح — هو من قولهم فرس مملوق الذَّكَر: حديث عهد بالنزاء.

كما يهذي بها المأوق (١) . وإلا فما نحن من وصفهم ببعيد . وكيف وكيف
نبعد عنهم وهم الجيران في المحلة ، والمجتمعون في المسجد ، والمتصرفون في السوق !
والله إني لأظن أن هشاشتنا في وجوههم ، ومساعدتنا على أمورهم ، وسعينا
في حوائجهم ، وطمعنا في ما في أيديهم ، ومداراتنا لهم ، ورفقنا بهم ، من الكبائر
العظيمة والخلائق اللئيمة والعواقب الوخيمة . نسأل الله أن يرفع عن ألسنتنا
ذكرهم ، ويُنسينا (٢) أمرهم ، ويحوزنا عنهم ، ويخلصنا منهم ، حتى نسعى إلى الله
الذي هو الوَزَر (٣) والملجأ ، ومن دونه [١٦٣ ا] يبين الفوز والمنجى . هلك من تاه
عنه وضل دونه ، واهتدى مَن عرّفه وحبا نحوه ولاذ به وأسلم وجهه له .
هُديتَ ! — صاحبُ هذا النعت ما أظرفَه وأظرفَ حديثه ! وما أسعده وأسعد
من ساعده !

يا هذا ! أما ترى كيف أديرك من لب إلى لب ، وكيف أصف لك حالاً
بعد حال ، وكيف أُلوي بك فنّاً بعد فن ، وكيف أُقوّي رجاءك حتى تكاد
تطمئن . وكيف أُغلّب يأسك حتى تكاد ترجحن ؟ وكيف أُناغيك بالسلوة
عن البلاء . وكيف أُسارّك (٤) بالحبيب الأولى ، وكيف أجذبك إليّ تارة
ثم أُنحّيك عنك أخرى . وكيف أُذيقك بين حلاوة لفظ ومرارة معنى ؟!
فإن كنت قد فهمت عني ما قلت ، فانمم (٥) بشملك سمعك ، ولا تنتظر من غيرك
أن يكون لك ذوق ما أنت لمست وعلم واحدة . فما بعد هذا غاية في التنبيه ،

(١) المأوق : المحزون . والأولق : المجنون ؛ والمألوق : المجنون .
(٢) ص : ينسنا .
(٣) الوَزَر (محركة) : الجبل المنيع وكل معقل ، والملجأ والمعتصم .
(٤) سارّه في أذنه : أفضى إليه بالسر .
(٥) فعل أمر من : نمّ ، ينمّ .

ولا دونها حجة في التمويه ليس من الله بد على حال، فاحمد منك على بال. واعلم أنه واسع الرحمة يتغمد (١) ويعفو، ولكنه أيضاً شديد العقاب يطرد ويمحو، وإذا حدث فما لك عنده مارث، وإذا سرت فما لك عنده سر.

هذا قولي لك فاستمع، فقد شغلت عنك بحصتي لم تسمع هذه النعمة من غيري ولم تطرب على هذا النحو من سائر إخوانك وإخواني. فالوقت كدر، والأمر عسر، والحال قذر، والقول مكرر، والنفس منكر، والدهر مزوّر، والوجه وقح، والخلق وَقِح (٢)، والعقل عالة، والأحداث سائلة. وأنتهم فيما أشدهم أمراً، وأوسعهم عقلاً وأحسنهم كلباً، وأكثرهم دعوى أسهم رَعْوى (٣) فمن لي الآن. هل لك مرجع إلا إليك، وهل لك مستعان إلا عليك، دع سنك أسلك فيه وكرك فيه وَ نَوْمة، ودع عنك نصاً مدك فلست على ثنية من طرقك به خذ بعين عينك في ساعة وقتك إلى حفلك التي تحمل لك في عاجلتك عند الطريق إليك، وتحملك في عاقبتك عند [٦٣ ب] المنعمين عليك، ومع هذا الاسم المحمود فلذلك فليتنافس المتنافسون، «ولمثل هذا فليعمل العاملون» (٤).

اللهم إن بك تفرع، وفي رياضك نرتع، وصوت رضاك نتوقع، وثوب خدمتك نتدرع (٥)، <وبفنون الثناء عليك نتذرع> (٦)، وبالجلال

(١) تغمده الله برحمته غمره بها.

(٢) وقه صلب، ومنه وقح، ونقح ككرم قل حياؤه وتوقحه.

(٣) الرَّعوى والرُّعوى والرعوى (ويشدد) والارعوى (بالضم) والارعواء والرعيا الرجوع عن الجهل وحسن الرجوع عنه.

(٤) سورة «الصافات» آية ٥٩

(٥) تدرع الثوب لبسه.

(٦) موجود بهامش الأصل.

وجهك نتضرع ، وباب جودك وإحسانك نقرع ، ومرارة ما يعرونا من فضلك الواسع نتضعضع ونتجرع . اللهم اجعل أمارة قبولك لنا ومنا وفينا أن تخرسنا إلا من ذكرك ، وتزمننا إلا في طاعتك ، وتعمينا إلا من النظر إليك ، وتصمنا إلا من النزول بفنائك ، وتفقرنا إلا من نور عطائك ، وتضعفنا إلا من احتمال ثقل ثنائك ، فقد وجهنا ما بنا إليك ، ووقفنا آمالنا عليك ، ووحدناك كما نعت ، ومجدناك كما ألهمت ، وقصدناك في طلب رضوانك من بين ذلك . فقد سبقت عنايتك ونحن ساهون ، فتمم جذبك بفضلك في الأول وما كنا سائلين ، ومزيدك لا يجب ثمنه ، ومن كان أهلاً للكرم على عبيده خصص وعم .

يا مولانا ، منك نعمة ما قبل ، وبك اهتدينا فيما سلف ، وإياك أملنا في قصدنا . وهذا لأنك أولنا وآخرنا ، وغائبنا وحاضرنا ، وساكننا وناصرنا ، وباطننا وظاهرنا ، وطالعنا وغاربنا ، وأنت كنت كنزنا وخبيء كنزنا والفاتح باب الجود علينا ، والطالب لنا أن نسألك ما عندك بعطفك ورحمتك ، والعالم بضعفنا واستكانتنا ، والآخذ بأيدينا عند عثرتنا ، والشاهد في صدورنا على كل حال تنعقد عليها ، وأنت كريم على بعض حسنتنا في ولي النعم ، ويا محرك الهمم ، ويا واهب القسم ، ويا مذكوراً بالكرم ، ويا معروفاً عند جميع الأمم ، ويا موجوداً على فقد وموجوداً على عدم ، ويا مستحق تصوف الكلم ، ويا معبوداً على القسم ، ويا منشئاً من العدم ، ويا جاعلاً من شئت كالعلم ، ويا من علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم [3] ... أهدنا إليك ،

(١) أي تقينا زمناً طويلاً .

(٢) أمر قريب

(٣) سورة « العلق » آية ٤ ، ٥ .

وأوضحنا [illegible] [١٩٤] قد نبت عُوده ، وقُنيت قنده [illegible] ، ونُكث فانتكث ، ونُخر فنخِر ، ونُعش [١] . ونصرنا فنصب ، ونعدنا تحالفا ، ونكثنا فعرقنا ، وخسّ فخسّ . وقتّت فسكت ، واستوحش وقتنا ، ونقدنا فقرّبنا ، وتب فافتقد ، وبه [٢] فكوّن . وتسمت وقوتنا ، وزهدنا فزعمنا ، ونُعِد فرهد ، وسحونا فشوّق ، وأحسن [٤] فعزّ ، وحلّ فاهتدى ، وعظّمنا فحف [٥] ، ونعت فسمّى [٦] ، وخذل فانضرّ ، وهمضنا فرقّ ، ووقعنا فخصمنا ، وعطش فارتحب ، ونُبدل فضبث ، ورعنا فقومنا ، وعوجد [٧] فسوّينا ، ورقد فانتفض ، ووهب فأعطانا ، وقصرنا فاحتجب

إلهنا إليك سوء ، ولكن خيبتنا ، وعيبت [illegible] كتب ، ولكن عصمته ، ولك ذلك عن [illegible] ، وبك وحدنا فخذ [illegible] ، وإليك اشتقنا فوصلنا ، وإياك عبدنا فشرفنا ، وبك تحدثنا فصدقنا ، وإليك دعونا فنعِمنا ، وفيك توكلنا فارحمنا ، وعليك [illegible] [٨] [illegible] الصعب [illegible] ذلك إلى شرح هذه حروف [illegible] ، العجب من اختلاف هذه الأسماء والصفات

(١) سدّده : قوّمه وجعله مستقيماً .

(٢) من أورش الشجر [illegible] أي تجدد من [illegible] كان شجر فاحتمل تورق من جديد . أو يكون [illegible] بمعنى [illegible]

(٣) [illegible] وضعف

(٤) أي : لحمنا ضجيعة فاحمل لنا عزاءها عنه

(٥) العاطل : المتجرد أو العاري عن الشيء ، والمتحلي عكسه

(٦) ص : اعوجت

(٧) في « تاج العروس » للزبيدي « [illegible] كمعظم [illegible] في [illegible] والنعمة ، مولّدة ، والاسم [illegible] بالفتح » .

(٨) جمع خرقة وهي [illegible] ، والمقصود الأمور الصعبة الشديدة

والعُلَق [1] ! الآن حَشَر في العبودية التي فضَّلت عليها ، إن أن تصطلق من أسر
الألوهية التي عساك تُرقى بها ، ووثبت إذ [illegible] ما عنيت بالتكليف ، أُهدي
إليك ما تستحقه بحق التشريف [illegible] تجد من حظ [illegible] وإنا لا ،
فإنك إن فعلت ذلك مُحي اسمك من ديوان الخدم ، وطُردتَ إلى هوة الهوان
من دون الكرم ، وقيل لك ابعد عن مراتب المقربين ، واقعد عن حضرات
المستخلَصين ، فإنك لا تصلح أن تضع بساط العبودية مع سوء الأدب وقلة المبالاة
والشرود مع الخلاف وترك ما تقدم إليك بلزومه وكون ما حذرت من التعرض له .
اللهم إنا نعوذ بك من عذابك ، ونعوذ بك لأدبك . ونسألك أن ترسخ لنا ثقة
عندك بحسن القبول منك ، ياذا الجلال والإكرام !

رسالة (كا)

[illegible] ، [illegible] من [illegible] موحشة ، العيش في [illegible] دهشة [illegible]
من ضرعتك نعشة ؟ أما لك إلى [illegible] عنه [illegible] ؟ [illegible] وأنت [illegible]
العاقبة [illegible] ألم تسمع دون الحكيم [illegible] [illegible] [illegible]
أيسمك [illegible] من [illegible] ؟ [illegible] [illegible] في يد عدوك . ووليته
تدبيرك ، وسلطته على روحك ، كأنك مكاب [illegible] من يحب [illegible] [illegible]
صلاحك . ليس هذا من الحزم المأخوذ به ، ولا من الاحتياط المعمول عليه .
[illegible] فقد حال رقادك وأيست [illegible] الله فقد تمادى عنك واعتقد حالك
[illegible] فقد اشتد سهوك [illegible] ، يا عجباً ، أنك تحقق هذا الحق [illegible] ،
وتمنح هذا العقل [illegible] ، وتمضي هذا العلم [illegible] ، وترزق هذا الوجه [illegible] ،

(١) جمع عُلقه : علاقة

ثم تمرّح في شهواتك تمرّحاً[1] خالع العذار، جاهلاً بما يجري بالليل والنهار،
غيرَ مُطالَبٍ بما لك وعليك، ولا مفتش عما فيك ولديك؟ — لقد رأيتُ خلقاً
كثيراً، وعرفتُ صغيراً وكبيراً، ثم رأيت أخي منك في نفسك، ولا عرفت
أدهى منك في طلب لذّتك[2]. فما آن لك أن تقلع عن هذا الإصرار؟
٥ أما وجب عليك أن تستحيي من مخالفة الله في الجهر والإسرار؟ أما تشعر
بتقلّبك بين الإيراد والإصدار، ثم ترى الدرجة بعد الدرجة آناء الليل وأطراف
النهار؟ أما تأنف من مصاحبة الأشرار؟ أما تشتاق إلى مجالسة الأخيار؟
أما تحب أن تكون حبيب الملك الجبار؟ حدّثني بمَ تثق، وبمَ تصول،
وبمَ تحتج؟ فأي شيء تقول؟ الوعد يشوّقك وأنت صادٍ، والوعيد يخوّفك
١٠ وأنت لاهٍ، والعتاب يوافيك وأنت داهٍ، والملامة تصل إليك وأنت ساهٍ؛
والعبرة توقظك وأنت ناعس، والداعي يُزعجك وأنت متشاكس؛
والنصح يَصْدُقك وأنت جامح، والصديق ينصحك وأنت جانح، والحجة
تتوكّد[3] [١٦٥] عليك وأنت مُعرِض، والحكم ينفذ فيك وأنت معترض.
فما أبعدك عن حيازة نصيبك في عمرك بسعيك! وما أهواك في مهبط الردى
١٥ في حبائلك بيدك ورجلك! وما أبعدك عن سبيل الرشد في مهلك بسوء بختك!
وما أشغلك عن حظك في وقتك! إن أنت إلا لاهٍ[4] عن نفسك، ومحجوب
بينك وبين روحك وأنسك، ومنكبّ بين قبرك ورمسك، وبرزخ قوي

(١) تمرّح مرحاً (كفرح): نشط واختال واضطرب. ومرح يمرح (ككتب): حصل في كدّ، أو سعى فيه.

(٢) الأيس: ظهر بخصه بين أضعف ملك في طلب ما تظهر به للناس وتسمو به عليهم.

(٣) توكّد: تأكّد.

(٤) كذا، ولعلها على.

بين طيّ رتك وقلبك ؛ قد آن لك أن تتوب من هفواتك التي أصبحت
من أجلها نادماً سادماً[1] ، وآن لك أن تئوب إلى سيرتك الحسنى التي كانت[2]
عليها قاعداً أو قائماً .

يا هذا ! بادر واصطبح بغدوّ قبل أن تسبق بك غدوتك ، إن غدوت
إلى الربح مجداً ، وإلا راح بك الشقاء إلى الندم مضطراً[3] . أما أرى في يدك
إلا الخيبة ، والخيبة رأس مال المفلس ؟ أين الحاصل الموثوق به ؟ أين الحجة
الثابتة ؟ أين البيّنة غير كاذبة ؟ أين الذخيرة النفيسة ؟ أين الاستظهار النافع ؟
أين الاحتياط المحمود ؟ أين الأخذ بالثقة ؟ أين الحكم المتّجل ؟ أين الخير
الممتحن ؟ أين الإدلال بالكفاية ؟ أين العذر في الجناية ؟ هيهات ! اضمحل
كلّ ذلك بعضك ، وهلك بعضك بكلك ، فلا كلّ لك الآن ولا بعض . تاهت
بك التوائه ، واستبهمت عليك الشبه ، كلما انتحت طشت . ولما طشت
قعدت ، لأنك بعت بك ، ثم بت لك ، ثم احتججت[4] عنك ، ثم استميت
منك ، فلما حدثت الحقيقة بادت رسومك وصفاتك ، وعفت نعوتك وسماتك .
ومن كان مثلك لن يبالي[5] الله في أي واد هلك ، لا عين تدمع بالاعتذار ،
ولا يد ترفع إلى الله بالاستغفار ، ولا قلب يخضع عند تصرف الأقدار ،
ولا نفس [٦٥ ب] تخشع مما فاتها من التذكرة والاستبصار . إنما هو قحة

(١) السدم (محركة) : الغمّ ، أو مع ندم ، أو غيظ مع حزن ؛ وسدم (كفرح)
فهو سادم وسدمان .
(٢) كذا في الأصل ، ويصح إذا وقفنا عليها . أو لعل أصله : كُنْتَ .
(٣) ص : مضطرا
(٤) يمكن أن تقرأ هكذا ، ويمكن — وهو الأرجح — أن تقرأ : احتجبت .
(٥) ص : يبال

وحيرة ، وتحسيج(١) ومكابرة ، ودعوى ومجاهرة ، وتجبر وسفالة ، حتى إذا
« التفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق »(٢) خمدت وقد خف رينك
عن المكابرة واستمر صريف في الصمت ، وحينئذ تقول « رب ارجعون
لعلي أعمل صالحا فيما تركت »(٣) كلا ، أما كانت بأهدى من سلف
من غيرك [illegible] ومن [illegible] ثم [illegible] ملت إلى [illegible] ؟ تسمع تنزيل الحكيم
العليم ، وقول العزيز الكريم « أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر »(٥)
بلى والله ، لكن ران على قلبك ما كسبت يداك ، وخدعتك(٦) عدو الله
وأرداك(٧) . فاعلم الآن من تمكنه قيودك ، ووهبت مراده مرادك ،
فإنك من الخاسرين .

اللهم فارحم فاقتي إلى كفايتك ، وألبسنا جميل رأفتك ، واعطف علينا
برحمتك ، ووكل أبصارنا بمواقع قدرتك ، وأنطق ألسنتنا ببدائع حكمتك ،
واستعمل جوارحنا بطاعتك ، وشرح أرواحنا في معادن محبتك ، حتى نستريح
من هذا الكرب الذي في صدورنا حسرة على ما يموت من رضوانك وقربك ،
واصرف خطايانا عن خدمتك ، واجمعنا في حظيرة كرمك [illegible] فما أشقانا
إن جهلناك ! فما أجهلنا إن خدمناك بعد أن عرفناك ! وما أحسن حالنا

(١) التحسيج : الإيهام والتضبيب .
(٢) سورة « القيامة » آية ٢٩ — ٣٠ .
(٣) سورة « المؤمنين » آية ١٠١ — ١٠٢ .
(٤) التوى : وجد .
(٥) سورة « الملائكة » آية ٣٤ .
(٦) ص : خدعت . أو نصح على تقدير « عدو الله » نعت بمحطب .
(٧) ص : أرادك .

إذا ذكرناك ، وما أقربك منا إذا دعوناك ، وما أسمعك [illegible] وما [illegible]
بذكرك ، وما [illegible] في [illegible] وما [illegible] سواك ! يا من هو بلا إحاطة
[illegible] [illegible] أمرضنا [illegible] كل [illegible] . فاحمل شعثنا على [illegible] ، وإن [illegible]
[illegible] كان [illegible] ، فاغفر [illegible] الآن [illegible] ؛ ورب رَيْعا
كان [illegible] [illegible] ، فاجعل [illegible] [١٦٦] بلطفك عندنا ،
و[illegible] [illegible] لا [illegible] إلا ما ملكتنا ، ولا نملك أيضاً ما ملكتنا
إلا إذا أمددتنا وأرفدتنا [illegible] الآلاء الخفية ، والنعم [illegible] ، والأيادي
الكريمة ، والخيرات الحديثة والقديمة .

لاطف قلوباً [illegible] إليك [illegible] عليك في كل الأمور التي كانت عليك
وعزم [illegible] في طلب ما [illegible] فهي صافية من [illegible] إلى بابك .
[illegible] باليقين [illegible] بالسكون [illegible] الرجاء والخوف .
[illegible] بالمحبة والشوق [illegible] كيف شئت . اللهم فقنا ما يرضيك عنا ،
و[illegible] فينا وأهدافك عندنا ، فاملأها بخالص
ذكرك [illegible] واحد ! — إنما أزل في كلامي لك
[illegible] لأن المرامي فيه تحاول
[illegible] ، والأحوال [illegible] بارحة ، وكل ما [illegible] مطموس ،
وكل ما [illegible] ، وكل ما [illegible] معكوس ؛ وذلك لأن الصورة في القول
بادية ، و[illegible] من دونه [illegible] هذا كله في السكوت ،

(١) الحباء : العطاء .
(٢) الإرفاد : الإعانة والإعطاء .

جاءت[1] الفكرة متقدة بالوسواس ، والخطرة[2] مترددة مع الأنفاس ، فما حال
من إن قال كان قوله ردًّا ، وإن سكت كان سكوته حدًّا ، نعم ، وإن برز
كان بروزه تعرضًا وتحككًا ، وإن كمن كان كمونه تبرجًا وتمسكنًا[3]
نعم ، وإن كنّى[4] كان كنايته معجمة ، وإن صرح كان تصريحه مبهمة .
نعم ، وإن أشار كانت إشارته حجبة ، نعم ، وإن عبّر كانت عبارته ضلالة .
فما حال من هذا حاله ، وما جواب من هذا سؤاله [illegible] والله المعون ، وبي حيران
فيم يكتم ويبوح [illegible] والله قبيل الجدوى ، والأمر لله مقرون بالبلوى
فإلى الله من أوله وآخره الشكوى ، وبه نعم النصير [٦٦ ب] والمولى ،
في الآخرة والأولى . وأعود فأقول . اشتهرني حديث في معشر ، واستحضرني
ملك عندي مستحضر . ثم إذا استعرت [illegible] استحضرت نفس [illegible] على عيني ،
و [illegible] من إسرارك من علاني أو [illegible] من كتماني أو [illegible] مكانك
من مكاني ؛ لعلك تطلع على شيء أو شيئ ، يا من رآني وكأنه لا يراني ،
ثم تراني كيف يراني ، ثم أراني ما أراني ، و [illegible] فيما [illegible] ، ثم أسرني
فاسترعاني ، ثم قال [illegible] تراني ، أو تراني [illegible] لا تراني

حدثني الآن [illegible] فيما تسمع ، أو حدثني بما تعرف إن لم تسمع ،
أو حدثني ما تسمع إن لم تعرف [illegible] حق [illegible] ، و [illegible][5] المعنى .

(١) في الهامش [illegible] جاءت الهواجس .
(٢) ص : الخطر .
(٣) [illegible]
(٤) [illegible] ويكنو كناية [illegible] عنه .
أو أن [illegible] شيء وأنت تريد غيره . أو [illegible] حقيقة [illegible]
(٥) في الهامش [illegible]

وانخرق المراد ، وتاه الوهم ، وحار العقل ، وغاب الشاهد فى الغائب ، وحضر الغائب فى الشاهد ، وتنكرت العين منظوراً بها ومنظوراً إليها ومنظوراً فيها . فكيف يمكن البيان عن قصة ، هذا إشكالها ؟ وأين الدواء ، والعلة هذه غضلها ؟ اليأسَ اليأسَ ، القنوطَ القنوطَ ! الويلَ الويلَ ! اللهم إلا أن يحتشم لوقتها من هو أولها وآخرها ، وواردها وصادرها . دع هذا أيضاً فإنه ألذع من جمر (١) الغضى ؛ وخذ فيما يتلافى ما مضى ، ويحدث فى المستقبل بعض المراد ، إن لم يكن كل المراد . كن رقيبك على نفسك يكن منك رقيب عليك ، فإنكما إذا ترافقتما استغنيتما عن كل رقيب عليكما ، وخذ حقيبتك بالصبر فإنه ملح الحال ، ولا ظفر لمن لا صبر له ، ولا نجاة لمن لا أناة معه . ثم اجتهد بعد ذلك أن تستفيد بين النيام وتنم بين المستيقظين ، فإن استيقاظك بين النيام يفرغك لنفسك ، ونومك بين المستيقظين يرقيك (٢) لحظك . وهذا إن رمزته إن فطنت له كان لك راحة ، وإن شيئت عنه كان وتاحة .

اللهم إنا قد أكثرنا القول فيك ثقةً بك ، لا جرأةً عليك ، وافتنا فى الخبر عنك حباً لك ، لا اعترافاً بك . فهل ثقتنا بك بالتحقيق ، وحبنا لك بالتصديق ، فنعم الرفيق أنت ونعم الشفيق . وإذا قابلت ذلك بما سألناك [١٦٧] فردنا من فضلك ما أنت أهله ، وإن لم نكن نحن أهله يا أهل التقوى وأهل المغفرة .

(١) الجمر من حر النيط أشده ، ونار الغضى (والغضى شجر معروف) أجود الوقود عند العرب .

(٢) يمكن أن تقرأ : يرتهك ، وهو تحريف لعل أصله : يرهك ، بدليل قوله قبل : يفرغك .

يا هذا ! إن فتح عليك باب الرومية باستيعاب العبودية ، ورقيت إلى الحرية بعد دوام الرق في الخدمة . شهدت عجائب وغرائب ، ورأيت غرائب وعرائب . فإن قلت مثل ما قيل لك . وأين مثل ذلك وأين ما قاربه ؟ أدناها أنك ترتعي حدائق الأمن ، وتشم نواضر الأزهار ، وتشهد العقول سائرة في هوادج الكرامات نحو الأرواح المقدسة المطهرة ، وتسمع مسامرة الأحباب على شجو يسحر الألباب ، وينقطع دون الحق كل حجاب ، وينفتح كل باب . هذا ذرو[2] من الحديث عن هذا المقام الذي وصل إليه بعض الكرام ، ثم وراء ذلك أيضاً ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، لأن العين إنما تألف المحدودات ، والأذن إنما تجد المرسومات ، والقلب إنما يخطر عليه ما جرت به العادات[3] فأما ما سما عن هذا كله ، علواً لا بصفات ومحدثات . فلا خبر عنه إلا بالإيماء اللطيف ، أعني الإيماء الذي يلطف عن الوهم ويدق عن الحس ، ويستعبث من الشكل والصفة — فذلك الإيماء يملأ سر العارف نوراً ، ويسعد بجزئه نوراً ، ويكون الوجد به وجد السائحين في أعماق الملكوت ، ويكون الذوق له ذوق الواصلين سر ذي الحق ولولا أن الرب سبحانه يمسك العقول عن التهافت ، والأرواح عن التهافت ، والنفوس عن التطوح ، والقلوب عن التمرج[4] . لسمدت منها الشمس المكنوم المعلوم ، وانتثر سلك الأمر المنظوم ، وتزايلت الأشياء عن سمات القدمة حينئذ ، وتعاندت عن صفات الشدة ... فإنما يمسكها لما بقي علم به فيها ونافذ تدبير

(١) يرتعي : يرعى .
(٢) ذرو : من ذرا يذرو : أطار وذهب .
(٣) ص . العبودات .
(٤) أي : الاختلاط .

منه عليهم ، له الحكم وإليه المرجع . اللهم إنا معتسف هذه الطُرُق الوَعِرة ، ونصبر على مشاقّها بالجوع والعرى [٦٧ ب] والوَ(١) حدة لنخرج منها يوماً إلى نورك الذى أضاء عالمك ، وفيه برد عيشك ، وعليك دلّ وصفك ، وإليك أشار أثرك . فبهذه القدرة أن تقبل ولا تردنا ، وصِل ولا تقصِنا ، يا ذا الجلال والإكرام !

رسالة (كب)

اللهم اكفنا كلّ مُكايدٍ لنا فيك ، واقمع عنّا كلّ عدُوٍّ لنا من أجلك ، واشغل عنا كلّ شاغل عنك ، وألّف بيننا وبين كل مؤلِّف بيننا وبينك ، وأحسِن جزاء كلّ من صرف وجوهنا إليك ، وأكرم كلّ من حدثنا عنك . وإذا كنا نحب من يدعونا إليك من أجلك ، فكيف لا نحبك إذا قبلتنا لك ، وشملتنا بأياديك ومننك ؟ كذب من ادعى محبتك ثم التفت إلى سواك سراً وجهراً ، اختياراً أو قهراً .

إلهى ! قدرناك حق قدرك ، لم نطف بذكرك ، ولكن تذكرك بإذنك كما ألقيت إلينا على لسان الصدق عنك . فاسمعنا إذا ذكرناك ، واجبنا إذا دعوناك ، وأعطنا إذا سألناك ، وزدنا من فضلك ، إنك كذلك وفوق ذلك .

أيها الجوهر الشريف ! أُجِلّك عن ساعة الحطاب فى التقرب إليك ، لأنى وحقّ الحق مخلص فى ولائك والاعتماد عليك ، وثقتى بهذا الممنوح العزيز قدره العظيم شأنه تلاحظنى ملاحظة المشفق ، وتشفق علىّ إشفاق الوالد المحب ، وليس هذا أحصّ صفاتى فيك ، ولا غاية مالى منك . ولكن العبرة قد تحوِّل مطلعها فى شتيتها على عبر المعتقد ، وتقصر دُونَ الغرض المعتمد . فما الحيلة من كلف ذاك ، أعنى كلف ما لا يطيق ، وحَرُمَ بحدائق الحس قبول ذلك ؟

(١) ص : والوحده !!

ومحقق الحقائق ومسهّل الطرائق شهد على صدق دعواي فيك كما هو شاهد
لك في خصائص ما وهب لك، لأنك — بلا كاف التشبيه ولا هاء الكناية —
فردٌ في فردك، واحدٌ في توحدك. هذه حظوة الحق على مر المصير، وليس
لي علم في أقسمه ولا حظ [illegible]، إنما أود به إلى ذا [illegible] الوامق، ثم أعوذ
به [١٦٨ ا] بعوذة لوذة الخانق.

اسمع أيها [illegible] لا يس، فنّاً من الكلام، وغريباً من المعاني. وفي أول
لاحت بوارق التمني [illegible] نحوها [illegible] لاقسر، و[illegible] صور [illegible]
فتعطفت عليها أكد الأحرار، و[illegible] الإبانة (١) على مداهشها،
تروم حيلة [illegible] إليه [illegible] يا [illegible]، و[illegible] كما [illegible]، و[illegible]
خط [illegible] في لي [illegible] و[illegible] من وزن حقائق [illegible] برأيه
المبهم، و[illegible] الكدور [illegible] الشبه، ودامت الدهشة، وتصاعدت
[illegible] في [illegible] قول لا يبرز [illegible] من [illegible] (٢)، و[illegible] الفصيح
المقول شيئاً (٣) في كشف المراد في العبارة بالإشارة [illegible] بكلامه، ولعبرة
على الأيام [illegible]، و[illegible] على [illegible] العقل [illegible]، فرد
أجل القول [illegible]، فلا أحرق [illegible] سكون [illegible]، ولا [illegible] العمولة
تتصل بعواد [illegible] يحس [illegible] [illegible] فقطع لقول شيئاً وعجزاً،
ومنتهى الطلب حيرة وإحساساً، وغاية [illegible] و[illegible]، ومردود الجواب

(١) الإبانة: الإقامة — يقصد استمرت [illegible] في دهشتها.
(٢) أي لا يظهر [illegible] من [illegible] و[illegible] التي هي [illegible] له.
(٣) [illegible] لم [illegible] مراده وعجز
عنه [illegible] شيئاً [illegible].
(٤) من [illegible] [illegible] [illegible]
(٥) نرجح أن تكون هذه الكلمة [illegible]

زجرٌ و [illegible] ، وهذه التحقيق حسرة وتحيراً ، وهذه علة عوراء ، وشبهة عمياء ،
وحجة [illegible] ، ومحجّة دارسة . ومحاسن الحال موقوفة على [illegible] ، وعاية
الفكر مصروفة إلى [illegible] ، و [illegible] حدثنى الأيام عن [illegible]
[illegible] المنصرفة [illegible] الأمر [illegible] ، وهذه [illegible] السواد ؛
وأوسطه [illegible] ، وهذه قضية دون البحث ، و [illegible] في تحقيق ،
وهذه [illegible] الأيف و ندامة [illegible] من لا [illegible] ؟ أم كيف
من لا [illegible] الأبصار ، وبليت الخواطر ، وافتضحت
السرائر ، وانكشف [illegible] الأواخر [١٦٨ ب] وعارت [illegible] في [illegible] ،
و [illegible] في وجه [illegible] في نحر العامل . وقيل [illegible]
لملك نحو [illegible] الحزن [illegible] ، و [illegible] ،
وهذه أعلام الحق قد [illegible] في مراتب [illegible] ، وصار مصير [illegible] إلى [illegible]
الطى [illegible] ، و [illegible] ، و [illegible] القود ،
و [illegible] كل [illegible] من [illegible] لا [illegible] و [illegible] هرة و [illegible] ما لا [illegible]
بحيلة ، « بكلٍّ تداوينا فلم يشف ما بنا » [illegible] في سكون الملك بالرب

(١) نصف بيت شعر وأصله
وقد زعموا أن المحب إذا دنا [illegible] وأن النأي يشفي من الوجد
بكلٍّ تداوينا فلم يشف ما بنا على أن قرب الدار خير من البعد
وينسب [illegible] ابن [illegible] (راجع ديوانه ، شرح [illegible] ، [illegible] سنة ١٩١٨ ،
ص ٢٨) ؛ وراجع كذلك « الأغاني » ج ١٥ ص ١٤٩ (طبعة [illegible] القاهرة
سنة ١٣٢٣ هـ) ؛ وراجع « [illegible] » ج ٣ ص ١٤٥ (القاهرة سنة ١٢٩٦ هـ)
ونسبه القالي في « ذيل الأمالي » ([illegible] ٣ ص ١٠٤ ، القاهرة سنة ١٩٢٦)
إلى يزيد بن الطثرية [illegible] منسوباً إلى محمد [illegible] في [illegible] ص ٤٠ ،
القاهرة سنة ١٢٩٤ هـ) .

أجدى من تملق الاعتراف بالحب، وظن العلم أنفع من يقين الجهل، والسكوت
مع التسليم أحمد من التحقق مع التفتيش، وتحقق الوقت بالتأويل، ومن أهدى
إلى مراد المعنى من مصدره أو من يحسن تنوعه ليس عوارق مشتبهة عن العين
الدقيقة، وإحن الصمت في مورده من الأشخاص. فائدة؟ ضروب المثل كلة
وصروف الحياة قد قال: إن كل المعنى بعض، وبعض المعنى كل، وإن كل ذا
وبعض ذا مفسر، وإن مفسر مفوض. فهل كل بعض المعنى إلا كبعض كله؟
وهل بعض كله إلا كل بعضه؟ وهل كله في العقد إلا على جهة التعريف،
وبعضه على جهة التثبيت؟ هذا نوع يموت على مذاهب شرحه. ومنه
العقول على قواتها. عندها تضطرب الكلمة بالطويل، بالتأويل والتهويل، من منابع
قلب قد جف بالوجد والغليل:

لعلّ انحدارَ الدمعِ يعقب راحةً ... من الوجد أو يشفي نجيّ البلابل [2]

فتى الخرّاصون، الذين هم في غمرة ساهون، وهنالك الخدّامون الذين هم
في غرفة السطح لاهون. ما فائدة البكاء إلا سبراحة، لا جرم قد ضيق
عليه الفكر ساحة لا جبية قدمها وقطر وهو. وسال ومطر. ولا يجد متسعاً
لريبه، ولا فضاء لطريقه وقد حسن مثله بعض المتكلمين في قوله حين قال

(١) محقه (كسعه): نصره وحده. كمحقه فتمحق وامتحق وامّحق. على أن الأقرب هنا هو أن يكون الأصل، وهذا يمكن أن يقرأ في المخطوطة أيضاً). محقق.

(٢) بيت شعر لذي الرمة من قصيدة مطلعها

خليليّ عُوجا من صدور الرواحل ... بجمهور حزوى فابكيا في المنازل

(راجعه في ديوانه ص ٤٩٢ بيت رقم ٢، نشرة مكارتني ... ، كمبردج سنة ١٩١٩ م = ١٣٣٧ ه)

[٦٩] [illegible] وجدت صعوبة أمر [illegible] ، وخادع الوقت
عن حالته ،

سيدي [illegible] من يوفّق من [illegible] الأفئدة [illegible] ، ولا يعجب
من [illegible] في سواده ، ولتصير
في سواء [illegible] من المعرض [illegible] وما صمت . ٥
فليتني [illegible] الوحدة [illegible] ليتني [illegible] الوقت
بحسن [illegible] في بحر التسليم ،
ولم أركن [illegible] من أهل البصيرة
ثم ليتني [illegible] ، ثم ليتني حاليت
الوقت [illegible] في أزحجة [illegible] على رؤوس الخلق ١٠
أم ليتني لم أكلف لسانَ المريض ، إذ [illegible] لذة الرؤية [illegible]
ثم ليتني أصمت قائلا [illegible] عن [illegible] ليتني كفيت
مؤونة الطلب ، [illegible] ليتني عرت عن باب [illegible] ،
كما [illegible] ، وكلام
يدق ، وحقيقة [illegible] ، وفي [illegible] يعمهون ، ١٥
[illegible] مما [illegible] كثيرون .
وإنما تفاضلت الأشياء [illegible] وصفاتها . فأما الخاصة
التي [illegible] متصرفة في أذلالها [illegible] مثل كلة
في [illegible] ، والتصرف [illegible] أكثر من [illegible] ،
وحقيقته أشرف من رتبته [illegible] المقدم عند أهله إذا [illegible] ٢٠

(١) دلّ الطريق [illegible] ، [illegible] أذلال ،
ومنه [illegible] الأمور جارية على أذلالها [illegible] مجاريها .

واحتال فى تحصيله ، ورجع إلى نفسه حسناً وهو حسير ، يرى حروفاً تشيع بحلاوتها فى نفسه ، وأغراضاً [٦٩ ب] تزعج بعطفتها عن تصور إدراك عللها ؛ وأرباب القلوب وذوو العقول وأهل المحبة يسكبهم اللاعج ، ويهزهم اللامح ، ويأتى عليهم الجزء الذى لا ينحل ، ويستوفيهم الوهم الذى لا يتراءى

٥ هذا خبرهم فى ما يقتضيه الحرص عنه . وأما قوادى (١) فى هذا الحديث عجيب أمرى ، وإن كان الذى (٢) أصبت به شتى ، فسبب لا يحوى شرحه كتاب ، ولا يستغرقه بيان خطاب ، لأنه مشتبه الأسطر ، متعددة الخواص والظواهر ، ولكن جملة تنم عن التفصيل ، بين حشوت وفتى ما أضعف (٣) والتنزه اللذين يعمران حال النفس ، رياضة وتهذيب ، ثم رفعت الهمة من الاعتقاد والصبر

١٠ التى ترقى الآفة وتذيب الخاطر وتفل الرأى ؛ ثم حثت صحة الرسوم معرجاً على توفية العمل بقدر الوسع وبذل الجهد ؛ ثم شمرت فلى حوى لا ألث معه على شىء ، وطالبت ما فيه عن المهنة واليس ، وحفظتها بعد ذلك بأشياء ، وعدوى فى بعضها صلاحاً ، ودهست فى بعد با جوحا . ثم أثبتت (٤) مرتقياً إلى من نهج السبيل بالآلاء والنعم ، وأوضح الدين بالأسماء والحكم ، فقلت : مولاى !

١٥ أنت أنت لا شىء سواك ، الإشارة إليك باللسان نقص وعجز ، والتوجه نحوك بالقلب فصل وعزل ، والإعراض عنك خذلان وبوار ، والإقبال عليك تسار ومسار ، باركت وتعاليت ، وتعظمت وساميت ، أسألك بعناية تقتدى إلى ما عندك أن تحلّيني بعدية افتخرى معك

(١) ص قوادسه الذى

(٢) ص . الذى

(٣) ظف نفسه عن الشىء يظفها (من باب ضرب) . معناها من أن تفعله أو تأتيه . أو كفها عنه

(٤) ص . شتى .

سيدى ! قد صرت [illegible] فى هذه المحطة بين أشوق [illegible] لها عمق بالأسف ، وبين عبرة [illegible] فى حواس الأسرار [illegible] وإذا قرأتها فارغ حتى [illegible] ، ومتى طلبت [illegible] فى [illegible] ، وقد [illegible] ما أحست منه ، فإنى عنى عن كل أحد [illegible] حيث أتقصى على ، ولا أحسب إلى

ونعد [illegible] وصبب [illegible] كونه خفيا خق الصفاء فى مودة [illegible] ، [illegible] ١٠٧٠ | [illegible] الأيام [illegible] وإياه ، [illegible] فرقة [illegible] مودة التى [illegible] [illegible] فى [illegible] التى [illegible] . [illegible] ، ويحز [illegible] التى [illegible] إذا [illegible] ، وإذا [illegible] ، [illegible] فاستسلم [illegible] فى الأول [illegible] نحو المقصد ، ومعانقة وجدان المراد ، و[illegible] ، و[illegible] إلى من [illegible] فى الحق [illegible] من شىء ، ولا [illegible] من [illegible] وشوقه[3] ، و[illegible] . فإنه [illegible] الحق يصح فيه [illegible] ، ويبقى عليه أنواره ويظهره ، وهو [illegible] الذكر و[illegible] من [illegible] . والتصحيح [illegible] النفس و[illegible] الأنس . [illegible] كلك [illegible] ، و[illegible] تابع له ، ولسوانحه [illegible] ، و[illegible] ، و[illegible] . فإذا كان نقيا حيا [illegible] ذكيا كانت حركات [illegible] الأعلى ، وسكناته معتلة

(1) [illegible]

(2) [illegible]

(3) شفته شوقا [illegible] مشوق [illegible] . و[illegible] الترشيح .

(4) [illegible]

بالغيب الحكمي [illegible] في عدم الشك
في الأشياء لامتلائك [illegible]، وفيضت [illegible] سكون، و[illegible] في ما كان ويكون،
لغير فاصلة من زمان، ولا حيلولة من مكان [illegible] سمعت هذا لمكان [illegible]،
وقد حضني [illegible] تذكر [illegible] الأحوال من قوم [illegible] منذ أربعين سنة،
كانت [illegible] وجوههم [illegible] بالحق [illegible]، ومدة [illegible] حركاتهم ناطقة بالحق
الذي هو آخر ما [illegible]، و[illegible] إليه، وشواهد ألسنتهم ناطقة [illegible] له
من [illegible] بقية، و[illegible] من [illegible]، و[illegible] إلى الله عز وجل [illegible]، وقد
قيل: — وآخر ما يبقى من [illegible] الذكر — وقد قيل أيضاً:

تذكرت شيئاً قد مضى [illegible] ومن حجة الأخرى أن يتذكرا

[٧٠ ب] اللهم اشغلنا بذكرك عن ذكر غيرك، وإذا حركتنا لذكرك
فحرك أيضاً [illegible] بذكرك لنا، فلولا ذكرك لنا ما ذكرناك، يا ذا الجلال والإكرام.

رسالة (٤)

اللهم أصلح [illegible]، والطف [illegible]، وارحم [illegible] من أسرنا، واجبر [illegible] من كسرنا،
وخوفنا من [illegible] في يسرنا [illegible] فائض، وخزائنك ملأى، وحكمتك
نافذة، و[illegible]، و[illegible] واسعة، و[illegible] يا هذا
تضرع إلى ربك [illegible]، و[illegible] الوجوه، وحارت العقول، وحالت
البصائر؛ وهو بين كل شيء [illegible] وإليه [illegible] كل شيء، وعليه وقف الأمر،
وفي يده [illegible]، و[illegible] تضرعنا [illegible]، والممد
عليه التخصيص [illegible]، و[illegible] لك كل شيء، واستعاد منك كل شيء. إنك إن ذقت
حلاوة وصاله، وآويت إلى عريش كرمه لم تصبر ساعة واحدة عن ذلك النعيم

(١) في الهامش: «[illegible] ومنه وجد كل شيء».

الخصل ، والفناء الحضر ، واليسر لدنه ، والأمر اسمه ، والمر امحص ، والمراد الحاصل .

يا هذا إلى متى ... أهل الأدب في الدعوى ، لا تنظر إلى حالك في لفظى ... لا تسلك الطريقة مثلى ؟ لا تنس ما أريك ما حسى ؟ ماذا يجيء من هذا التهافت وهذه[1] الذلة وهذا الجهل ؟ كأنك ما رأيت نعيمث عبرة ، ولا حضضت لك شيء حيرة ؟ أما تستحي تستخدم عقلك ، الذي هو أشرف منح الله عندك ، شهواتك التي هي أفضح الأشياء لك ؟ وما في قضاء وطر ساعة ، وما في نيل لذة منقطعة ، يبقى عرها ويرتهنك وزره ؟ يا عدو نفسه ! يا جانياً على روحه ! يا حالاً حتفه بيده ! يا شارباً للسم بكأسه على علم منه ! ما أراداك[2] لعملك ! وما أطرحت لمدنك في عدالك ! ما ألهاك عن شأنك ، وما أقسى قسك على مهجتك ، وما أذهلك عن رشدك ! وما أركلك لمطية غيّك ، وما أصفق وجهك في خلافك ؟ وما أصب حدقتك [١٧١] لإصدارك ، وما أضيق عذرك عند احتجاجك واعتذارك !

يا هذا ! الحديث أكنى عن الغيبة مما يقرع أذنك ، نعى أنه شيء بدء في الأول من ... وسرى في الثاني على رادف ... فاتفق الأول والثاني ، لأن الأول ... والثاني ... في ديوان التكليف ، واختلف القول عليه من وصف و ... فقال هذا : إنما أتيت من احتيار رشادي وقال ذاك إنما أتيت من حتير المقوى العزيز . فصلح[3] الحائين ... في ... وقالا : قد نصنع ؟

(١) كذا ، ولعل صوابه : هذه .

(٢) ص : ما أراك ذلك .

(٣) لاحيته ملاحاة ... (بكسر اللام) نازعته .

وقال العارف: معرفة تجهيل، ووقت ما علم، ولا يجمع بين الإشارة والاحتجاب.
ولا يصف الخليقة بالمحبة [illegible] به والأمر [illegible]، وخلق قدرة على كل ما تراه
موجودًا بحس وعين [illegible] ووهم [illegible] وبين وعم. [illegible] ولا سر
[illegible] بالدوى [illegible] الداعية. [illegible] والمو [illegible]
٥ [illegible] فقال [illegible] هو [illegible] الأمر [illegible] هو [illegible] قال [illegible]
[illegible] لى [illegible] هو [illegible] في. [illegible] كحس [illegible]
لى [illegible] وعدى. [illegible] بما سبق
من [illegible] في [illegible] ولا [illegible] لى [illegible] في [illegible]
[illegible] لى [illegible] لا [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible]
١٠ ولا يبدل. ولا [illegible] ولا [illegible] او صحبة او صحبى
حلا أم أمر.

[illegible] ليس [illegible] لا ما هو به عند. [illegible] فيلا [illegible] أنه [illegible]،
[illegible] ملاكه [illegible] وهوجه [illegible] من هذا، وجد [illegible]،
إنما جملة لا تشفيك شرحًا. [illegible] لا يبقى [illegible] ولا [illegible]
١٥ منك فرحًا. ولا يجوز [illegible] | ٧١ ب، ولا يجب إليك [illegible]، ولا يعيب
عيبك [illegible]. [illegible] حول الورد [illegible]، [illegible] البكاءة
فما أهدت، واستنقذت [illegible]، ودعوت [illegible] أجبت، [illegible] فما [illegible]
واستدرت [illegible] قمت، واستحجت [illegible]، [illegible] العدة [illegible] عييت،
وأصغيت فما غربت [illegible] ، مبروز الصبر، معروز الأثير [3]،

(١) [illegible]

(٢) [illegible] (كسمع) [illegible] شدد

(٣) الأثير [illegible] والإبعاد [illegible] شديد.

قد نفد خُلقي وذاب بُغيتي ، وذهب أكثري وبقي أقلي ، قد قيل لي يوماً
نعم كان مثلك كذا أو كذا فهذا أنت في داودك ، لكان ذلك مثلا لغيري
أتمثل به ، ولعلة معنى تمثّل به ، لكن هذا ذلك كله نفسه منقص ، وقدرة
[illegible] ، ومعوّقه ، واستبد [illegible] حتى أني [illegible] أصبحت اعترفت بالنعمة
في تضعيف هذه النعمة ، لا أحسنتُ وأتقنتُ وتلك وتأزرتُ ، وتظرفت
وتعففت ، وحدثت وحدث ، وحدثت وتمت ، وبحثت ودمثت ، ورعت
ويرفت ولو أنت في الأنس وعشق ، ودهشت بالحق وحق ، من كان يتدارك
ومن كان يتعرض ، ومن كان يتوب [illegible] ، ومن محدوقة في محيطة الموت ،
ومن كان يقول كيف ، وكيف مرتفعة من مواجهة الأرباب ؟ إنما وكيف
يعرف إذا أذنب به [illegible] ، ومستقبله إذا هجم عليه المعد ، ومن يقع في الوضيع
إذا أتت عليه الأمر فقد من خلاص هذا كله . وكيف بد من يد لا يجور معه ،
ولا يؤذن له [illegible] فقصر الفهم ، وحدث الوهم ، واضطرب الحس ، وثبت[3]
العقل ، وشح العلم ، وعلى اللبيب ، وخرج الطبع ، واقتحم الشك ،
وعرض الإيجاس[4] . واعترض لاجس ، واشتد بين هذا وهذا يأس .
فأما قصور الفهم فلأنه [illegible] في الطبيعة . وأما حدوث الوهم فلأنه [illegible] عن قرار
النفس |١٧٢| وأما اضطراب الحس فلأن منشأه من الأعراض وأما ثبات
العقل فلأنه يستعلي من الخلق وأما شح العلم فلأنه محيط بكل شيء .
وأما استيلاء الحس فلأنه من [illegible] الهوى . وأما ترجرج الطبع فلأن مصدره

(١) لاجس (بالكسر وبكسرتين) الخاطرة ، والجمع [illegible] .
(٢) من [illegible] يعمو [illegible] شعو
(٣) أي [illegible] إدراكه
(٤) أوجس في نفسه أحس وأضمر — والمقصود أحسّ الشك والخوف .

من اعتقاد الصدق، وأما اقتحام الشك، فلأنه صنعة الإنسان.
وأما عَرَض [2] الإيحاش فلأنه من روادف الحال، وأما اعتراض الإبلاس
فلأنه من تمام جميع ما سبقه. ولما كان الإنسان رهين الجيب، مَنْهُم العيب،
معدن الرَّيب، ومقرّ العيب، توالت عليه ومنه وفيه هذه الأمور الثلاثة،
وهذه الأحوال المتشابهة [illegible] وبما يُبَقّ ويُظهَر في الخلق بالقيام على وظائف
التكليف، وحدود الأمر والنهي، وقبول ما يسير به مُتَرَقّ به. وجملتها
كلها إيماءاتٌ تجتلب سعادتك بها، وتستبين معرفتك منها، وتعرف قيمتك
بها، لأنها صيقل الأنفس الصدئة، ومجلى الأخلاق الكدرة، وهوادي
الآراء الضالة، ومُرِيح [3] الألباب الهادية، وسائق العقول الكليلة، وشافي
الأرواح العليلة، ونصائح القلوب الذاهلة.

فاطلب لنفسك النجاة منك، أو اطلب في نفسك المهلكة لك في هذه
الفِقَر المنوطة من أفواه الدهريين، المنطوقة من أشخاص واحدين، المستمدة
من أسماء المعنى، في اسم الأمين. واحرص فيذلك معرفة النفس في الليل
وخاصة في السحر الأعلى. فإن شغل الفكر لا يكون له تصنّع، وبال النفس
لا يكون فيه تمدد، والأحسن يكون خفية، وفي خلوة لأخشن زكو [4]
الرأي، [٧٢ ب] واشتمال الصواب، وورود الحق، وسهولة الحزن، وتقدير
المشكل، ووضوح الغامض، واستنباه مفصحة، وبثّ السر، وزاد حسنة عيبث

(١) اعتق: اسرض

(٢) صهور: وأوحش: أصمر. ومصدره الإيحاش بعضه. أما طهور المضمر فهو من لوازم الحال وتوابعها.

(٣) ليست واضحة تماماً.

(٤) ص: زكوا. وزكا يزكو زكاء وزُكُوًّا: نما.

هذه حال بهذه الصفة وأنت تعلق في منعطفات ما [illegible] العبرة في بعضك ،
كما كان يقضك مني هذا الحب سعداً نوراً في صدق رؤيتك

إنّ الحق يسمى العارف في رؤية المستعد الذي يكون عينه في تلك الحال ؛
فمنهم منها ما تصير به البينة مصدّقة . فحينئذ يرى العارف الغيب شهادة ،
والمستور مكشوفاً ، والمظنون متيقناً . هذه حال مذكورة عن [illegible] العقول ٥
وأصحاب الحق لينجلي في هذه المراتب ترجية للوقت ، وتقطعاً للزمن ،
وتعليلاً للنفس ، وشفاء[١] الاستتار ، والمسح[٢] بالأسرار ، والتشحذ بالحق ،
ووقفاً على الصدور إلى دار القرار . ولا نكر تعنى هنا ، ونتق عليه . فقد لاحت
في هذه أشياء طريفة ، وأمور بديعة . لولا أن هذه الورقات أرفع قدرها عن رسمها
فيها ، لو ملئتها منها كما عهدتم عجائب ؛ وحسب الله عز وجل ليس بمحدود ، ١٠
ومادته غير مردود ، ومتواريه غير معدود : ووقف هذه القصة في تهذيب
الأخلاق ، ووسطه في أخذ العبر من جميع الآفاق ، وآخره الوصول إلى الله
العزيز الخلاق . والإنسان نصفان : نصفه خلق ونصفه حق ، فإذا صلح نصفاه
فقد[٣] [illegible] كل ما هو به إنسان . فما نصفه الأول الذي هو به حق فهو أيضاً
على نصفين ، أحدهما باستعمال ذوق على وتيرة لا [illegible] منه ، وبالكلمة ١٥
الأخرى [illegible] وكذلك هو بالنصف الثاني الذي هو به ذو خلق ،
على نصفين [illegible] لأن هو المتشبه بالنصف الأول حتى كأنه [illegible] ،
[٧٣ ب] وبالنصف الثاني الذي هو به [illegible] من [illegible] ، وقح الناس
حساً وهذا كلامه ، [illegible] في حومة موجبة ، [illegible] لا [illegible] عنه نصف
[illegible] ، لأن العارف [illegible] وخصه [illegible] في الله [illegible] في الله ٢٠

(١) ليست واضحة تماماً .
(٢) التشحذ . خطه مشتبه .
(٣) بالهامش : « صح : فقد » أي . فقد كمل ماهو

والمقبل إلى الله والذاكر إلى الله والواصل إلى الله والمتصل بالله لا يخلون من معالى الأخلاق وعوالى الهمم وشرائف الذات وشرائف الأنفس وبدائع الأحوال وهذا . قال قائل منهم وقد ذكر له ... ذكر الدنيا

أما أن من نقيل الدنيا على لا آخذه أحد لا ... ولا ... على

٥ لا أبكى عليها بكاء الخرف المُهْتَر وقلت لأبى ... سوق ...

كيف أنت ؟ قال

كُلّما قلتُ ... موعدنا ... ضحكت هند ... وقالت ...

... إنما ... إلى تهذيب الأخلاق ... من ... كثيرة ، ومركب من ... متعادية ، ومسكن ... وكانت ... كنت

١٠ أنت ، وكنت ... لأنت ... ، ... من ... وألف شردها ، وإصلاح ... ، ... ، وإرشاد ... ، ... خلاقك ... وإذا ... ، ... همتك وإذا شرفت همتك ... ملك ... لخدمة الملوك وحضور خلواتهم ، وسماع ... ، وحفظ ... ، ... يتنزل عليك ... القصص

١٥ ... تصير ... ولا ... . هذا ... أن ...

(١) المهر ... من ذهب ... من كذب ...

(٢) البيت لعمر بن أبي ربيعة في قصيدته التي مطلعها :

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد ... وشفت أنفسنا مما تجد

والرواية المشهورة لهذا البيت هي

كلما قلتُ ... موعدنا ... ضحكت هند ... وقالت ...

راجع ديوانه ص ١١٦ البيت ... ٢ ... شرح ...

ليبتسج سنة ١٩٠١ م ١٣١٨ هـ

(٣) ص ...

ولطئ وتصحى، وتطرد وتمحو، وتهان وتنقى، وتغلب وتقفى (١)، فإن ذلك
كله صنع من الله لك، لأن فيه تحلية برشدك وإلقاء خصالك على عزمك، وزكاً
لك وحالك، وإسقاطاً لعوارض نفسك، وتوفيراً على المهمات [٧٣ ب] لك
فإن الخلق شغل في شغل على شغل، ومن شغل أحد بالخلق فوصل إلى الخلق،
لأنهم لا يدعون أديباً إلا آذوه (٢)، ولا صحيحاً إلا غروه (٣)، ولا نابهاً
إلا شروه (٤)، ولا هوناً إلا هزوه (٥)، ولا حنيفاً إلا أمروه (٦)، ولا جدداً
إلا كروه (٧) واستوى معيبة وحسبك أنهم شغلوا صاحب الدنيا عن الدنيا،
فكيف يتركون صاحب الدين مع الدين؟ هذا ما تخبر به منهم عدة، ولا لأهل
فيه حدوة. فلهذا وأثرت في هذا الجزء الكلام في الأخلاق وتهذيبها، فبلك
بذلك تصفو لك النفس ثم ليس لك الصفو إلا ما إذا بدا من الحق هدية
وتلك (٨)، وحلك واصطفك على الغيب وأشهدك، وأصطفاك وأوردك. وصرت

(١) قفاه يقفوه قفواً وقفواً: قذفه بالفجور صريحاً ورماه بأمر قبيح،
والاسم القفوة والقفى.
(٢) قرفه يقرفه: شتمه.
(٣) غره: خدعه يكدره وساءه.
(٤) شره شراً (بالضم): عابه.
(٥) أي جعله قرناً يسكن ويعف.
(٦) جعله ...
(٧) الجدد: الأرض المستوية، وما استرق من الرمل ووجه الأرض. وكرا
الأرض يكروها: حفرها.
(٨) الوكنة ... وكن الطائر بيضه
ونحوه، وكنه: حضنه.

من الذين أنعم الله عليهم على طريق الإخلاص من ناحية الاختصاص – فهيهاتَ لك إن وجدت هذه الحال بجهدك إن وقعت له بتوفيقه، وإن تحببت فيه والله محقق لك ذلك، ومزكٍّ لك عن جنبه وجوده.

رسالة ([illegible])

اللهمّ رفق بمن رفقتَ بحضنه لك، واطّلع عليه اطلاعاً تحدث به واهناً إليك، وأرحه من جزئه من دائه، وجد عليه بدونك، وامنح منه الخلق الحق، وأودعه أسرار الحق الحق، وسلّمه من كل نائبة عمت، ووقّه كل نائبة[1] خصت، ولاطف ضميره بروح لطفك، ودرّ ما بدا له بتوالي عطفك، ونجّه حريقه من هبوب نسيم حركتك، واملأ أسراره بغرائب [illegible] وحيرك، إنك خير المسئولين، وأجود الأجودين، وأكرم الأكرمين.

يا هذا! إذا تمنت نفسك نقد الأبد، فلا تسكن إلى أحد، ولا تحدث سبداً ولا لبداً[2]. إذا هفا بك الشوق إلى ساحة بعيدة، فارق في مدرج الوحدة إلى نهاية مسلمة، داعياً [illegible] [١٧٤] [illegible] شاهد الكسب[3]. فسببه التوصل إلى حرى التقدم، إذ استغرقت عبادة العادة في الشاهد

(١) النائقة: الداهية.

(٢) السبد (بالتحريك): القليل. واللبد: الكثير. ويقال: ماله سبد ولا لبد (محركتين) أي لا قليل ولا كثير.

(٣) «الكسب: هو الفعل المفضي إلى اجتلاب نفع ودفع ضرر، ولا يوصف فعل الله بأنه كسب، لكونه منزهاً عن جلب نفع أو دفع ضرر» («التعريفات» للشريف الجرجاني). والكلمات الواردة هنا: الكسب، التوصل، العادة، الخ، كلها اصطلاحات كلامية.

بالعادة ، فلا تطردها [illegible] . إذا استغرقت رؤية الأغيار ،
فالتفت إلى وارد أحكام الاضطرار . وإذا خشيت سبب الاضطرار ، فلا تنكر
محبوب ما ساقه إليك الاختيار . وإذا عرفت مدى سكرك ، فلا تميز الاختيار
من الاضطرار . وإذا [illegible] إلى مقدار
الحقيق بالاستكثار . وإذا [illegible] فاعلم أنك تعديت على قدر
النفس . وإذا أمسكت [illegible] من غير [illegible] ذلك المكان ، فاعلم أنك
قد [illegible] من [illegible] يا هذا ! إذا أمسكتك [illegible] فلا تقبل منه
المتوسط ، وإذا توسط لك بنفسه فقد [illegible] . إذا [illegible] عيبه ،
فقد عابك عن علانية غيبه . إذا قربك المشوق ، فاحتجب عن تقريب المشتاق .
إذا غشيك [illegible] ذكره بك ، فول عن ذكرك إذكار المذكر لك .
إذا استكتمك الملك سر المملكة ، فلا تشبه في طلبه من يعرضك للهلكة .
إذا فاتحك الحبيب بعد [illegible] ، فله عن الرقيب متستراً بالحظ . وإذا ناجاك
الحق بما يدق عن الفهم ، فلا تحكه إلى نقص العقل . إذا عدت عليك الحس
بالاستحالة ، فاحمل عليه بسلطان الحق . إذا فتنت العقل بدقائق البحث ،
فاستنبه بحقائق التسبيح . إذا [illegible] النفس في الطاعة ، فعرفها مستحق المطاع .
إذا حدثتك [illegible] برؤية [illegible] من طلب المريد ، فاغب بذلك عن رؤية [illegible] .
إذا حدثتك نفسك بالوصول ، فكن على حذر من مكر الموصل . إذا [illegible] بك
الرحلة إلى [illegible] ، فاهبط إلى ساحة [٧٤ ب] الحروف بالعشق . إذا رصدت
الهوى بتسويفه ، فاحتمه [illegible] ، وعامل [illegible] بتسويف . إذا لاح لك شاهد
الحق منك ، فواصله لشاهده فيك . إذا استفحمت [illegible] مرامي [illegible] ، فقيدها

(١) أي لا تحملها مجردة

بمحج الحق . إذا ساعدك الوقت بحوادث الذات ، فخف نوائب التعنت ،
وإذا تبرجت [illegible] منظر من مناظر الكون ، فتكبر فيه بزينة الصون ،
إذا رجفت لك عين شهد الوجدان ، فاستند أنت إلى ركن العرفان ،
إذا تم لك مخض التوحيد ، فاضرب عليه بصدق التمجيد . إذا عكست
خاطر الأماني في مدارج التوقي فاطرد أنت شتات المعاني . إذا ادعى عليك
الحال بشواهد التمويه ، فبرز أنت بحقائق التعريف والتنزيه . إذا ضعف
تأويل الأحساس ، فاحمه أنت بتوفي التحول . إذا كدرتك حظوظ الغرض ،
فاسرح أنت بحقائق التفويض . إذا راحوك من [illegible] ، فكذبهم أنت
أنت بسوادى الظن . إذا حرموك على وجه الاختيار ، فحقق ذلك لشواهد
الاضطرار .

لعمري لقد وصفت شمائلا يعز عن الوصف ، ويعجز على الواصف تحديداً
عن درس إنسان بحدود اللفظ ولكن [illegible] من [illegible] عليه ،
وإن تحلى فقد [illegible] ، وإن تقرب نسب إلى الحق . وإن أمسك أحيى
في زمرة الأباعد . وتقدمه [1] [illegible] ، ودعوه [illegible] ، وقوله [illegible] ، وسكوته
إثقال ، ووجده وحشة . وفكره دهشة ، وصحوه سكر . ونصحه مكر ،
ولده [illegible] ، وبحثه وكس [3] . وزيادته نقص ، ورضيه مرض ، وإبرامه نقض .

يا هذا ! تخشى من عرفك ، وتغرق في تحملك ! أتدرى ما تفسير
هذا السر ؟ أي [illegible] احصر عن شيئيتك ، وتغيب عن حضورك . هذا أيضاً

(١) [illegible] [illegible] يحظى وبجهل
(٢) أي [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible]
(٣) الوكس (كوعد) [illegible] [illegible] ([illegible]) [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ذهب

لغز آخر أنا أكشفه لك بما هو أبين، فتحلّ منه بما هو أزين. معنى ذلك
انفِ عن سِرّك الهمومَ كلَّها حتى تنقى من كل [٧٥ ا] دنس يكون
في الإنس. ثم احتفظ بمجلسك من حضرة الحق بقبول ما يجود به لك.
ثم أفرغ كلك في شكرك هذه المنح التي كلما جودتها كانت أحسن وأبهى،
وكلما عرضتها كانت أحلى وأشهى.

يا هذا! أما ترى دون الإرادة من عيان خشية، تصوف لعبرة
عن الأركان الوثيقة، دالة على الآيات الأبينة، جامعة للآثار الرشيقة؟ فخل في
أمرها طلباً [illegible] منها، وحصِّل في أمرهم محصّلاً حقيقتك منها واحصل
تباشير بوادي هذه الأحوال مدة عمرك إن كنت مقبلاً. ونفذ لشكرك إن
كنت مُحلّي، وترنّم في هذه المعاني [illegible] تحرق لك من هذه وقفات
التي هي لك وقفة متنزهاً، واعطف من شأنها مندفقاً [illegible]، وترشف
من عين ما [illegible] وقتك في لحظة [illegible] فيه للملك مرضٍ،
وللعدو غرض، ونحق حرض(١). [illegible] وأنت مريد. فإما
إذا كنت مراداً، فتحسب كل إرادة لك، وإما إرادة فيك منك. ويجب
أن تكون سامعاً متمهلاً، وإياك أن تكون مسرفاً متعجلاً، فإن ذلك عنوان
الموت وآية الحسرة وعلامة الأسف. وانفِ عن سرّك الفكرَ في كل ما كان
أمس، فشغله يمحو لك ما يكون لك غداً. في ذلك أحصر لذتك في يومك،
وأدعى إلى إحراز نصيبك من قوتك. فالوقت حادّ، فكن من حدّته على حذر.
والحذر هنا أن يكون همك بالطويات الأبديات الدائمات الباقيات الصالحات
الناعمات، فإن اعتلاق الهم به [٧٥ ب] استغرق لمحاسنه. وفي هذا الاستغراق

(١) الحرض (محركة): الفساد في البدن وفي المذهب وفي العقل.

تشبه كثير بصاحب . وفى هذا التشبه برور لحقائقها . وفى هذا البرور لحقائقها العود بصوتها ، ومن صوتها خودها . فأى الإشارة أخلص من هذه ؟ وأى عبارة أخلص من هذه ؟ قد صح لك فيما نعبر به عندك ، ولطف فيما عرض عليك ، فكن لآلائه من الشاكرين ، ولنعمه من المستحقين ، ولفضله

٥ من الذاكرين . وزن رجاءك بالخوف وزناً عدلاً . ثم رجح الرجاء فإنه أدل على كرم المرجو وقابل التوكل بالتعرض مقابلة صحيحة . ثم احمل الرجحان فى جانب التوكل ، فإنه أشبه بحال العبد وابحث عن مبدأ الوجد ، فإن كان من آثار السكون الدائم لشئ الزائل الحائل فلا تعرج عليه ؛ وإن كان من آثار العهد الدائم الخالد فارتد به والتزم ، واشغف به واعتطف عليه ، وثق بأنك

١٠ إذا أهملت للسحر فى هذه الساحة ، فقد نلت كل لذة ونصبت كل راحة ! وما أقرب هذا البعيد ! وما أبين هذا الضمير ! وما أشد استحالة هذا الآتى ! وما أسرع إيحاش هذا الدنى ! إنما هو : قدة كالحلم ، وحلم كالمحج . ثم الاطلاع على سير كنا شهدنا هذه نشبه ، لا بحقائقه ، ونحن على أعماله لا على معانيه ، ونظن أنا قد وجدنا حرياً وملكنا نصيباً وأى عز لما يتداوله الليل والنهار !

١٥ وأى عز لما يحويه[1] القياس والمقدار وأى شرف لما لا يثبت فى لحظة على حال إنه فى كل آن منه . وفى كل أوان زمنه أعنى أنه يقال له : عريض[2] وداس ، وحديد وخلق ، وشاب وهرم ، ومقبل ومول . فإن الأمثال بمثله مضروبة ، والأدلة على نضارته منصوبة ، ولكن القلوب

(١) يحويه : تعهده ، ونقصه . ونسبة إلى الحيازة . والمقصود هنا : أى ما ينطبق عليه القياس والمقدار ، أى ما هو محدود

(٢) غريض : نضر

عن التحقيق بمعرفتها [١٧٦] محجوبة ، والنفوس مع طلب ذلك منها وفيها مكروبة

يا هذا ! عضّ على ناجذك عند مرارة الكدر العارض ، فإنه كَلفة لامت أو عَطفة عاطف . فإن ذلك يُهوّن عليك الصبر ، ويُفسح منك الصدر ، ويزيدك ثقة بالعوض ، وزهادة فى هذا العَرَض . يا هذا ! إن كنت تحب نفسك فلا تحقر لها مُموَّاتها [١] بيدها ، ولا تكبها على وجهها بجهدك . واستيقن أن محبة النفس فى معرفة النفس ، وأن <فى> معرفة النفس استكشافاً لحلة القُدس ، أعنى أنك إذا فُحت بذلك عرفت الله الذى به قِوام النفس ، وإليه مصير الجن والإنس . وفى هذه المسألة دقائقُ من البحث وغوامضُ من النظر وغرائبُ من الجواب . ولكن لا قوة لى على شرحه ، ولا ثبات لك على استماعه . فقد اتفقنا على الفُسولة [٢] بسوء الاختيار ، وجرينا على التذكر بحكم الاقتدار . فقل لى الآن : ما الحيلة لى حتى أبدى ما عندى ، وما الحيلة لك حتى تحصل على مسمعى بجهدك وجهدى ؟ والله لو لم تظفر من هذه الأخبار إلا بجزء واحد ، من ورقة واحدة ، من سطر واحد ، لكان الغنم معك والربح فى يدك ، وكنت فى مناط الثريا اتصالاً بالسعادة ، وعند العيوق [٣] اطلاعاً على الحقيقة . وكيف وقد استكثرت منه وظفرت به كله ، وهو ما زال إلى هذا الوقت قد ألف ورقة تجدد لنفسك نشاطاً لقراءتها ، وتستحر لمعانيها ، والاعتراف فيها ، والتصرف فى أوائلها وثوانيها ، والإلمام بغررها وحواشيها . فإنك بتجديد هذا النشاط تمشى على ذلك البساط ، وتؤهل لمجانبة الانبساط .

(١) المُمَوَّاة (مشددة) المُصلِه . كالمُمواة كمبواة ، و جمع مُموَّيات

(٢) الفسولة . الرذالة والحقارة والفعل : فَسُل ، ككرم وعلم وعُني

(٣) العَيُّوق : نجمٌ أحمر مضىءٌ فى طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا ، لا يتقدمها

حتى يقال لك كن خليفتنا [٧٦ ب] في مملكتنا ، ومصرِّفَ الكون بأمرنا
وإذننا . يا هذا ! إن استزادك الرَّيبُ في هذا المسموع ، فاحتط لنفسك بالرجوع
إلى قلبٍ سليمٍ من الهوى ، مفعمٍ بالتُّقى . ثم استشِره فإنه يهديك إلى صراط
مستقيم ، بلا تعلّمٍ ولا تعليم ، ولا تكلّفٍ ولا تكليف . وإن كنت قد كفيت
الريب . وإنما ترنحك لعائثات عاديات وما فيت قرابتك الذي سحبوك
على الضَّرّاء بالغرور ، وفرّقت بالأماني على الدهور ، فإن ذلك ينحّى عنك
بعزمة أواه أوهمة منه ووَنْيَة [illegible] وكد يسير فيها ذلك ، فإن المراد
مطلب والمراد مكشف [2] ودون قوتك وزنى أم وأخت ، وأب وابن ،
وخال وخالة ، وعم وعمة ، فإن هذا من شص الشيطين [3] ووسواسه ، ومن
دقيق حيله وإحونه [4] وإلباسه .

وقد قال عيسى بن مريم ، عليه السلام ، وهو روح الله ، لحواريين
« إنكم لن تدركوا ملكوت السموات إلا بعد أن تتركوا نساءكم أيامى [5]
وأولادكم يتامى » [6] . وهذا رمز وراءه رمز ، وإشارة فوقها إشارة ،
وعبارة حولها عبارة ولكن الحق منجد ، ولا بد من بعض السكوت ، كما أنه لا بد
من بعض القول ، ومن قال كل ما عنده فقد باء بغضب من الله ؛ ومن سكت
عن كل ما عنده فقد تعرض لطرد الله . إن لكل شيء حداً ، ولكل أمر

(١) الونية : الفترة والتعب (ضد) ؛ والنقص . ونى يني ونياً ووُنياً ووناء
ونية ونية وَنَى .

(٢) كشب عليه : حمل وكرّ .

(٣) كذا ، ولعلها : الشيطان .

(٤) في الكلمة تشكك واضطراب في الأصل ، كذا والوعوابه .

(٥) الأيم والجمع أيامى . من لا زوج لها ، بكراً أو ثيباً .

(٦) إنجيل « لوقا » ، إصحاح ١٤ : ٢٦ ؛ أصحاح ١٨ : ٢٩ ، ٣٠

قدراً، أعنى: لكل قول آخر ينتهى إليه، ولا يجوز أن يزاد عليه؛ ولكل سكوت حدٌّ يبلغ إليه، ويوقف عنده. [illegible] ما سمعت بعض [illegible] يقول: قيل مَنْ قَلَّ [illegible] [illegible]، و[illegible] مَنْ رَدَّ [illegible] [illegible]. فلا التامُّ عنده [illegible]، ولا [illegible] [١٧٧] [illegible]، ولكن له الخلق وإليه الأمر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، ومشرب كلما حاض [illegible] [illegible] والاحتياط فيه [illegible] الأمر [illegible] [illegible] [illegible] فوته، فذلك؛ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، ولك [illegible] [illegible] [illegible]، و[illegible] [illegible] [illegible]، و[illegible] [illegible] [illegible]، وعلى مالك [illegible][3] [illegible]، و[illegible] [illegible] [illegible][4]، وشر [illegible] لاهين، وبك [illegible] متحيرين[5]، و[illegible] [illegible] [illegible]، وهذه حرمات أنت أولى من [illegible]، وأحق من [illegible] [illegible]، يا ذا الجلال والإكرام!

شعر: كلما انقضى سبب منك عاد لى سبب

تضحكين لاهية والمحب ينتحب

تعجبين من سقمى صحتى هى العجب[6]

(١) فى سورة الأعراف، آية ٥٤: «ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين».

(٢) [illegible] عنه [illegible].

(٣) ص: [illegible] فيجوز أن يكون [illegible] أو [illegible].

(٤) كذا، ولعل أصلها: مقرورين، أى مصابين بالقر وهو البرد.

(٥) كذا، وفى أصله: متحيرين.

(٦) هذه من أبيات لأبى نواس (راجع ديوانه ص ٣٦٦ طبع مصر سنة ١٨٩٨) فى قصيدته الرقيقة التى قالها فى أوائل صباه، ومطلعها:

حامل الهوى تعب يستخفه الطرب

رسالة (كه)

الهي بمعرفتي بك تعبدنا بعنت ، وبمخالفتي لك توسمنا مبث ؛ وإذا حنت بقدتك يطمعني[1] في روح رضوانك ، وبصرارنا على الشرود عنك يحول بين رجائه . وتعصيك غارحي[2] تذبذب بين اليأس والقنوط ، وأكمن حظر الترجيح بين الصعود والهبوط .

٥

أيها الحائم المتاح ! كم تتلدد ، ورُمْك بين يديك ؟ أيها العمس المكدود ، كم تعتر وقد أحتط رؤمائك عمالك عنيك ؟ أيها العدو مطمئن كم تنعم ، والمرعح قد نص على رتفك ؟ أيها الواسط لدليل ، كم تهدى وأنت في واد من حقيقة وعطك ؟ أيها السكت ناهى ، كم تعض أنت سم من تعتب ؟ أيها الـ طلق بالمس ، أين شعرك |٧٧ ب| الذي يشهد لك بالصدق ؟ أيها المفكر في الملكوت ، أين حرمانك منك في الحق عنيك ؟ أيها المنساب بسلاد بزاد وسير زاد ، أين شيمتك من السير ؟ أما والله لو صحبت في موت رمالك ارباه في عملك ، ولو ذقت حلاوة من تمحيه اسرت أو شحب شه في عين عمك لأنما[4] تمل السعادة لأنك محجوب عن الرودة لست مسمعت من لا معه على عبادك ،

١٠

(١) كذا ، ولعل أصلها « سعد » في مقابل قوله توسمت والمعنى هو أننا كلما ازددنا بك معرفة شعرنا بعد عنك ، أي بعد ما بين المخلوق والخالق ، أو بعد ما يجب مما يجب علينا نحو ذلك

(٢) ص : يطعمنا . وهو تحريف ظاهر .

(٣) كذا في الأصل بالجيم ، والرجم هو القتل والقذف واللعن والشتم والطرد . أو لعل أصلها : فارحم (بالحاء) ، وهو الأرجح هنا .

(٤) كذا ولعلها : إنما .

ولا يتصفح ما فيه سرك ، ولا تعلم ما أنت عليه وما أنت إليه وما أنت فيه
وما أنت به هيهات ! أنت آنيته ، وفيك وديعته ، وعندك آيته ، وعليك طلبته
أنت رقيبه على نفسه (١) وأنت لا تشعر ، والشاهد عليك وأنت لا تذكر . فانظر
كيف أحالك فيك ثم طهرك لك ، وطواك عنك ثم نشرك عليك حتى ترم (٢)
جوارحك إذا وردت ، وتضم سوانحك إذا قصدت نحواه لتعلم أنك مرشح
لأمرك . إن صبرت على زلازله في أوائله صرت من الأبرار الذين « لا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ » (٣) . وإن جزعت فلن تموت إلا مسخا ، ومن يهلك
على الله إلا هالك . تصبح طافيا وتمسي راسبا ، وتتقدم نشيطاً وتتأخر ناكصاً ،
وتظن أنك على الربح ، لا في الخسران أنت رابح . وإلى غير من شوقت إليه
نازع ؛ فإن حدث كان ... النظر منك فيه ، فادل بنفسك على عيبك ، وأذن
بمحنتك على نفسك ، فكفى بك حسيباً عليك

يا هذا ! أتدعي أنك مُحِبٌّ لمولاك ، وأنت مسخط سواه ؟ أتزعم أن بينك
وبين الحق وصلة ، وأنت عاكف على بساط الخلاف والمعصية ؟ بادر يا هذا ،
وكذّب ظنك من نفسك ، من قبل أن يكذّبك من لا قِبَل لك بتكذيبه ؛
فإن ما طويته في ضميرك أخفى عليك [١٧٨] من خاطرة من « يَعْلَمُ
خائِنَةَ الأَعْيُنِ وما تُخْفِي الصُّدُورُ » (٤) يا هذا . لا تغترّ من لبوس الإيمان
وقد رثيت به ، ولا تغوّر عن اليقين وقد شرفت منه ، ولا تشرُد على متابعة
وقد زُيِّنت في يده ، ولا تفترّ في طلب نجاتك وقد مُكِّنت منه . وكيف لم يكن

(١) كذا ولعل صوابه : نفسك .
(٢) رم الشيء : يرمه ويرُمّه : أصلحه
(٣) سورة « يونس » آية ٦٣
(٤) سورة « المؤمن » : آية ٢٠

من هذا ومن غيره وقد دُعيت ونوديت ، وكوشفت وبودئت ، وحُفظت
ورُعيت ، وسوررت ونوجيت ، ووصلت ونوغيت ؟ فأما الدعاء فبالرسول ،
وأما النداء فبالكتاب ، وأما المكاشفة فبالسر ، وأما المبادأة فبالألطاف ،
وأما الحفظ فبالرفاء ، وأما الرعاية فبالمداومة ، وأما السرار فبالإخلاص ،
وأما المناجاة فبالتكرمة ، وأما المواصلة فبالتشريف ، وأما المناغاة فبالتعريف .
فخُض الآن ـ حفظك الله ـ حقيقة هذه الحال التي دُعيت إليها ، وطورحت بها ، وأُطلعك
عليها ، وخُصصت بما لم يعهد مثلها(١) ، وانحط في ضعف هذه الأحوال مثلك ،
فمنه رقي ذكرك ، وقوي أمرك ، وأُنسي مثالك ، وأُوضح عندك بابك
إن حفظت هذه الأولى خصصت على ما وجدته من الشواهد والدلائل ،
وتخلصت من جميع الأهوال والبلايا ، وقررت في معنى أهل الفضائل ،
وسُقيت ترنماً ينسيك(٣) كل ما تقدم ، وطربت طرباً يذهلك عن كل ما تعلم ،
ثم سُقيته(٤) بكأس لا تصحو بعده أبداً ، ورُفعت إلى سماء لا ترجع أبداً
عنها ، وخُلطت بأرواح لا كدورة فيها ، ومُنحت نعمة لا عهد لك بها ، وحُفّت
بكرامة لا هوت فيها ، وحُبيت بحلية(٥) لا تكشف بعدها ، فماذا تسمع
عن الشوق بعد هذا الوصف الذي تسمع ؟ وماذا يتصدى من الوجد بعد هذا
النعت الذي ترى ؟ وماذا حجبك في [٧٨ ب] عن افتراضك عن هذا عطاؤه لك ،
وهذا ستره عليك ، وهذا تعطفه بك ، وهذا غرضه عندك ؟

(١) عند هذا الموضع بالهامش : معروف
(٢) كذا ، ولعل صوابه : وإن حط
(٣) كذا ، ولعلها : ينسيك .
(٤) كذا ، ولعلها : سقيت .
(٥) كذا ، ولعلها : بحلية .

يا هذا ! دَعْ ما كان خيرٌ عنك ، ومداراة بك . وخذ متفيئاً ما أنا ممنو
حه ، ومدفوع إليه . فإن دَقَّ عليك فيه نمط ، أو ساء منه تحصيل ، فسامح ،
فالقليل أخَرُّ من دينك ، والنصر ظهر بما هنيك . نعم ! حبيبي دعاني فما أجبت
حردني ، وقربني فما دعوت بعدني ، ومتّني فما توقفت حرمني ، وحكمني
فلما اقترحت حبيني ، واستعفني فما عشت حرسني ، وداني فما استدللت
توهني ، وقال كن لي سكني ، وخصني بحدتي ، وأتى فما أملت أعماني ،
وعرضني فما استثبته حسبني فما دفعت إلى هذه المخارج(1) ، ووصلت
عن طرق الخارج ، ثمت محدثاً معي . أترى هذه لمة وقمة وسلامة ؟ فأخرج
لي من قراراً لا يعتذب ولا يحمد جرعه ، لا ينقطع شرهه . وقيل لي : اقتحم
باحتيالك المشهدة(2) ، ولا تصيبنّ منكرها عنده فقد نعم ! فتقحم
طامة ووتراً . ولكن صبّوا فيّ سر أمري ، وعرفوني من ب من حوى
ومري فقيل لي . وقد بت لهذا أحرف بهذا من دلك في البحث
عن طويته ؟ من باحث مسنده عن رويته ؟ من حرّث على فرض منه أعقبه
ما فتحناه ؟ مَن أطمعك في مرعى منه حتى ما يحماه ؟ ومن هون حيث زمع
يسر منه أسلبه ما رفعه ؟ فنص أنت شريكه في الملك ، ووهب عليه
في التدبير ، أو قادح في إرادته بالاعتراض ؟ حلف عنداً فتربيت(3) لسكون
ريّاً ، ولولا أنا نعلم من أين أتيت فيما كان منك لأسقتك ، وحملناك رميا
في مفنائك . لكننا نعود عليك بالمنة سبك ، كما بدأنا ما طيبه لديك . فاحترس

(١) جمع مخرج ، يقصد الأمور المحرجة
(٢) كذا ! ويمكن أن يفسر معنى . مما . ما هو قديم ، وما نتج عندك من الأعمال ؛ يقصد اقتحم أي شيء يكون لك ومن نتاجك .
(٣) كذا ! ولعل صحته : فاتربت .

الآن ما لحرسك نفسه ، وثق بأنك نجوت من مقام دَحْضٍ لولا عطفُنا
وتوفيقنا لك لكنت من [١٧٩] الهالكين . فانظر هل لك منا محيص
إذا أردناك بما لا يوافقك ، وهل لك منا مانع إذا خصصناك بحجة الربوبية ؟
فيا ساهياً عن نفسه ، ويا لاهياً عن فرط أنسه ، كيف ترى قدرتنا عليك ،
وتصريفنا لك ، وإحاطتنا بك ، ومسامحتنا إياك ، وتمكننا منك ، وتملكنا
لناصيتك ، وإشرافنا على دانيتك وقاصيتك ؟ إن لك في بعض هذا معتبراً
فسيحاً ، وتوبة نصوحاً .

اللهم إنا نفتتح كلامنا بذكرك ودعائك استحقاقاً لك ، ليكون نصيبنا
منك بحسب فضلك لا بحسب استحقاقنا ، ونختم أيضاً كلامنا بما بدأنا به
رغبةً في رحمتك لنا وتجاوزك عنا ورضاك بنا وإهدائك ما لا ندري به ولا نتمناه
إيانا . ونسألك ، إلهنا ، أن تعيذنا في كنفٍ من صونك ، فقد رمانا خَلْقُك
عن قوسٍ واحدة ، وقصدونا بألسنة حدادٍ ، وقصدونا بسواعد شداد ، لأنا
ذكرناك لهم ، ودعوناهم إليك ، وعبّرنا عنك أن يكونوا خاضعين لك ومخلصين ،
وقد غرقوا في نعمك ، واعتزوا بكرمك ، وتنكروا من أن يكونوا من خدمك
اللهم استصلحهم لخدمتك ، وخذ بأزمّتهم[1] إلى بابك ، وإلا فاستأصلهم
بقدرتك ، فقد انحرف بهم من نحوك ، ووقفنا كلنا بينهم لخدمتك . فأنت
محرِّكنا إليهم ، وأنت مفتّرهم عنا ، وأنت مسلّطنا عليهم ، وأنت طاردهم
دوننا . وهذا السرّ[2] لك فينا وفيهم ، وليس لك عندنا وعندهم . إلا أنا
قبل أن نتعرض للسر بالظن ، وقبل أن نلم بالغيب بالعَنّ[3] ، نفزع إليك

(١) جمع زمام .
(٢) ص : ليس . وصوابه ما أثبتناه بدليل ما يرد بعد : نتعرض للسر بالظن
(٣) العَنّ : ما يعنّ ، أي يظهر .

قالين لهم، هاجرين لبقاعهم، مباعدين من رباعهم [1]، متبرمين [2] لطباعهم،
متنزهين عن باعهم وذراعهم، عالمين بأن العيش معك أرق، وأنت بتأميله
أولى وأحق، وإن كان معنى هذا الموصوف بالقديمة أشد عليه وأشق.

إلهنا! قد وقعت البينونة بيننا وبين حقك فلا تصلها بالبينونة بينك وبيننا،
فإن ذلك شديد. وإذا أردت بنا عذاباً فاجعله [٧٩ ب] مادون هجرك لنا،
فإن الهجر مخلفة للمقت، والمقت مضعة للهوان، والهوان عذاب شديد
وعقاب أليم.

يا هذا! نزه طرفك عن النظر إلى غير الله! شرف فكرك بالفكر
في عظمة الله! بيض وجهك بالصبر على عبادة الله! خلص عملك من الشرك بالله!
أطرب نفسك بمعاني ملكوت الله! اقرع صباح مساء باب جود الله! تعرض
لنيل المواهب المطلقة من الله! أذن حتى تصغي. أنصت حتى تسمع. اسمع
حتى تفهم. افهم حتى تعقل، واعقل حتى تشرف، واشرف حتى تنمى. وابق
حتى تتم. واتمم حتى تسعد. واسعد حتى تقوى. واتق حتى ترق. وارق
حتى لا تشقى.

يا هذا! أما ترى نعم الله عليك دارّة، وخيراته إليك واصلة ومبرّاته [3]
لديك متكاملة، تارة في اليقظة وتارة في المنام: [فإنه] أما في اليقظة فإنه يجلو
عليك هذا الملك البسيط حتى تشهد الكواكب المتلألئة بالليل، الجارية بحقائق
المشيئة، الدائبة على سنن الإرادة مع عجائب غيرها. وأما في المنام فإنه يعرض

(١) جمع ربع: مسكن.
(٢) أي: كارهين.
(٣) جمع مبرّة.

عليك الأمور لعدمه[1]، فاجتهد أن تعرف الفرق في جميعها على أن ما يشكل
من جنس ما لا يشكل، ومن آل إلى فطنة وذكاء فمن غلط أن مشكلة
ما أشكل لا لأن الإلهية في هذا المكان غريبة، والبشرية مشهورة،
والغريب محتجب، والمشهور مستصحب. عزّت الأسماء، وعزّت الأهواء،
وتعددت الآراء، ومضت الأرض والسماء، وكل ذلك منه الحق سواء،
لأن الأسماء به عزت، والأهواء بقوته عزّت، والآراء بطبيعته تعددت،
والأرض والسماء بنوره غمضت؛ — فلا حول عنه، ولا محيد إلا هو، ولا مستحير
سواه. العجب العجب! أين نحن ويلك! وما هذا الذي قد نوسوس به؟
وما هذا الذي تتهالك عليه؟ إن كان إيانا فما معنى[2] منه، وإن كان غيرنا
فلم نشعر بالنار، وإن لم يكن ذا ولا ذا، فما هذا الويل[3] الذي غلب منه.

[٨٠ ا] يا هذا! هو هو لا بانضمام الإشارة المسية[4]، ولكن هو هو بالتمام
الإشارة حسية وليس يعني كذلك ولكن إلى هاهنا انتهت المسالك،
أعني مسالك النفس الزاكية[5] نحو الأمور الدارسة، ومسالك العقل الدائرة
نحو الغاية، ومسالك الوهم السائح نحو المدى الأبعد، ومسالك اللفظ المزخرف
نحو الملفوظ الأشرف، ومسالك الإرادة المتناهية[6] نحو الخير المطلق،
ومسالك الأمنية المحوم بها نحو الواحد الأحد.

(١) أي : تصيرها .
(٢) ص : تعقل
(٣) غير منقوطة
(٤) كذا ، ولعل صوابه : الحسية
(٥) ص : النازعة .
(٦) تلفظ . تهب .

يا عبد ! إن ثبتت قدمك في المداحض (١) ، ولاح لك في أثناء هذه المعارض، فتنة المراد بأمر ليس دونه عارض، ولا وراءه عارض، وإن تحلحل (٢) بوزن حبة خردل فاعلم أنك بعيد من مواصلة الأول ، بل بعيد من معرفة مادون الأول .

يا عبد ! عليك بطلب (٣) الجنة حتى تعبق فيها الحور العين ، وتسقى بكأس من معين (٤) ، وتستخدم الولدان المخلدين ، وعليك بالهرب من النار الموقدة التي لا طاقة لك عليها ، ولا نعمة لك معها . ودعنا حتى نرعى في وادي المحبة ، ونجني ثمار المعرفة ، ونقتنص بشوق الاتصال ، ونستريح من صروف القيل والقال ، ونشهد من به نورت الشمس . ولعزته خضع الجن والإنس ، ونناجي من به غنينا عن خلقه ، وإليه حننا بعد أداء حقه ، وإياه عبدنا بيقين لا شوب فيه ، ونحوه قصدنا بإخلاص لا ريب فيه ، وعليه شهدنا محبوبا بوجد لا عار عليه ، وفيه توهمنا وصفا لا شبيه له . فإن كنت منا ، وفهمت لغتنا ، وتصرفت في ديواننا ، ونطقت بلساننا ، وكتبت بأقلامنا ، فلك ما لنا وعليك ما علينا . وإن تكن الأخرى ، فاكفنا مؤونتك . فقد وهبنا لك كلك وبعضك ، ووفرنا عليك خمرك وأمرك . فتمتع — كيف شئت — بأهلك وولدك ، وخذ [٨٠ ب] ما شئت من حلالك ومالك ، فلست منا ولسنا منك .

(١) المداحض : المزلات .
(٢) تحلحل : زال عن موضعه .
(٣) ص : بطالب .
(٤) ماء معين ومعين : طاهر جار على وجه الأرض

اللهم إن القلم قد تعرّم [1] في نعت قصتنا معك، واللسان قد طُفِيَ في تشقيق اللفظ بذلك. ووميض الوهم قد طمح على أصبار [2] القلب، وأنت أوّل ذلك وآخره، وحاديه ولاحمه، فاسترْ ذلك علينا حتى لا نُفتضَح على رؤوس الأشهاد الذين لا يعرفون نسبنا منك، ولا يقفون على سببنا معك. وصُنّا عندك في محل المصافاة، وقِفنا بآلائك موقف المحاباة، وآثرنا وقدمنا، وأدّبنا وقرّبنا، وإلا فالطفْ بنا وارحم. وقبل ذلك كله وبعده، أجّج خواطرنا بنار الذكر لك، وحثّ ألسنتنا بسمات تمجيدك، ولا تُفتِرنا عن الانتصاب بين يديك، ولا تُذِقنا مرارة البعد عن قربك، ولا تبلُنا بالاستحسار عن عبادتك، وقيّدنا بقيد محبتك، وأطلقنا في رياض الوحدة بك. وإذا عثرنا فقِلنا بالمشيئة، وإذا سهونا فارددنا إلى التذكّر، وإذا تعيّينا فامددنا بالتسديد، وإذا قصدناك فاعصمنا بالتأييد.

يا هذا! لو لم يجر لك في جميع هذه الأجزاء إلا ما في هذا لكفاك وأوفى على مرادك. فطالعه بقلب رقيق، واشرحه بلسان فتيق [3]، وارتع منه في روض أنيق. والسلام.

(١) تعرّم العظمة: نزع ما عليه من اللحم. يقصد أنه قد استنفد وكلّ في وصف قصته مع الله.

(٢) الصُّبر (بالكسر والضم) ناحية الشيء وحرفه، والجمع: أصبار.

(٣) يقال: رجل فتيق اللسان: أي: حديده. وقد وردت في الأصل «فاشاه»، وهو تحريف.

رسالة (كو)

اللهم حقّق فينا ما نتصدى مخبرين عنه، وحققه فينا إذا حاولنا أن نستفيد منه، وبيّنا لنا حتى نستعذب خدمتك، وأثبتنا حتى نصلح لمحبتك، وأرنا منك ما يستوفينا في غوامض معرفتك. ومهما سبق من تقصير في ذكرك ومصير إلى أمرك، وتشاكٍ في الصبر على بوادي قدرتك، فتغمده بسترك، وامحه بتجاوزك.

يا هذا! إذا دعوته بلسانك، فجرّد ذاتك بخالصة قلبك فطهّره من شركك. وإذا وصفته بعلمك، فنزّهه عن جهلك. وإذا أخبرت عنه ببيانك، فحقّقه لك على إثباتك. وإذا توجهت إليه بروحانك، فاستصحب مادة قوية من تسليمك. واعلم قبل كل شيء وبعده أن أحكام هذه القصة عجيبة، وأغراضها غريبة، وشرائطها وثيقة، وملاحظها أنيقة، ومراقيها مخلولبة، وآفاتها مستوبية، وعلى قدر الصبر على الشدائد والمكاره يكون الظفر بالمطالب والمسرة. ومن أحكام المحبة أن إحسانك ربما استحال إساءة، وتقربك ربما عاد تباعداً. وتحت هذه الجملة ضروب من محنة، وفنون من اعتقة، أدناها تظن أنك مقبول وأنت مردود، وتحسب أنك موصول وأنت مطرود. ومن أغراضها الغريبة أنه يرد منك السكون بالتعويض فتتحرك بالتعريض، ويراد منك الطمأنينة والدعة فتتلبك بعنت بالاجتهاد والمشقة. ومن شرائطها الوثيقة أنك لا تنفك عن العبودية التي بها تصح نسبتك إلى الربوبية، ولا تستطيع أن تتنفس مرة واحدة على شيء من المملكة إلا بإذن من أظهرك في المملكة؛ ومن ملاحظها الأنيقة أنك لا تسرّح طرفك فيما علا وسفل، وفيما وضح وأشكل، إلا أصبت منه منظراً يسبيك بالحيرة، وعجباً ينتهبك

بالغيظ والحسرة. ومن مراعيها الحلولية: أنك لا تذوق شيئاً من هذه الحصرة،
ولا تسمع ولا تُبصر، ولا تشم ولا تمس. إلا حال بينك وبينه حتى تشكو
عليك: أيْ نعتُك، وأينك: أيْ مكانك، وشكلك: أيْ ما أنت منه،
وفصلك: أيْ ما أنت إليه، وحالك: أي ما أنت به، وحاصلك: أي ما أنت
عليه. ومن آفاتها المستولية أنك إن بحثت لم تر ذلك البحث إلا عنّ،
وإن شربت لم يروك الشرب إلا صدى بعده وأنفسها وأنزل أمثلها
إلى أن تستطيع صمتك لغصناً، وبقيه فؤادك غيظاً: يُديرك ويدور بك، ويسلط
الوسواس عليك، ويبدؤك فيك، ويشتتك لك. ومن أحوال هذه الصفات
[٨١ ب] احتباط العرفان بالإنكار، وتشابه الإيراد والإصدار، وارتفعت
الأنفاس في الصدور، بحرارة كحرارة الدر، وتوحشت الحدائق بالإيصال
والإظهار، وصار للمحب النهار كالليل والليل كالنهار.

يا هذا! إن صفتُك حديث الوصف فهو صعب، وإن سألت فهو سؤال
فأما صعوبته فلأنك ستدور كفوراً، وأما سؤاله فلأنك ستدور شكوراً.
وإذا كانت القصة على هذه الشاكلة المشكلة، فكيف يكون حالك في حالك؟
وكيف تكون فيما أنت به كافٍ؟ وكيف تبين عما أنت به بائن؟ اللهم غفراً!
كاد الرجاء لكرمه يُغري بمخالفته، وكاد الخوف من غضبه يقنط من رحمته.
وهذا مقام ما وقف عليه أحد إلا ذلت قدماه، ونحن منه متواد، ومعاتض[1]
دونه منتهاه، ودليلك دون الرئي به شفاه

يا هذا! السعيد من استطبّ لنفسه، وسبق في خلد عاقبته، وقام بالحق
للحق على خطرات باله وهواجس نفسه، وتفرد بالسر، وتمم بالاستكانة،

(١) ص: اعتاض.

ووحد بالعدم، وأُذن بالموت، وصح بالمرض، وحيي بالموت، وروى بالعطش،
واشتبه في الدهش، ووجد بالموجود، واستقل بالمفقود، وأنس بالوحشة، واستوحش
من الأنس. وقال وهو ساكت، وسكت وهو قائل؛ وإنما كان السعيد
من هذا نعته وحديثه، لأنه نفى الأغيار بحقائقهم، وتبرّى من الأكوان وعلائقها،
وتطاول إلى الحد الذي لا وصول لأحد إليه إلا إذا حصل الحق بصنعه،
وكان هو الدافع عنه، والرافع له، والحارس منه، والناظر إليه. ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء، ما على المحسنين من سبيل. وما أحسن ما هتف به بعض أصحابك
حين سمت همته إلى هذا المدى، تركا لغيره، عشقا لوجهك، حيث يقول:

إلهنا إن ذكرناك أنسيتنا، وإن نسيناك بعثتنا، وإن اعترفنا
بك حيّرتنا، [٨٢ ا] وإن جحدناك عرّفتنا، وإن توجهنا إليك بهتّنا،
وإن وقينا علينا دعوتنا، وإن تركناك تحببت، وإن توكلنا عليك كفلتنا،
وإن فكّرنا فيك فتنتنا، وإن التمسنا بك سددتنا، وإن أضعناك استبقيتنا،
وإن سعينا عنك عدلتنا، وإن اقتصرنا عليك دللتنا، وإن انقطعنا عنك
طردتنا. فالسوء فينا لا تملك، وإنا بك لا ندرك، والحنين إليك
لا ينكر، والسلو عنك لا يمكن. فوحّد في عزتك، واعطف علينا
في صقع مثلك، والطف بنا لا نغفل بك، وعمّنا بالكرم الذي أمرتنا
باستعماله بين خلقك، واصرف عنا كل صارف عن بابك، وخلّ خواطرنا
فيما بين ... ، وخواطرنا فيما خلق من حكمتك؛ وإذا دعوناك فأجبنا،
وإذا دعوتنا إليك فأعنا، وإذا استحرزناك فأحرزنا، وإذا أعطيتنا فهبنا؛
وإذا حرمتنا فصبّرنا، وإذا أذنبنا لك فاعف عنا، وإذا أضعفتنا فقوّنا،
وإذا كلّفتنا فأرحنا

(١) الصِّقع (مثلثة): الكعب والناحية، وهو في صقع فلان أي في كنفه

يا هذا ! إذا كان من يفقد غيره يبكى فيصبر ويسلى نا كلاً ، فما هذا السهو فى اللهو ، وما هذه الغفلة ولعله ! ما سمعت القائل يقول

الدهر يصرع أهله سوقاً[1] ويصرعهم ملوكا
والموت شىء قد هتكت عنه حبائله الشكوكا
ونفى شرّ رواحل الدنيا وأكثرها بروكا

والله لو لم يكن هنا واعظ ولا موقظ إلا الموت ، لكان الحزم فى أحد الاستعداد له فكيف ومن دونه أهوال . ومن ورائه أهوال ! وقد قال من قال

نعى لك ظلّ الشباب المشيب
ونادتك [illegible] سود الخطوب
فكن مستعدًّا لداعى الموت
فكلّ الذى هو [illegible] قريب
[٨٢ ب] وقبلك داوى المريض طبيب
فعاش المريض ومات الطبيب
يخاف على نفسه من يموت
فكيف ترى حال من لا يموت ؟ !

أما ترانى يا هذا كيف أرددت بين هذه مخايل[2] مدارية لك ، وأقبلت لك ، وحدّاً بصرف الشفقة عليك لتنبه إلى حظك ، ونقادا إرشادك ، ونحن إلى نعيم

(١) السوقة (بالضم) الرعية ، للواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، أو قد يجمع (كما هنا) : على سُوَق (كصُرَد) .

(٢) المحالة والحيلة والاحتيال والتحيل . الحذق والقدرة على التصرف والجمع للأول محايل . المهم إلا أن يكون أصله . مخايل (بالخاء المعجمة) ، جمع مخيلة ، أى مظنة .

لا انقطاع له، وروح لا روح له فوقه، ورب لا رب سواه، وجنة عرضها السموات والأرض، بل حرمتها حتى عميت كلمة العذاب. تارة أزهدت في هذه الزينة الخادعة حتى ما تجد لها مؤثرًا، ولا تجد الواصل إليها، ولا تحي من كرّبه من لاح نصيبه ودخل تحت كنفها. وتارة أرغبت فيما عند الله من النعيم المقيم، والوصول إلى العظيم. وتارة تحبب إليك ربك فتتوق إلى صنعته وتأوي إلى حضيرة أمنه. وتارة أغضبت (١) عليك فيكون تطرقك عندًا إليها (٢) ثمرة يد أكال، حنقت بك، ويدًا أسعد من مالك.

وتارة شرقتك قلب أحبتك وعمت وصرت أحوالك وفسد أهل زمانك لتستيقظ عندئذ إلى ما صنعت، وكيف صنعت، وفي ذا سعدت، وإلى ماذا قصدت، وهل ثمة بهذه مشيعة، ومن طائعة، وردة نائمة. وتارة تبسط حالك، وأنشر أملك، وأحقق طمعك، وتوثب مصيبة حتى تعود واعيًا ولا تسمع هزءًا، وتكون ذات سنًا دونها إلى انتعاشك من مضعتك، وبابه مفتوح إلى منيتك.

وتارة تسقط الخوف عنك، وتحبب ذكره إليك، لأصرفك عنك من كثير مما تأنس به نفسك، وفيه مصلحتك في الخوف قصدًا من الخوف، كما أن في الرجاء نعمة في مأمول. وتارة تجمع لك الحضرات، إلى تمكنك التسر والمحبة، وتروح سبيلك بحر المعرفة. وتمنى لك محيله (٣) توحيده، وتريك الحق موجودًا، وتحدث بينك وبينه عهدًا معهودًا.

(١) ص انعصاك عنك.
(٢) الضمير يعود على « حضيرة أمنه ».
(٣) محيله: مظنة، والجمع محايل.

وتارة أُجرّد لك اللفظ من سبب التعويض ، لترقى من حضيض التعميم إلى قُلّة(١) التخصيص

وتارة أمزجه عبثاً لتفرق بين ضحكت وبكيت . وتعرف فرق ما بين بيانك [٨٣] وغيّك . وتطلب فائتك مما عددت من كبوت وأبيت وبكيت

وتارة أستوفيك حتى لا تبقى ، وتارة أُوفيك حتى لا تشقى(٢) . فانظر إلى نظري لك ، وإلى رفقي بك ، وإلى قرعي لمصلحتك وقيامي بمصلحتك . واسمعْ ما قال الآخر :

عيبُ ابن آدم ما علمت كبيرُ ... وعيوبه وذهابه تغريرُ

يا ساكن الدنيا ألم تر زهرة الدنيا ... على الأيام كيف تصير ؟

بل ما بدا لك أن تنال من المنى ؟ ... إن كنت إلا متعة فتطير

يا جامع المال الكثير لغيره ... إن الصغير من العيوب كبير

اللهم لا تستفرغنا بالتوقي عن العمل ، ولا تفتنّا باليأس بعد الأمل . اللهم إن إلهيتك بحرٌ لا ساحل له ، وطود لا قُلّة له ، وأفق لا غاية له وهمماً قاصرة عن نعتك إلا إذا وصفت بالإبهام ، وعجزنا أظهر عائب من أن نطمع إلا بالإبهام أو شبيه بالإبهام . اللهم إنا وصفنا نعمتك ، وطوينا في الوصف عمود بقدرك . فتركنا حصاصاً من الصمت ، مع عجز الضمير ، أن تلهمنا ذكرك ، وغاية نصيب من عبوديتنا لك أن تستخلص لنفسك .

(١) القُلّة : أعلى الجبل والرأس والسنام أو أعلى كل شيء .
(٢) أستوفيك : أُحصي منك كل شيء حتى لا تبقى على شيء . وأُوفيك : أعطيك ما فيه الكفاية حتى لا تشقى من الحيرة .

أنهم فاقوا كلا الأمرين [illegible] ، [illegible] فوق [illegible] ، وضن أسرارنا
[illegible] عن [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] من [illegible] ، [illegible] لأستارنا
[illegible] ، [illegible] من آثار [illegible] وغرائب حكمتك ،
[illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عما
[illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] عن محاسنك ، ٥
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] شغفت لصروف
[illegible] ، [illegible] [illegible] وخوضه في بحر العلم لك ،
واكشف [illegible] من [illegible] [illegible] ، [illegible] ، وأهلنا
[illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] من [illegible] ، واحمل
طريق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] الله بكرمك ، ١٠
وهي مؤونته [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] الجلال والإكرام !

رسالة (كز)

أطال الله [illegible] [illegible] لا [illegible] في [illegible] ، وأدام [illegible] وكل
العيش في الصفا [illegible] ، [illegible] [illegible] أخي من [illegible] ، وقد [illegible] إلى ديار

(١) [illegible] [illegible] وقشره [illegible] و[illegible] .
(٢) [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible]
(٣) [illegible] بالعطية [illegible] [illegible]
(٤) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
(٥) إما أن تكون ممدودة ، وحينئذ يكون « كل العيش » منصوبة بالفعل .
« أدام » أو تكون مقصورة ، جمع صفاة أي حجر الصلد الصخم ، وحينئذ تكون .
« كل العيش » مرفوعة على الاستئناف لأنه مبتدأ ، ويكون المعنى هو :
كل العيش في خشونة وقسوة وصلابة وشدة .

الصدق وم[illegible] كه، وفضّلك بفضل العصر، وشرّفك بشرف أشرف شرف،
وأحسن إليك بأحسن الإحسان، وأكرمك بكرم الإ[illegible]، وأنعم عليك
بأتم الإنعام، وصنعت [illegible] وَدَّ بين الأنام [illegible] [illegible] [illegible] و[illegible]
ولاطفك في [illegible] ملاطفة [illegible] الموقوف، ووصفت في [illegible] مصحفة ترفق
٥ المطوق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على لوط[2]
الجن والإنس، و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، و[illegible] [illegible] [illegible]،
وكمالك مؤونة [illegible] بمؤونة [illegible]. ولا [illegible] بك [illegible] ولا [illegible] عليك
فتنته. و[illegible] لك ما هو أولى به [illegible] [illegible] [illegible]، و[illegible] [illegible] مواهبه
عندك، ولطائف [illegible] [illegible]، و[illegible] من [illegible] [illegible]، و[illegible] [illegible][3]
١٠ في [illegible]، و[illegible] من مواطن [illegible] إلى [illegible] الحجة، وطوقك بطوق
البهاء، وتوّجك بتاج العلاء، و[illegible] [illegible]، و[illegible] [illegible]، و[illegible] لك إليه،
و[illegible] [illegible] عليه، و[illegible] [illegible] أسرار [illegible]. و[illegible] [illegible] [illegible]، و[illegible] [illegible]
ثقل الوسواس فيه، و[illegible] دون [illegible] [illegible] [illegible]، و[illegible] [illegible]
معتبراً، و[illegible] [illegible]، و[illegible] [illegible]، و[illegible] واجماً، و[illegible] [illegible]،
١٥ ونحتوي [illegible]، و[illegible] [illegible]، و[illegible] [illegible]، و[illegible] [illegible]، ونخوف
[illegible]، و[illegible] [illegible]، و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، [illegible] [illegible]
[illegible]، ولا [illegible] سواه، ولا [illegible] إليه إلا [illegible]، ولا [illegible] [illegible]
نعمه، ولا [illegible] [illegible]، ولا [illegible] [illegible]، ولا [illegible] [illegible] [illegible]

(١) كذا، ولعله [illegible] في [illegible].

(٢) [illegible].

(٣) مصحفة الدلس.

(٤) كذا، و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]. والموجود في [illegible]
التي راجعناها: أثبت الله قوته [illegible].

بإذن فيّ ذلك بك ، فأجرني [١٨٤ ا] منه إنّي واثق بنشر حاضري منه ،
وكم في هموم طفته بي حديثه ، وحروف وقفه بتعظيمه . وحسبي نطقاً بسكوت
عنه ، ولست كنت حائرة فيه ، ومتحيرا بالنسب ، ومستأنسا بالاسحار فيه ، وممتحنا
بالاجتهاد عليه ، وملقى الشأن الذي لا يشوبه اضطراب ، والغاية التي لا يجدها
بعد ولا اقتراب ، والشبه التي لا يتحكم فيها حد ولا صوت . حرست الله
ولا رقيب من رعية هيبتك ، ونسيب من يسمعه مخلوقات يحرس نفسي
وبحسان نفسي لاحتفت في أمده إليك وأنت عليك سنده وسنده ، وبدت
في النزاع نحوك شده وضده ، ولكن انقضى الذي اتسع بيننا ، والتوافق الذي
اتسع عنده ، يقضي عنه ولا يقتضيه ، ويمحو شطره ولا يستدعيه .
والحمد لله الذي أولى في ما مسّت مالا يتم إلا بتوفيقه ، ولا يقدر إلا بتيسيره
حمدا من علاه يحده عن شكره بالانقياد لأمره والاستئناس في يده والثقة
بوعده ، وصلى الله الواحد الحق على آله في كل عصر

وسألت في حديثي وما يختص شأني ويشتمل عليه أمري ، واعلمت
أني في حساب لا ينتهي ، وعتاب لا ينقضي ، لأني أنزح كالغريق استشعر
فلا أصبر ولا أستقصي . أُرى في الخلاء كالمستتر فلا أستحي ، ولا أستحي
وقد عرفت أمري ووقفت على عثرتي ، وفتنت بخلقي . وهي نفسه وملاها
وأعداه الكون لأنه محط البلاء ومقر الحدثان ، ومحبس الصروف .
وقرصة[2] التعبير ، وعمق الكفة ، وأرض العيد وثوب لا يسكن ، وثبات الخوف .
فما أدرك ما أراه وهو فتى بمحال . ونملي بالفتى ، ونحسن بالمارض ،
وإعراضي عن الغيب . وإنه أنى على نفسي باسم الغمام وأمين المتصل ، وحرقتي

(١) المغار والمغر والمغرة والمغرة (بالفتح والضم فيها جميعاً) الكهف .
والجمع مغور ومغارات (عن ابن الأثير)
(٢) القرصة الثغر .

على الدعوى بغير البرهان ، وتشدّدي في القول مع صدق وتقصيري في الفعل ،
وإصغائي إلى الهذيان [illegible] ولا تحصيل . فإذا أصبحت فأنا الضائع المضيع ،
والخامل المجهول ، و[illegible] [illegible] والطالب المدفوع ، والوارد المُخلَّى ،
والمصحر [illegible] . و[illegible] ذي السعي . و[illegible] [illegible] . والمتوهم الممنّى ،
و[illegible] [illegible] و[illegible] [illegible] [illegible] ولا شعر . [illegible] طَرْقي ،
وعُجْب [illegible] حتى [illegible] . و[illegible] [illegible] و[illegible] وحزمًا كأنه حلبي
أو [illegible] [2] ، ومن [illegible] في [illegible] في صدري ، وحسيفة
صمتُ [illegible] ، ولا [illegible] وما [illegible] . و[illegible] سكتُّ وحقٌّ لا يبقي
عليّ ولا [illegible] وحقٌّ لا [illegible] ولا قرب [illegible] و[illegible] ذلك كله في حروف
أقولها [illegible] تعلق كلّ [illegible] لا [illegible] ، و[illegible] لا [illegible] في [illegible] ، وحجر
قد اتّكأ على [illegible] [3] . و[illegible] في [illegible] . و[illegible] [illegible] ،
وعلى اللسان تكشفه . والبلاء أجمع من [illegible] [4] فتحه ، وإن كان متصلا ،
وأجله وإن كان بدأ متصلا ، و[illegible] وأروح [illegible] ، وأنجح [illegible] .
أعليك — منحك الله الفوز ودرك المأمول — أن الخير المأخوذ عيب المشوّفة
بالعقل والشرع [illegible] الوقوف في مناصبه بحقائقها من غير ريب [illegible] ، ولا شبهة
[illegible] وقد سرت هذه الجملة في البديهة واستمرت ، لكنها وقفت
في الروية [5] وانقمعت . لأن البديهة نشأت لحكم القول والتسليم بفطرة

(١) المتكبّر ، المدّعي .
(٢) [illegible] في [illegible] .
(٣) الأوق : الثقل والشؤم ، وجمعه أواق .
(٤) الفسر : الإبانة وكشف المغطّى ، كالتفسير ، والفعل كضرب ونصر .
(٥) ص . الروية .

الحمية إليه، والعدة للسمة إليه، والكمال المرجو منه، والاحتياط حاكم به.
وأما الرؤية فإنها وقفت بي على محض البحث وطريق الفحص وباب التحكم،
ونقضت سوابق لتاليه، ولم تسع في لفظة الإنشاد توكيده، لأن مددها
عن موثوق بربه، ومحكوم شرعه، وحصل الأول والعقل مستقر من جهته.
وسكن وقع التدافع والتعارض لعلل أخرى، وهي اختلاف القوى وشتات
الشمم، وتباين الأحوال، وخروج المدعيه، والتبث المراد، وفي الجسم
والاسرار. هيهات! هيهات! لن يتسع العمل حتى يصح العلم، ولن يصدق
الخبر حتى يتحقق الغيب، ولن [illegible] الحكمة حتى تدون التجربة، ولن يحمد
الذكاء حتى [illegible]، ولن يتعدى [illegible] حتى ينقل [illegible]، ولن يعسه
العز حتى [illegible]، ولن يملك [illegible] حتى [illegible] بالإحسان، ولن يتحلى
بالصبر حتى يتعرى من الشر، ولن [illegible] قدعة حتى يعدم الحرص، ولن يؤلف
الكمال [١٨٥] حتى ينقص النقص. ولن تعرف حلو السعادة حتى تذاق مر
النحس، ولن يهدى إلى المعروف حتى ينهى عن المنكر، ولن يعرف الحق
حتى يتبرأ من جميع الخلق، ولن تستنكر الخرق حتى يتمكن من [illegible]
الوجدان، ولن تنقطع سلسلة الهذيان حتى ينقرض الشذ من الزمان.
وهذا حديث لا يكون ولا كان اه

أسلفت — [illegible] أطال الله طولك (٢) — من غير طائل، لأني لم أصف
من حالي مراسمها، ولا من قصتي مقدمتها، وسحبت الأول على مصاحب الثقة
ومساكب المقة (٣)، من غير مبالاة بسره ولا مبالاة بشره. وفي الحلة

(١) الاعتناد: الاستعباد.
(٢) يقال: طال طولك وطيلك وطولك وطوالك. أي مكثك وعمرك.
(٣) المقة: المحبة.

قد استندت إلى الحسنى مستمراً حمد الغنى، دائراً مع الأحف الأسهل، ثابتاً في كنف الرفاهة وظل الحيرة ، مستثمراً من طوارق الحدثان راحة وأمنة، نائياً عن موقف حزن وإذلال . قانعاً بالمتيسر من الحال، عملاً بما قال الحكيم بعد الحكيم فمن يقبل هذه معرفة وشتمل عليه يقيناً .

كيف يجري على الخشاء نفسه؟ كيف يملك عرضه؟ كيف يسوق إليه حتفه، ويصون من مدحه وثنائه؟ هذا خفف من العمل . وسكن من الرأى، وإيثار للحق، ورجوع إلى الأحسن، لا يحد دونه، ولا يرضى به فاصل ونائى المعدل عن ذكر شوق إليك وحنيني نحوك لعمى أن ذلك لا يمليه خاطرى، ولا تجرّه[3] لسانى، ولا رسمه قلمى . ولا نقله كتابى

ولا يحب عليه ميراث أنس، ووسيلة مودة، أنشأها فصل قد وحدك الله به، وجميل قد خصك من أخص هذه، ولا زالت الحواس تحن إليك . والفضائل تزدحم عليك . والعفو تجرى نحوك والآمال تنعقد بك . ولا زلت خاطك مراعياً جهدى وطاقتى، وإلى الحوادث مسارعاً فوتى واستطاعتى، ولا حرمت منك مدة تحفظ مهجتى، وتحوط نفسى . لأمور مستمسكا بذكرك مسرعاً

إلى أمرك، متشوقاً لتصوف ما يرد من جهتك . متشوقاً إلى ما يصدر عن وجهتك . عليك صيد سلام الله وزوده تحيته، ما استهج خاطر، واختلج [خاطر] ناظر .

(١) المناعة

(٢) الخشاء : الروع الأسود من البرد، والخشاء (وهو الأقرب هنا) : الجهد من الأرض، والجهاد (كسحاب) الأرض الصلبة لا نبت بها

(٣) ص : تجره

(٤) ص : بالتصوف .

رسالة (٤)

اللهم [illegible] [illegible] الراجعين إلى بابك ، ويقّظ وجوهنا [illegible] [illegible] ،
و[illegible] بوادر مواهبك ومنحك ، و[illegible] إلى [illegible] [illegible] بالأمن منك ، وانظر
[illegible] [illegible] [illegible] وعطفك ، ووفقنا لأقصد السبيل إليك ، واحفظ علينا
في كل الأمور [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لأوسائلنا لديك ،
و[illegible] [illegible] ، و[illegible] [illegible] [illegible] ، و[illegible] [illegible] ولا [illegible] بالنعم استدراجاً ،
ولا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولا تؤاخذنا [illegible] [illegible] ، و[illegible] إذا [illegible]
[illegible] و[illegible] . و[illegible] [illegible] بكرمك إذا صدر [illegible] أشد [illegible] [illegible] ، وكلما
[illegible] وعملك [illegible] [illegible] ، يا من هو [illegible] [illegible] ، وأ[illegible] [illegible] من [illegible] ،
وأ[illegible] [illegible] من [illegible] و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بسبلاتك ، ثم حلّ علينا
فيك بلالئك

يا هذا [illegible] [illegible] [illegible] في وجه [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible]
في السحيص . و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] ،
وبين واضح [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] .

يا هذا ، إذا ذكرته فاذكره وجداً به [illegible] وجد به [illegible] ذكراً له
على أن الذكر وجد أيضاً ، ولكن من ناحية [illegible] [illegible] [illegible] ذكر أيضاً ،

(١) [illegible] ليلا [illegible] [illegible] [illegible]
(٢) [illegible] وانتظره و[illegible] [illegible] عنه
(٣) من الوجد ، فعله : وَجَدَ ، يجد .

ولكن من ناحية الاستفادة. والوجد مُستغرِق للصفات كلها بالمحو، والذكر مُستعرِض(١) للسمات كلها بالإثبات؛ ولذا اضطرب الذكر والوجد كانت الغلبة للوجد، لأن الذكر قد يذكر وهو غير واجد؛ والواجد لا يجد إلا وهو ذاكر على أن هذا الذكر ليس من مراتب [illegible]. ولا من [illegible] الفكر، ولكنه أول من المذكور، وثاب من الذاكر. فأما الوجد فيرتفع عن تحديده بلفظ معه، وترتيبه بحرف، لأنه صوت من حضرة الحق بغاشٍ(٢) وحق، ومباشرة ربانية. وإذا وافى وفّى(٣) ليستوفى، وإذا استوفى فقد علا على المراد وأوفى(٤) [illegible]

يا هذا وما وصفت لك الذكر بمراتبه، والوجد بمواطنه، وما يدور عليهما بخوالبه(٥) وحوادثه؛ [illegible] إلى أن تذوق حلاوة ركوعك وسجودك بصدق النية وطهارة الطوية أحوج، وبما عاد [١٨٦] عليك من ذلك أغنى وأنجح، ولكن ما أصنع! لعل وصفى استراق لى. واعتيادى منّى عما هو أخص بى وأجدى علىّ. وإذا كان تدبيرى إلى غيرى، فسيئتى وحسنتى شريكان فى الحدوث، وتفتقران إلى المشيئة، وإن كانتا مفترقتين فى الاسم، وتقتربان [illegible] فيا عجبًا من فقير هو أمير، ومن أمير هو فقير، ومن تحية هى حصر، ومن حصر هو تحية!

(١) أى: يستعرضها ويبسطها.
(٢) أى: وارد؛ من: غَشِيَ الأمرَ يغشاه: إذا جاءه؛ أو من: غشى الأمر: باشره.
(٣) وفى فلانًا حقَّه: أعطاه وافيًا؛ ووفّاه فاستوفاه، وتوفّاه: أى أعطاه وافيًا.
(٤) أوفى: زاد وأشرف.
(٥) الخالب: ما يؤذى ويمص. والحادث: المحدث.

فإن نبتت بكاف أو ميم، أو بحاء أو بجيم. فدمٌ (١) فوك متفضّ، وردم
كلمك من رضّ (٢). فلا كلام لا بشرة ولا عبارة، إلا على وجه الاستعارة
ولا إشارة، والله المستعان!

رسالة (كط)

اللهم إنا لا نصبر بوجه حتى تصاحب، ولا نصحو حتى تصحب. ولا نسأل ٥
ما نسأل إلا بعد أن نقدمه إليك، ونبثه لك وتوهب. فاقض حاجتنا، اللهم،
فإنه لا يكبر عليك شيء، ولا يصغر منك شيء. ومهما كان منك فلا يكون
المقت ولا الإعراض من ذلك شدة الأبد وشدة الأعداء.

اللهم إنا قد عددنا الذهبي بك فواليا لمعاداتنا لهم فيك، وصدّقنا
المخبرين عنك قدرة على ذلك معصيتك، ونبض وحوهم بالنظر إلى وجهك، ١٠
وحيينا بوصولك إليك من دنك

اللهمّ هذه أشعارنا وأبشارنا (٣) تثبت معرفة بأنك إلهنا وخالقنا، وكافلنا
ورازقنا، وولينا وهادينا، وناصرنا وكافينا. ليس لنا ربٌّ سواك،
ولا إله غيرك. وبهذه المعرفة الثابتة وبهذه المشيئة النابية إلا وقفت بنا وعطفت
علينا. وحنت بنا بيدك وبيننا، حتى نكون لك بلا أنفس أمارة بالسوء ١٥
ولا مسولة بالهوى ولا حوانة في الطاعة

(١) فدم فاه وعليه بالفدام يفدمه وفدّمه وضعه عليه والفدام (ككتاب وسحاب وشدّاد وتنور) شيء تشده العجم والمجوس على أفواهها عند السقي.
(٢) رض الدق والجرش. وردم الثلمة سدّها كلها. وردّم ثوبه رقّعه.
(٣) جمع شعر وبشرة.

يا هذا انقضت والله الغاية على العاية ، وانتهت النهاية إلى النهاية ، وأدرجت الآية في الآية . فهذا صار الدواء داء ، والأسو جراحاً ، والعطاء سلباً ، والبلاغة عياً ، والإنشاد غياً ، والنشر طياً ، والقبول رداً ، والوصل صداً ، والتمام نقصاناً ، والرجحان وكساً [1] ، والتوجه استدباراً ، والتيسر استعساراً ، والربح خسراناً ، والزيادة نقصاناً ، والربح نحضاً ، والأمر وَرْطاً [2] ، والمستقيم محالاً ، والثابت زوالاً ، والطاعة ذنباً ، والإجابة عياً . وعلى هذا إلى أن يبعد القول ، ويضمحل [٨٦ ب] الاسم ، ويبيد الفعل ، ويحرف الحرف ، ويبلى التأليف ، ويطوى الضمير ، ويسر السر ، ويمحى المصدر ، وتزول الإشارة . وإلى أن يقال القائل : قل فلا يعي ، ويقال : اسمع اسمع فلا يسمع ، ويقال : تحرك ساكن فلا يترمرم [3] ، ويقال لك كن متحركاً فلا يتهمهم [4] .

يا هذا دع أيضاً هذا ، وتعال حتى نعش كما حييت ، فكل حق مقال ، وكل كتاب معنى ، وكل غريب مثل ، حيث سلك الذي أنت سالكه حتى تسير بالحق ميلاً ، ولا يحوشك فيه من لا تأمن عيبه [5] حتى تسلم على الخلق مجلاً ، ومهما محجوب عن شيء ، فلا تنسه سمتك ، فتلك بهما نعرفك ، فلا تسأل عنك وقت اسمه ، وإن لم هكذا ، مت مات ، وبدا اد.

(١) وكس النقص .

(٢) وَرَطَ في الأمر يده : عسر فيه وضعفه .

(٣) يقال : ترمرموا أي تحركوا للكلام ولم يتكلموا .

(٤) الهمهمة : الكلام الخفي ، وتنويم المرأة الطفل بصوتها ، وتردد الزئير في الصدر من الهم ، وكل صوت معه بحح . والمقصود هنا التحرك .

(٥) الغيلة (بكسر الغين) الخديعة والاغتيال ، وقتله غيلة : خدعه فذهب به إلى موضع فقتله .

المريد ، وإلى هذا دعاء الداعي . لأنك في أحد طرفي السؤال والإجابة عند دليل ، وفي الآخر رب حبيب . فاطن لما فيك بما بك ، واحرص ببثك بمالك ، وعز على مالك بما معك ، واصف بما معك لما عندك ، وأصف ما عندك إلى ما عند من هو عندك . واطلع على الفضاء الذي بين ما ومن ، ثم أخلص إلى الغاية القصوى منهما بشيراً ونذيراً . شاكراً وعذيراً [1] . على أني بعيد الطمع من رشدك لاضطرابك في غيك وفسادك . وشدة غوائلك في أحد غدك وعندك ، وإصلاح زادك في يوم معادك . وإنما تمد طمعي لأني أجدك متشبهاً بظاهر الخيبة الذئب . متشبثاً بسحق ما أنت صائر إليه بعد هذا الذي ترى . وكيف لا أكون بعيد الطمع . ومنى أبعده . كليل الأمل ، وليس في وجهك سحنة [2] الزاهدين . ولا على شمائلك سكون المخبتين [3] ، ولا في أطرافك خشوع العابدين . ولا في حركاتك هدى الصديقين . ولا في كلامك صدق المهتدين ، ولا في خطراتك حلاوة المشتهين ، ولا في أوقاتك ما يدل على أنك من المستيقظين ، ولا في معاملتك ما يشبه سلامة المعاملين . ظاهرك أخس من باطنك ، وباطنك أخبث من ظاهرك ، وبعضك أنكر من عارضك ، وسريرتك أفسد من بدنك ، وكلك مستغيث من | ١٨٧ أ] بعضك ، وبعضك هارب من كلك ، وبالك يضج من نيرانك ، ونيرانك [illegible] إلى الله من لبانك

(١) العذير : العذر ، والحال التي تحاولها تعذر عليه ، والنصير .
(٢) السحنة والسحناء (ويحرّكان) لين البشرة ، والنعمة ، والهيئة ، واللون .
(٣) أخبت : خشع وتواضع .

ثم إنك بعد هذا كله بصفاقة وجهك وبذاءة لسانك ، وقحتك [1]
في سخف عقلك ، تدعي منازل الصديقين ، وتبحث عن ضمائر الغيب . وتسأل
عن أسرار الملائكة المقربين ، وتبحث مراتب المخلصين . وتعترض على قدر
رب العالمين ، كأنك شريك له في خلق الخلائق أجمعين ، سوَّاه بك ، وبرأه
منك . والويل لمن أخرك تسمت [2] من فرائك

أما تستحي ممن خلقك فسواك ، ورشحك فهداك ، وتممك وقواك ، وأحبك
وهداك ، ثم وعدك ومناك ، ثم حفظك وحماك ، ثم كلأك وحلاك ، ثم رقاك
وحباك ، ثم ملكك وولاك ، ثم أحضرك ورآك ، ثم استخلصك وزكاك ؟
فأي أياديه قد شكرت ، وأي آلائه قد نشرت ، أم أي إحسانه ذكرت ؟
هيهات هيهات ! إنك لفي ضلالك أشبه ، وحبالك العظمى بالله أيها السامع
لا يروعنك ما سمعت به مضحكاتك ، وخفت من قدرك ، وقدحت في عرضك ،
وعمراً في فمائك ؟ فوحق الحق الذي به حق كل حق ، وبه استحق
ما استحق كل محقوق بن مكملك شر منك كثيراً ، وأقسم منك
في الضلال بعيداً ، ومن يحقق بما تسمع ، لا ليكون ذلك حجة عليه ولا
بين يديه . ولولا أن ذلك كذلك ، لكان له في استماعه من نفسه شغل
عن استماعه لغيره ، وهي محنة كما ترى وبلاء كما تسمع . فهم ما تنديه . وإن كان حياً
في الظاهر ، فإنه ميت في الباطن وعند محاربه فإنه مدية ، ووقى فيه ، فإن فيه
متسعاً للمقال وحمل إشراقك على تصغره وصراره ودلاله بعينه ره ، سعد
لنفسك ، وبادر إلى طلب السلامة من جميع بني جنسك قبل وقتك ...

(١) كذا ، ولعل أصلها : فحتك ، أو محنتك .
(٢) أجزاؤه ، نسبته ، تركه يصنع ما يشاء .

بهذه الحالة المخزية ، وعلى هذه المرتبة الهابطة ، فكيف حالُ من هو متماد في غروره ، متهالك [٨٢ ب] في شروره ؟ عنده أن الحزم كله في معاطاة الكأس بعد الكأس ، وشرب الخمر بعد الخمر ، ونيل الشهوة بعد الشهوة ، وبلوغ اللذة بعد اللذة ، ولو بتخرّق الدين ، وو بعد رقة المسلمين ، ولو بعد خيبة من جميع المنصرين والمعين ، وو على رؤوس الأشهاد من الصالحين والصالحين .
هذا والله الضلالُ البعيد ، والخسران المبين .

أيها السامع ! قد قلت ما تسمع واعظاً لك بالنصيحة ، وناصحاً لك بالموعظة ، وعاطفاً على نفسي بقبول القول لك ، وفيك ، فإن كنت وجدت برد ذلك في صدرك ، وتلجاً بعض اليقين من نفسك ، فحدثني صاحباً لك ، لعلى أجد بذلك شيئاً مما وجدته ، ولعلى أنال به دركاً تما سه ، فمن أيادى الله مخمسة الصدور والمودة ، ومتدينة المدى والعوائد[٢] ، وليس بمنكر أن يفضى الله بك لقبولك منى كما أسمعك بقبول ما نحج[٣] فيك من قولي . ولئن قلت ما قلت مرجرفاً ، وقلت ما قلت محنقاً . فرحمك الله في أحداً سيداً ، ثم حتى تحسب لى . إنما يجب أن يرحم الله درجتك على واعظك ، لحسن تقبلك ، ثم يجعلك مشفعاً في واعظك بذلك لشرف باق ، وكرامة عالية ، ومنزلة ما مثلها منزلة . اه .

فالبدار أكرمك الله البدار ، إلى منزل الطاهرين الأبرار ، المخصوصين بالحق في الأسرار والجهر ، الصابرين للحق عند اختلاف الأحوال في الاضطرار والاختيار ، والجهر والإسرار .

(١) ثلجت نفسي (كنصر وفرح) ثلوجاً وثلجاً (محركة) اطمأنت ؛
وثلج (كعنى) . فرح .
(٢) جمع عائدة . فائدة .
(٣) ص : نجيع .

أيها الصاحب المدل بالمنح والمؤانسة ، الباعث على المداراة والمنافسة ،
القائم بشروط الوفاء ، المتحلى بحقائق الصفاء ، الناظر إلى الدنيا بعين اللقاء
والعفاء ، فى زمن قد أفل فيه نجم الحق ، واجتثّ أصل الخير ، وعز ماء الإيمان ،
وانمحى رسم الدين ، وتسامى فيه أهل النزف[1] ، وتلاقوا بينهم بالنكر ،
٥ وسقط التعبير على التقصير ، [١٨٨] وتطى التشمير بالتمدير . اسمع هينمة[2]
نفس قد طال نزاعها[3] إلى وطن عنه صدرت آمنة مطمئنة ، ثم انقطعت
دونه حائمة مرجحنة بنوازل المصائب التى عصفت بها . وبليت بها .
وارتكضت عليها ، وتنكرت لها ، حتى صمت عن عينها ، وغرقت فى رَيبها .
وحت بسخط الله .

١٠ شرّفها بالأمر والنهى فخالفت ، وعرّض بالمصير المقيم فأبت ، وأمنت
لاحزمَ الآن قد انتبهت لحظها الذى حُرمت ، ووقفت على حايتها التى تقدمت .
فهى ، دهرها ، تسكب الدموع على فائت ليس له رجوع ، وتتقطع حسرات
على هنات كانت منها واهنات[4] ، مهجيراها[5] فى ليلها ونهارها قولها
إلهى ! بك أعتصم منى ، وإليك أفرّ عنى ، وإياك ألحظ بكلى وبعضى ،
١٥ وإليك أدين بطوعى وفرضى ، وعليك أُمَل بوجهى ، وعندك أعدّ بحقيقتى ،
وأنت أحق بى منى[6] . وأملك لى ، لأنك أولى وأحرى بالحق .

(١) النزف : المعروف .
(٢) الهينمة : الصوت الخفى .
(٣) النزاع : الشوق
(٤) ص . وهنات . ولم نهتد لوجهه فصححناه كما نرى
(٥) يقال هذا هجيراه واهجيراه وهجيره وأهجورته وهجرياه . أى . دأبه وشأنه .
(٦) كذا ، والأوضح أن يكون أصله منى

وباطنى وظاهرى بالتصريف والتهيئة ، وخَلْقى واتّبعى بالقبضة والطّوية ، وفكرى وذكرى بالمعرفة والتصفية ، ووجدى فى وجدى بالحقيقة فى الحقيقة ، وروحى فى روحى عند الغاية المصدوقة ، ومراحى فى مراحى على الجرح والتزكية ، ومرادى بمجالس القصد والنية ، ومنتهى بمبدى[1] وإيثارى بصادق البديهة والروية . فلا تصريح لى فيك إلا هو تعريض استعطافاً منك ، ولا تعريضَ لى إلا وهو تصريح منزَّهٌ عليك ، ولا إطناب لى فى نعت إلهيتك إلا لتشيع عن ما وجدته بك . ولا إيجاز لى فى وصف شأنك إلا لتعذر مباثتى فى كل مايكون حيراً عنك ، أونُبْساً بالإيماء إليك ، وهمّاً فى الظن بك . أنت عِزُّ الكون ، ومالك الدهر ، ومُصرِّف الكل ، ومقلِّب الكل ، ومبدى الدّق والجل . بل أنت الموجود فى كل شىء لا كى يوجد ما دام بك وافتقر إليك ، ولكن كما توحد أنت وليس واحداً سواك واحد بك[2] وواحد منك . فأما واحد بك ، فلأنه وجد عينه بك وأما واحد لك ، فلأنه وجد وجده من أجلك وأما واحد منك ، فلأنه وجد ما به وجد ما وجد من جهتك ، فأنت المحيط وأنت المشتمل . | ٨٨ ب] إلا أن أحاطتك بالقدرة وشمالك بمعونة ، وكل ماحققك بالمجاز ، فلك بالحقيقة . وكل ما لسواك بالأثر ، فلك بالعين و الإشارة التى هى إليك ، هى منك والذكر الذى هو لك ، هو لك . والوجد الذى هو منك ، هو بك . والوجد الذى هو بك ، هو منك . ولا تختلف هذه الحروف إلا لحاجة الخلق إليها فى الذكور ، وإلا فالمعنى واحد مؤتلف متّسق لا يرتّق[3] عليه لبس ،

(١) ص عندى .

(٢) يبدو أن هنا نقصاً أخذه « وواحد لك » ، لأنها ترد بعد

(٣) رتق عليه : دوف ، رتق النوم فى عينيه ، خالطهما

ولا يمر به حين ولا أنس ، ولا يصفه طرف ، ولا يؤثر فيه صرف ، ولا يوضحه علم [1] ولا فعل ولا حرف .

أيها الناس مع هذه الغرائب ! حيث أحدهم في معرفته نكرة ، وموضع الغاية في وصفه حيرة ، وفي الإعراض عنه [2] بوار وتعب ، وفي التعرض له عناء وكلف ، وفي التهدف بين الإعراض والتعرض شجى وأسف . وهلاك ونفس هوى تحامى !

صرتُ كأني ذبالة نُصبتْ تضيء للناس وهي تحترق [3]

يا هذا ! لو عدل الرقيب قليلاً لاستمتع [4] الطرف بالملحظ ، ولو تزوّد العين عيداً لاستمع السمع بالوعظ ، ولو سكن لهب الشوق لسلك الطريق إلى الحبيب ، لأن الشوق إذا استوعب المشتاق حضرته عن قصد من إليه طال الاشتياق . في أن الشوق مفرط ، واليأس متحكم ، والصدر خافق ، والعجز حاصر ، والنهى حظر [5] ، والقوى فشل ، والتشبيب عذل ، والبال كاسف ، والحال خارج ، والمدة منقضية ، والتمرين حذل ، والطريق وعر ، والزاد نزر ، والعهد منكوث ، والسير محثوث ، والمانع مبثوث ، والرائد كذوب [6] ، والمحرك خلوب [7] ، والأسف راغم ، والهوى مشغول ، والطاهر ممثل ،

(1) كذا في الأصل ؛ ولعل صوابه : اسم .

(2) البوار : الهلاك .

(3) بيت شعر للعباس بن الأحنف ، وقد مرّ من قبل .

(4) كذا ، ولعلها : استمتع .

(5) ص : حظر .

(6) إشارة إلى الحديث النبوي : الرائد لا يكذب أهله .

(7) خلب (كنصر) خلباً وخلابة وخلاباً : خدعه كاختلبه وخالبه . فالخلوب هو الخادع والمحرك يقصد به : من يحثك على فعل شيء .

والباطن مُخْتَلّ، والسر مدخول، والسمع متحوِّل، ووراء هذا كله مُتقوَّل ومُتقوَّل. أيها اللابس في المحنة، المصدِّق للأحلام، المغترّ بآل[1] الضحى، الغافل عن ذوق هذه الضحى! ما هذا السمر الذي أنت آلفه، وما هذا السهو الذي أنت مُخالطه، وما هذا [١٨٩ ا] الإصرار الذي يُخلِط الأصل والفرع، وما هذا التسويف الذي يحجب العقل والشرع، وما هذا الرأي الذي عاقبته الويل والحَرَب[2]، وما هذا السعي الذي قد بار[3] باللهو واللعب؟! انتبه يا غافل!

(١) الآل: السراب.

(٢) الحرب: مصدر حَرِب (من باب علم): الويل.

(٣) كذا، ومعنى بار: بَطَل وفسد. ولعل أصله: باء.

استعلام الفطانة من الإشارات الإلهية

أيها الصاحب المحزون، والصديق المحرور، كيف أتكلم، والفؤاد هائم بكل واد، والخاطر جائل من كل حاد وهاد؟ أم كيف أشكو، والسر ظاهر باد؟ أم بأي شيء أتعلل وكل ما أجده مُرَدَّد ومُبَدَّد؟ أم بمن أعتصم وكل أحد أراه فهو لي ضد ومعاد؟ أنفاسي متحرقة بالحسرات، ودموعي مترقرقة بين النَّعَرات(١) والزفرات، وكبدي مشتملة على المخاطر والهيئات، ويعلق جارية على الرسوم والعادات، وأخلاقي عرية من كل ما له حاصل وثبات، ونفسي رهينة بالسيئات، مفتونة بالسوانح والخطرات، ممنوعة عن الحسنات والصالحات.

الجهات دوني مسدّة، والوجوه أمامي مُسْوَدّة. إن قلتُ، قيل: هذا زور وبهتان؛ وإن أشرتُ، قيل: هذا بَوار(٢) وعدوان؛ وإن سكتُّ، قيل: هذا سهو ونسيان. فليت من ابتلاني بما لا طاقة لي به، رحمني بما لا غنى لي عنه، أو ليت من طردني عن بابه، أنهاني لعتابه؛ أو ليت من جرّعني مُرَّ فراقه، أخطر على بالي حلاوة لقائه. أو ليت من غمسني في بحر البلوى، طرحني إلى ساحل المنى. أو ليت من حطّني عن درجات المخدومين، رقّاني إلى مراتب الخدم. أو ليت من حظر على النشاط عنده، لم يحظر عليّ التبصبص(٣) له. أو ليت من قطع عني عادته منه، لم يملّك مقادتي غيره. أو ليت من منعني بَرْدَ الرضا

(١) النعرة: صوت في الخيشوم. أما النُّعَرة (كهمزة) فمعناها: الخيلاء والكبر والأمر يُهَمّ به.

(٢) البَوار: الهلاك.

(٣) بصبص الكلبُ: حرّك ذنبه. وهنا يقصد: الاحتيال والتملّق.

لم يشوني بجمر الغضا . أو بت من تركي هكذا سُدى [٨٩ ب] . لم ينصحني في مجالس الهدى[1] »

آه من أنفاس تتحقق بأسرار الحق في عرصات الغيب على بسُط الجلال ، حيث ليس للعبارة فيه نصيب ، ولا[2] للإشارة فيه تقريب

آه من ثوب مردود ، وقائل محسود ، وقاصد مطرود ، وبذل مجهود ، وسائل محدود ! آه من زمان منكر ، وصديق متغير ، وعدو مشمّر ، وجار متمرد ، ومعمل مُستَنفَر !

آه في الحلة من مكان بين المستوحشين ، ومن مثوى آب للتائبين المستعطفين ! إلى من يعرج طريقُ المحبوبين ؟ وبماذا يحتج من زُجر عن محل الحاضرين ؟ وفي ماذا يلجأ من عبر بالغلاء . ومنع من الاستراحة إلى الأماني والأحلام ، وحمل آية بين هذه الأمم ؟ إذا ظهر تعمدته التي أغيرها قصوه . وإذا تعرق في زخرف الملك جحده . فإذا سأل روح ساعة في العمر منعوه ، وإذا غاب نشحانه وأخرانه نبذوه ، وإذا حضر برفقه ولطفه شمّتوه وأصمتوه فكله من بعضه في بلاء . وبعضه من كله في عناء ، وآخره مع هذا وغيره إلى شقاء . إن وَصَل هُجر ، وإن سأل زُجر ، وإن ادّعى طولب ، وإن استرسل عوتب . وإن قال : لا أدري ، قيل هذا تحجر . وإن قال : أدري ، قيل هذا تغرر ، وإن ولّى استفهوه ، وإن فرّ وآوى عنه . عدد ولكنه مخب ، وكند[4] ولكنه ذو طرب ، وعسوة[5] ولكنه أند من الصبح ، وشِرّة ولكنها

(١) الأعداء .

(٢) ص : وإلا

(٣) شمّت فلاناً : حيّيه .

(٤) كنّاد : كنود : كافر بالنعمة .

(٥) العسوة : الاغتصاب والقهر .

أطيب من الوطن، وغُصَص ولكنه أحلى من الرِّضا، وحِرمان ولكنه أرْوَح من العطاء، وجَهْد ولكنه ألطف من اليُسر، ورَدّ ولكنه أشرف من القبول.

يا هذا! إن الحقّ ما نبّهك على هذه الغوامض إلا وقد فسّحك عن سائر العوارض، وما هتك دونك هذه الستور إلا وقد صَعِدت بك على تلك الأسرار، ولا أوحشك من رِقّ العبودية إلا وقد هيّأ لك حُلّة الحرية، ولا كدّرك بما يصحّ منه في هذه المشاهد إلا وهو يريد تصفيتك في ذلك العقب. أما لك في هذه الأحوال العجيبة فطانة؟ أما لك من لُبّ ومع ذلك طهارة أو فطانة؟ أما لك فيما ترى فيما لا ترى عِبرة [٩٠ب]؟ أما لك فيما تشهد بما لا تشهد عِبرة؟ أما لك فيما تجد بما لا تجد حجة أو عِذرة(١)؟

يا هذا! إنك لمراد بأمر عظيم، ومرشَّح لسرّ مكتوم، فالحذرَ الحذرَ! فكأنك وقد علمت أن الحياة إنما هي حياة ذات أنفس، وهي دائرة بين طمأنينة ووسواس، فإن أقصيت عنها ما منها، ولم تخلّ بما عقدته، ولم تنكص عليها مستعيناً بما فوقها، رفعوك إلى حظيرة القدس، وتوّحوك(٢) بتاج الروح والأنس، وردَّوك(٣) رداء الخصوصية، وأسَوك جميع ما أصابته من المصيبين، وخصّوك بلطف التشريف، وأعفوك من كل توقيف وتصنيف، وقيل لك: تحكّم باقتراحك فلا حائل بينك وبين أمنيتك، وابلغ غاية ما تجد بهمّك فلا خيبة لك بعد ما سلف منك في أيامك ما عنى(٤) بأسرار صدرك، فطالما تكسّرت في حجب الكتمان عندك، وكل ذلك كان بعين وتحرّككما. أوّلك وآخرك

(١) العِذرة (بالكسر): المعذرة (مثلثة الذال).

(٢) كذا في الأصل، ولعل صوابه: توجوك.

(٣) ردّيته الثوب تردية: ألبسته إياه.

(٤) ص: ما عنا.

فيها ولو شئنا لكفيناك ، ولكنا رميناك بما صعبناك ، لتكون عندنا (١)
على ما أردناك . وإن أنت لم تَنْفضْ عن هذه الجواهر الخائنة ، ووقفت بها طَرْفك
وقَصَرْتَ عليها سعيك ، وجعلتها همّك ونيتك ، ووهبت لها سرك وجهدك ،
حملوك خطة خَبَر ، وحينئذ لا أَبْعَدَ الله غَبَرَك (٢) .

اللهم إنا نرتاح لذكرك على تمادينا في مخالفتناك (٣) ، ونرتاع من مكرك
على علمنا بجودك وكرمك . فهب لنا ارتياعنا من مكرك لارتياحنا بذكرك . وزدنا
من عطفك ما هو لائق بعطفك . ولا تؤيسنا في طلبه منك . جودك أسبق إلينا
من سؤالنا ، ومن تضرّعنا إليك بأصناف المنى . فمننت علينا في الأولى فكان
ذلك كرماً منك ، ومُنَّ علينا في الآخرة بمثله لأن آخرك شبيه بالأول ،
وأولك شبيه بالآخر ، بل أولك آخر وآخرك أول . فمن كذا واحد ،
وهو على ذلك شاهد ، كيف يخاف عنده ، أم كيف يرتاب بما عنده ، أم كيف
يقنطُ من رحمته ؟ « ومَنْ يقنطُ من رَحْمَةِ ربّه ، إلا الضالّون ! » (٤) .

إلهي ! نحن عبيدك ، متصرفون على إرادتك ، متقلّبون بين مشيئتك
وحكمك ، مترددون بين قدرتك وحكمتك ، نتقلب في روادف عطفك [٩٠ ب]
ورحمتك ، معترفون بسوابغ نعمتك وإحسانك ، خائفون من عواقب سطوتك
ونقمتك . فقف ، يا إلهي ، رجاءنا على يأسنا ، وغيّب خوفنا في إيناء أمننا ،

(١) أو : عندناه .
(٢) الغَبَر (محركة) : التراب ، ولعل هذا كناية عن الشخص منه أو أثره . يعني : لا أبعد الله شخصك .
(٣) كذا ، ولعل أصله : مخالفتنا لك .
(٤) سورة « الحجر » : آية ٥٦

واهتفْ بنا إذا سهونا، وأيقظنا إذا رقدنا، وادعُنا إذا أفَرْنا (١)، وارْأفْ بنا
إذا ضعفنا، وشرّفنا إذا اتضعنا، وأورِدْنا إذا ظمئنا، وأوقدنا إذا طفئنا،
وأطِبْنا (٢) إذا خبُثنا. وثبّتنا إذا شرَدنا، وتكرّم علينا إذا لؤُمنا،
وذكّرنا إذا نسينا، والطُفْ بنا إذا كثُفنا، وفي الجملة قرّبنا منك إذا بعُدنا عنك،
وصِلْنا بك إذا انقطعنا عنك، فإنك مالكُ نواصينا في الشهادة والغيب،
ومُدبِّر أدانينا وأقاصينا في الرَّوْح والكَرْب.

بلى! كل ما أقوله فأنت فوقه، وكلّ ما أضمره فأنت أعلى منه،
فالقول لا يأتي على حقك في نعتك، والضمير لا يحيط بكنهك. وكيف نقدر
على شيء من ذلك، وقد ملكتنا في الأول حين خلقتنا، وقدرت علينا
حين صرفتنا؟ فالقول وإن كان فيك فهو منك، والخاطر وإن كان من أجلك
فهو لك. من الجهل أن أصف غير ما وصفتَ به نفسك، ومن سوء الأدب
أن أعرّفك بغير ما عرّفتني به حقيقتك، ومن الخُرْق أن أعترض على حُكمك
وإن ساءني، ومن الخذلان أن أظنّ أنّ تدبيري لنفسي أصلحُ من تدبيرك،
كيف يكون هذا الظن صوابا والعجز مني ظاهر، والقدرة منك شائعة؟!
هيهات! أسلفتُ لك وجهي سائلاً رِفدك، وأضرعتُ (٣) لك خدّي طالباً فضلَ
ما عندك، وهجرتُ كل من نبى (٤) بي إلى غيرك، وكذّبتُ كلّ من ينسى

(١) أفر يأفر (من باب ضرب) أفْراً وأفوراً: عدا ووثب.
(٢) أطيبه: جعله طيباً.
(٣) أضرع له مالاً: بذله له؛ أضرع فلاناً: أذلّه؛ فالمعنى هنا: بذلت وأصغرت لك خدّي. وفي الأصل "أصرعت" (بالصاد المهملة)، فإن كان ذلك هو الأصح، فمعناه جعلته لك صريعاً، أي مطروحاً خاضعاً.
(٤) نبى به: انحرف ومال وجنح.

من خيرك ، وعديت عنك كلَّ من أشار إلى سواك . أنا أنسى ما حدثت به
عليّ في القدم ، حيث أنا ليس (١) في العدم . ثم ربيتني بين القسم والنعم ،
ثم ألبستني قميص معرفتك ، وفَرَت (٢) فمي بذكرك ، ثم أكتبتني (٣) بمحامدك .
ثم أذنت لي في الدعاء لك . ثم أمرتني بالدعاء إليك ، ثم رشحتني لحفظ أسرارك ،
وأطلعتني على نجودك وأغوارك بعرفان أحوالك وآثارك (٤) إلى أن نسبت   ٥
هذه الصحائف . | ١٩١ وشروت عن هذه الطرائف ، لمن لا خير له في حياته ،
ولا زاد له بعد مماته .

اللهم إني إن ذكرتك فبتوفيقك ، وإن وصفتك فبتلقينك ، وإن نُكِبت
عن بعض ذلك فلمعود حكمتك فينا وأمرك . أيها الأخ الراغب في الخير ،
والصاحب المجتنب للشر ! إن تكلفت لك وصفي ووصفَ زماني وزمانك ،   ١٠
وما قد دُفِعت إليه في شأني وشأنك ، كان ذلك شغلا تلوثت عما هو أولى به ،
وأعود إليه بالخروج منه . فتعال حتى لا نشكو ولا نتألم ، ونهب أنفسنا للبلايا
غير [illegible] هذه ، فمن قليل ننتقل إلى ما نعلم وعلى [illegible] فليس من المروءة أن نشكو
صديقًا إذا قصّر ، ولا من [illegible] النفس أن نجزع من عدو إن بالغ . وما قدر
أيام ، وبؤس [illegible] ، وتغير إخوان [illegible] وتغير [illegible] تقلبت ، حتى يصبح هذا الصحيح   ١٥
ويمسي [illegible] بالأسى على الحادث [illegible] – عافاك الله – إلى الإعراض
عن هذه الأعراض والأمراض ، والإقبال على ما فيه إعداد الزاد للمعاد !
فمن قليل تقف هذه المطية بالكلال فتنزل عنها إما إلى الرشد والغبطة ،

(١) ليس : معدوم .
(٢) فغره (من بابي قطع ونصر) يفغره : فتحه .
(٣) ص : ألملتني ؟
(٤) كذا ، ولعل أصلها . وإلى .

وإمّا إلى البلاء والورطة . فيا أيها الإنسان حتى لا تنطق إلا بما فيه فائدة ، ولا تعمل إلا ما له ثمرة وعائدة ، وتدع الذنب حتى تمحو ما نشب وتشعّب ، وتكون نحن من عتبنا وطعننا

أيها الإنسان ! تنبّه فقد طالت الرقدة ، وانتعش فقد استمررت في الشقّة ، واستأنس فقد توغلت في الوحشة ، وجد حيرانك فقد أحاطت بك الشقوة ، واسلك [1] نهجًا من مسلك تنج [illegible] فما لك العصيبة التي أنت حسيب نصحه ، ولا تعد النصيحة التي تسمع نصيحة

اللهم اشغلنا بتسبيحك عن تنبيه خلقك ، وشوّقنا في مشاهد رضوانك عن عبادك ، وأثبتنا في بيت ملكوتك كل ما غاب عنا بحجبك عنك ، واغضض أبصارنا إلا عن النظر إلى وجهك ، وارفع حوصرنا [٩١ ب] إلا من السروح في مُرادِك [2] لأجلك ، واجعل أول قولنا عندك : « الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن ، إنّ ربنا لغفور شكور [3] » .

اللهم إن ربّما تركنا دعاءك وقد علمنا أنّا إذا كنا في وصفك فقد استغرقنا ذاك وتجوزنا مما هنالك ، لأن وصفك بما أنت أهله فوق دعائنا بما نحن نطلبه ، وإنما دعوُنا حظ لنا منك ، ووصفنا لك نعتنا مما وإذا وافقناك فيما تستحقه واصفين ، قابلتنا عليه بما نؤمّله وبما لا نأمله غير داعين . ونحن إذا وصفنا فإنما نستنشق نسيم ربوبيتك من أوطان

(١) كذا ، ولعل الأصح « انسل » ، ومنه قول امرئ القيس في معلقته :

فسُلّي ثيابي من ثيابك تنسُلِ

(٢) المراد (بالضم) والمستراد : الموضع الذي ترسل فيه الإبل لترعى مقبلةً ومدبرة .

(٣) سورة « فاطر » : ٣٤

معرفتك بوسائط هدايتك، وإذا دعوناك فإنما نشكو إليك دوينا (١) الجاثمة
على قلوبنا من خوف فراقك، ومع هذا وذلك فإنا نسألك.

اللهم (٢) أن تقفنا على زلاتنا، وأن تنقذنا مما خلانا، وأن تقيل (٣)
عثراتنا، وأن تستر عنا عوراتنا وأن تبتدل سيئاتنا حسنات، وأن تغضي
عن هفواتنا، وأن تهب لنا رضاك منا في جميع حالاتنا؛ فحاجتنا إليك فوق
حاجة النبات إلى القطر، وفوق حاجة الموتى إلى الروح، وفوق حاجة الطالب
إلى الوجدان (٤).

اللهم فاجعل قولنا لك مسموعاً، وذكرنا فيك مرفوعاً، ودعاءنا لك مجاباً،
وعقدنا بك مصوناً. وعيننا منك صادقة. وشواهدنا بآلائك ناطقة، وآثارك
عندنا باقية، وأيادينا لديك صافية، وألسنتنا بذكرك [بذكرك (٥)] مأخوذة،
وبصائرنا في أيديك مشحوذة. يا ذا الجلال والإكرام!

رسالة (ال)

اللهم حطنا حياطة لا يهتدي من أجلها عدوُّها إلينا، وأحط بنا إحاطة
تسهل بها سمة جودك علينا، وتنيلنا منك ما لا نتوقعه ولا نحتسبه. وصلنا
من فضلك بما لا نستحقه ولا نكتسبه. وكن دليلنا، وأنهج (٦) سبيلنا،

(١) ص: دوينا. والدوي نظهر أنه جمع داء: مرض. أو لعل الأصل ذنوبنا.

(٢) هنا ضمير قوله: إنا نسألك، أي: اللهم إنا نسألك أن...

(٣) من: أقال الله عثرته: أنقذه منها.

(٤) مصدر من: وجد الشيء يجده.

(٥) كذا مكررة في الأصل.

(٦) أنهج: أوضح.

واحفظ كثيرنا، وكثّر قليلنا، واشف عليلنا، وارحم أنيننا وأليلنا⁽¹⁾، وامدد حويلنا⁽²⁾، وواصل تخويلك وتنويلك. إنك أهل كل جود، [١٩٢ا] وراعي كل موجود. وإذا أردت بنا ما لا طاقة لنا به، فاصرفه عنا بعطفك الرحيم، ولطفك القديم، وعزك العظيم، فإنا إليك ذوو فقر، وأنت علينا جدّ كريم.

٥ يا هذا! لُذْ بالله محتمياً عن تفرّقك، واضرع إليه مطوماً على أشتاتك⁽³⁾، واعرضْ عليه ذاك الذي خفت منه عليك، وغضّ عن كل زهرة راقتك في هذه العَرْصة، لعلك تؤهَّل لما هو أرأف منها وأبقى، فما تناهت القدرة ولن تتناهى. إن عرفت نحوى هذا الخطاب فقد نجوت من غمى هذا الخطب، وإلا فأنت المطلب الشبوت به، والطالح المذهول عنه. قال:

١٠ فإن تنجُ منها تنجُ من ذى عظيمةٍ وإلا فإنّى لا إخالك ناجيا

رحل ضعيف، وهاجرة مُحْرِقة، وبرٌّ قفر، وعطش قديم، ورشا⁽⁴⁾ قصير، وعمق بعيد. كيف الوصول إلى الرِّيّ والحال هذه! آه! الآن توافيك معونة ممن أنت فيه، فيرق الجو، ويهب النسيم، ويندّى الهواء فيصل إلى كبدك ما تسعد به؛ ولعلك تستقى بوحدانه، وتستغنى عن فقد ما أنت مُبتلى

١٥ بطلابه. فيها هنا راحة وسكونا وقوة نفس وصوب نفس وسبوغ مراد، إن حمدت

---

(١) أل المريض والحزين يئل ألًّا وألَلًا وأليلا أنّ، وحن، ورفع صوته بالدعاء، وصرخ عند المصيبة.

(٢) الحويل والمحالة والحيلة والتحيّل. الحذق وجودة النظر والقدرة على التصرّف.

(٣) ص أسبابك. ولكن رأيت أن الأصح هو ما أثبتناه، بدليل قوله قبلُ: تفرقك.

(٤) الرشا. حبل الدلو، وقصر الرشا. كناية عن قصر الباع.

لهذا الذي سميته أهلاً. ولست تكون هذا المذكور بهذا الوصف إلا بعد
أن تُطلّق الدنيا ثلاثاً، وتُعْرِضَ عنها صلفاً، ثم تنقل على طليق نفسك
من شهواتها الذميمة وعاداتها القاسية وقرنائها المُضِلّة، ووسواسها(١) الباطلة،
ثم تأخذ بعِنانها نحو الذكر واللَّهَج به، والعُكوف عليه، والاشتمال عليه،
والصدق والإشراق فيه، ثم تجعل عمرك نوماً، ونومك حلماً، فلا يقظة لك
بعد ذلك إلا عند الله الذي إليه طال شوقك، وبه هام فؤادك، ومن أجله
هجرك أقربوك، وبسببه عاداك محبّوك. ذاك الذي لا تخسر تجارتك معه،
ولا تبور بضاعتك(٢) عنده، ولا تخشى نفاد ما يعطيك، ولا ترى خُلفاً فيما سبق
إليك به وعده. وهناك تعلم أنك به وصلت [٩٢ ب] إليه، وبتوفيقه نلت
مرضاته، وبنعمته نجوت بعصمته، وبقدرته اطلعت على قدرته، وبحكمته
وصلت إلى حكمته. وهناك تعلم أنك كنت مصبوحاً بداعيك إلى بابه،
ومكنوفاً بتأييده عند استجابتك لأمره، ومشهوداً بما شهدت في الثاني
بإشهاده، ومرفوداً بما انتهيت إليه من إرفاده.

أما تحب بعد هذا التبشير والتحذير، أن يكون لك من نفسك ناصح وعذير؟
أما ينبغي بعد هذه العثرة بعد العثر أن يكون لك انتعاش واستقلال؟
أما تحن بعد هذا التعسف والتردد إلى قرارك الذي لا قرار لك دونه؟ بلى!
والله، قد آن وقته، وانكشف غطاؤه، واتضح سبيله، وأتى داعيه، ومدّ
الصوت مناديه، ولم يبق إلا تلبيتك وتصديقك، فإن الخير كله بيديك ولديك.

يا هذا، إن كنت غريباً في هذه اللغة فاصحبْ أهلها، واستمعْ كلامها،
وشَمّ ما بك من استقرائها واستمرائها، فإنك بذلك تقف على هذه الأعراض

(١) كذا، ولعله: ووساوسها.
(٢) في الأصل: قضاعتك

البعيدة المرامى، السحيقة المعانى[1]، لأنها إشارات إلهية وعبارات إنسية،
إلا أن العبارات[2] الإنسية ليست مألوفة بالاستعمال الجارى، وأنت محتاج
إلى أن تألف فى الأول بطول السماع، ثم تتقدم من ذلك إلى الإشارات
الإلهية ببسط الذراع ورحب الباع وصفاء الصدر. وما أحراك بين هذا كله
٥ إن خلصت سالماً من شوائبها، وعرفت طريقك من روائبها[3]. فأما شوائبها
التى وقعت الصريحة[4] بها فهى تخرجها وتجمحها بخطرات الذنب وبلايا
هذه الحساسات التى تُرى تارة بالعين، وتذوق تارة بالفم، وتلمس تارة باليد، وتسمع
تارة بالقلب، وتُجرى من أجلها القلوب وتقضى الأرحام. ويجتاب أسد المرج،
ويتوخى بالسجع والمدرج؛ وهذه كلها متعرقات البيت. وأما روائبها[5]
١٠ التى سلفت الكناية عنها فهى تعدل شوائبها، إلا أن مداخلها ربما اختلفت،
ومآتيها ربما تشابهت. فالحازم من أخذ بهمة فكره وكدّه عن سبيل تيهه،
وحدّه إلى طريق رشده، [٩٣ ا] فإن الخطر هنا شديد، متضاعف صعب.
وإنما هان النظر فى هذه الفتن لسواتر التعلة التى هى من سُوس[6] الفطرة
ومن نُوس[7] البنية، ومن كدر الطينة، ومن تشاكل الخليقة.

(١) المعمّيات.
(٢) كذا فى الأصل، ولعل الأصح العبارات (بالراء).
(٣) أى: ما يريبها ويجعلها مريبة.
(٤) كذا فى الأصل وهى غير واضحة تماماً.
(٥) ص: روايتها.
(٦) السوس (بالضم): الطبيعة والأصل.
(٧) النوس (بالضم): الطبيعة وكذا (الأصل)؛ ويقال: هو من نُوس صدق، أى: أصل صدق. ونوسانه وحوساناً دعاء عليه.

وكيف لا يكون الخطر على ما وصفت ، والمتصل منه فوز الأبد ونعيم الدهر ووصل
الرب واتصال البقاء وطيب العيش وروح الحياة . والمنقطع منه خسر الأبد
وشقاء الدهر وسخط الرب واتصال الشقوة وخبث العيش وكرب الحياة
ثم لا واسطة بين هذين بوجه من الوجوه ، كما لا واسطة كذلك أيضاً لا طرف ،
لا من هذا الوجه ولا من ذاك الوجه . فما أولى اللبيب المستبصر في أمره ،
المهتم بشأنه ، المتفكر في مآله ومرده وعاقبته ، أن يبقى عليه من فساده ،
ويحتال في هذه القصة بنقض بنيانها . فإنه إذا فعل ذلك فقد أخذ بالحزم
حزم أهل العقل ، وقام بالعزم عزم أولى الفضل .

ما أشوقني والله إلى أن أرى مريداً له من القراءة ورد ، ومن الركوع
والسجود وصلة ، ومن الصمت والفكر قسط ، ومن التسبيح والتهليل
ساعة ، ومن التفكر في الملكوت مدة ، ومن الرغبة في الموعود حرص ،
ومن الإشفاق من الوعيد فرق ! هذا ، والله ، ضعف شوق و[illegible]
وتزر حنين و[illegible] (١) . فما أشوق الأعطش ، وأحن الأسير ، فإنه ما إن عرف
قد نزع إلى مرير الرضا . واطمأن إلى ركن الثقة بالمولى . وشهد الغيب
من وراء ستر الصمت ، فإن قال فمنه ، وإن سكت فيه ، وإن تحرك فله .
وإن سكن فيه ، وإن استقر فيه . وإن تبالك فعليه . له مع نفسه شأن ،
ومع الخلق شأن ، ومع الناس شأن . فما شأنه مع نفسه في تصفيتها من كدر
حجب من الله ، وأما شأنه مع الحق فاستلاؤه منه كل ما سهّل الطريق إلى الله
عز وجل ، وأما شأنه مع الناس فبكل ما عاد بالجدوى عليهم من الرقة والرحمة

(١) كذا [illegible] في كلتا الحالتين

والرأفة واللطافة عند الدعاء إذا تكرّر منه ، وعند الإباء إذا تردد منهم (١)
هذا أيضاً هذا

يا هذا ! ما قَيَّضَ الله بعلائق [٩٣ ب] لك على هذا التهذيب والتقريب ،
وعلى التصعيد والتصويب ، إلا لتكون حجة عليك إن لم تقبل ، ومحجة لك
إن قبلت . فإن قلت لى أيضاً فى وجه الدار (٢) فهو أيضاً حجة عليك
ومحجة لك ، فقد صدقت وما أخلت (٣) . ولكن أين أنت منى ، ومن أين تقف
على حرك عنى ؟ أنا تطمت بهذه الآلام بعد سبعين سنة وقد تخطمت قناتى
وتكشفت شواتى (٤) ، وملت صفاتى (٥) ، واضمحلت صفاتى ، وبليت لُحُتى
وسداتى ، وفقدت شهواتى ولذاتى ، وشتّت بموت أحبتى ولذاتى ؛ فطفقت
وعاث الهوى مغلوب ، وسرد الحزم مألوف ، وغراب الفرقة واقع ، وجناح
الكَبْر مكسور ، وربع اللهو طامس ، وماء الشبيبة ناضب ، وهدير العاذل

(١) ورد هذا الموضع هكذا فى الأصل : إذا تردد منهم هذا أيضاً
يا هذا ما قيضى الله سطى لك فى هذا الإباء إذا تردد منهم هذا أيضاً هذا
يا هذا ما قيضى الله سدى لك على هذا التهذيب والتقريب

(٢) ص : العبه

(٣) أى لم تقل محالا

(٤) الشواة : جلدة الرأس

(٥) الصفاة : صخرة ملساء ، يقال فى المثل : ما تندى صفاته ؛ وفى حديث
معاوية : يضرب صفاتنا بمعوله ، هو تمثيل ، أى : اجتهد عليه وبالغ فى امتحانه
واختياره ؛ ومنه الحديث : لا تقرع لهم صفاة ، أى لا ينالهم أحد بسوء .
والمقصود هنا : تشقق وانحل كيانى

ساكن، وعُود الهوى عاسٍ[1]، وروض المنى خاوٍ، وبصر النهى مكفوف، وريش القرامة منتوف، وعازب العقل واجم، ورائح الجهل سارح. وأين أنا منك، وأين أنت منى! فهذا جوابك التى[2] أحاجى إليه بنيلك.

فأما ما وراء هذه مما هو عند الله، من القبول والرد، والذم والحمد، فذلك سرٌّ لا نُحيط بحده، ولا نتعرض لإبانته، لأنه من الأمور التى له فيها إمضاء وتوقيف، وإبداء وتعريف، وإرجاء وتصريف. وإنما الذى هو علينا بحكم العبودية، وبعهد البشرية، أن نقف عند الأمر إذا صدر، وعند النهى إذا ورد، فنجرى فيه بالامتثال والانتهاء، لنكون بهما خائفين، وإلى غاية طلبه منا جارين، وفيما يعرض لنا من التقصير مستغفرين، وفيما يصفو من الشاكرين، وفيما يكدر من المحتسبين.

هذا، لقد سمعت فنوناً من القول فى المعرفة والتوحيد، والتوكل والزهد، والعبادة والوجد، والشكر والصبر، والوسوسة والخَطْرة، والدعاء والمناجاة، والتعويض والتفويض، والرضا والسخط، والورع والتقى، والحجا والنُّهى، والرغبة والرهبة، والمراد والمريد، والصالح والفاسد، [١٩٤] والسر والجهر، والقرب والبعد، والانبساط والانقباض، والإقدام والإحجام، والملامة والمن، والرياء والإخلاص، والتحقيق والتلبيس، والتضييق والتنفيس، والتكدير والتخليص، وما هو فوق هذا بدرجات، وما هو دون هذا بمسافات[3] —

(١) عسا الشيخ يعسو عُسُوًّا وعُسِيًّا وعَساء، وعسى عَسًى: كبر. وعسا النبات عَسًا وعُسُوًّا: غلظ ويبس.

(٢) كذا فى الأصل!

(٣) ص: تساقات

هل وجدت نفسك في شيء منه ذمّاً أو ناقصاً، زائداً أو قالصاً[1]؟ وهل مرت بك في تُرْضِيب سمعك فهششت لها، أو كَلَحْتَ[2] بها؟ فإن كنت قد وجدت ذلك وجدته، وكان كما أمّلته وبغيته، فهنّأك الله ذلك، وبارك لك فيه، وصانك من عوارض الفساد، وأكرمك بأسباب الرشد. وإن كنت وجدته، ولكن لا على ما حدّثته من قبل ما ذممته، فبادر بالإقلاع، فإن الزمان شديد الفوت بالفرص، كثير المشي بالغُصَص.

يا هذا! توقف قليلاً، وتفكر طويلاً، فإن توقفك يحضرك بالك، ويفقهك فيك. ويُنجح تصبيرك، ويجذبك ما تكلّ منك، وتفكرك يبحث عنك ويعرّفك غايتك. ويريك من أنت، وما أنت، وكيف أنت، ومن أين أنت، ولماذا أنت، وعلى ماذا أنت، فإن قدرت تنبيه هذه الأمور الشريفة، وهذه الأحاديث الغريبة، وهذه الإشارات اللطيفة، لم تكُ قد صافحه الله بيد التوفيق، ونظر إليه بعين التنبيه، وليس أحدٌ بهذه[4] الفكر إلا فاز قدحه، ووجب مدحه. فإن هذا عنوان نجاته، ومن دلائل بيانه لمرضاته.

اللهم ارحم روعتنا في أطراف هذه الإشارات، من اختلاف هذه العبارات. فوحقّك ما ندري كيف نتوسل، وبأي شيء نتقرب إليك،

(١) قلص: ا كثر، و... على ... والفعل من باب ضرب قلص، يقلص قلوصاً أو يجوز أن تكون العبارة: زائداً (بالزاي) وناقصاً وحينئذ فإن قلص تكون بمعنى ... أي ...
(٢) كلح (كمنع) كُلوحاً وكُلاحاً (بضمهما): تكشّر في عبوس، كتكلّح
(٣) أي يجعله حاذاً
(٤) ص: هذه.

وعلى أي وجه نطلب رضاك ، وأيّ باب نقرع حتى يُؤذَن لنا بالوصول
إلى حضرتك ؟ فارفع عنا هذا الرَّوَغان (١) ونكِّب (٢) هذا الطوفان ، واهدنا
إلى سواء السبيل ، إنك على ذلك قادر وجوادٌ به ، قد طال بنا التعب ،
واشتمل علينا الوصب ، وأنت المرجو لفك هذا القيد ، والمأمول لتعديل
هذا الميد (٣)

يا هذا ! أما يعطفك عليّ من قبلك عاطف ؟ أما يبعثك على الرحمة لي
من شوقك باعث ؟ [٩٤ ب] فدونك وإياه لأسمعْ قول القائل ، ولأسبُرَن (٤)
عقلَ هذا العاقل ، حصيت شوله وسبقتَ إلى الرقة عند الله به ؛ فإن كان
رُشداً ، يخرج من قلب ؛ وإن كان سماً ، فقد صدق مخرج كلام دخل من أُذن .
ولو عملت [illegible] ذلك أنت — هذا به ، وقلته لنفسك في خلوتك ، أرحتني
من تعب كثير ، وانتهيت معي إلى محل كبير ، لأنا كنا نتعاون على رفض
هذه الخسيسة التي قد حملت على أبصارنا غشاوة ، وضربت على أرواحنا إتاوة ،
نحن هالكون بها لأنا متملكون فيها وليتنا مع هذه الحرى والعيوب ،
وهذه المعار والذنوب ، دامت إن لم تخلص ، أو خلصت إن لم تدم وأين ذلك
وهي محجوبة بدلالة على زوالها ، وزوالها جارية على حين لبثها ؛ فما أعمى نظر
من يرى هذه العيوب عياناً ، ثم يعطيها بيده عيناً ودماً وحطاماً ، ثم ينقاد

(١) راغ الرجلُ روغاً وروغاناً : مال وحاد عن الشيء . والاسم كسحاب .
(٢) كذا [illegible] ولعل صوابه نُكُب — والنكب جمع نكبة (بالفتح
والضم في أوله) وهي الجُرسة — بدليل قوله : الطوفان ؟
(٣) ماد يميد ميداً وميداناً تحرّك وزاغ
(٤) السبر امتحان غور الجرح وغيره

إلى محل الغضب وشفاء الأبد غير غائب على ذكر . ولا ناظر إلى خلقه ،
كأنه بهيمة أو كالبهيمة ، وإن إنسانا يرضى أن يكون بهيمة أو كالبهيمة
لقد رضى بسخط الله عليه ومقته . لأنه قد كفر النعمة وجحد المنّة والسلام !

رسالة (ل)

٥ اللهم كن عند ظننا بك ، وانْحُ عنا فُرُطاتنا (١) بمنّك ، وإذا أنطقتنا
فألهمنا التقوى ، وإذا أسكتّنا فاملأنا بالتقوى ، وإذا استعملتنا فارزقنا التقى
والرعوى ، يا ذا الجلال والجمال والإكرام ، ويا ذا الطول والإفضال !
ناج أسرارنا بجبروتك ، وأشرف بها على ملكوتك ، وهب لنا مؤانستك
اخصُصنا بمخالصتك . اجعل عملنا كلّه لك ، وقصدنا كله بك ، وتدبيرنا
١٠ كله عليك ، وإشارتنا كلها إليك ، وصبرنا كله معك . وقرارنا كله عندك
لا تفرق شملنا من حضرتك بعد ما جمعت شملنا على معرفتك لا تعذبنا بجفوتك
بعد ما [١٩٥] أذقتنا من حلاوة برّك وكرامتك لا تؤذنا بهجرك ،
بعد ما عرّفتنا لوصلك . لا تبلنا ببعدك ، بعد ما آنستنا بتوحيدك ،
وأشربت قلوبنا من محبتك . ومنحتنا تملّك بسرك . وصعدنا فى نعمتك
١٥ يا ولىّ الخير ومُتيحه ، وواهب الذنوب وماحيه (٢) صلّ على من بَثَثْت خصوص
فضلك ، المبعوث إلى خلقك ، المعروف بكرامتك ، المنظور فى كرامتك
صلاة تزيده بها رَوْحاً وريحانا ، وتعرف بركة ذلك سرّا وإعلانا ، تأييدا وإيقانا ،
بمنّك وفضلك

(١) جمع فُرُط (بضمتين) : وهو الاعتداء والأمر الذى فرط فيه عن حد
(٢) أى معطيه ، يقال أتاحه الله بخير ، أى قدّره

أيها السامع بالأذن ، هل لك شرف من هذا المسموع بالقلب ؟ أيها الحاضر بالشخص ، هل لك حاصل من الأنس ؟ أيها الواجد بالشوق ، هل لك حنين بالذوق ؟ أيها المعجب بالوعظ ، هل لك نصيب من المعنى ؟ أيها المدل بالعبارة ، هل لك حقيقة فى الإشارة ؟ أيها المسحور بالبلاغة ، هل لك بلاغ إلى الغاية ؟ أيها المتمنى فى الحلم ، هل لك علامة من المعلوم ؟ أيها المولع بالبحث عن العجائب ، هل وقفت على عجيبة العجائب ؟ أيها العاشق للغرائب ، هل وصلت إلى غريبة الغرائب ؟ ما أخوفنى أنك مسوق بشبح إنسان على ما نطق به ديوان نبوة فى وصف إنسان بعد إنسان ، وإن لم تكن ذاك فى الماضى فلا تكنه أيضاً فى الآتى . والزم حدك فى أمر نفسك . واتق من كل صاحب تفويت وتسويف نفسك خيراً ، ووهبك اللب الحر وملكك وقت الأمر ، فكن ولىَّ نفسك فى حياتك ، ووصيها بعد وفاتك ، ولا تكل مصلحتك إلى غيرك ، فإن عنايته تقصر عنك ، ورعايته تتخطى دونك . فخف ندماً لا ينفع ، وأسى لا يرجع ، هذا اللسان الناصح لك ، إن مر مسموعه اليوم ، فلا مقبوله غداً ، وإن قال مقوله الساعة ، فحق معموله بعد قيام الساعة

يا هذا ، إنى سكبت إليك دمعة أخرى ، ونشرت [٩٥ ب] عنيت حقيقة سرى ، وحقيقى ومقتلى ما ولى فيمن شئت حظى ، وملامسه غى ، ورشده غىّ ، وكله فى كله لىٌّ ورىٌّ (١) ، إن ورد ورد لاهياً ، وإن صدر صدر لاهياً ، إن عهد عهداً نكث ، وإن حلف حلف حانثاً ، إن استه أتته عنت ،

(١) الرى : مصدر رواه يرويه ريًّا ورويةً ، تحدث عنه ، وروى سره عنه : طواه . واللى : مصدر لواه يلويه ، لياً (بفتح اللام وكسرها) ولياناً (بفتح اللام وكسرها)

وإن هجع هجع عاشاً. إن قرع الباب حُجب ورُدّ، وإن تعرّض [تعرّض] (١) للوصال جُبِه وصُدّ. حدّثني ما حيلتك معه وما حيلته فيك؟ أخذ الله بأيدينا إلى حظيرة رضوانه، وأسبل علينا سُجُف (٢) غفرانه، في جوار أوليائه وأصفيائه، حيث نسمع مناغاة الملأ الأعلى في الجنة التي هي المأوى، عند سدرة المنتهى، حيث لا أذى ولا قذى ولا شذى.

يا هذا، حدّثني عن ميّت محفوف بكل فن، ومن حيّ مرحوم بكل ظن، ومن طاهر على كل طُنّ (٣)، ومن باطن محفوف في كل كن. بل حدّثني عن مشهد (٤) الفرح بها مع رؤيتها مضمحل، وواتب (٥) الأنس بصحبتها مشمعلّ (٦)، ومعنى الحق في نظرها مستقل، ودليل الخلق على أدبارها مستدل. بل حدّثني عن راضٍ قد باء بأحكام السخط، وعن دالّ قد تاه بأسباب الشطط، وقائل قد ملكه سلطان الغلط، وناسك قد أفضى به الاغترار إلى الفرط. بل حدّثني عن حركة جانبت السكون، ومن سكون صحب كون كل ما يكون، ومن فن استدرج سائر الفنون، ومن عين استوعبت أعيان

(١) كذا في الأصل مكررة

(٢) السَّجْف (بفتح السين وكسرها) والسجاف (ككتاب): الستر، والجمع سُجوف وأسجاف. وأسبل: أرخى

(٣) الطُّن (بضم الطاء): بدن الإنسان وغيره، والجمع أطنان وطنان

(٤) ص. شاهد

(٥) أي: ثابت. من: وتب يتب وتباً: ثبت في المكان لم يزل

(٦) اشمعلّ: أشرف؛ والقومُ في الطلب: بادروا فيه وتفرقوا؛ والإبل: مضت وتفرقت مرحاً، وشمل: تفرّق. يقصد أن مستقر الأنس قد تفرق وتشتت

العيون . بل يحيى من اختلاف نظم به كل مؤتلف ، ومن ائتلاف شتت كل مختلف ، ومن منكر تغيره كل معترف ، ومن معتصر تدرعه كل مقترف بل يحيى من لب مفتون بالعبرة ، ويلعب تارة في دوائر الإشارة ، وحال ستحالت بين الإبانة والأمارة[١] بل يحيى من شبح اخترع موجوداً ، واصطنع كماً وحوداً ، ووتي بالتكييف ركوعاً وسجوداً ، [١٩٦] وطرح في بحر اللوى عف ، وبيوداً[٢] بل يحيى من لفظ عُلّي بريب ، ومعنى حل عن كيف وأين ، وعين أشكلت بين كل عين ، وخرف شبه الحبر مكل كذب ومين

يا هذا ! الذاهب حدس ، والرائد صدق ، ولكن الكال عن الكل ناطق ، وجميع الجميع بجميع فاتق ورائق ولكن شاهد السمع غائب ، وحاضر القلب ذاهب ، وتمني المنى خائب ، والوقت لصروف أحداثه ناب آكد

يا هذا ! أتدرى من الذي عف عن السكون ، وحل عن الشؤون ، وأتى من وراء كل بحث دقيق ، واستخف إشارات الألسنة بأنواع التكذيب والتصديق ، هو الذي سال الدنى بالفاني ، وأزعج هذه المعاني ؛ هو الذي إن رمي بالإثبات اتقى ، وإن حوول بالنساء صفا ؛ وإن لوصف بالطاعة شرف ، وإن كوشف بالسر أنف ، وإن وقف مع باديه حرن وعز ،

(١) الأمورة والأمار (بفتحهما) : الموعد والوقت والعلم والعلامة والإمارة (بكسر الهمزة وقد تفتح) : الملك والسلطان

(٢) مصدر من : باد يبيد ، بواداً وبيداً و بياداً و بيوداً وبيدودة ذهب وانقطع وبادت الشمس بيوداً غربت .

وإن تعرض لحدبه صرّ وصر ؛ هو الذى يريك حقائق الأشياء ، دون تحيز
تخييلا ، وبرّجت بحقائق الأشياء ، فيا فوق العقل تحويلا

يا هذا ! إن لحظت أمره أنعشك ، وإن شهدت إرادته سددتك ،
وإن هتكت حجاب حكمته حيّرك ، وإن كابدت رقيب قدرته طاردك ،
وإن شهدت معاينه فيك أحرقتك ، وإن أعرضت عنك من نفسك بما
أحرقك ، وإن [illegible] . وإن آثرت به [illegible] ، وإن توكلت عليه
أرادك . وإن اقتبست منه أنوارك

يا هذا انظر إلى صحائف الحق كيف [illegible] محاسن الوثق ، وكيف
استوفى تصوّر دقائق الحروف صفحات الحق . حتى لم يبق فى مفهوم الكدر
ما يدنى [illegible] عنه ولا فى [illegible] على [illegible]
عين مغرورقة بمسالك [illegible] فقد احترقت بلاهب [illegible] .
بين خيال [illegible] ، وإن [illegible] وقى

يا هذا ! ارجع إلى لمعات المقالة بالشكر حتى [illegible] جملة مشوقة بالحياة ،
ثم انظر إلى [illegible] فى [illegible] هذه الخرقة [٩٦ ب] ثم العجب مما [illegible]
الكون من مادة الخرقة ، [illegible] خلعة [illegible] على [illegible] فقام خطيب
ينشر أصحاب النعيم ، وذكر فيه أصحاب [illegible] وإذا [illegible] من [illegible]
وأتى لك بالمداد [illegible] ووقفت إلى هذه
الحقائق بالمحو عن مدار الواجب فى تدريج ما [illegible] به (١) من محاسن
الإلهية ، فهذا [illegible] على عيون العبودية [illegible] ومما تشرق

(١) ص : يد به
(٢) يقال [illegible] أى : [illegible] إليه

عينك . ويلك عليك أبلك . فأما ما صرفته بالاختيار مقصوراً على الأخطار والأقدار . مردداً بين الجزع والاصطبار ، فذاك ما ليس للحق فيه نظام ولا نثار (1) . نعم وأما ما سقط بجملته صابياً للمقول ، ومالك بالآية مطمئناً للمعقول . فكنهه (2) يعز عن مشارب وهم الواهمين . وإن كان لا يخلو ما وقع الخبر عنه موجوداً في مشرب الحمام المنهمي

يا هذا ! لقد قصصت (3) أثري مني ، فضلت خبري عني ، وضللت بما صحبني لي . فما أردت إلا صوراً إلى طلبته فوجدته ، فلما وجدته وجدته لي ، فلما وجدته غيبني ، وسكت عنه فخبرني عنه ، ونطقت عنه فسكتني ، وأعربه فذلني ، فلما ذل أعربني . فلما شهدت الغزل بي (4) ، ونسخته فهمي ، فلما شكوت منه فهمي طواني فنشرني ، وظهر لي فبرني ، وكذبني فصدقني ، ثم كان لي (5) فحققني . فلما حققني ، حقق لي . فلما حقق لي ، حق حقه لعلم حق يا القائل اسمع ، والسامع (5) اسمع ! كيف أسكت من وجدي بمن وجدني وجدي (6) بوجدي ؟ أم كيف أعرب عن قصدي . وقد وشحني بقصدي في قصدي ؟ أم كيف أذل بجهدي ، وقد أمدني في جهدي بجهدي ؟ أم كيف أنجز (7) وعدي في وعدي . وقد وعدني بخلف وعدي ؟ أم كيف أهدأ

(1) النثار : ما تناثر من الطعام وهو مصدر . نثر الشيء ينثره (بضم الثاء وكسرها)
(2) ص . فكنه ، وصحح أيضاً
(3) قص الأثر ، قصاً وقصيصاً (من باب كتب) . تتبعه .
(4) كان الغزل غزله . والمقصود أنه كونه
(5) والسامع . مكررة في الأصل
(6) كذا !
(7) تنجز الوعد طلب نجازه

فى صَدْرى وقد أفنانى لمّا أفنى وُرْدى ؟ أم كيف تُبا [١٩٧] يوردى [١]
وقد شغلنى وجدى عما كان به رفدى ؟ أم كيف أروى عمن فات روايتى ؟
أم كيف أتراءى لمن قد طاحت معه رؤيتى ؟ أم كيف أُروى فيه ، وقد حذ
رؤيتى ؟ أم كيف أروى به . وهو سبب طمأى فقد رى ؟ أم كيف أركن
٥ إلى قولى ، وقد استهلك فيه معناى ؟ أم كيف أُومئ معه ، وقد أبلانى من هو سواى ؟
بل كيف أصحب الذات ، وقد جهلت الصفات ؟ أم كيف أدّعى جهل الصفات
وقد ماولنى السمات ؟ أم كيف أقف على الشّمات . وقد اشتبهت علىّ الشّمات ،
وصرت فى تخليها وتلخصها بأحكام الشتت ، وحسرات البيات [٢] ؟
هيهات ! هيهات ! التبست الجدب بالهدان ، وأمزجت الأمات بالأمت ،
١٠ وحصل الخلق والخلق من الحق فى الموات . نعم يا سيدى ! حدثنى عن الحديث
من الفرِيّ [٣] . كل من ذلك أنى تعرّضت لأسرار الملوك ، وأمعنت فى إدمان
السلوك ، فأشرفت على أمواج بحار الشكوك . فإن قلت لى : ما الذى انقسم
إليك من هذه الأهوال . ولصق بك من تلك الأحوال ؟ واجهتُك بوجه
صفيق ، وناجيتك بلسان ذليق . وقلتُ : بدا حتى تجلى للبصر . ثم غاب حتى
١٥ . . . لا عين ولا أثر ، فإن جحدتَ ما شهدتُ كابرتُ العقلَ والعقل
حجة ، وإن جحدتُ ما حكيتَ استحققتُ الصلب ، والقتل محجة ؛ وإن ملتُ
إلى موقف ذلك طال بى المطل ، ولعطل كربه . أتدرى ما السر ؟
السر أن يحتج كلك فى كلك بسر يبق بعضك على بعضك ، ليكون فناؤك
فى فنائك طريقاً إلى بقائك فى بقائك . وهذه وحقّ الحق لمّة مشكلة ،

(١) ص : يوودتى .
(٢) ص : البنات
(٣) الفرى كغنىّ ، يقال : هو يفرى الفرىّ أى يأتى بالعجب فى عمله

وحال معضلة . والمعول يثبتها مهمله . متى كان الماء ثمرة الهباء ؟ متى كان البقاء سبيل الفناء ؟ أين المشرق من المغرب ؟ أين المغمّ من المعشِّ ؟ أين الوجدان من العدم ؟ أين الحدث من القدم ؟ أين الثريا من الثرى ؟ أين اليقظة من الكرى ؟ أين السماء من الأرض ؟ أين الطول من العَرْض ؟ أين العرض من القَرْض ؟ أين ما ليس له أين ، من حين أشرقت به كل عين ؟ ٥

يا هذا ! من طمس أعلام الحس وركب رواحل الأنس لحق رفائض[1] [٩٧ ب] المس ، وشهد ولاء العرس من استباح الجرح عن جوى قده ، فليلتجئ إلى من هو صوبه بعينه في شمه[2] من استصحب نفسه من نفسه ، فقد ظفر بدية نفسه من انتفى عنه ينتظم الحب دواعي الريب ، فيستأنف أوائل التوحيد ، من شم مقصود في مدلله ، فيتم حدود العبيد ١٠

يا هذا ! ذهب المد المسوّق ، وبقت الآن المعنى المحقّق ، طال القولُ المُرَيِّق ، فحصل المراد المعنْوَن[3] كثرت العبارة ، فدق الإشارة ، تردّد المنيانُ ، فقرب أنت البيان

يا هذا ! اعرب من وصلك الأنوف ، نعم اصحبني لي وصلك بالتحقيق . وإن كان قد اتصل به التلويح ، وثق بأنّ مروىٌ ذلك المكان أشرفُ من مَرْقى هذا المكان . والسلام ! ١٥

(١) رفض الإبل - تركها تبدد في مرعاها ، فهي رافضة ورُفَض (ويحرك) ، وجمعه أرفاض وهي جمع جمع رافض .

(٢) أي من هو قد له هو بعينه في نفسه ، أي في علم الغيب ، والـ « هو » تعود على الله .

(٣) عَنَّن الكتاب وعنْونه : كتب عنوانه وعنه جعل له عنوان أى المراد المحدود المقيد المبيّن ، لا المطلق الواسع

رسالة (لح)

أتاح الله لك من غيبه ما لا يحلم به أملك، وصرف عنك كل ما يحول
بينه وبينك، ولدنك بحفظه إذا نابك، ومتّعك بنعمته إذا خصّك. وجعل
ظاهرك [١] يحقق عنه تغنيه، وباطنك يوثق به تصديقاً. ورقّاك إلى ذروة
غايات [٢] الحق، فيما تصيبك، وحكمه تتصرّف فيك، وأنت في خافي ذلك
وباديه تشهد آلاءه شاكراً، وتتقلّب في نعمائه شاكراً، مسلّماً وصابراً

كتبتُ إليك في أواخر شهر رمضان ومُستقبل العيد عن حالٍ
ذات ألوان، ما وجوهها مكتومة عندي لما أعرف من سوائلها وزرعها،
فكيف وجوهها مكشوفة عندك لمواقعها وشواهدها [٣]؟ وإذا لم يكن إلى كتمانها
في جوانح الصدر سبيل، ولا على الإفصاح على علاتها دليل، فلا أقل من ذكر
بعض فنونها بالكناية التي لم تنتسب منه ولم تزدد ولم تبتغ روحاً،
فإنما تؤنس مستأنساً شغفت على الطاعة، وتحرّك زكاء قد تلحّجت [٤]
بالعتب والنصب. فمن أوائل تلك الكناية أني قد قابلت العيد بسنة
لا يدري وابدها. وترحة [٥] لا أصبح فيها على حديدة، وعرام كل حميت
ناره، | ١٩٨ | وسكن أواره، زدته [٦] ما ينسي الأول ويذهل عن المستقل
وما أحسن ما قال الأول

(١) ص: ظهرتك.
(٢) الغُنْية (بضم الغين وكسرها): المعرفة، والحلم. العلاى
(٣) الغدو: المركب لا يستقل من غير غنيه؛ الشغل يصرفك عن الشيء.
(٤) تلحجت: زالت عن موضعه
(٥) وتقرأ أيضاً: وترحة
(٦) أي: تمه

وكم تجرعت من غيظ (1) ومن أسف

إذا تجدد حزن هون الماضي

وكم غصصت ، فما بالبث تغصصني

حتى رحمت لقلبي سخط راض

والعجب من زوال نشري على هذا الهذيان الأليم فلا سقيم يعقب ، ولا تأنيس يرتقب ، وكيف لا يكون حالي هكذا وحبيبي هجري ، ومن أهيم بهواه سال عني ، وقد بقيت مرحوماً من أعزتي ، كما صرت مرحوماً من حنقي ! فها أنا أقول

لدى العدو من له وصل يدوي إليه ، ومن له سكن

ومن له الأهل والسرب ومن ملاذه منه منزل قمن (2)

لا المفردين الفذ ذين ومن يعتاده الهم فيه والحزن

وقد قطعت حداداً لا ألبسه (3) في هذا العيد الذي أولى لي بالحدّ (4) والحديد ، وبالهذيان الأليم الشديد . فلو رأيتني وأنا أمشي إلى المصلى شاحب الوجه ، عاري الشعر ، دامع الأعين ، ناكس الرأس ، كابي اللون ، خافض الصوت ، ظاهر الاستكانة ، — لرأيت منظراً يشكي العين الجامدة ، ويحرك الطباع القاسية ، ويبعث الرحمة من كل أحد . فما من الصديق فحق الصداقة

(1) ص : غيص .

(2) قمن : قريب

(3) كذا ! ولعلها : لا ألبسه

(4) الحد : ما يعتري الإنسان من الغضب والنزق ، الحديد بمعنى الشدة

والملح ، وأمّا من العدوّ فيفرط ألم الشقاء وعزّح ولو سمعني وأنا أنشد
قول الأول .

قالوا: سُررتَ بيوم العيدِ؟ قلتُ لهم
ولا سُررتُ به ، والواحدِ الصَّمَدِ

٥ لمّا تيقّنتُ أنّي لا أراكم
غمّضتُ طرفي فلم أنظرْ إلى أحدِ

لرحمت . فكيف يكون حال من هو في عيده محزون ، وبما نقده
من جرائره (1) حامل مدهون ، وفي جميع حالاته معروف مغبون ، لقد تضاعف
في عيده بلاؤه ، وزاد عناؤه وشقاؤه ، وذهل مما به وأمرّ أنه لا يسمع
١٠ لشكواه ، ولا ناصر لبلواه ، ولا مشفق عليه في نجواه . قد خذله [٩٨ ب]
أنصاره ، وأسلمه أحبابه ، قد تُرك غريباً ، وفريداً وحيداً حريباً مذهوناً
ساهياً (2) . فهو بين هذا الجمع الكثير مُنكرٌ (3) على عرفانه ، ومشار
على بابه . إن نظر نظرَ من طرفٍ خفي ، وإن نطق نطق بلسانٍ عيي ، وإن همّ همّ
بقلبٍ مضنى ، وإن نهض نهض بكاهلٍ ملوي ، وإن حسر حسر (4) بساعدٍ
١٥ عوي ، ومن أوى أوى إلى ركنٍ وَهِيّ (5) . فهذا حديثي ومثالي . في عيدي

(1) جمع جريرة : ذنب
(2) السليب . المستلب العقل
(3) ص : مشكر . ونُكُر : حُبِس فالمعنى أنه محبوس على ما يعرفه ، لا ينطلق به بين هذا الجمع الكثير
(4) حسر (من باب فرح) : أعيا وكلّ وتعب
(5) وَهِيّ : واهٍ ، ضعيف

وجدلي ، لاجرم قد جمعت الشجو سربالي ، والكآبة عصابتي ، واللوم
— لوم النفس — دثاري ، والاستعانة بالتضرع حالي :

ليس عيد المحب طوف مصلّى ووقوفاً بالجمع والوجدان

بل عيده أن يساوي بخدمه ، ويتخير بما دفع إليه من زيارته[1] ، ويعد
إذا حط بأبيابه ، ويمسح عينه بطرف كمه ، ويتحلى بهمّه وسمّه[2] ، ويرفع
إلى حبيبه كفه المخترقة بحبه ، ويعرض عليه ما أثّر فيه من عشقه ، ويسأله
الإقالة بما استمر به من خطئه فعله بل زجر في أمره ، يكشف غطاءه
عن قلبه ، وانغلقت عنه شقة كربه ثم ينشد

الناس عيد ولي عيدان قد جمعا

وجه الحبيب ويوم الفطر إذ حضر

الحمد لله شكراً — لا شريك له

رب المزيد لمرجوّ لمن شكرا

فطوبى لهذا النفس المسكين ، ولهذا الغريب المستبين ، إن فاز بعيد
نفسه ، ووجد حاله في أنسه ، ودهش عامر على رأسه في أنسه ؛ وقد في سبيل
سره وسر شده فوق الخلق وإن يعقلون ، وعن لحاق حرف منها بمحرومين ،
ويسألون ذلك كله ويلتمسون . وإني مع ما وصفت به شأني بأني تلفي
لقوى الرجاء ، متين الأمل ، لعبد النعمة ومر داشي إلا من قبل من أنا إليه

(١) وأبابه مرتبة وبالا عرفه وسحر كمه تناعد ورتبة اسم للد ، ذكره ابو حيدي بعده في رسالته « في الصداقة والصديق » (ص ٤١ س ١٦ ، س ١٨ ، نشرة الجوائب ، قسطنطينية سنة ١٣٠١ هـ) ، ولكن لا نحسبه يقصده هنا .

(٢) أي يحنو إليهما ، والهم الحزن ؛ « السم » كناية عن المصيبة وما في معناها .

مُشَوَّق . وعده مَمْطُول ، وبحثه مَطْوِيّ . وإذا حرّك رجائي ، فقد أراد خلاصي من ملاقي ، وإذا بعث أملي ، فقد عرضني لرَكْل على . وقد ألقيت إليك حقيقتي . ونشرت عليك طويتي ، فقف عليهما [١٩٩] برقّة الصديق للتصديق ، وأحنِ عنهما بما يدل على المخالصة والتحقيق ، وتحسّس معي استطالة الأغبياء واستذالة الفُكراء [1] ، واسلكني طريق الأخلاء الأوداء ، وخاطني بقدر العلماء والحكماء ، حتى أفهم عنك إن دنت ، وآخذ منك بالشكر زيادتك ، لأهب [2] نفسي غاية العمر لك ، وأريك من خاصري وعايني مساعدة نفسي مع ذوي الأرحام المتَصرّمة ، ونتحدث بها مع هذه الأحوال القاصرة عن الغايات التي إليها يَكُرّ المُسكِرون ، وبسببها يُجِرّ المُهجِّرون [3] ، وعنها أخبر المخبرون ، وعليها لُطمت الخدود ونُزفت العيون .

وامزج عتبك بالرفق لأسلم من حر العتاب ، وإذا أمرتني بأمر ، فاستعمل الرفق حتى يخف عليّ امتثاله ، وإذا نهيتني عن شيء فلاطفني حتى يُسارع امتثاله . وصِف لي أيضًا من حالك ما أكون بمعرفته شريكك ، وأحمد الله على ما وهب لي من نعمتك ، واذكر لي كيف خرجت أنت إلى هذا التيه ، ومَنْ صحبك من خلّ وودود ، وهل خطر ببالك ما أنشأت هذه الرسائل له من نعيه ، ثم غير ذلك مما يجوز أن يقف عليه مثلي من الصديق ، فلعلّه لأصدقني إذا خاطبتَ ، وشفيتني إذا كاتبت ، وأجبت عليّ إذا عاتبت ، وقصدت نصحي إذا قاربت ، وآثرت مُحابّي إذا باعدت . وطمست في الحاله

(١) كذا ! وحينئذ لعل المقصود أن تكون جمع : فكير ككبيت أو لعلها محرفة وأصلها : فقراء ، بدليل قوله الأغبياء

(٢) ص : لواهب

(٣) هجّر القومُ : ساروا في الهاجرة

إشالي [١] . فقد أكنفتني الوحشة ، وبلغت كمدى مدى فوتك فقد دبجتني الدهشة ، ومهما أتيت في أمري شيئاً فلا تدعني من يدك ، ولا تخلو من وعدك ورفدك ، ولا تقصم ظهري بإعراضك ، ولا تضيق صدري بانفاضك وثق بأني قد سرحت لحظي إلى ما يرد من جهتك ، ولا قرار لي دون ذلك ، ولا صبر عندي إلا بعد أن تفيد وتندى علي من فضلك وإحسانك ، فقد علمت أنك كهفي إذا لذت ، وشمسي إذا أصبحت ، وقمري إذا أمسيت ، ونجمي الذي أهتدي به إذا ضللت ، ومسرة نفسي إذا اغتممت ، وقرة [٩٩ ب] عيني إذا اهتممت ، ونظامي إذا انتثرت ، وناصري إذا انتصرت ، وحاضري إذا غبت ، وظهري إذا نطقت وما رددتك إلا بدعاء السحر ، وإلا [٢] بالحج ونسك ، وإلا بالتضرع عند الحطيم [٣] وزمزم أأغفل عن نعمة الله علي بك ، وأسهو عن شكر الله على ما منحني منك ، وأذهل عن حظ الصدر إلى بعرفتك ، وأكفر سالف إحسانك وفضلك ، وأحرم نفسي ما أنتظره من جديد من نابيدك ونصرك ؟ هذا ما لا يكون ، ولا تطيف به الظنون ، ولا يجهله المعتوه المجنون إني بك لغني ، وفيك هائم ، وعليك متوله ، وإياك أطلب جدي واجتهادي ، وإليك أبادر مع كل هاد وحاد ،

(١) ص : السالي ولم نهتد إلى وجهه الدقيق ، فأصلحناه كما ترى بمعنى انتشالي ، أي إنقاذي .

(٢) ص : ولا

(٣) الحطيم : حجر الكعبة ، أو جداره ، أو ما بين الركن وزمزم والمقام ، وزاد بعضهم الحجر ، أو من المقام إلى الباب ، أو ما بين الركن الأسود إلى الباب إلى المقام حيث يتحطم الناس للدعاء . وكانت الجاهلية تتحالف هناك

وبفضلك أتحدث فى كل مقام وناد. وهذا قليل فيما تستحقه علىّ، وتستوجبه لدىّ، لأنك تحيرنى عن السنن العظيم، وتدلنى على الصراط المستقيم. ثم لا ترضى لى حتى تداوينى عند كل داء بما يحسمه، وتدلنى عند كل أود بما يقومه.

٥ إذا وجدتنى متهالكاً فى الوعد عدلتنى بالوعيد، وإذا وجدتنى سادراً فى العوائق جذبتنى إلى الدواعى. وإذا وجدتنى أغيب عن حظى بالعادة أشهدتنى فائتى بالحضور. وإذا وجدتنى أهيم فى القول قرنتنى بالعمل وإذا وجدتنى أجهل قدرى فى أمرى، عرفتنى مجهولى فى السر والجهر فى سرّ لا يطوى عنى فيه النصح، وجهر لا نأى لى فيه من نجح. فمن لى بمثلك؟ ومن لى عن يبارك؟ من أجلك من يدى، ويسلو عنك وعلى معى؟! هيهات! هذا ما لا يكون، ولو كان ما كان له كون به يدوم أنا أكرمك الله - إلى لفظ هذه الشائفة [...] ولكنى من الشبر عليك مرتاع؛ وبقدر ادنيتنى وادعيتنى أستهد بين يديك فى مخاطبتك محتاج، وتأخر عنه متهتح. وإذا حدثت لى فى معروف ذلك ومنكره حمداً، استظهرت لنفسى فيه بما يدنينى منك، ويحلينى [١١٠٠] بعينك، ويجرى لى بالخير لسانك، ويقرضنى عليك، ويدنينى منك. وهذه - ل اصطفاك الله بها، وأحوج غيرك إلى صفتك فى أنفسها. والله الشاكر على ما أفردك به، واستفردك له، ومن ما جعل لك ليث من تقويم كل رائع[٢]، وتعديل كل رائع، وتهذيب كل قائل، وإسماع كل سائل. وهذه درجة الأنبياء الذين هم بين الله وبين الخلق، فهنّاك الله هذه النعمة نعمة قرباً، وحفظ عليك

(١) كذا فى الأصل بهذه الزيادة.

(٢) ربع الرجل: كان فاخراً ماجناً، فهو ربيع (ككتف).

إمدادنا ومعونتنا به فإنا إلى ما تصل به من جهتك محتاجون ، ولما يصل
إلينا من برك وفضلك شاكرون ، ولله فيما خولك من هذه المودّة والمساهمة
حامدون . فإن رأيتَ أن تتصدق علينا بزمانك الذى فيه بحكمك حوائجنا
متفضلاً بما يرزقك الله فى أمرنا فى الوحشة لنا إذا صمتنا ، وفى الصدقة لنا
إذا صدقنا ، وفى شحذ بصائرنا إذا أكلت فينا ، وفى الأخذ بأيدينا عند عثراتنا ،
وفى الاهتمام بنا إذا رقت حالاتنا — فعلتَ إن شاء الله .

أيها السائل عنا من بلدك النازح ، والمستحثّ على صحبة النازح
والشاسع ، أما تعجب من رقة هذا اللبس المشكل الواضح ؟ أما ترغب
أن يكون لك منه نصيب راجح ؟ فإن حرّكتك همتك إلى هذا حثّثتك[1]
إليه ، وزرعتُ لك النية إلى هذا الذى أصلت لك عليه ، فخذ أهبة ذلك

أتدرى ما الأهبة ؟ هى أن تعقد العزيمة فى نسك من قاذورات هذه
الدنيا ، ثم تصل العزيمة بالصريمة[2] فى الصبر على واردات البلوى ، ثم تطهّر
ساحتك بدينك ، ثم تتبرّأ من باحتك بظاهرك ، ثم تعتمد إلى الحق معتمداً ، وتثابر
على العمل مجتهداً ، وتظلف[3] نفسك عن شهوات المَرأى والمَسمع مجتهداً ،
وتجعل همّك كله همًّا واحداً ، فإن صاحب الهموم الكثيرة مشتّت البال ،
ضعيف النحيزة[4] ، مغلوب بأول رائق[5] من الدنيا ، مخدوع عند أول
سانح من الهوى ، وصاحب الهم الواحد ، عاضٌّ على الناجذ صبورٌ عليه صبر

(١) حشّ الصيدَ : ضمّه من جانبيه
(٢) الصريمة : العزيمة
(٣) ظلف نفسه عن الشئ (يظلفها ، من باب ضرب) ظلفاً : كفها عنه
(٤) النحيزة : الطبيعة
(٥) رنّقه فى الأمر : أوقعه فيه

المجاهد . ومتفرد به [١٠٠ ب] لحد الواحد . وهذا واضح عند من له خبرة
يسيرة ، وتجربة قصيرة ؛ أعني أن الإنسان يعلم بأدنى تماسك يرجع إليه
وأقل سبب من التمييز يتعلق به ، أن المرء إذا كان واجدًا تلاحقت به النوى ،
وساعده على رفده النهى . وقدر صاحبه أن ينجو من كرب إذا كرب
ومن واثب إذا وثب ، لأن الشكيمة تشتد في الدفاع ، والروية تجد في الامتناع
فأما إذا تشتت الشمل في أودية الأماني ، وضل الرأي في احتساب الشهوات ،
وكلّ الحد عن مقاومة الحادثات ، فإن الإنسان يؤتى عند ذلك من مأمنه ،
ويوحش في مأنسه ، ويفتقر أشد ما يكون في جدته

اللهم إنا لا مفزع لنا منك ، ولا معتصم لنا دونك ، ولا مذهب
لنا وراءك ، فبحرمة ذلنا في حاجتنا إليك إلا آزرتنا بالوصول إلى حضرتك ،
وكففتنا من أيدي خلقك ، ووهبت لنا عصمتك ، ومننت علينا برحمتك ،
يا ذا الجلال والإكرام !

رسالة (لد)

اللهم إني أشكو إليك شاهدًا مجدوعًا ، وغائبًا مقطوعًا ، وحالًا بين هذين
لسنا نملك منه نزوعًا ، ولا نستطيع عنها رجوعًا ، ولا نجد لأنفسنا فيه
خشوعًا ولا خضوعًا .

اللهم فاجمع هذا الشمل المبدد ، واكشف مؤونة هذا اللفظ المردد ،
فلمثلي المقوم المسدد ، وإنما نعيد السؤال ونكرره لعلمنا بأنك القادر الممجد

اللهم إنا كنا نتحرج من وصفك بما أنت أهله ، ونستحيي أن نسألك
ما نستحقه ، ولولا أنك تحرك منا الساكنات عند التوجه إليك ، وتسكن منا
كل متحرك عند تعظيمك وإجلالك ، لما كنا نتدبر هذا التدبير

فى هذه الأحوال المختلفة بالمياه ، ولا كما تشبثت (١) هذه النفس
فى هذه الأمور المستة بالبى والبين ولكن بك ، لأنا لك ، ومنك ،
لأنا منك ، وعلى كل وجه فإليك المرجع ، وإلى فنائك المرجع [١١٠٩]
فاكشف عن رحالنا حوائم (٢) اليأس ، واصرف عن خاصرتنا وعقلنا حوائل
الوسواس

يا هذا ! قد صار نشرى عليك مطوى هذه القصة ضروب من العدد ،
وصنوف من الإشارة ، رغبة فى شعلة تبدو منك ، وطمعاً فى نفحة
تنفق عنك ، ونظراً إلى إثارة الحق فى سر يصنع عنك ، وأنت على طيلتك
جامد لا تذوب ، وجامد لا تنهض ، وراكد لا تهب ، وميت لا تتحرك ،
وباهت لا تبصر ، وشوان لا تفيق ، وكثير لا توحد ، وكدر لا تصفو ،
ومنقبض لا تنبسط ، ومتغير لا تحضر ، ومسؤول لا تجيب ، ومتصوح
لا تندى ، وعدو لا تروى ، وناكل لا تتوجح ، وكاتم لا تبوح .

يا هذا . لا أزعج (٣) فما أقربني منك ، وما أشبهنى بك ، وما أشد انخراطى
فى سلكك ، وما أسهرنى عن نعاسك ، وما أسكننى فى كهفك ، وما أطيرنى
بجناحك ، وما أوهنى بلسانك ، وما أزمانى (٤) بطرفك ، وما أحملنى لثقل مثل
ثقلك لكنى متنحى من باب جوهر كينته وغيبت عنه ، وهو فى
مستنطق بى إن حاضت فيه كان دمارى ، وإن استحضرت به كان وبلى منه
هذا بعض حديثى على غطه وانتشاره ، ومالى من شأنى على تشعبه وانتشاره

(١) تتسبب الماء . سال

(٢) ما يحوم

(٣) فص أمر من أزراء خوف .

(٤) أمر متصل من زنا بزنو بطرفه أدام النظر بسكون الطرف .

فما بقي في ديوان قصتي أن قيل : يا هذا ! اخرج عن هذا المكان قليلاً حتى نتناجى بلغة أخرى ، ونتبادى النصح بها على طريقة هي أولى بنا وأحرى !

من استأذن على الله أذن له . من قرع باب الله دخل (١) . كيف تنتفع بالنصيحة ، وأنت مقيم على الفضيحة ! خوف الله جُنّة من كل كارث . معرفة الله روضة من رياض العقل . من تعلّق الليل والنهار [و] لو استمع إليهما وفهم عنهما . كم من عقل أسير عند هوى أمير ! الجدل في الدين مَطْرَدة لليقين ! الاتّباع خير من الابتداع ! الابتداع أخطر من الاتّباع ! السنة عِرْق ، والخير شجره ، والعمل به ثمرته . الشريعة مأدُبة الله [١٠١ ب] للعباد . السنّة جُنّة المتدينين . التوحيد حياة النفس . المعرفة النور بالنفس . من تبع هواه فقد عبد غير الله . أكرم نفسك ما أعنتك على طاعة الله . أهِن نفسك ما عاقتك عن خدمة الله . الويل لمن ضاقت رحمة الله — مع سعتها — عنه . لك من الله نسب أصح من نسبك إلى أبيك ، فاحفظه وبه ينفعك . إذا ضللت عن حكمة الله فقف عند قدرة الله ، فإنه إن فاتك من حكمته ما يثنيك ، فلن يفوتك من قدرته ما يكفيك . سُقْ عقلك إلى ملكوت الله ، ولا تُقحمه في جبروت الله . إذا استأثر الله بشيء فَالْهُ عنه . إذا تلطّخت بعار فارحضه (٢) عنك بالإنابة . أنت بين هادٍ بجوده وحادٍ بوعده ، فمن يثبطك ويعوقك ؟ ليس للغواية غاية تقف دون حينك . لا تحكم على نفسك إذا عصتك ، ولا بعضها إذا أرشدتك . احمل الجد كله في إعداد الجواب ليوم المسألة . عُرِّضْتَ لبقاء الأبد . ربك يحسن اختياره لك ، فلا تتعرض أنت لغير الأبد

(١) فيه التفات إلى ما ورد في إنجيل لوقا ١١ : ٩
(٢) رحَضَ الثوب يرحَضه (من باب فتح) رحضاً ، وأرحضه : غسله

بسوء اختيارك لنفسك . من انقطع إلى غير الله وكله الله إليه . من صلح
مع الله لم يفسد مع غيره . من حارب الله حُرِب [١] ، ومن سالم الله سلم .
أصدق الكلام كلام الله . كيف يسهو من الله طالبه ! كيف يضيع مع الله
كافله ! ما أقربَ العبد من الله إن فطن لما فيه ! لله عندك وديعة ، فاحفظها
وتوسل إليه بها اهـ

المعرفة مصباح القلب . التوحيد نور الله في قلب العبد . التوكل حصن
المؤمن . الوجد حقيقة الحال . العمل وصول الحق . الظَّلَف [٢] عزّة النفس .
الطرف عنوان الذخيرة . الصمت روضة الفكر . اللفظ ثمرة الإرادة . الإرادة تصوّر
التلف . الأريحية هبة الكرامة . الكناية همس الفؤاد . التصريح بروز المراد .
العمل شعور النفس . العلم شعور الروح . الوصف تبيان الموصوف . الموصوف
غاية الواصف [١٠٢] أسقط التنزه عن الدنس الإباحة على التصرف في الملك .
الطمع رق ، لكنه خداع ، واليأس عتق ، لكنه قطاع . العقل صُعود ،
ولكن إلى أعلى عليين ، والهوى حدور [٣] ، ولكن إلى أسفل السافلين .
يا هذا ! أمرٌ أيضاً هذا الفن فلا والله لا أدري كيف اتشوّقك به ، وكيف
ارتشافك له ! وكيف انهماكك عليه ، وكيف انتعاشك منه ! فإن كانت الغلبة
لروحك اللطيف ، فلا شك أن حظك من كل ما يمر هو الحظ الشريف
وإن كان الحظ لبدنك الكثيف ، فلا شك أن حظك من جميع هذا الحظ
الطفيف . فاسترسل الآن في نفسك باحثاً عن سرك وجهرك ، فنفسك تظهر
مرادك وتعرك وعبرك ، وبث ملك في ملك ، فانفض الملك نشراً ، وانشره

(١) حرب (بالبناء للمفعول) الرجلُ مالَه : سلبه
(٢) الظلف : النزاهة
(٣) حدر يحدر (بكسر الدال وضمها) حدْرا وحدوراً : نزل وهبط

نافضاً ، وقابله مداراً ، ودابره مقابلا ، وباسره معاسراً ، وعاسره مباسراً ، وتقلّب طالباً ، ونصبّ منشداً ، فإنك تصمه محلاف هده الحالات فى صلاتيب هدا (١) العالم المصود بالحكمة ، المحسوم بالقدرة ، المنقوش بالزينة ، المزيّن مكلل حلية محروبة

يا هدا ! مداراتى لك مداراة لنفسى ، دنوّ لك استكانة منى ، و مستكانتى ستجابة إلى حطى ، فاستجابتى إلى حظى بنزوع إلى غايتى ، و نزوعى إلى غايتى ورى بين أنا به وهو لى . إذا بلغ الثقد هدا الحد (٢) ، فارأى الحرى من الفاقه السليم من الآفة ، أن تداول (٣) بالكون الذى هو أسطى للمكشوف ، وأكنى عن المنوف ، وأخفى بالمعروف ، تأمّل نحرون قول بعض الصوفية ، فإنه قد كشف شأن مقيم على محل فى أنل يقتبس ، قال : إذا رأيت الله عز وجل يؤنسك بذكره ، ويوحشك من خلقه ، فقد أرادك ؛ وإذا رأيته يؤنسك بخلقه ، ويوحشك من ذكره ، فقد طردك . وقال آخر : يا تجار الآخرة ، أبشروا بالأرباح الفاخرة ! لا تمهُر الدنيا دينك فإن من مهر (٤) الدنيا دينه زفت إليه بالندم والسقم والألم . وقال آخر : تحيّة (٥) العارفين [١٠٢ ب] حمية المرضى ، ونومهم نوم الغرقى ، وندمهم ندم الهلكى . وقال آخر : من دواعى المقت ذم الدنيا فى العلانية ، واستنعامها فى السر . يا هدا ! انظر فى كم مرقاة

(١) ص : هده

(٢) كذا بالجيم ، ولعل صوابه بالحاء .

(٣) أى تتداول .

(٤) مهر المرأة يمهرها (بفتح الهاء وضمها) مهراً ، وأمهرها : أعطاها ، أو جعل لها مهراً .

(٥) أو : حمية ؟

قد عليتك ، وفي كم بساط قد خطيتك ! وكم ثمرة عرضتها لك ، وكم جنة لاطفتك ! وكم عبارة شافهتك ! وكم ضرب علقتك ! ومن كم وجه أردت الخير بك ! وفي كم طريق سلكتك ! وعلى كم ثنية أطلعتك ! وفي كم بحر غمستك ! وأى شمس أطلعت عليك ! وأى كنز أحضرت بين يديك !

بادر إلى حظك ولا تلو على غيره فإن النفس وإن كان ممتداً فإنه مرتد ، والزمان وإن كان متصلا فإنه منفصل ، والوقت وإن كان مساعداً فإنه خاذل ، والمكتوم وإن كان جلداً [1] فإنه باذل .

يا هذا ! الحركة في نوع السكون ، والسكون في هيئة الحركة ، وأنت بينهما مطحون على رفق ولين ، وليس لك عنهما مفرج ، ولا إلى غيرهما منعرج . خذ بعظام نفسك إلى عايتك ، فلا شفيق لك ولا رفيق ؛ وكن كما قالت العروبة لما وضعت ذات نطاق ، ولم يكن لها من يعينها على شأنها : « تخرّسى [2] يا نفس لا مخرّس لك » ، أي [3] اصنعي الخرسة بنفسك لنفسك ، فليس لك من يتولى ذلك على العادة القديمة .

يا هذا ! ارفع خرقتك . أجل فكرك . أطل اعتبارك . اصدق نفسك . اعبد ربك . انجز عادتك . أطع نصيحتك . طهر سرك . ارقب رسولك . أصلح فاسدك . ألم شعثك . جدد خلقك . جرد بيتك . هاجر إلى مولاك .

(١) الجلد (بسكون اللام) . الشديد القوى .

(٢) الخرسة والخرسة طعام النفساء نفسها . وتخرست النفساء : أطعمت الخرسة لنفسها . وقوله : « تخرسى يا نفس لا مخرس (وفي الرواية الشائعة : مخرسة) لك » ، هو مثل يضرب في قيام المرء بحاجة نفسه إذا لم يكن من يقوم له بها .

(٣) ص . أنى .

بارِ شهوتك . عادِ شيطانك . حبّ داعيك . إزعْ راعيك . قمِ رادك .
كثّر عددك . ثبّت أيديك . وَزِّ وطائك . شعّب عطاءك . افهمْ وتفهّم ،
واعلم وتعلّم ، وبيّن وتبيّن .

اللهم حلِّ التوفيق حولنا . والتصديق سمعنا ، والتحقيق قلوبنا ،
٥ ولا تكلنا إلى حولنا وقوتنا ، ولا تحلْ بيننا وبين ما يقرّبنا منك ، ويدنينا
من بابك ، ويجيرنا من عذابك ، [١٠٣ ا] ويهدى إليه رضوانك ، ويفيض
علينا غفرانك .

يا هذا أرْوِدْ (١) فالأمر غريب ، وارفقْ فالشأن عجيب ، واتخذ الصبر
جُنّة فالخطب عصيب . وقل الحق فالستر كئيب . واسبح في بحر الأحوال فالساحل
١٠ نصيب ، وتشبث بالمبادى فإنك مصيب .

يا هذا ! إذا تزعمواك يعيب التوحيد عن خيال المعرفة فاشخص
عن مكانك ، واشتق إلى مقربك (٢) ، واسطع عن قولك ، واسلخ عن شأنك
في شأنك . وليس يمكن لك هذا الرأى ، ولا يصح في سمتك هذا النصح ،
حتى تنشر جملتك نشراً ، وتنشر تفصيلك نشراً . ثم تطوى مبناك طياً ،
١٥ وترتد عن حيلك شيئاً فشيئاً . وما أهون هذا التدبير بالوصف ، وما أسهل
هذا الإرشاد بالأمل ، وما أمرّ هذا الممر بالرفض ، وما أعزّ هذا المراد
بالنقض . هاجت الأسرار ، وماجت الأحوال بين الإيراد والإصدار ، ووزن
كل شىء بالاختيار والاضطرار . سقى الله ليلاً كان يلتقى طرفاه على رفّ (٣)

(١) مجاب في الأصل : أُوْدِدْ . والأول هو الصحيح ، يقولون : أرْوِدْ إرواداً
ومُرْوداً ومُرْوِداً ورويداً ورويداء ... في السير : رفق وتأدّ وتمهّل .
(٢) المعانى : امتزا .
(٣) الرف : الصغير من الريش . أو لعل أصلها : الرّف ؟

بنات الصدور من معادن الغيب يوم تُنشط العلم حتى تُبسط الحقيقة . فلا قذى من قاذٍ [1] ، ولا شوب من شائب ، ولا غمّ من هامّ ، ولا نزّ من نازّ ، ولا هفوة من هافٍ ، ولا ضجرة [2] من ضجِر ، ولا وَهْم من واهم ، ولا نزغة من ساهم . ما كان أحلى تلك الشمائل عند اختلاف الحركات ! وما كان أحلى تلك الوثائق عند ائتلاف السكنات ! وما كان أحلى تلك الظُلل عند تدول الثمرات ! وما كان أشفى لنفث النفس من نوافث الوَصَلات ! وما كان أضوأ تلك الوجوه عند الملاحم المؤنسات ! وما كان أسعد تلك القلوب عند اتصال المُبَشِّرات !

يا هذا ! الزمْ صمتك في سيرك ، وزِدْ في تشمير ذيلك ، وواصل تهجدك في ليلك ، واقصه من شذوذك ، وأْبَهْ [3] لحدودك ، وتخلّص من نفسك في نفسك ، وتبرّأ من حسك في حسك ، واشهد الغيب وغب عن الشهادة ، واحفظها عند بروز الحق الذي إذا بدا لك أباد ، وإذا أخذ أعاد [١٠٣ ب] وأفاد .

(1) القذى : جمع قذاة ، وهو ما يقع في العين والماء والشراب من تراب أو تبن أو وسخ أو غير ذلك . قال صاحب « لسان العرب » : « وفي الحديث : يبصر أحدكم القذى في عين أخيه ، ويعمى عن الجذع في عينه » ضربه مثلا لمن يرى الصغير من عيوب الناس ويعيّرهم به ، وفيه من العيوب ما نسبته إليه كنسبة الجذع إلى القذاة . وهذا الحديث هو الآية المشهورة الواردة في إنجيل لوقا (أصحاح ٦ آية ٤١) .

أما قذى ، يقذى ، متعديًا — فنادر ، وأورد صاحب « اللسان » عليه شاهدًا واحدًا هو قول الأصمعي : لا يصيبك مني ما يقذى عينك (بفتح ياء يقذى ونصب عينك) .

(2) ص : صخرة من حاف

(3) من أَبِهَ يأبه (كفتح يفتح) أبهًا له : فطن له .

وإياك وملابسةَ الكون فإنها تؤديك إلى الفُرقة والتَبَر ، وعليك بالتجريد والتفريد ، وعليك بهجران كل شيطان مَريد .

يا هذا ، تدرى مَنْ شيطانك ؟ أنت شيطانك ، وأنت الذي سهوت علك بعد ما تنوّرت ، وعرت بعد ما طلعت . وتدنّست بعد ما قربت ، واستوحشت بعد ما أنست ، واستفدت بعد ما استصت ، وآل أمرك إلى الحسر والضياع ، ووقف حالك إلى الدين والخداع ؛ وليس هذا من علامات عمران الرِّباع[1] ، ولا من أمارات خصب البقاع ، وليس فيه أيضاً ما يدل على بياض وجهك عند من به ثابك ، وإليه صراطك ، وعليه عزمك ، وعنده مثواك ، وهو مالكك ومصرّفك ، وهاديك وكافلك ، وفى عالمه بسطك وبقبضك ، وتحت مشيئته حياتك ومنيّاتك ، وإليه مصيرك ومآلك

يا هذا ، إن كنت مصاباً ، فأين الحزن والجزع ؟ وإن كنت مستعيداً فأين الفرح والتمتع[2] ؟ وإن كنت حائراً ، فأين الدين والهادى ؟ وإن كنت جائزاً ، فأين التأبى والتمادى ؟

إذا سما بك العزّ إلى عين التوحيد ، فتقدّس مثل ذلك عن كل ما له رسم فى الكون ، وأثر فى الحس ، وبون فى العيان ، فالتقديس يمكنك أن تعانق البادى من ذلك المحل بكلِّك وبعضك ليس الأمر باللمس ، وليس الحقيقة بالتمنى ولا المطلوب حيث تظن ، الظن حيث يدعدعك[3] ، والوهم يشمّلك ، والخبر يعصمك ، والاستحسار يجوّعك ، والتسليم يؤمّنك ، والاستسلام

(١) جمع ربع : مسكن

(٢) ص : التمنع

(٣) دعدعه الشيء : قلب بعضه على بعض

يحفظك ، والوصف يملقك ، والكشف يشطك [١] ، والاستمرار يملك ، والاستهتار يضلك ، هناك تكون أنت منها في عراء لا مؤنس لك فيه

عزّ امرؤ منّته نفسه أن تدوم له السلامه

افحص من نفسك فقد فتنتك ، ثم أقصها منك بعد فتنها قبالتك بالتسويل [٢] ، وقتلتها بالتمويل [٣] ، | ١١٠٤ | فكان قصراكما [٤] التعقّب والتحيل ٥

اللهم إنا نرمي إلى جنتك بما نلقيه في روعنا من هذه الزخارف المشبّهات ، والعظات المصنعات ... قصداً من لا تستهم بنا ، وإراغة [٥] منا لاجتلاب حظهم إليه باجتهادنا ، وليكون ذلك كله حلالا لعذرنا ، وشحذاً لنا كل منا ، وتشيعاً لما فرّعنا ، وناظراً لما نالنا دوننا ونحن نسألك أن تسددنا في مقالنا ، وتعيننا في قصدنا ، وتوجهه إلينا توفيقك الذي لا يضل من سلك نحوك ، ولا يأبى من قال عنك ، ولا يخطئ من أثر إليك ، ولا يخيب من سألك ، ولا يضيع من توكل عليك ١٠

إلهنا ، لولا أنا نجد من روح هذا الحديث ما يبعثنا على مناغاة عبادك ما اسعفنا لذلك ، ولولا أنا نرجو به وبأمثاله تقرباً إليك ومكانة لديك ،

(١) شط فلاناً ، شطاً وشطوطاً . شق عليه وظلمه . أما شطط تشطيطاً فمعناه : بالغ في الشطط ، وهو لازم كما ترى فلعل هنا تحريف من الناسخ ، وكان الأصل : يشطّك .

(٢) بأن تسول لك نفسك أموراً خبيثة .

(٣) التمويل : الاعتماد على الغير .

(٤) يقال . قصرك أن تفعل كذا وقصراك (بفتح القاف وضمها) ، وقصيراك وقصاراك (بضم القاف فيهما) أي جهدك وغايتك .

(٥) أراغ الشئ : طلبه وأراده كارتاغه .

ما تفرَّدنا (١) عن سر المحزون، ولا نطلبنا من حديث المكنون. وكان إعراض مَنْ أعرَضَ منك هيّناً علينا، وهلاك مَن هلك عن حظه سهلاً عندنا ولكنا نرى في ذلك ما نريد، فيرى خيرنا منه ما يكون زيادة لنا في مقامنا، وسبباً للرزق في سعادتنا، وباباً مفتوحاً إلى الفوز الذي طال في طلبه سعينا، ٥ وأمتدَّ في تحصيله وسعنا بإذن ذا الجلال والإكرام!

رسالة (له)

اللهم إنا قد بذلنا دون طاقتنا في طلب ما عندك، فهب لنا تأييداً منك حتى نستمده في حيازة رضاك، وإليك رجعنا وكتبت إلينا بحرنا، وبك نركنا عليك نحيزنا، وبك كنت له فيما بيننا وبينك فرّقنا. وكيف لا نطلب ما عند منك وأنت (٢) المثبت؟ وكيف لا نحول فائدتنا عنه وأنت المبيد؟ وكيف ١٠ لا نشهدك في كلنا وبعضنا وأنت المحيط؟ جلّ شأنك عند كل شيء، ودقّ سرك عن الإسرار والإعلان، وعميت عن أن تُعرف بدليل وبرهان. لأنك قبل كل أَثَرة (٣) وعيان، وبعد كل إيضاح وبيان. فمن ذا يمنعك وأنت معوت النعت، ومن ذا يجحدك وأنت مالك الوقت!

١٥ [١٠٤ ب] أيها الصديق الشفيق، والصاحب الموالي، والمشارك المساعد [و] ... اسمع ... ما شئت من عناء وحيرة فلعل حسن الاستماع منك يجلي عني وحشة قد كدّرتني وآذتني، وردّتني عن مقاصدي وأزدتني فوالكشف عنك

(١) كذا في الأصل، ويمكن أن يكون صوابه. تفرسنا من ... أي افترسنا أو لمقترنا لسرك... أي أطفئاه.

(٢) أمات فلان الأمر فلاناً: أذهبه عنه

(٣) الأثرة (بضم الهمزة). نقل الحديث وروايته

حتى أمري ، و[illegible] لتشفيك وجه عذري ، أشرفت على حينه غرقي
وسكري ، وتحللت عند حلقة سري وجهري ، وكنت أكون [illegible]
الأعذار ، كما قد كشفت [illegible] الأسرار ، وعلامة الاختيار والاضطرار

قد صححت [illegible] خصوص [illegible] ، من [illegible]
في خيال ما مضى ، و[illegible] من الكأس الذي [illegible] ، و[illegible]
في المستقبل الذي [illegible] ولا [illegible] ، لا [illegible] شيء [illegible] ، [illegible]
وأهل [illegible] ، و[illegible] ، و[illegible] ما [illegible] ، ولا [illegible] ، و[illegible] إلا [illegible]
حتى [illegible] إلى [illegible] كنت [illegible] ، [illegible] أ[illegible]
لا [illegible] [illegible] ، وإن [illegible] ، وإن [illegible]
كنت [illegible] ، [illegible] فقلت [illegible] ، [illegible] أ[illegible]
فإن الآن [illegible] ، و[illegible] في [illegible] ، كل [illegible]
[illegible] و[illegible] ، و[illegible] ، و[illegible] [illegible] ، و[illegible] بأخيه
إن كان [illegible] ، و[illegible] ، و[illegible] كل [illegible]
[illegible] أحق من الأمر [illegible] في الملامة بالحقيقة ،
و[illegible] بالبحث عن [illegible] و[illegible] من [illegible] ، [illegible]

(١) كذا [illegible] من [illegible] ، وهو [illegible] والتحقق [illegible]
الأحكام

(٢) في الأصل [illegible] ، [illegible] معنى [illegible] ، [illegible] أن يكون
صوابه [illegible] (بالفاء المعجمة) ، و[illegible] في [illegible]

(٣) [illegible] ([illegible] ، و[illegible]) [illegible]

(٤) [illegible] لا [illegible] ، [illegible] وردت [illegible]

(٥) [illegible]

فى العيون ، وشهن توارى بالحجب الا ... و ... من ... أراد بعين الرضى فى المقصد . فيا ويلى من أومن ... فى كنفى ... ! ... بى ؟ ... أريج ... نحوى ؟ وأين ... شخص نعيى وشجون ؟ أنتقى[2] لى ثم حظى . وغضى على ثم حظى من ... أنه حين أنتقى أمسى ، لكنت ... محسوداً ، أو حين ... فى ... ، لكنت بالذى مقصود ، ولكن . وهب لى ما وهب من ... من بيه ثم أخذ منى ذلك بعد إتى به ووقى ... ، قدرة لا ... ، وحكمة لا ... ها ونشبه ... ، ومشيئة لا ... ، وحرة ... فى ولاه ... ولولا شدة ... ، وحرج ... الوثب ... اليقين ... الإيمان ، و ... واسعه فى ... فل ... ، لأن ... بالمعمة ... الاستحقاق ، ... الاسترقاق ... وفى فى التحكم ، ... استعبال ... فولى من حولى ... ، بل ويلى من عصى ... ، ويلى من كفى ولعصى ... ، ويلى من خطئى[3] وتقصى من ويلى من ... ويلى ... ، ويلى من صبى وسؤلى ... ، ويلى من قولى وسؤلى من سؤلى ... باحتراق ... بالبوائق ، ... والشرائع ... بين الروائق والبوائق[4]

يا هذا ! إن ... هذه اللمة من هذا الديوان ... فقد ... ما ... تريد لأنك لا ... لا إلى ... ، ولا ... إلا عن ... ، ولا تقترن

(١) أريج ...

(٢) ص . انتقى

(٣) ... الجسم ولعل صوابها ... ؛

(٤) الروائق ما روق ويعجب ؛ والبوائق . جمع بائقة داهية

(٥) كذا ! والمألوف وفى المعاجم . ... هكذا

إلا بنصيح، ولا تسير إلا إلى مرشد. وعند ذلك تحوّل وحشتك أنساً، وتزول دهشتك رشداً، وتبرأ من كل ليت ولو، وكيف وأين وعسى

يا هذا! أحص كل نعمة عندك، وصف بادية قبلك، ثم اعترف بأنه أولى بالجود [illegible] [illegible] وآخره بالدوام [illegible] [illegible] عن الإحساس بنعمته لم تصح له الشكر في الخصوص بخدمته، ومن لم يصلح لخدمة مولاه لم يوفق لأسرار [illegible]. ولم [illegible] في عوارض الأمور في حياة ما [illegible] عنه[1] وحركت إليه

إنه وهب لك حياة بها تحس وتلذ، وبها تعيش وتسعد، وبها تتحرك وتسكن. ثم وهب لك قلباً [illegible] [illegible] [illegible]. و[illegible] [illegible] به، وكون الإيمان بربوبيته، و[illegible] الأنس بمحبته، ووسع الخواطر في معرفته ١٠
ثم وهب لك عقلاً به وصلت [illegible]، وبه [illegible] في [illegible]، وبه عرض عليك مدائح [illegible] و[illegible] [illegible]، وبه استحققت خدمته، وبه حاشك[2] إلى [illegible] في [illegible]، وبه [illegible] من [illegible]، وبه [illegible] في معرفته، وبه [illegible]، وبه وعدك [illegible]، وبه [illegible] و[illegible] | ١٠٥ ب]
[illegible] و[illegible]، وبه كلمت وشربت ولبست وتصرفت، وما لا تحصيه فكراً، ١٥
ولا يلم به ذكر. ثم وهب لك لساناً تذكره وتذكر نعماءه، وتصفه وتصف آلاءه. وبه تنشر محاسن [illegible]، وتستخرج دقائق حكمه، وتستنبط [illegible] نعمته، وتستدعي عواطف رحمته، وتتعرض للطائف رأفته. فانظر كيف

(١) ص: إيه. ويمكن أن تقرأ: إنه. لكن آثرنا أن نرى فيها تحريفاً [illegible] صحته ما أثبتناه

(٢) حاش الصيد: جاءه من حواليه ليصرفه إلى الحبالة، كأحاشه وأحوشه، والإبل: ساقها

ركّك وقسّمك ، وكيف حمك وعلمك ، حتى يحس بروحك وسمر ، وتتبدى
معملك وتعلم ، ويعمض قدلك ويلم ... في معرفة هذه الأوائل والثواني
وهل قادر على هذه الأسرار والمعاني ، وهل أخذ يرقى في هذه المعالى
ويشهد هذه العيون اللوائح ... أنت مغرور بالآمال والأماني ، مخدوع
بالأسافل والثواني . فهلّا إذا عرفت ... عرفت ... محالك ... حتى
إلى ما يحسب الرحمة إليك ولا ... المحفظة منك

يا هذا ! تو كل وخف ، وارج ... وارض ... واصبر ، واشكر واصنع ،
وأخلص ... ، وأحبب ... ، واعرف ... فإنك إذا توكلت
خائفاً آمنك كافياً ، وإذا رجوت مسلماً قبلك ... ، وإذا صبرت صبراً
قربك متقبلا ، وإذا شكرت طاعة ... مكرماً . وإذا أخلصت متيقناً ،
اتخذك مناجياً ، وإذا أحببت ... ، وإذا عرفت مستريحاً
استخلفك واحداً . وإذا بلغت هذه الدرجة العليا ، فقد اعتصمت بالعروة
الوثقى ، ولا يبقى بعدها لك ما يكون ... منك . وتحكم ... ، من يصل
ذلك بنظائره ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . فهلم
— عافاك الله — إلى حضرة العز ، وبساط الكرامة ، ومجلس الأنس ،
وسدّة النعمة ، وفضاء الروح ، ومنزل الأمن ، وساحة الإلهية ، وبحبوحة
الربوبية ، حيث الكون عما فيه عَدَمٌ ، وكل ما عليه خلق

يا هذا ! ارحم نفسك لنفسك ، واطلب حظك لحظك ، وحصّل غدك
من يومك ، وتفرد بخواصه ... ، ودع ... من حيث ... عنانا ، ووثاقه
تحل إيمانه ... من وتوسطت في ... الهوى وجهالة الشهوة وشرك

(١) كذا !!

الشيطان بسبب [illegible] لا [illegible]، وربْرِج لا صمة فيه، وعرص [١٠٦] عيث لا [illegible] معه، وظن لا مُفرّج عنه. وهناك [illegible] وفودات[2] يحكيان الغراب، فما عذرى الآن وقد تباعدت الخصال؟ لا عذر إلا سوء العاقبة، وله المطر و[illegible] لسة، وإلا فأنا دانى بعيد الصوت، [illegible][3] الحزم، لطيف الشح، حسن الدراية، شديد الشيمة [illegible] سكتك في سكك عمه[4]، وفي حمولتك من [illegible] في هذا متى يستقل والعرض نحو السحاب، و[illegible] واحسن تجمعه في المواقف، [illegible] تدرى ما قال لواسط الفصيح، وهو أماله [illegible] ذلك [illegible] ولا تمشى، والذين لا يسم، فكن كيف شئت وكما بدى لنا

اللهم إن [illegible] نعمة [illegible] بك، وتوفيقاً به نثق بك، ولطفاً إذا [illegible] به [illegible] فيه أنسا من حيث [illegible] به كثرته عيوبا، و[illegible] سكته عنه [illegible] تُحْسن عطفك إليه حتى أنه لا يبقى ما لا [illegible] ولا [illegible] من حيلك إلا ما يتوقع من جهة [illegible] والعمه، وإن [illegible] به جهلا وعنتة[5]. فإن المولى لا يؤاخذ أحداً بجنايته[6]

(١) [illegible] (بكسر [illegible]) الربة من [illegible] ونحوها، والذهب، والسحاب [illegible] فيه حمرة.

(٢) الفودان: معظم شعر الرأس مما يلي الأذن، وناحية الرأس، والناحية.

(٣) [illegible] السهل المنطق، اللين.

(٤) العمه (محركة): التردد في الضلال، والتحير في منازعة أو طريق، أو أن لا يعرف الحجة. والفعل: عمه (كمنع وفرح) عَمْهاً وعُموهاً وعموهة وعَمَهاناً، وتعامه؛ فهو عَمِهٌ وعامه، والجمع: عمهون وعُمَّه (كرُكَّع).

(٥) كذا! ويمكن أن يكون: عنطة، أي تعسفاً واعتسافاً، أو عنتة

(٦) كذا! ولم نهتد لوجهه إلا تأويلا

اللهم إنا لا نخف حقدك، ولا نخشى حولك، ولكن نخاف عدلك ونرجو فضلك. ونحن وإن كنا أهلا لعدلك الذى [illegible]، فإنك أهل لفضلك الذى يتم به إحسانك إلينا. أيها السامع أما ترى تنزّى فى كلامى، وزحفى فى مقامى، وقصورى لنبوّى عن مرامى؟ هكذا أجدنى فيما أقول، وعلى ذا أرانى فيما أصول. فحدثنى عنك وعن حالك، واصدقنى عن نيّتك ومالك، لعلى أجد بك ما لا أجد بى، وأخشى منك ما ليس يحصل منى فقد طال لهفى واردا، وتضاعف لهبى صاعدا، وتطاير شررى شواهد، وامتلأ نفسى بالحسرة [illegible]، وتردد قولى معولا، و[illegible] مسؤولا. كأنى ومال علىّ، أو كأنى ثقة فى، أو كأنى بلاء [illegible] ليس يخلص لى رأى فى وجدانى ما أطلب مصعدا، ولا يصعو إلى المراد فيما أصيبه منكفئا [illegible] كسعى المصائب فى وقت الذهاب وعدة المصعوب، واستولت على الوحوش فى نفى ما لا سبيل إلى نفيه، فبدل الفائد والمكسوب، فإنا [illegible] المتجحجح [1]، والدرت المتشعشع [2]، والماثل المتلفّت [3]، [illegible] المتعدد بن طورت بالزمن [illegible] وشقق [illegible] فاختيفه يجد على سكنيه ما لا يصدق. وإن نعمت فيه لى حسنت على [illegible] فاستحسنت العتاب، وإن شئت بأوسعة [illegible] أن ينقطع بك الأسباب، وتشمت بك الأعداء، ويرحمك الأحباب.

(١) تجحجح: ضرب بنفسه الأرض، من وجع.

(٢) يقال: تشعشع الشهر: أى بقى منه قليل — يقصد هنا أنه هو الفارك مع أنه لم يبق منه إلا قليل.

(٣) تلفت: تلفت يمينا وشمالا وتحيّر [illegible].

أما تعلم أن المستغاث إليه في شغل منك، والممكن في حيثه حق يعنيه،
وأول يعنيه، وآخر يثنيه، ووسط يشبيه ويصبيه

أما تعلم أن كل شيء مما يمكنه لعين موصول بالسكينة به، ولكن
ليست السكينة موصولة بالدنيا؟

أما تعلم أن المراد منك لا يبين لك منه، ولم يبلغ لك بي خلاف ما نطقه ٥
منه؟ فمروحتك إليك مردود عليك، ومعروضك منك مردود إليك؟
أما تعلم أنك مصدود بانصراف عن الناس، ومحجوب عن الوصل بالعتب،
ومخذول بلا نعمة وعون، لا تقدر منه قبضًا ولا تبني منه شيئًا؟

أما تعلم أنك أعييت حتى تكل وأنت ما تخلوات لي قد صححت
بي لأنه بهذا الكلام هو ليس دونه ولا فوقه إلا كلام في كل ذوق ١٠
أو وجد، أو شهود أو وجود أو تكشف، أو تخطف أو إدراك، أو أو جس،
أو حاصل أو راحة، أين سلامة استقامته، ودلالة ذلك فيه؟ وأين
ما يسر به فؤادك صلاحا(1)، وتنشر به روحك كمدًا، وأين ما يوجد منك
لا يوجد بك؟ وأين أين ما يوجدك مما يوجد فيك؟ وأين منطق الأولى،
والسر الربي، والمعطر الذي إذا شممت شمه من العين خرق الكون بجميع ١٥
ما في الكون؟ وأين العبرة التي تفقد الأعيان، وأين مرق الدهر
والأرض؟ وأين الحكمة التي تستقر العقول الحصيفة بها تستولى
على فضائل الخاصة والعامة؟ وأين العهد الذي به تملك الوجوه والنواحي،
وبه تضرب الدواني والقواصي وتنشر سكنة فتصف، وتشير إلى كل فتجف(2)،
ثم يدهشك فتتعجب، ويدنيك فتتعرف؟ بل كيف لا تمد هذا المدى ولا تعرض ٢٠

(1) في ح: مصحفة

(2) من وجف (من باب ضرب) وجفًا ووجيفًا ووجوفًا: اضطرب

يجعلك للأذى ، والإثم [illegible] فيا أنت مرفوق بك فيه ، [illegible] حوم [illegible]

فإنه إن اشتعلت عليك ناره لم تطفأ [illegible] حتى علت [illegible] سكر

بقوتك وحولك . والله المستعان ، وعليه التكلان

رسالة (٥) [١٩٠٧]

يا هذا ! أما ترى كيف [illegible] كل شيء [illegible] ، [illegible]
[illegible] ، ووددت [illegible] ، [illegible] لك في الأول
والثاني [illegible] ، فأبيت إلا [illegible] من [illegible] وأنت
تراه ، [illegible] حتى كانت [illegible] إلا [illegible] ،
وإن أنت إلا [illegible] منك ، والحسرة لازمة لك [illegible]
أما لك من [illegible] ؟ أما لك من أقذارها أنفة ؟ أما بك حاجة
[illegible] أما لك ذرة من [illegible] ؟ [illegible] التي يعلوها [illegible]
الليل والنهار ؟ أما [illegible] بين الإبعاد والإصدار ؟
أما تستبين الفرق بين [illegible] الإقبال و[illegible] الإدبار ؟ أما تبحث [illegible] ؟
أما تعرف إياك ؟ أما تحن إلى [illegible] ؟ أما تشتاق إليك ؟ أما تفرق
من فاحشات [illegible] ؟ أما تستحيي من الاشتغال [illegible] ؟ إلى متى هذا الأنس
بالوحشة ، وهذا الاعتراف بالنكرة ، وهذا [illegible] في الصلة ، وهذا الزهد
في الحظ ، وهذا التحليج [illegible] ، وهذا [illegible] ، وهذا الاستشهاد

(١) التكلان (بضم التاء) [illegible] الاعتماد والتفويض
(٢) تخاف
(٣) خلج على الشيء [illegible] شديداً ، وخلج في الأمر [illegible]
وركب [illegible]

بالوجود [illegible] أين الوجه [illegible] ؟ أين لا [illegible] ؟ أين الفكر فياله طائش ،

إذا جاء حق ورشق [illegible] ؟ أين لا [illegible] ؟ أين قبول الهدى

من [illegible] ؟ [illegible] بالمنهور ؟ أين لا [illegible] ؟ أين إمساك اللسان

عن [illegible] ؟ أين سلامة [illegible] في الأمور ؟ أين الشفقة من زمان الحياة المنصرم ؟

أين [illegible] ؟ أين لا [illegible] العلم ، [illegible] فصاحة النطق ؟ ٥

أين [illegible] في [illegible] ؟ أين لا [illegible] في أمر لا محالة واقع ؟

[illegible] كذلك [illegible] ؟ لم [illegible] في الا [illegible]

وأنت [illegible] في [illegible] ؟ أ [illegible] قد [illegible] عليك

وأنت لا [illegible] منه من [illegible] ؟ [illegible] وأنت [illegible] في ذلك ؟

[illegible] في [illegible] ، وأنت [illegible] على [illegible] ؟ [illegible] الدقة ١٠

في [illegible] ١٠٧ ب | وأنت [illegible] في جميع معاملاتك ؟ لم [illegible] عليك

حتى [illegible] ؟ أ [illegible] حتى [illegible] حاجتك إليه ؟

يا [illegible] « أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » [4] ؟

[illegible] هو [illegible] ، وتحمل الأذى في [illegible] سعة [illegible]

عليك [illegible] ، و [illegible] ، و [illegible] ؟ [illegible] عليك ، ١٥

و [illegible] على الدوام والسرمد والخلود والأبد .

(١) [illegible] و [illegible]

(٢) [illegible] [illegible] ؟

(٣) من [illegible] في [illegible]

(٤) سورة يوسف ، آية ٣٩

(٥) غير واضحة تماماً في الأصل

(٦) [illegible]

أما سمعت بعض الدعاة إلى الله كيف قال في مجلسه ومواعظه : لو كانت الدنيا من ذهبٍ فانٍ ، والآخرة من خزفٍ باقٍ ، لكان ينبغي أن يُرغب عن الأولى ويُزهد فيها ، ويُحرص على الأخرى ويُرغب في الأخرى ؛ فكيف والأمر على العكس ، بغير شك ولا لَبس : إن الدنيا من خزفٍ فانٍ ، والآخرة من ذهبٍ باقٍ . أما تذكر أمرًا يعوق سمعًا عن هذه الغاية التي قد حثت على الخير ونادت على العيب المحجب ، وأنى [illegible] هذا الخلق لغريب ، وأشهد أن حكم الله نافذ ، وقضاءه ماضٍ ، وإرادته سابقة ، ومشيئته مهيمنة ، وعلمه خافٍ ، وأن الخلق على تلك المدرجة يتصعدون ويتحدرون ، وإلى تلك المدرجة يزحفون ويتقلبون ، فطوبى لمن سبقت له الحسنى ، فسلك الطريقة المثلى في هذه الحياة الدنيا ، ثم انتهى إلى نهاية العلا ، وأخذ بالأزكى ، غير مزحزح عن ما تزيّن قلبه وخلفه ، [illegible] وجده [illegible] فقد عرفت — رحمك الله — [illegible] وعرفنا ، ووقفت ووقفنا ، وعلمت كما علمنا أن مدار الأمر [illegible] الملحوظ عندنا إنما هو في الثقة بالله واللجأ إلى الله ، والاستسلام لله ، والانطراح بين يدي الله ، بتبرؤ من الحول والقوة إلا بالله ، والهرب من [illegible] سطوة الله ، والتعلق بذيل أولياء الله ، لعلنا نحوز مرضاة الله في جوار الله .

اللهم إنك شاهد [illegible] وشاهد [illegible] وشاهد [illegible] وشاهد علينا [illegible] شهادتك التي قد اكتنفت منك ، وتقدست التي أبرزت | ١٠٨ أ | لك ، وبجلالك التي حققت ما ثبت بك ، و[illegible] منك ، وسمعت

(١) الالتجاء إليه ، أو الاستتار والاحتصان به ، كاللواذ (مثلثة اللام) واللواذة . الإحاطة . والملاذ الحصن

التي غمرتنا منك، وبرحمتك التي جمعتنا في بابك، وبسلطانك الذي قهرنا[1]
لمراده، وبالخير الذي توالى علينا من جهتك، وبكلمتك التي سمعناها على لسان
المبلّغ عنك، وبسرّك الذي حجبتنا عنه بحكمتك — إلّا أشرقت برضاك علينا،
وعفوت بكرمك عن صحائف ذنوبنا، وبدلت سيئاتنا حسنات، ورفعتنا إليك
درجات بعد درجات، وقرّت عيوننا بالنظر إلى وجهك ذي السّبحات[2]،
وعممتنا بالكرامات، وخصصتنا بما لا ينال إليه بالصوم والصلاة والحج
والغزاة[3]، فلا[4] بشيء من الأعمال والقربات، بل بعطفك وجودك الذي
أنلتنا في الخلوات والجلوات، وزادنا[5] عندك مقامات وتفضلات بلا غايات
ولا نهايات.

فما هذه آمال قطعتها، وهذه أسباب قصدتها، وهذه عطاياك فهبها

اللهم إنك إن دعوتني في الظاهر بلسان حكايتك، وعرفتني
بسرّ [illegible] حججك، وأسمعتني حكم آياتك، وشملتني بأنواع خيراتك، وملكت
ناصيتي بقدرتك، وظاهرتني[6] عندنا بالخيرين منك المرشدين ببيت [illegible]،
يا رب طويت عنا إرادتك بنا، وأخفيت جملتك لي وعليّ، فبقيت حيران
متكثّرًا، ومنكري منه بيّن، وهذه ربوبيتك مسلّمة لك، وسلطانك
المردود إليك، لا منازع لك، ولا متحكم عليك لك، يا ربنا لا نستطيع

(١) ص: قهرتنا
(٢) سبحات وجه الله: أنواره
(٣) أي الجهاد في سبيل الله.
(٤) كذا! ولعلها: ولا
(٥) ص: زاد
(٦) ظاهر فلانًا: ساعده وأيّده و[illegible]

خطأ أنفسنا في طرائق أمرك وتيهنا بالأسوادى ضعفت ولطفك فاكفنا ، يا إلهنا بالعصمة ، واحفظنا بدوام النعمة ، واعطف علينا ، ياسيدنا ومولانا ، بالرحمة ، حتى نحوز رضاك ، وننال الحظ الأكبر في ذراك

أيها الرفيق المؤانس ، والصاحب المجالس ، إلى متى تطالبنى بالكلام في هذا المعنى وأنا على ما تعرف من ضيق صدر ، وتقسم فكر ، وعزوب لب ، وذهول بال ، وتشعب رأى ، وحظ خسيس ، وفؤاد ستير ، ومصائب في الدين والدنيا متوالية ، وكوارث في الصباح والمساء متواترة ؟ لا جرم إن وعظت استحييت من الله من قلة | ١٠٨ ب | الصدق ، وإن هديت خجلت من شدة ضلالى ، وإن بينت خجلت من البيان بسوء استقامتى ، وإذا كان كلّى علىّ ولا لى ، كيف يكون بعضى فائدة لغيرى ؟ إلى الله نشكو ما حلّ بنا منا ومنه وقد طالت الشكوى ، واشتدت النجوى ، وقلت الدعوى ؛ فإنه أولى من شكى إليه ، وخير من توكل عليه

اللهمّ إنه لا ينجو إلا من أنجيته ، ولا يتّقى إلا من كفيته ، ولا محفوظ إلا من حفظته ، فأنجنا واكفنا واحفظنا ، وإذا أردت بقوم سوءا فنجنا عنهم ، يا أرحم الراحمين

إلهنا الرغبات لك موصولة ، والآمال عليك مقصورة ، والخلق لقدرتك خاضعة ، والوجوه لوجهك ساجدة ، والأرواح إليك مشوقة ، والنفوس إلى كرم عفوك مسوقة ، والأمانى لك موجهة ، والأيدى لجودك مبسوطة ، والهمم إلى طلب مرضاتك مصروفة ، وآلاؤك عند جميع الخلق مشهودة ومسموعة ، هب اللهم من لدنك ما لاق بكرمك ، واعف عنا ما قد عنانا[1]

(١) عنا ، يعنو : خضع

عن بابك ، واشرح صدورنا للثقة[1] بك ، ووفقنا لبغض وخوف عدلك ،
ويطيل ألسنتنا في تحميدك وتمجيدك ، يا نعم المولى ونعم النصير .

اللهم أفرغ علينا من رحمتك ذنوبا[2] ، واجعل لنا في مسالك مرضاتك
طلوعاً[3] وعروجاً ، وآتنا من لدنك هدى ورشداً وغيثاً ، واحفظنا برضوانك
بعد أن تعمدنا برحمتك وغفرانك . إنك ذو الجلال والإكرام ، في هذه الدار
ودار المقامة[4] .

أيها الإنسان الذي قد شقي في هذا الحر الواقد ، والهواء الراكد ،
بالجوع والعطش ، صفقاً ، هل ثبت جزعك وما أريد بك ؟ وهل لك رجاء من
ما سيق إليك ؟ أم أنت من الخائفين من الله ويخشاك ، ما أخوفني عليك
وأشد يأسي من فلاحك حال خوفك وعطشك في صومك ولا تدري
ما حاصلك في غدك من يومك ، وما الذي قد أنبت مقصداً[5] ووقتك لم
أظن أنك مغرور ، وتلي ما قمت به غير مأجور ، وبما طلبته ووجدته
غير مسرور . وهذا لأنك مسلوب الإخلاص في العبادة ، قليل النشاط
في الاقتداء بالسادة وعددة [١١٠٩] فتبتغط في أمور الحياة الدنيا ، وتعلم
بأحوال الدار الأخرى وليس هذا من زي أولي النهى والحجى ، ولا من عادة
ذوي الورع والتقى بل احصحت عن عقلك حتى تستبطئ في آخرتك بالعلم .

(١) ص . لثقة ويجوز أيضاً
(٢) ذنوب (بفتح الدال) . الدلو الملأى . والحظ والنصيب والجمع
أذنبة وذنائب وذناب
(٣) ص . طوعاً . وهو تحريف ظاهر
(٤) دار المقامة دار البقاء في الآخرة
(٥) مصدر رام ، يروم رغب

أعنى العلم الذى لا شوب فيه من الشكوك، ولا ينشأ عن صاحبه من الأدب،
ولا أثر فيه من الظنون، من هو بين حق وحق يقين، فمثله جهد الجاهد
راضياً وعادياً، ومن أحب وجه الله ذهاباً وإياباً فاصطف نفسك أيضاً للصبر
فى هذه المواطن. وإن كنت [illegible] دنوياً، وفى عرضك متحيزاً، ومن أحسنتها
حياءً [illegible] أبتك العدة وشمت المسمة وذرعت حلف[1] الوثيق
وإن كنت [illegible] ومن أسند [illegible] شمت بك عدو الله، ونحلت عند
الله، ومقتك الملائكة، وفسد كل حق [illegible] لا يؤتى [illegible] إلا بالصاعقة،
ولا تقيت أرض إلا بالفقرة[2]، ولا ترمت [illegible] إلا بالرابية، ولا يدرك
[illegible] إلا بالإنابة، ولا [illegible] مخرة
لا يوارى [illegible] وأخرجه لا [illegible] دونها، واستشعر الأسف وإن [illegible] عليه مثل
[illegible] واحفظ [illegible] فى صومك. وحركات قلبك
فى بيتك، وخواطر [illegible] فى صبرك. واعلم أن الله على قدر ذلك يجزيك
موهبته، ويمنح [illegible] وإنك فى ذلك ما تستعف به النفس،
[illegible] عن الذنب [illegible] وتبشر بالآخرة [illegible] ويحبب إليك
خيراتها وبركاتها. قد أخذت[3] المهد. ولست الحديد. فهل أنت واثق
عما عرج منك إلى الله الحميد المجيد؟ إن كنت واثقاً غير مغرور، وماضياً غير
حنث، ومطمئناً غير مستوفز[4] [illegible] فقد أسعدت [illegible] كل [illegible] وما أعطك
بما أوصيت إليه [illegible] وإن كان الأمر على غير هذا النهج، فـأولاك بالنوح

(١) حلمة ضرع الناقة
(٢) الفقرة الداهية الشديدة. كأنها تكسر فقار الظهر والجمع فقر
(٣) حملته قبالتك، أى استقبلته وحملته محمولاً لديك
(٤) استوفز استيفازاً فى قعدته: قعد غير مطمئن، وكأنه يتهيأ للوثوب

على نفسك ، وما أحوجك بل استنفد عمرك . وأنشد طبي أنت في [illegible]
الدنيا واسع ، والمحل الأول ثابت . وقد قيل لبعض السلف : متى يكون
العيد ؟ فقال : كل يوم [١٠٩ ب] لا تعصى الله فيه فهو عيد . اهـ

حسبي : الناس [illegible] بالعيد في الخروج من الغموم ، ومراجعة الأكل
والشرب واللعب ، وإن كنت منهم في أحسن حفظت فيما كنت متعرضة
به إلى ربك ، وإن [illegible] فوز فرحك فيما أنت مخصوص به عند ربك ،
[illegible] التي هي سلامة [illegible] ، وإلا فابك على ما فاتك بكاء المغبون
الثكول . اهـ

[illegible] أن ترى نفسك يوم العيد [illegible] ،
[illegible] بالذكر ، [illegible] بالسر ، خاشعة بالوجه ، متوشحة بالبرد ، [illegible]
بالتوبة ، مقامة على التوبة [١] ، واسعة في [illegible] [illegible]
من الخلق .

[illegible] اشتملت على هذه الصفات ، و [illegible] كل من حسنة من [illegible]
الجهات ، حشيتك الملائكة بالتحية ، ومنحت نفسك بالبركة ، وكانت
شفاعة عند الله [illegible] ذلك [illegible] الله [illegible] الهدى ، و [illegible]
في القول والعمل والنية ، وبث محبتك في صدور أهل الحياء ، و [illegible]
القصوى ، متمسكا بالعروة الوثقى .

يا قوم ! إنما هذه الحياة الدنيا متاع ، وإن الآخرة هي دار القرار .
تأمل هذا الكلام تجد ذلك كله ، فإنه جامع كل نصيحة ، و [illegible] كل موعظة ،

(١) الإثم .
(٢) ص : [illegible]

وباب كل نجاح، وطريق كل فلاح، ومفتاح كلّ صلاح. فإذا تبصرت ما فى صحفه، فتب إلى الملك الذى دعوت إليه، ولا تكن كل الجهد العوىّ والسلام.

رسالة (ل)

اللهم إنك إن طردتنا عن بابك فأجرامنا(١) التى هتكنا بها ستر حُرُماتك، وإن قبلتنا على هناتنا، فكرمك الذى لم نزل نتوقعه منك وإن تعدّدنا ولم نعتب، استشرنا بها وأوردتنا لبابك وقّحين(٢) وجوهنا، وضعفت السقف، وقلنا على من تردنا ونحن عبيدك؟ وإلى من تكلنا ونحن خلقتك؟ نوك كم شئت، ما حشرت ونحب، فقد استسلمنا وسلّمنا، وقد علمت يا إلهنا أنك لا تسمعنا بعد هذا الانقياد والاستخذاء، وطرح التكبر فى الغناء [١١٠ ا] بعد الغنى، بلا ... أنت أهله فى الجود والكرم والإحسان الذى سبقت به إلينا فى القدم. وكيف نيأس من رحمتك، أو نقنط من رحمتك، بعد ما أهلتنا لمواجهتك، وزدت لنا فى مشاهدتك، حتى وجدناك بما عرفتناك، ثم سألناك على ما وعدتنا. فكن لنا عند هذا الظن، فإنك عند ظن عبدك.

يا هذا! أين الحياء من الله الذى أنعم عليك بدءًا وعودًا؟ وأين الخوف من الله الذى إن سطا، أباد وأودى؟ أما تأخذ حذرك من إتيانه صفعت صفعتك.

(١) جمع جرم: ذنب
(٢) وقح وجهه: صيّره وقحًا. ويقال: رجل وقح الوجه ووقاحه: صلبه، قليل الحياء، والأنثى: وقاح

هبّت عصوا عصو ، و بددت شلوا شلوا [٢] . وجعلك عبرة لكل ناظر بعين ، ومثلا لكل سمع بأذن اتق الله تحفظ غره حلوه ، وعقبته محمودة ، فإنك إن لم تتقه عاد عليك عما قريب بزوال نعمه بك ، وأخذه لك ثم تنفر بمالك موته ، لأهلك قبل انه ، وأحوجت إلى أقل الخلق ، أو بقوتك موته ، لأعجزت عن صغر البق [٣] إنك غير منته عن مسلك . ولا واصف لما بك لطبيب يجود بدوائه عليك أما البحث عن سبب هذه الشدة ، نسي البحث و هذه ، فلو حسبه لك بروحك ، وأنعم نفس وجد راحتك ، واعد عن همتك كل ما عاق عن حظك ، واخطط في هدمك نقل العلم حقائق الحب بعلائق الوجد ، متمرداً من كل ما راق العين ، وشرق السمع ، واستمر المشاعر ، وحال بينك وبين المراد . فإنك متى نكبت هذه الرباع [٤] خصبة ، ووردت هذه المناهل العذبة ، وتمطرت بها نحو المعنى والهوى ، وبرق لطفت عليك منه ، ووجهت إليك منك . وأدركت مالمالك ، وقويت يدك ، وضربت أذناً سميعة [٥] ، وعيناً ناظرة ، ولساناً خطيباً ، وقلباً واعياً ، وروحاً طيباً ، وسهماً معولا ، وعاثاً مسطرا

فهذا الطريق مخلص ، والدين واضح ، والشوق متوقد ، وأنت ا

(١) هتّ الشيءَ (من باب نصر) : كسره وفتّه

(٢) الشلو : العضو من أعضاء اللحم

(٣) هو الحشرة المعروفة ، ومفردها بقّة وهى البعوضة أو دويبة مفرطحة حمراء منتنة

(٤) جمع رَبع وهو المنزل حيث كانت ، والمنزل ، والموضع يرتعون فيه فى الربيع

(٥) ص : سَمِيعة ٬

(٦) الشرار . صد المجهر

مرفوع ، والشمل مجموع ، والشمل منتظم ، والحبل منتظم ولكن بقى
أن تحسن إلى نفسك بما فيك ، وتعاف ما يعوقك ويؤذيك ، فإنك متى تبوأت
هذا المكان ، وترعت في هذا [1] المعنى ، ترنمت واجداً بقولك

|١١٠ ب| مكانك من قلبي هو القلب كله
٥ فليس لشيء فيه غيرك موضع
وددتك روحي بين جلدي وأعظمي
فكيف تراني — إن سئمت — أصنع
إذا كنت أبغي ما أحب من الهوى
فكم من سرى يجري بعيني أدمع

١٠ دمي نصاً من هذا ، وقد والله نامت في الأذى تماماً أن الزرداب [2]
في السرداب ، والحجر [3] في الخناجر ، والسواد في الأعواد ، والمكاوى
على الشكاوى ، والمناشر على المناشر [4] ، والمعلق [5] على الحالق ، والملاقم [6]
في الحلاقم [7] ، والمناصل في المفاصل ، والعوامل [8] على المقاتل ، والمشاقص [9]

(١) ص : هذا

(٢) الزرداب : هو ما انحسر من السيل

(٣) ص : الخاجر

(٤) مصدر ميمي بمعنى القشرات .

(٥) الأشياء التي يعلق منها المخنوق

(٦) مصدر ميمي من عنق الشيء ، كان نراً

(٧) جمع حلقوم .

(٨) بمعنى الحبال المفتولة .

(٩) جمع مشقص : نصل عريض

على الفرائص، والأوتاد على الأكباد، والنار في الصدر، والندوب[1] في القلوب؟
إن كنت لا تعلم، فتعلَّمْ، وإن كنت تعلم فتكلَّم، وإن كنت لا تتكلم
فاستعلم طشٍّ — والله — الحُلْمَ عند ما لاح من أسرار هذا العلم، حتى
لو قوبل [illegible] بارداً، و[illegible] مُواصل ناقصاً، ونعدى في جميع الأحوال كلَّ
حد، ساكن الصدر بتيماً، والدليل هيباً، والشاني مُحتملا، والتريح[2] مشتملا

يا هذا! لا تذكره ناسياً، ولا تنسه ذاكراً، فإنك إن ذكرته ناسياً
حجبتَ بك، وإن نسيته ذاكراً غيّبك منك. بل اذكره ذاكراً، ولن تذكره
هذا الذكر حتى تنسى[3] في ذكرك، وتفقدك في أمرك، فحينئذ يستولي
عليك مذكوراً من ذكراك، بذكره لك، على أن هذا الذكر توسُّلٌ
واستعطاف، والراحة من ورائه ووراء ما وراءه. وليس هناك ذكر، لأنه ليس
هناك نسيان، إنما هو اتصال ومواصلة، ووصال ووُصْلة، وحديث يأتي
على كل حديث، وأمر يجلّ عن كل أمر، وشأن يعزبُ عن كل [كل][4]
ذي شأن. وكيف لا يكون كذلك وفوق ذلك مما لا منتهى لذلك. والربوبية
تسري أنوارها، والبشرية تضيق أقطارها، والنفس تعدو أطوارها، والعبد
يعرف إجمارها، والحس [illegible] سوارها، فمن ذا الذي يرى تضَرُّه هذا التلاميع[5]

(١) الندوب جمع ندب (محركة): أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجرح.
(٢) التريح: المروحة، الجريح، والجمع ترحى وتراحى، والتَّرح (بالفتح ويضم): الغم، دا ربي إلى هند والذمي الحزن، ويمكن أن تقرأ: مشتملا.
(٣) أي تنسى نفسك.
(٤) كذا مكررة في الأصل.
(٥) كذا! وتلمَّع البرقُ وغيرُه: أضاء.

فلا يمشي؟ ومن ذا الذي يجد هذا الروح فلا ينشى[1]؟ ومن ذا الذي يكشفه
هذه الأعاجيب فلا يتعجب؟ ومن ذا الذي تتردد على سمعه هذه الأحاديث
فلا يرتاع؟ [111] ومن ذا الذي يسقى من هذا الشراب فلا يسكر؟
ومن ذا الذي يحدّق طَرْفه إلى هذه المحاسن فلا يسدر[2]؟ ومن ذا الذي يشهد
هذه الصورة فلا يعشق؟ ومن ذا الذي يجذبه الجذب فلا يقلق؟ ومن ذا الذي
يُؤهَّل لهذه الحال فلا يتبجّح؟ ومن ذا الذي يخرج عنه فلا يتشحّح[3]؟

واشوقاً إلى قوم يأنسهم كانوا شوقاً إلى الله، واشوقاً إلى قوم فاقتهم
أرواحهم وَجداً بالله، واشوقاً إلى قوم سمحوا بأرواحهم وحَبَوا[4] إلى الله! واشوقاً
إلى قوم امتلأت قلوبهم بمعرفة الله، واشوقاً إلى قوم طلبوا الراحة بالتعب
رحباً[5] لله، واشوقاً إلى قوم طلّقوا الدنيا وقرّت أعينهم بالله، واشوقاً إلى قوم
يئسوا من الكون وما فيه استقلالاً بالله، واشوقاً إلى قوم صفت أرواحهم بالله!
واشوقاً إلى قوم سبقت لهم الحُسنى من الله، واشوقاً إلى قوم ضاقت عليهم
الأرض بما رَحُبت نزاعاً إلى الله، واشوقاً إلى قوم راحوا إلى مصدور[6]
ليس فيه غير الله، واشوقاً إلى قوم قاموا لله، وسكنوا به، وتحركوا إلى الله،
وسكنوا مع الله.

آه! ماذا ينفعني شوقي إليهم إذا لم أكن منهم، وماذا يجدي عليّ نزاعي
نحوهم إذا لم أعرف بينهم؟ وماذا حاصلي من ذكرهم إذا كنت مجهولا

(١) نشي ريحاً طيبة (وعلم) ينشى نشوة (مثلثة النون). شمّه.
(٢) سدر الرجل (من باب فرح) سدراً وسدارة. تحيّر.
(٣) تشحّح: حاذره. والشحيح: [illegible]
(٤) حبا فلاناً كذا وبكذا: أعطاه. وحبا الشيء له: اعترض.
(٥) رحب المكان (من باب علم) رحباً ورحماً ورحابة: اتسع.
(٦) كذا! فلعل أصلها: صدور؟

عندهم ؟ وماذا يُغْنِي عني الثناء عليهم إذا كنت مغيبا عنهم ؟ وماذا يبقى
معي من تعدّى بهم إذا كنت دليلا فيهم ؟ فيا حسرة من به اشتاق بحُسْن
ظنّه عنه بسوء فعله . وإن خفّ سقط صاحبه تعاسى بسالف جنايته ،
وإن قال كان بغيه في ملاعبه ، وإن خرج [1] كان شَرَقُه في إساغته ،
فليس تصفو له حال إلا بنكد . ولا يثبت عليه إذ لا تقرّ ، ولا يصح
أمانه لا في سفر ولا حضر

وهذا إن الذي صمدت إليه ووكّلك فيه وإيماؤه نحوه ومحالك
فيه حاضر وغائب . وغائبه حاضر ، وحاصله مفقود . ومفقوده حاصل ، والاسم
فيه مسمّى ، والمسمّى فيه اسم ، والتصريح به تعريض ، والتعريض به تصريح ،
والإشارة نحوه حجاب . والحجاب نحوه إشارة . وهذه قصة لا تعرف إلا به ،
وحال لا تُعرى إلا فيه ، وشأن لا يوجد إلا به [illegible] من الأشياء
عما هو به هو . ومالت الأشياء عنه عما لا كون به . فتشعبت الأسماء والمعاني
حسب ما وجدت [١١١ ب] [illegible] ، واختلفت أيضاً حسب ما
كانت [illegible] وتوحدت الأشياء كلها بين الاختلاف والائتلاف ، وحلّ
هو عنه بما ليس بين الاختلاف والائتلاف . فلهذا وشبهه فقدت الأشياء
والأضداد في [illegible] وعنده عجب ، ووجدت ها هنا حاجة
[illegible] إلى [illegible] هي نسمة الروح . وعلامة [illegible] أن الذي
أحوجها هو الذي غنيّ [illegible] ، وأن الذي غني هو الذي [illegible] منها ، والذي [illegible]
منها هو الذي قدر [illegible] وصرفها ، وحركها وقوّتها ، وأسماها ووصفها ،
وعرّفها وعرّفها ، ووصلها وشرّفها ، وأهّلها وقرّبها ، وسوّاها وخرّقها ، وبدّدها

١) من باب قطع ، حرج المكان [illegible] من باب فرح . [illegible] .
وشرق (من باب علم) الرجل بريقه [illegible] من المأكولات المشروبة غصّ

وآلفها . ونقّلها وحنيها ، وكشّفها ولطّفها ، وتزره وكنفه [1] . وقامها وعطفها [2] . أفيكون هذا النعت ، إلا لمالك الوقت الذي جل أن يكون له فوق أو تحت ؟ أفلا ينبغي لك ، إذا عرفت هذا السيد ، أن تنسى ما يصلك به أو ما يوصلك إليه لتكون غريقاً به ، متمحضاً عنده ، ممنوناً عن سره ، محاماً إذا تكنّيت ، مقبولاً إذا تبهنست ، محفوظاً إذا صمت ، مرعيّاً نفسه كيفما حالت بك الحال ، وآلت بك المآل [illegible] ، إذا أشرفت [3] على هذه الدورة الإلهية ، وأشرفت على هذه الروضة القدسية . فلا يحول بك حال عن حال ، ولا يكون لك حال ؛ وإنما الحال عبارة عن معهود غير مشهود . وهناك إذا صرت فيه مشهود غير معهود ، إلا أنك ستغير هذه الشمائل التي هي حلل ، فتستمر بأغراض ترتفع عن حدثان ولا انتقال بين العصر والمورد ، وبين المشبه والمشبه ، وبين الآخذ والمعطي ، لكانت العلائق منقطعة ، والحقائق ترتع . وهذا يدين الحكمة المشوقة في ملك ، ويبلغ القدرة الموجودة لتميت وتحيي . وبهذا وقفه قوى رحمة [illegible] ، و [illegible] شوق العابدين ، واستولى الخبير على العريب ، و [illegible] المشتبين ، واستحدى [4] أهل [5] السموات والأرضين . وإلى هذا انتهى قول القائل ، وحده وقف علم العالمين ، وعنده صافت أرواح الواصلين [6] . والله [illegible] سبق الحق أجمعين .

(١) كنفه كنفاً أحاطه
(٢) أمالها
(٣) أشرف على الشيء : بلغه [illegible] شرف وطال وارتفع
(٤) استحدى استحد [illegible] خضع ، وقد [illegible]
(٥) أهل : مكررة في الأصل
(٦) [illegible] (من [illegible] علم) [illegible] وهلا [illegible] فرع

ثم السمع . هذا شرب قبيل الورد ، ونعم عديم السكب ، لأنه وحيد بحت ، وتجريد محض . وهو العطاء الذي [١١١٢] لا يؤهل إلا من ارتضاه الله من عباده ، وجعله شفاءً في بلاده . فمن صح لك عزم ، وحضرت عزم(١) ، ولاح لك نور ، وانحسر عنك غرور ، وشرع فيك حبور وسرور ، تجد في هذه المناهج سالكاً إلى تلك [illegible] التي قد شوقت إليها بكل ما أدركت حزنك وتحته أدنت ، وجواده سدت ، وبحثت بكل مشاعرك التي هي شعائر الله عندك ، وآثره قبلك ، وروده إليك ، وهواتفه بك ، وسوابقه عندك ، وتوابعه منك ؛ فإنك متى جعلت التروح بهذه الأحاديث الغريبة ديدنك ، فما قليل تصير ممن إذا قال نجح ، وإذا سمع ارتاح ، وإذا فكر طمح ، وإذا عزم سمح ، وإذا سبق فاز ، أو تصير ممن إذا [illegible] ، وإذا [illegible] أدرك ، وإذا رنا لحظ ، وإذا وجد حفظ ، وإذا تحرك حن ، وإذا سكن اطمأن ، وإذا انبسط مال ، وإذا سئل نال ، وبه [illegible] في [illegible] ، و[illegible] في الربوبية — ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم

فالحق مقصد القوم أن يقال الحق حق لكنه حق ، وحق لكنه حق ، والجلاء والخفاء اسمان شاعا به ، لا حكمان جريا عليه ، وحيثما [illegible] منه ، لا [illegible] خلافاً فيه [illegible] إن أردت [illegible] فاقصده ، وإن أردت الاتصال به فاقصده ، وإن أحببت أن تجده فاعرفه ، وإن أحببت أن تعرفه فجده(٢)

يا هذا ، لطف الحق يحول بينك وبين الاعتراض منه ، و[illegible] الحق يحثك في الاعتراض عليه ، الحق [illegible] ، والحق [illegible] ، والوهم [illegible] ، والوصف له [illegible] الحق أقرب من أن يشار إليه ، وأبعد من أن يجمع عليه ، لأن [illegible]

(١) عزم الرجل (من بابي علم وضرب) : اشتد .

(٢) فعل أمر من : وجد الشيء يجده : جده .

بين متداخل ، ولكنه بين لنا مواهب خلق متصلة . وأسباب الخلق منفصلة ، وليس هذا الترتيب عبارة عن محايز [1] . ولكنه إشارة إلى عين من غير كيف ولا أين ، ولا تمويه ولا مَيْن [2] ، عين هي ينبوع الغيوب ، وحقيقةُ ما كان ويكون ، على اختلاف الفتق والسكون ، بل هذا الكل باد منه ، وقائم به ، وموجودٌ له ، وصائر إليه .

اللهم إنّا رغبنا في الأول عن نفسنا على مذهب المغترين ، وسقطنا في الثاني عنّا على طريقة المستبصرين ، فتداركنا على ذلك بما يحفظنا لك ويُحظينا لديك ، ياذا الجلال والإكرام .

رسالة (يج)

[١١٢ ب] اللهم إن وسائلنا إليك وذرائعنا لديك : إخلاص معرفتك ، وحسن الثقة بك ، وفرط الاستسلام لك ، وجميل الثناء عليك ، ولطيف النجوى معك ، وشريف الصدود عليك ، وغريب الإشارة نحوك . فنسألك بصفات وُجودك وكَرَمك ومجدك — أن لا تردّ وسائلنا ، ولا تُهين ذرائعنا ، فإنها صدرت من قلوب محشوة بمحبتك ، ونبتت في صدور ممتلئة برعايتك ، وهي التي استحقتها بألوهيتك ، وتجد السبيل إليها بصدقنا لك ، وأنت أكرم من أن تدعها في وجوهنا ، ولا تقبلها بحسن رعايتك لنا .

يا هذا ، جدد نظرك في أمرك ، وجوّد فكرك في شأنك ، فقد عفت النفس ، وركَّت الكِبْرة [3] ، وصرت تتحرك بأنين ، وتسير برنين ،

(١) جمع حَيِّز : المكان

(٢) المَين : الكذب

(٣) ركّ الشيء : ضعف ، وركّت [illegible] : [illegible] . الكِبْرة (بسكون الباء) : كبر السن

ويذكر رمك لأني بحيث . فالحمد لله وفقني التحول عن هذا المحل الذي
صرت فيه كمدت ، واتصل شوقك ، تعبرن بك حال بعد حال ؛ والرتع [illegible]
في هذا النحو ، لأن معك توحيداً تضيق منه الأرض والسماء ، ومعرفة
تطابقه في ضروب الشدة والرخاء ، وكلا يتحدث بالكفاية ، وإشارة تهدي
بيك الغاية . وإيمانا هو [illegible] كل شيء ، و[illegible] يزيد على [illegible] ، وصبابة
هي [illegible] كفر ، وخوفاً هو حزن ، ورجاءً هو [illegible] ولا تخرجن [illegible]
كانت منك في [illegible] ، [illegible] لا تطيق [illegible] . ولا رفع الأصوات ،
ولا تمس في [illegible] ، ولا [illegible] الأنس وفي موضع سطوات شيء [illegible]
في بحر [illegible] موج من فوق موج من [illegible] [illegible] من [illegible] ،
وقلبك [illegible] من [illegible] ، [illegible] ، و[illegible] في [illegible]
[illegible] والله المحمود المعبود . [illegible] المحفوظ [illegible] إلى حضرة ربك
[illegible] وسكونا وصمتا . وسق هناك أولياء مقدسين
مقربين . يتقلبون في النعيم [illegible] ، [illegible] ، وتذكر نعمة الله
[illegible] . ونسمع من قولهم : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ، وتصف
ما كنت فيه [illegible] من [illegible] الأذى . وشكر الله على [illegible] والسلام
عليه [illegible] من [illegible] الأحمر والورق
الأبيض [illegible] الرقيق [illegible] وبين هذا [illegible] [illegible]
[illegible] ، ثم القصة . | ١١١٣ | [illegible] من [illegible] حيث [illegible] من
[illegible] طيب [illegible] . [illegible] الأمة .

(١) ص هو
(٢) [illegible] أمس

مُتّلقى بالسلم والسكينة . فى حبوة (١) موصولة بحياة ، ونعمة موقوفة على نعمة ، وكرامة مشفوعة بكرامة ، وسلامة مشفوعة بسلامة

يا هذا ! قابل تشوقى لك بالشوق منك ، وواصل تذكارى لك بالتذكر ، واقبل نصيحتى بالشكر ، فإن راحة القلوب وعزة الأرواح وطمأنينة النفوس فى قبول النصح ورفض نفسه وصل قبولك من ما تسمعه بريادة فى الركوع والسجود ، وبالثبات على معرفة المعبود المقصود . وبالـ ... فى كشف ... من الصيد ، — و ثما مه بحسن النظر فيا ... وسر ، أو بمع وصر ، وأحلا وأمر إن مصع الخضوع الحزن على ... وقرار ه قابل فى ... الدا العلوية . والسوم على الدا ... ومحووة الكلاب ... مع المصر إلى حيث لا مرض ولا مرض . ولا آفة ولا عاهة ... الاشتجر وقت ... ورغو الروح هنّ إذا كان ذلك طريقاً (٢) إلى ... الذى هو مالك الأولين والآخرين ، ومدبر الخلائق أجمعين اهـ .

يا هذا ! تقلب ... فى هذه ... التى قد ازدهرت بالعلم الحق . والحكمة البالغة ، والنصح الخالص ، والإرشاد الحسن ، والموعظة الحسنة ، والدعوة الجامعة . وخذ نصيبك من ... فى ... ، وصب ... فى ... ، وخوضه فى المذاق . فإن ذلك عليك ... بالجدوى ، ومخفف عنك ما تجده من ثقل البلوى ، ومقرب لك إلى ... باب المولى

لعلك تشكو قلبك وتجد النواة عنيث ، وتراه محسنا لك ... فلا تحـ ... ولكن داره ، فإن فسدت أنت ، وأنت قبلك ، وقد رأيت ... نصح من قبله وتشكو ... من ... . حتى قال فى وصفه متضجراً منه

(١) الحبوة (مثلثة) العطية

(٢) ص . طريق .

فمن لي بما ضرني داعٍ يُكثّر أحزاني وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوي إذ كان عدوي بين أضلاعي !!

وقال آخر قد زاد على الأول

هذا فؤادي وطرفي قد سعى لي حتفي
[١١٣ب] فكيف أحذر يا قوم من فؤادي وطرفي !

صدَق الرجلان (1) فالأول وجد عدوه في نفسه فاستصعب الخلاص منه، ولعمري هو صعب ! والثاني جمع بين فؤاده وعينيه، واستغاث منهما، وذكر أنهما قد أصعداه إلى حتفه، وهذا كله للفسولة (2) والخور، والركاكة والكسل، وإلا لو صدقت النية وحسُنت المِرّة (3) وجمعت العزيمة، لكان قهر القلب إذا عتا سهلاً، وغض العين إذا طمحت قريباً. ولكن النيات مدخولة (4)، والعزائم ضعيفة، والهوى غالب، والنفس مسوّلة، والطباع خوّارة وفي الجملة توفيق الله غير مستنزع، وتأييده غير مشتمل، فكيف يكون حال من هو موكولٌ إلى حوله الضعيف، ورأيه السخيف !

هذا والعادة على نهج جارية، والعرفاء (5) على عهدهم مروون فلا ترى عين المحيّر مخلصاً، ولا للمتصبح مشهداً، ولا نادمون على الزمان والدنيا مجهزة، حتى كأن الشريعة ما وردت بمراشدهم، والسياسة ما قامت بمصالحهم.

(1) ص: صدق الرجلان في الأول فوجد وهو تحريف ظاهر

(2) فُسِل (على المجهول) فسالة وفسولة كان فسلاً. والفسل الضعيف الرذل الذي لا مروءة له ولا جلد؛ وكل مسترذل ردئ.

(3) المِرّة (بكسر الميم) قوة الخلق وشدته

(4) المدخول: من طرأ على عقله دخل (وهو ما يدخل الإنسان من فساد في العقل أو في الجسم، أو المكر والخديعة)، المهزول، المعيب.

(5) أو القرباء.

حتى كأنهم إنما فضّلوا على أبنائهم بالعقل ، لا للعاقبة التي لا بد من الصيرورة
إليها ، لتعجيل اللذات في هذه الدار الزائلة الدنية التي ما حمدَها أحد .
لا مَنْ طَلَبَ فلم يجدها ، ولا من وجدها . ولا من زهد فيها بغير خبرته لها ،
ولا من بلغ غاية مراده منها فقد رأينا هذه الضروب ، فكلهم ذمّوها وكرهوها ،
واقشعرّوا من دونها . وأتوا من شرّها ، وراحوا إلى الله بوجوه باسرة [1] ،
وظهور ثقيلة ، وأكُفّ خالية ، وآمال خائبة ، وظنون كاذبة ، وشقاوة عامة .

وليس يحمي من هذه الحال بعد المعرفة بأمرها وخبرة شأنها ، ولكن
يحمي من آفات المتهافتين فيها ، وتهتك المتهالكين عليها ، وتسرع المتسرعين
إليها وانخداعهم بزخرفها وأصرها منها . وظنهم أن من فاز بالدنيا فهو الغانم ،
ومن فاتته فهو الشقي ، وليس ينقضي هذا العجب ولا ينتهي إلى آخر
والله المستعان

يا عاشق الدنيا بغير [illegible] لا تعجبن فليس حين
وكل ما أحببت [illegible]

يا جامع المال ! قاربْ وانظرْ هل جمع [illegible] جمعك وبلغ إرادتك ،
فماذا كان أجداه ؟ [٤١١] يا مشتهراً باللهو والأنس قد أفنيت تشبيبك [3]
في ذلك ، فما حصلت [2] ! يا ساعياً في الشر والفساد ، احصل لنفسك عاية
تقف عندها [illegible] [4] إلى خلقه بقوله : رزق قليل ، وحظ
نزر ، وحال قاصرة ، وحاجة متصلة لا تنحل . واستيقن أنه ناظرٌ لك
في حالتي عسرك ويسرك . وأنه أعلم بتدبيرك وأحفظُ لمصلحتك . لا تتهمه

(١) بَسَر (من باب نصر) بسراً : كلح ، فهو باسر
(٢) كذا !
(٣) التشبيب : ذكر أيام الشباب واللهو والغزل
(٤) كذا ! ولعل الأصح [illegible]

في قضائك ، ولا تنقبض من تدبيره فترى عنك ما تريده بجلا عنك ،
ولكن الأمر جليله دقيق عندك ، ودقيقه جليل [١] في نفسك ولن تعرف
حقيقة ما تسمعه مني إلا بأن تتحقق أنك عبد ، فإذا تحققت أنك عبد ،
تحققت أنه مولى ، وإذا تحققت أنه مولى ، تحققت أنه ليس بين المولى والعبد
حقد ولا ترة [٢] ولا طائلة ، فإن دبّر شيئاً يلائم طبعك ويوافق هواك
فذاك ، وإن دبّر لك بغيره فذاك ، أنت عبده ومستخدمه ومدبّره . ولمولاك فيك
مُراد ، وذلك المراد غيب . وليس لك أن تنفذ من الغيب ، وتستشف
ما وراء الحجاب ، وتدنو إلى محلٍّ لم تؤهَّل له ، ولم يؤذن لك في الوصول
إليه ، فهل تبقى بعد هذا كله مع هذا الجد والطماح [٣] ، والغيظ والكمد ،
والتطويل والتهويل ، إلا ما تُسلَّم به عاجلاً وآجلاً ، عاجلاً من بلاء يَهُتُّك [٤] به ،
ويجعلك مشاراً إليه بين خلقه ، وآجلاً بغضبه وإيعاده [٥] وسخطه وعذابه ؟
إنك < إن > لم تسدد الفكر في هذا وشبهه ، شمت بك من هو دونك

يا هذا ، اعتبر إلى ذكر قوم قطعوا أيام حياتهم بالصبر مُرّة ، وتجرعوا
مرارتها بشدة الشكائم وقوة الصرائم . وطووا ما انتشر منها ناشئة المودة
والطمأنينة التامة وطلب الرفعة عند من بيده السلطان والعصمة والقدرة والعزة ،
ورأوا أن ما بذلوه من أنفسهم دون ما أحرزوه [٦] لأنفسهم ، وما جروه إلى أنفسهم،

(١) ص : جليله .
(٢) الترة : الثأر
(٣) الطماح (بالكسر) : الكبر والفخر
(٤) هتّ (من باب نصر) العِرض : مزّقه
(٥) أوعده إيعاداً : تهدّده
(٦) ص : أحرزه .

فوق ما أطلقوه من أعنّتهم ، وقوم بعد أيام قصيرة أدركوا ما أمّلوه ،
وبعد ذي قَفَص تولوا ما تولوا فهلّا حتى تلبس شعارهم ، وتلزم هَدْيهم ،
وتنحو نحوهم ، وتقفو أثرهم ، وتأخذ مأخذهم ، وترضى بما رضوا ، وتحيا
كما حيوا ، وتهوى ما هووا ، وتمضي إلى غرضه ، فإنه منصوب ، وتدين بدينهم
فإنه محبوب ، وإذا كان الطريق نَهْجاً ، والسكون فَرَجاً ، والعمل
حثيثاً ، [١١٤ ب] والزمان قصيراً ، واللوم قليلاً ، والغنم كثيراً ، والمعونة
حاضرة ، والنية طاهرة ، والزاد موجوداً ، والأمن حاصلا ، والمسلك آمن ،
والماء مُضْحية ، والليل مُقْمِراً ، والنجوم زاهرة ، والسرى(١) متصلة ،
والصباح محموداً ، والآل قريباً ، فما الذي يقعد بالمسافر عن قطع المرحلة
وطي المسافة إلا سوء الاختيار وقلة النظر لنفسه في الإيراد والإصدار ؟
والله ما هو إلا رمادة من هذه الدنيا الدنية البسيطة الفاسية المكدرة الدنية
الفاجئة(٢) المكدرة ثم لمذهب في القرار الكريم ، وحياته المحفوفة بالنعيم ،
وصحبة الملائكة المقربين ، فلِمَ هذا كله ، وعلام هذا كله ؟

من غصّ داوى بشرب الماء غصته
فكيف يصنع من قد غصّ بالماء ؟

(١) السرى : سير عامة الليل ، مؤنث ويذكر ، يقال : سرينا وأسرينا سُراه ، ومنه قولهم في المثل المعروف : عند الصباح يحمد القوم السرى ، مثل يضرب لمن يحتمل المشقة رجاء راحة ، ويضرب أيضاً في الحث على مزاولة الأمر والصبر وتوطين النفس .

(٢) فجأه وفجئه (من باب نفع وقطع) والثاني أفصح ، فجأ وفجأة وفجاءة : هجم عليه وطرقه بغتة من غير أن يشعر به ، فهو فاجئ .

بهم، ما نرى الطريق ... لا قريباً إذا نظرنا إلى تفضّلك علينا وإمدادك
لنا ورأفتك بنا، ونراه عسيراً بعيداً إذا فكّرنا في إصرارنا على مخالفتك
وقلة اجتهادنا في طاعتك، ودوام عكوفنا على معصيتك، وسوء نظرنا فيما بيننا
وبينك، فنحن من الطريق على ترجيح وريب، لا استقرار لنا ولا ثبات
ولا زاد إلا ثقتنا بإحسانك في الثاني كما وثقت به في الأول. فإنك إذا فعلت
ذلك، وجدتنا من ضعفنا، وأدركنا ما فاتنا، وعمنا وسعنا، ووجدنا سيرنا
كما كنا نجده عسيراً وما يلزم مثل ذلك، فقد عرفت فقرنا وحاجتنا،
وعجزنا وفاقتنا ... احتيارنا لا يعلق بالصواب إلا إذا أرشدته، ونظرنا
لأنفسنا لا يصير ناجحاً إلا إذا سددته، فكل ذلك لا يتم إلا بك، ولا ينتظم
إلا بمعرفتك

يا هذا قد عرفت بلسان ... ضروب من ... من ضروب من الإشارة،
حدّاً تضمنت (١) إلى المحل الأدنى، فما أدريك إلى الخط الأسنى، ووفقنا لك
في كل ما تفرق منه وتخشى، ... في ... وسعدك
فكن مُعيناً على نفسك كما كنت معيناً في احتذاء أُنسك، وفي أي حال
كنت، فلا تثب (٢) على محارم الله منتهكاً، ولا تقس عن عبد الله محتكاً،
ولا تنس حظك من الله معترماً (٣)، ولا تنس ذكر الله متباعداً |١١٥ب| ولا تبحث
عن مكتوب غيبه متقحماً، ولا تترك محبته محتذياً، ولا تترك مشورته في كل
حال مستصعباً، ولا تنس عبرته مستحيراً، فإنك إن لم ... حقيقتك، وصحبتك

(١) مهملة النقط في الأصل، فاخترنا أن تقرأ هكذا، والصقع (مثلثة الضاد): الكنف والناحية، ويقال: هو في صقع فلان أي كنفه وناحيته
(٢) مضبوطة هكذا في الأصل.
(٣) اعترم وتعرّم علينا: أشر ومرح وبطر

وصلحت . وفاتت وعثمت . وعقدت وعددتك . بل الإنسان على نفسه بصيرة ، وصادق من يدعوك من الدنيا إلى الآخرة ، ومن الخلق إلى الله ، ومن الشهوة إلى العفة ، ومن الكسل إلى النشاط ، ومن الغفلة إلى اليقظة ، ومن الإهمال إلى الحزم ، ومن السكر إلى الصحو ، ومن الخُرق (١) إلى الرِّفق ، ومن الهوى إلى العقل ، فإن أكثر الناس نجوا بقرنائهم (٢) ، كما أن أكثرهم هلكوا بقرنائهم ، فالتدبير الواقع منهم ، والنصائح المرفوعة عنهم ، والتكالف (٣) الذي يصطلحون عليه في كل حال . لا جرم يتورطون في عواقبهم ويسمون الأخذة إلى الجواهر . فيكون ذلك كله غرورًا منهم ، وجهلا بهم ، ونعوذ بالله من الشر إذا أطلّ ، والحين إذا قرب ، والضرر إذا استمر ، ومن البلاء إذا استقر .

فالله الله في سلك الصحبة ، لا توردها إلا بعد الثقة بصدورها ، ولا تُصدرها إلا بعد الأمن من ورودها .

يا هذا ! هذا كله هَيْنَمة (٤) لقوم قد فقد سوادهم في عصرنا من بين من ترى ، كانوا يديرونها بينهم كصحيفة منشورة ، ينظرون فيها ، ويتعرفون ما في حواشيها ، فإذا رأوا حسنةً مَرّوا بها غير نَظِرين ، وإذا رأوا سيئة نفروا عنها مستغفرين ، ولم يعودوا إليها مجتهدين ، فاليوم قد نُسيت هذه الهينمة وأصبح من لا عائدة له بسُنة من شُبه عرض وذِكْرة (٥) شعر وحسد

(١) الخرق (بالضم) : ضد الرفق
(٢) كذا في الموضعين ، ولعل أحدهما : بقربائهم
(٣) تكالف بعضهما أمور بعض ، وقد تقرأ : التكاذب
(٤) الهينمة : الصوت الخفي
(٥) الذِّكرة (بكسر الذال) : ضد النسيان

صاحب وقوع بارحف ، وإظهر بسخط وتطاول بكبر ، وتبسط في ذكر ، ويقبض عن عزف . لاجرم إذا رأيت داذن وعقل ، رأيته صاحب الوجه ، خفيض الصوت ، ضئيل الجسم ، كليل الحد ، قليل النشاط ، شديد التبرم بالحياة ، كثير الحنين إلى الوطن ، يتكلف إذا تكلم ، ويتحمل إذا نهض ، ويتباعد إذا دنا ، ويفتر إذا قضى . قد يئس من الحياة وطيبها ، ورفع الطمع عن عود الشريعة إلى مائها الحلو المذاق ، وإلى ريقها الأول ، وإلى عهدها الأول . فهذا وما أشبهه قد ... وكربه وحال بينه وبينه . [١١٥ ب] فهو كالغريب بين الناس يعلم ما هم فيه ، ولا يعلمون ما هو فيه ، مشغول بنفسه ، معتذر إلى الله تعالى من تجرده عن إقامة مورده ، ويظهر شعوره على غيبة احتيازه ، ونهاية اقتداره بالتبيين شأن ، وله شأن والسلام !

رسالة (... لط)

إلهنا إلهنا ! كيف نسهو عنك وأنت تحفظنا ، وتواصلنا بالنعم بعد النعم ، وتغمرنا بعوائد فنون المواهب والنعم ، وتبدى على أسرار قلوبنا الصنوف اللمات ، وتنشر عليها عجائب الملكوت عن الصفحات ، وتلاحظنا في كل حال من الحالات ، بما هو أعود علينا من الحياة الموصوفة بالحياة ... بجلالك وجودك ، وغامض غيبك ، وحجبات ملكوتك أن نوفق لشكرك ، وتربيتك لقلوب مريديك ، حتى إذا حسب مداك من فضلك ، نعمت في توجيه مرتبتك وغيبتها به عن جميع خلقك .

إلهنا ! أنت الكهف عند الشدائد ، والمنتهى عند الأوابد ، دون حدوثك السهل والجبل ، وصف من أجلك اللوم والعتب ، وبكا بتوفيقك العلم والعمل ،

(١) أي : معروف .

واحد لأمرك الإنس والجن ، واستوى فى إدراك كُنْهِك الجِنُّ والمَلَك .
قد تعرضنا لجودك ، وتمسكنا بحق عنايتك . ووردنا شريعة فضلك ، ورفعنا قلوبنا بالإخلاص إليك ، وتوكلنا فى سرائنا وضرائنا عليك . فبصدقك نلتمس ، وبنورك نقتبس ، وفى بحر أياديك نغطس . أنت الذى أتممت النعمة علينا ، بأن تكفلت مؤونة حملك الذى هو عن بابك ، المُصِرِّين على محبتك . المعاندين الجاحدين نعمتك ، الجاهلين حق عزتك ، المغرورين بحواشى [illegible] ، فقد عادونا من أجلك ، وحسدونا ما خصصتنا به من حبك وقربك ، وحاولوا بُعْدنا عنك ، وسعوا فى إبعادنا وطردنا . لأنك دعوتهم إليك وأبعدتهم عن لديك ، وفطمتهم عن ارتضاع الدنيا المشئومة . وحملت [illegible] للأوزار الثقيلة . وفى [illegible] ، [illegible] وصدورهم [illegible] .
فكما فرقت بيننا وبينهم بما وهبت لنا وحرمتهم ، فرّق أيضاً بيننا وبينهم حتى لا نحس بهم إذا سبعونا[1] . ولا نعمل بقولهم إذا سمعوه ، ولا نكترث لنكايتهم إذا قصدونا وقصدوا لنا .

[١١١٦] أيها السامع ! هذه مناجاتى ربى مع خوف لها عندى
فإن حركك العشق الربانى ، وهز سرك الشوق الإلهى . وهبت فى فضاء صدرك النسيم القدسى ، فضمّ إلىّ واحمل ثقلك علىّ حتى تصير غنياً بلا مال ، وعزيزاً بلا عشير ، ومستقلاً بلا معين ، وحياً بلا آفة ، وواحداً بلا عدم ، وكافياً بلا فناء ، وفرداً بلا رقيب ، وقائماً بلا نقص ، ومسروراً بلا هم ، ومشروحاً بلا كرب ، وطالعاً بلا غروب ، وصاعداً بلا نزول ، ومعصوماً بلا اقتناء ،

(١) سبعَ فلاناً (من باب قطع) . شتمه ووقع فيه ، وقيل . عضّه بأسنانه

وملوماً بلا انتشار، ومُرجّحاً بلا نظر، ومُذ[illegible]اً بلا خُشار(١)، ومقبولاً بلا رد،
وموصولاً بلا صدّ، ومُنْعَماً عليه بلا تنغيص، ومحبوّاً بلا تنقيص.

ثم إذا بيّنت هذا [illegible] مني [illegible] فذلك التوفيق بي، وأوهاك الشدّ عليّ.
ولا فُتّ من خشونة هذا السواد الذي لا بد لي منه في أي وادٍ هلكتُ،
وعلى أي جانب وقعتُ.

يا هذا دعْ ما قد نفذت من حديث [illegible] به عنك. وحصّل الآن
ما أقول فإنه الوصف الذي شجني، والنعت الذي ملكني، واطلب نفسك
في حدبه(٢). وتصفّح عن صمت وتصدّ بعلاماتك، فلعلك تأخذ بيدي
عند عثرتي، وترحمني لا سكون غربتي. فأول ما أقول واصفاً لحالي في سري
وعلانيتي: استرقني عن عياني خبري(٣)، فها أنا بين الغيب والخبر بلا عين
ولا أثر، ولقد صرت نهباً للاستغراق، ولولا أنه اتصل الآن بالاستراق،
فقد وحقِّ الحق دنت كمداً، ومدت ومداً(٤)، ومتّ كمداً(٥)، حتى لحقت
أحداً وردّ صمداً. فالآن شوقي في حيث سقط جدري، وفي حين يحقق عيني،
فرّقني من ذات بين أن أتبين في كوني، ونزع من شيئي إلى ربي، وخلص
إلى حرم ما كنه مطمئن، ومستخدمه مختص، واليقظان فيه متمتع، والحالم به

(١) الخُشارة (بالضم): الخشار. وهو الردىء من كل شيء، وسفلة الناس ودونهم.

(٢) ص: حدبة.

(٣) وقد صُحّحت في النص هكذا: استرقني في عياني خبري.

(٤) وَمِدَ عليه: غضب وحمي. وماد يعيد [illegible] مال. والنص كما أثبتنا.
وقد يجوز أن يكون صوابه: ومدت ومداً.

(٥) الكمد (محركة): الشدة والمشقة.

مغتنم ، والراضى به مرتضى ، والمكتفى به مكفىّ . هناك هناك ! وما أدراك
ما هناك ! هناك عيش رذاذه وابل ، وقليله كثير ، وصغيره عظيم ، وعدمه
وجدان ، ونقصه رجحان ، وبعضه كل ، ونثره نظم ، وخطؤه حق ، وعدمه
مثبت ، وفقيره غنى ، وكريهه شهى ، ووعره وطى ، وغريبه أهل ، ومصدوره
باهل (١) ، وواردُه ناهل ، وظلامه نور ، وصوته د ور ، وبكاه سرور ، ولغصه حبور .

يا هذا ! [١١٦ ب] زلّت عن رسم حالى ، لاختلاف فى مدلى ومعدلى ،
وغيبنى فيما تلىّ عمّا لى . وهذه أموره سوء ، وكسوف ضوء ، وخسوف نوء ،
فما أصنع ؟ الطرق خطوف ، والمرن قذوف ، والمركب قطوف (٢) ، والسائق
عنيف ، والقائد شئوف (٣) ، والنفس عزوف ، إن شكوت ما بى لم يسمع ،
وإن سمع لم ينفع ، وإن نفع مع الحال ينقطع ، وإذا انقطع زاد الوجع . فيا عجبا !
أين العطف والرأفة ، وأين الرقة والشفقة ، وأين المحبة (٤) والرحمة . هيهات !
النعشة عند العثار معدومة ، والدهشة عند النثار مكتومة ، والشهادة فى الغيبة
مجهولة ، والغيبة فى الشهادة محجوبة . وكل هذا عجب ، وكل عجب من هذا
شجب (٥) . فهل عندك يا أنسى خبر فيما ذكرت ؟ بل هل عندك خبرة
بما طويت ونشرت ؟ بل هل تقف على عويص هذه الترجمة الإلهية ؟

(١) المصدور : الراجع ، والباهل : المتردد بلا عمل ، أو قليل الحظ من الشيء .

(٢) القطوف : الدابة التى تسيء السير وتبطئ ، والجمع : قُطُف .

(٣) غير واضحة تماماً . وشئف الرجل (بالبناء على المجهول) : فزع وذعر فهو مشئوف . وشئوف صيغة مبالغة .

(٤) غير واضحة فى الأصل .

(٥) من الشجوب ، وهو تغيير اللون من الهم أو هو الهم نفسه . أو لعله شَجَب (بالجيم المعجمة) : الحاجة والهم .

بل هل لك طريق إلى ترجمة هذه العويصة الإنسية ؟ إنه يسبق إلى ظنى أنك من لفيف هذا السواد ، الذين يسعدون فى البلاد ، بلا زاد ولا عتاد ، ولا مراد ولا ارتياد ، ولا اعتقاد ولا استعداد ، ولا انقياد ولا اقتياد . رؤوس وعمائم ، وأكتاف وطيالس وأكمام ، وتبختر وذيول ، وتصنع وإدلال> ثم لا لفظ منقى ، ولا خط موشى ، ولا رأى به عقبى ، ولا مرأى له تقوى ، ولا علم به مقتبس ، ولا عمل به ملتمس ، ولا استظهار لغد ، ولا أسف على أمس ، ولا انتباه لحكم الوقت (١) ، ولا أسى على فائت ، ولا ندم على تقصير ، ولا تلاف لممكن ، ولا قيام بواجب ، ولا تثاقل عن ممتنع ، ولا إحساس بالمهم ، ولا اهتمام بالمتمم . إنما هو حرص خنزير ، وتبصبص كلب ، وروغان ثعلب ، وافتراس أسد ، وجهل حمار ، وعدوة ذئب ، ونوم فهد ، وجمد جمل . لعمرى إن عمراً يمضى بهذه الأخلاق لعمر مشؤوم على صاحبه غير ذى غبطة (٢) فى جميع أمره .

يا هذا ، ارجع إلى مرآتك الذى تحت حضن صدرك ، وانظره : هل تجد لهذا الكلام مصلحة به ، أو أثراً فيه ، أو مدخلاً له ، أو إلماماً بجانبه ، أو حوماً فى عرصاته ، أو وجداً فى نفسه ، أو حساً فى سرائره ، أو نزاعاً إلى خطراته ، أو ولهاً على سَوْراته (٣) ، أو صباً على نقباته ، أو دنواً من [١١٧] حجراته ،

(١) حكم الوقت : هذا من اصطلاحات الصوفية ، والوقت هنا هو ما يصادف الصوفى من تصريف الحق له دون ما يختاره لنفسه . ومنه قولهم : فلان « بحكم الوقت » ، يعنون أنه مستسلم لما يبدو له من الغيب من غير اختياره (راجع الكمشخانوى : « جامع الأصول فى الأولياء » ص ٣١٢ ؛ القاهرة سنة ١٣٢٨هـ)

(٢) مهملة النقط فى الأصل .

(٣) السورة (بفتح السين) : الشدة .

أو سحقاً في غمراته، فإن كنت تجد، فأنت والله المخصوص بالمنحة الكبرى، المعموم بالنعمة العظمى، المُرَشَّح للغاية القصوى، المراد بصادق البُشْرى، المذكور في الملأ الأعلى، الآخذ بيده إلى سدرة المنتهى، المقرَّب إلى الدورة العليا بلا عدوى ولا دعوى!

وإن كنت لا تجد ما وصفت لك بهذا اللون الصريح وهذا اللفظ الصحيح، فأنت والله اللَّقِيّ[1] الشقيّ المطرود من باب الكرامة إلى فناء الهوان وستَرِدُ[2] الذلّ وساحة الخسران، قد ركبتك الوحشة، وتمكنت منك الدهشة، ووالتك الغشية، وصاحبتك الرعشة، فطال بكاؤك، ووجد القلق، وتجرّعت مرارة الكأس، المُتْرعة بالحسرة واليأس، وليت أمك لم تلدك، وليت الموت عدا عليك! وليت الحسرة قادتك، وليت الندامة قتلتك.

هيهات! فُتَّ فوتاً لا يُدرك بعده، وبِدْتَ بُيُوداً[3] لا عودة معه، والعثرة غير مقالة[4]، والمحنة غير مزالة، والحسن غير محدود، وعهد وفيّ، فإن أمكنك أن تكون بعض فلا تنقص، وإن استطعت أن تقرع الباب فلا تكسل، وإن قدرت على الزفير وإن كان يسيراً فلا تكفّ، وإن وجدت سبيلاً إلى الاعتذار فلا تتأخر، وإن كان وراءك حجة فلا تخفها، وإن اهتديت إلى ذخر فلا تنحل، وإن كنت من أمرك على بصيرة فلا تحوّل عن حازم أحد

(١) رجل لَقِيّ (كغني): أي مُلْتَقٍ في الخير والشر، وأكثر استعماله في الشر.

(٢) العذرة (بفتح فكسر): الغائط ومحل عذرة، وأردأ ما يخرج من الطعام، وفناء الدار، وكلاهما يصح هنا.

(٣) باد يبيد (من باب ضرب)، بيداً وبيوداً: هلك.

(٤) من: أقال العثرة: خلصه منها.

الله بيدك — من شرّ ونجد الليل حلاً وسبر . وعرفان الفتور في المهم مؤذن
إلى التلف . والتقصير في حيازة الحظ من أسباب الحرمان . ومهما أحسنت
وتركت . فلا ترخّص لنفسك مالفوت فى مرحلته زيْن وحلته من وثق بأن
العمل محفوظ ، والعلم من دونه ملفوظ ، وأنت من بينهما مبسوط ، والحساب
دقيق ، والجزاء مرصود ، والمنية مع نفسها قريبة ، والرقيب عتيد ، والاهتمام
سديد ، والخبر صحيح ، والوعد صريح ، والوعيد فصيح ، والرحيل جد ،
والعمر كدود ، والمرء دؤوب ، والنصح منخل ، والهدى منبوذ ، والقول كثير ،
والنصح قليل . وكل عرق فيه شعب بعصره نبيّة كان أو غير أنيق ؛
وكل أذن فيها ذهب بمسموعه مطربة كان أو غير مطرب ؛ [١١٧ ب]
وكل نفس فيها شذقة بمشوقها مستحقا كان أو غير مستحق . فإذا صح
اعتزامك على تخليصك من مرث قلت نفسك واعتصمت بها عن مخطر الدنيا ،
ثم بأذنك فسددتها عن خبر السفلى ، ثم بنفسك فزممتها(١) عن استشعار البلوى ،
ثم بلسانك فكففته عن إعادة الشكوى ، ثم صرت خضّاً حصيناً بينك وبين كل
ما حنّك أو جناك(٢) ، أو خدعك أو سحرك أو قمرك(٣) ، ولن تقدر
على هذا إلا بعد رياضة لنفسك الزعرة(٤) . ومفارقة عادتك الوضرة ، والتنزه
عن الأمور القذرة

فإن وجدت مع هذه الحال التي أنشأتها فسحت بها صحابة يعيبونك

(١) من زم البعير : خطمه (وزم من باب نصر) .
(٢) بمعنى احتنكك أى أوقعك فى الأحبولة
(٣) تعدية للفعل قمر الرجل تحيّر بصره من الثلج ولم يبصر فيه .
(٤) الزعرة (بضم الزاى وفتح العين والراء) : طائر لا يرى إلا قلقاً ، استعير هنا للنفس القلقة المضطربة

بالعلم الحق ، ويساعدونك على العمل الصالح ، ويمدونك بالرأفة ، ويأخذون بيدك عند الريبة والورطة ، فادعُ ربك من الذين أنعم الله عليهم ، وانظر بالتوفيق إليهم . فحينئذ شجرتك تُورِقُ ، وأغصانك تلدن(١) ، وقِنْتك تخضرّ ، وغرستك تحلو ، وزَنْدك يَرِي ، وبذرك تزكو ، ووصيتك تملو ، وباعك يطول ، وصوابك يدوم ، وخطاؤك يزول ، وسهوك يفارق ، ويقظتك تحقق ، ويومك يحضر ، وبركتك تكثر ، وقلبك ينقى ، وذكرك يبقى ، وقدرك يرتقي ، وملكك يأتمنك ، وشيطانك ييأس منك ، وعينك تقرّ ، ونفسك تُسَر ، وخيرك يبدو ، ورُشدك تلزم ، وغيبك يُترجَم ، وكلّك يَسْعَد ، وبعضك لبعضك يشهد .

فيالك من مَلَك سيق إليك ، ويالك من شمس طلعت عليك ! اللهم كما وفقتنا لنصيحة غيرك(٢) ، فوفّق لنصيحة أنفسنا حتى نبدأ بالأهم فالأهم من أمرنا ، ولا يُشْغَل بالنا بالأعم عن الأخص ، ولا نسهو عن الأنفس بالأخس ، واجعلنا عند الدعاء إليك من المستجيبين لك ، وعند ذكرك من الواجدين بك ، وعند مواصلتك من المتهالكين فيك ، وعند مخالفتك من التائبين إليك ، وعند الشدائد من المتوكلين عليك .

اللهم كما هديتنا لهذا البيان الذي فُقِه من جمهور عبادك فاهدنا للإخلاص فيه ، ووفقنا للعمل به ، واجعلنا إذا ذكرناك وجدتنا ، وإذا وجدتنا [ذكرناك ، وإذا ذكرناك وجدتنا(٣)] عرفتنا ، وإذا عرفتنا أنصفناك ، وإذا أطعناك رعيتنا ، وإذا رعيتنا حفظتنا ، وإذا حفظتنا استنقذتنا ، وإذا استنقذتنا رأيتنا ، [١١٨ ا] وإذا رأيتنا ارتضيتنا ، وإذا ارتضيتنا أصفيتنا .

(١) لَدُنَ الشيء (من باب ضرب) لدانة ولدونة كان لدناً أي ليناً .
(٢) كذا ! ولعل صوابه : غيرنا .
(٣) كذا في الأصل مكررة !

بهاءً كنْ لنا فوق ما نتمناه لأنفسنا، واعصمنا من كل ما يُسخطك
عليه، وأجرِ ألسنتنا في تمجيدك وتوحيدك وتقديسك وتمجيدك[1]
وتنزيهك وتعظيمك بما يكون نوراً في صدورنا، واملأ قلوبنا من محبتك
ومواهبك ما يكون قرة لأعيننا، وضرحاً[2] لأقذاء عيوننا، وبرداً
تتلذذ به أسرارنا، ورتقاً لكل جرح بيننا وبيننا. ومهما أتيت في أمرنا،
فلا تصرفنا ولا تعنتنا، ولا تُزِغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، ولا تجعلنا فتنةً
للذين جهلوك، وشردوا عنك، وكفَروا أياديك، وجحدوا نعماءك،
ولا تُشمِتْ أعداءك فيك بنا وفي الجملة، ارحمنا في التفصيل! أكرمنا
يا ذا الجلال والإكرام!

رسالة (لد — م)

اللهم إنا نخشع لك لائذين بك، ونعبر عنك متحرِّين فيك، وندعو إليك
مقصّرين فيك. فارحم رحمة المولى لعبده، واعصمنا من حيث لا يبقى
لنا أنت أهله، يا ذا الجلال والإكرام، والحمد والإحسان والرفد

لله أيها الصديق المخلص، والصاحب المكانف[3] أما ترى انتشاري
في كلامي، ووقوعي دون مقصدي ومرمى، وتلعثمي في عبارتي، وتعثّري
في إشارتي حتى كأني أحنث[4] من حالي أو غُرِّيت في مالي. هذا والله شعار

(١) كذا في الأصل ولعلها مكررة أو صوابها. تحميدك.
(٢) ضَرَحَ الشيء (من باب قطع) ضَرْحاً. دفعه ونحّاه.
(٣) كانفه مكانفة: عاونه.
(٤) كذا في الأصل ولم نجد إلا تحنّث من كذا: تأثّم منه.

المرجوين وحيلة المقصّرين . ولا يحسن من عجز العبد في وصف سيده ! فمن وَحْدته كوحدتي وكدبته كنايتي وإيماؤه إيمائي يحصر [1] وإن كان بليغاً ، ويتبلّد وإن كان متحفظاً ، ويغيب وإن كان حاضراً ، ويتحير وإن كان قادراً ، ويحار وإن كان ناظراً ، ويكلّ وإن كان سائراً .

٥ يا هذا لن تقدر على النظر في هذا الديوان إلا بحساب تقدمه بينك وبين نفسك على مذاكرة لك فيها رشده وسعادة ، واستظهار وحيطة . فإنك إذا نويت هذه النية ، وأخلصت فيه الروية ، وأحكمت عليه الطوية اطمأننت على النجح ، وامتلأت بالوجد ، واستغنيت بمشاهدة عن المعرفة ، وكُفيت مؤونة الترهيب والتحذير . ما الذي يقعد بك عن هذه الذرى العالية ،

١٠ وعن هذه الغايات المتناهية ، وقد تدلت عليك العِبَرُ [118 ب] والغِيَر ، والتقى عندك الخبرُ والأثر ، وحصّل قبلك الظاهرُ والباطنُ ، وتجلى عليك الغابر والراهن ، وشهدت في خلال ذلك المتحرك والساكن ، وقرّ في عقلك كلُّ ما يتمحص به اللبس والتمار ، فأين يذهب بك عن هذه الآيات المتشابهة بالحق ، عن هذه الأمارات المتحلية بالصدق ، وعن هذه النعم

١٥ المتصلة بأصناف الخلق ؟ أفيها شيء خلا من الحكمة ؟ أم فيها شيء عَرِيَ عن النعمة ؟ أم فيها شيء فات العُدّة ؟ أم فيها شيء ند عن المشيئة ؟ أم فيها شيء سكت عن الدلالة ؟ لا والذي أنطقني بصنعه ، وأسمعك برحمته ، ما ترى عينك إلا عجباً ، ولا تجد إلا نفسك متعلّمة ، وإن عقلاً يصدأ عند هذه الآيات لسخيف ، وإن لساناً يعيا عن وصف هذه الأسرار لضعيف .

(1) أي يصيبه الحَصَر ، وهو العِيّ .

يا هذا ! الصوتُ ذو فهٍ شاحة ، والبحر ذو أمواج ملتطمة ، والغيضة ذات دَغَل أشِب[1]

حدِّثني الآن : بم يُنال الفوز ، وعلامَ يُصمد المقتصد ؟ فحسبي موحش بتردده ، وحاملي حي مكروهي بين إصداره وإيراده !

لا أنتج الله لي فرجاً يوم أدعو منه بالفرج ٥

وجدتُ ما وجدت منه ، وغبتُ ما عدمت به ، وفتُّ ما قدتُ به ، فكلي له بالاستعارة وله بالحقيقة فإن شاء ثقَّ ونَقَّر ، وإن شاء أبلى وأسقم ، لا اعتراض للعبد على المولى ، ولا عار على العبد وإن رُدِّد بين البلوى ألا ترى الأول يقول :

العبد عبدك فاحكم فيه واحتكم ١٠

واعدل وجُر غير مأخوذ بلا ولِم

ويحك ! كيف تحكم بالحق على خلق لم ؟ ثم كيف تحتج بالحجة على مظهر حجة ؟ أم كيف تدل بالعين على مسيء لعمل ؟ أم كيف تسمى بالعلم واهب العلم ؟ أيها الإنسان ! وغربت من حلمانه الذي به ربك ، وخرجت من قصده الذي به أمكنت ما أمكنك ثم حصلت حقيقتك ، كنت هباء ١٥ منثوراً ، أو غثاء[2] مشوراً ، لولا أنه « خلقك فسوّاك فعدلك »[3] ، متى كنت

(١) أشب الشجر (من باب علم) أشباً : التف ، فهو أشِب . والدغل (محركة) الشجر الكثير الملتف ، واشتباك النبت وكثرته .

(٢) غثاء (كغراب وزنار) . الزبد ، الهالك ، البالي من ورق الشجر المخالط زبد السيل .

(٣) سورة « الانفطار » : ٧

تستقل بذاتك ؟ وكيف كنت تشرف على صفاتك ؟ وبأى شىء كنت تميز مالك منك ، وما عليك فيك ، وما عندك لك ؟ هذا سوى ما عرض عليك من آثار مُلكه ، وأحضَرَه بين يديك من أسرار غيبه ، حتى تداك بلسان السفر ، وتحاك بعد فى كل أمر يسير [١١٩١] وعسير ، وأهلك لما وجدك به من بين هذا الصغير والكبير ، بالبشير والنذير ، مرة فى الخاطر بالضمير ، ومرة بالبيان الواضح الشهير .

اشهدْ يا هذا عرائسَ نعمه عندك وكُنْ له من الشاكرين ، وانشر آلاءه بين عباده وكن من الحامدين ، فإنّ الشكر مفتاح المزيد ، واحمدْ مالكَ التوفيق ومهما حضرت فلا تقصِّر فى حفظ ما منحك ، وطلب الفضل من عنده بقدر ما فتح عليك ، وإنك بِعَرَض خيره مادمت تصغى إلى هذا النمط — فعندك تمتد . واعلم أن الاعتبار روضةُ العارفين ، والفكر فى ملكوت السموات والأرضين من عادة عباده المخلصين . فلا يشغلك من هذه الفوائد شاغل

يا هذا ! النصح يُريك حُسْنَ الثناء فى مقابلة حُسْنِ الخُلق ، ويفيدك من المعرفة التعظيم ، ويُبَصّرك فى سلطانه بحلية الاختصاص ، ويُشَرِّفك بمبادئا إلى ما بنى حتى تجد العتاد ، وتعد الزاد ، وتمس لدار المعاد . ها أنا أشتق مُهَيّماً إلى محل <عنه> صدرت ، وأهذى بحالى مُتَيّماً على من به وجدت ما وجدت . فلا لى شوقى سكون أتعلل به ، ولا لى فى هذيانى استقلال أرجع بيه ، لأنى مُعنَّى فى الأول ، ومخدوع فى الثانى ، وهالك فى الثالث . وإنما يعلم هذا المعنى علىّ لأنى أرى طلوعى عن ما أطعمه عرونه ، واستحذق فيما أتصاهر به سرا . فما حيلة من إن علن كفر ، وإن نادى زجر ، وإن اشتر حظر ، وإن وجد عدم ! له منه سرٌّ خاف عليه ، وفيه به خوف لاطمأنينة معه . وإن شكا عُجِّز ،

وإن تحلّ مقتوه ، وإن صرّح طردوه ، وإن كنّى عاندوه ، وإن ساعد استثقلوه ، وإن نافر استحملوه (١) ، وهو فى عُرض ذلك يقول :

لا أستطيع نزولاً عن مودتكم
أو يصنع الدهرُ بى غيرَ الذى صنعا

فأى فكاك لأسير قد أسلمه أحناؤه ، ولو فُكّ لكل أسيرٍ فى فكاكه ، ولو نجا لكان وقوعه فى خلاصه ؟ وكيف لا يكون كذلك وهو ذو شجنٍ مخامر يُقلقه إذا أطرق ، وذو حُزن ظاهر يخزه إذا نطق ، فلا قرار له إلا على نزوع ، ولا سكون به إلا على تمزع ، ولا عجب من حاله هذه الذى يبكى العيون مسموعها ، ويطيل الحيرة منظورها ولكن العجب من استسلامه فيها ، وتلذذه بما يتوالى عليه من لواذعها [١١٩ ب] وحوادثها وهذا خبره ، وعلى هذا سَمَره ؛ إلا أن يأتيه الفرج من جهة من أملاه بما ملاه ، ويكشف عنه الضرّ ويتولاه ، جُلُّ حديثه إذا خلا أن يقول : إلهى !

لو أشرب السلوانَ ما سُقيتُهُ ما بى غنىً عنك وإن غنيتُ

ومن غريب شأنه أنك إن بشّرته ما تحقّق اغتم ، وإن حدّثته عن غيره أعرض ولم يستتم والنظر إليه زاجر هو وما فيه مصطفٌ . فواعجبا من أسرار الحق فى أعماق قلوب الخلق لكل أمرئ شأن مخصوص وهوية : إما زائد ، وإما منقوص الإلهية . لا يمسح بالوهم ، ولا يقدر بالفهم ، ولا يُشرح بالعقل ، ولا ينال بالمرحمة . وهل يجوز ذلك ، والعبودية لا نسبة لها إليها ، ولا سبيل لها عليها ؟ إنما هى حيرة بحر . وحيلة عوَز ، ودين حاجة ، ومعدن لحاجة ، وقطب كون ، ومدار فساد . وباب حيرة ، وحاسب زيغولة ، ليس لها ثبات ، ولا عليها

(١) استحمله نفسه : حمّله حوائجه وأموره ، وسأله أن يحمل . واستحمل : قوى على الحمل وأطاقه .

مُعَوَّل لدى ثبات . حتى إذا طلعت عليك شموس الرحمة ، وكشفت عنك يد العصمة ،
وغمرتها كف الشفقة ، تطاولت بعد تقصّرها ، واستقمت بعد انحنائها ،
ومرّت على خيلائها بما صحبها من غوائلها فعند ذلك يظهر الشكر الصحيح
بشرط الإيمان القوى ، أو يصح الكفر الصريح بحكمة الشرك الموى
في محامن أول هذا الأمر ، وواحد من آخره !

طاحت الألباب المتوهة شؤون الصبوب ، وانحنت الأحداق بما يحسب
في جميع الأشهاد . وبادت الكينونة في البيدودة [1] ، وبدت البيدودة
في الكينونة ، فصار الحق زخماً مشهوداً ، وعاد الشر أمراً محدوداً ،
فإن قلت [illegible] مردودوك ، وإن قمت مدعوك معقودوك ، وإن تبرأت
منهم انتهوا حتى لا يبقى لك [illegible] هذا مآلوك وأنت تشمخ بأنفك وتثني
بعطفك ، وعلى أنك قد أوتيت إلى كشف أمرك وتجربك . وإنما ذلك
غرور منك ببهجة المنظر المزخرفة ، وتمسك ببعض العادات المستحسنة
أين أنت عن سكر في صحوك ، أو عن صحو في سكرك ، فتذوق طعماً لم تعهد
مثله قبل حلاً من زمنك ، فتنقطع هناك عن خفائك لمن به قويت على ذلك
لمن يسأل من بعينك الذي به سكرت منك [2] ؟ حتى إذا استتب هذا كله
وبعضه ، حقت عليك كلمة الله بالخصوصية ، وشرفت على ما سبق لك
من الخير في حلل [١١٢٠] الأولية فيبرد على الفؤاد وباصرة
على القرب بعد البعاد !

أيها السامع ! هذا كله تأنيس لك من الحق ، لأنك مستوحش بنفسك
التي ظلمتها معصيتك . ووفيت لها صدرت منك ، ونصرتها بخذلك ، وتابعتها

(١) الفساد والفناء ، من باد : يبيد .
(٢) أو : عينك ، عيبك .

فزدتك ، وهي النفس الموصوفة . فإن أنست به وبما جرى في عرصه فالحظ إليك راجع ، والنور فيك شائع ، والأرَج منك ساطع . وإن ترعت فأنت الخاسر الدامر [2] ، والحائر البائر والسلام

اللهم إنا قد قابلناك بوجوه خشّع ، ومثلنا في محبتك بين يديك فأجبنا ، ونشدنا عن بابك بالجهل فاجمعنا ، وتصممنا بملابسة الهوى في مخالفتك فارضنا ، وكن لنا دوننا فإنا وإن كنا كذلك نعجز ونضعف ، وإذا كنت لنا أعنتنا عنا وأفنيتنا منا وحضرت بنا فلم لا ندعوك [illegible] لنضرع تاركين لأسباب الكبر والجزع ، مخلين لأنفسنا عند الفجع [3] والفزع . فلعلك ترحمنا رحمة تنشلنا من [illegible] ولا لمن [illegible] بالفضل أبسط [4] من لسنا بالدعاء ، وسبقك بالفضل أقدم من مبادرتنا بالمسألة ، وإنما هي كلمة تقولها بالعادة إلى أحرينا [illegible] ولا [illegible] ترحم وتعطف ، وتسمع وتلطف ، وتعدل وتنصف ، وتعلي وتشرف . وتبر وتحيي ، وتحنو وتشرق ، شئت أم أبيت ، كنت لنا أو علينا

يا هذا ، قد احتجبت المناجي [5] ، وتقربت المعاري ، وتباعدت [6] المرامي ،

(١) صرت أرعن

(٢) ص : الدامي . وصوابه ما أثبتنا . والدامر : الهالك — من دمر (من باب نصر) دموراً ودماراً ودمارة : هلك

(٣) يقصد التوجه والإنابة إلى الله

(٤) أشد بسطاً وسعة .

(٥) المناجي المنجية ، جمع منجى : مكان الخلاص

(٦) ص : تساعدت . السياق يقتضي ما أثبتناه .

وتنازحت (١) المساعي. فهل لك في حبيل ذلك أو دفيعه؟ لست، إذا ادعيته، صحّ لك، وإذا تشرفت به سلم في يدك. أوهل لك في قبيل ذلك أو كثيره علامة تدل على عبوديتك بالتحقيق؟ لست أعني عبودية الخلقة، وما وجدت عليه من الجود وإن كان ذلك، بل أعني عبودية الخدمة والأدب، ومتى إذا ثبتت عليه كان لك زلفة، ووجدت إليك نعمة. وحذف عنك كلفة. فأما الزلفة فمكسوبة بالشيمة الطاهرة العالية، والنصيحة الحاضرة الدائمة، وأما الألفة فبثّ كد الحزمة ورسوخ الهمة ونبات الذمة. وأما حذف الكلفة فبترويح المأمول، والتنزيه المسؤول، ومن احتذر هذه، أعني الله بحقيقته، ولاءمه بخالصتها [بخالصته (٢)]، وكفى الكلمة بما فيها. فقد تجلّى لي مُمَلّاة ليس للناظرين إليها إلا خفية من مسكها ونفه

يا هذا! إن كنت وَحِماً فأين توهك؟ وإن كنت مريضاً فأين أنينك؟ وإن كنت مهجوراً فأين استيحاشك؟ وإن كنت موصولاً فأين استئناسك؟ وإن كنت قريباً فأين علامتك؟ وإن كنت بعيداً فأين حرقتك وحسرتك؟ وإن (٣) كنت مريداً فأين اجتهادك (٤)؟ وإن كنت واجداً فأين سكرتك؟ وإن كنت بائناً فأين إخلاصك؟ وإن كنت متوكلاً فأين تفويضك؟

(١) صارت نازحة. بعيدة، ومنه قول علي بن الجهم (راجع «ديوانه» نشرة خليل مردم ص ١٥٤، دمشق سنة ١٩٤٩):

وا رحمتا للغريب بالبلد النازح ماذا بنفسه صنعا!

(٢) كذا مكررة في الأصل.

(٣) ص: وأين. وهو تحريف ظاهر.

(٤) في الهامش صح [وإن كنت مراداً فأين استقلالك، وإن كنت عارفاً فأين انبساطك، وإن كنت غريباً فأين اندهاشك؟].

وإن كنت مذنباً فأين شاهدك ؟ وإن كنت شاهداً فأين د[illegible] ؟
وإن كنت مخطئاً فأين تبصرتك ؟ وإن كنت [illegible] فأين صوتك ؟
وإن كنت ممتحناً فأين حرفك ؟ وإن كنت آثماً فأين خطيئتك ؟ وإن كنت
خائفاً فأين حسرتك ؟ وإن كنت زاهداً فأين عزمك ؟ وإن كنت راعياً
فأين مرعوك ؟ وإن كنت متزمتاً فأين لحنك ؟ ٥

يا هذا ! لا تكذبن نفسك ولا تحسبن [illegible] أن تكتمك ، فربما
[illegible] تكادت هذه [illegible] إذا تصادقتا حيناً [illegible] تكاد كما هي في قوتك
[illegible] . وفي [illegible] [illegible] وما [illegible] في أحدك الخدر منها
في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، لا [illegible]
[illegible] [illegible] ، وحل في [illegible] شوكه ، وفي [illegible] [1] [illegible] ١٠
عنها ، وإن في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لك [illegible] ،
وإن [illegible] [illegible] لا [illegible] هواك . و[illegible] [illegible] !

رسالة (هـ - م)

كيف [illegible] ، [illegible] ؟ [illegible] كيف [illegible] [illegible] ؟ ثم كيف أصم
والملأ [illegible] ؟ ثم كيف أخرج [illegible] [illegible] ؟ ثم كيف آنس بالصديق ١٥
والصديق [illegible] ، ثم كيف [illegible] عن الإلف . ولا إلف [illegible] [2] ؟ ثم كيف
أثق [illegible] في من [illegible] [illegible] [illegible] ؟ ثم كيف [illegible] إلى [illegible]
وقد [illegible] [illegible] ؟ ثم كيف أستريح [illegible] [illegible] وقد [illegible] في الأحلام ؟

(١) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
(٢) [illegible] [illegible] : [illegible] [illegible] نحو [illegible] ، و[illegible] [illegible] [illegible]
من الآخر ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] !

نفس يتردد بالحدو في جوانح قد تهتكت بالأماني، وحرقة تتوقد بحسرات
كأنها سير السواني (١)، فقد تسع الراحة المأمولة مع المكروه اللازم،
وهذا يجدي الرجاء المكذوب مع الخطر المعدود؛ ولولا أني لن أعرض عنه الحق
ولم يبق لي باحق، وكيف لا تعظ الملوك بالخلق على من هو أيضاً [١٢١ ا]
٥ من الخلق؟

بل هذه الجموع مشوبة بالأسى والحزن، والأكباد متهرئة بأنواع
الآفات والسهر، والأرواح دائبة بضروب الحسرة واليأس — فلا إلى الهدوء
مفرج (٢)، ولا بالخلاص انفراج؛ ليل يكر بهم ناصب، ونهار يغير بكرب
لازب، وعين إذا دمعت بكت، ونفس إذا عست نعست (٣)، وروح إذا
١٠ هشت حدثت، وأغراض بين هذه الأحوال ليس لها لبث فتعرف،
ولا لها بث فيصرف، وعلم مع دمث كله لا ينفع، ووعظ لا ينجع، وإشارة
لا تصدق، وعبارة لا تحقق، ولمحة إذا لاحت طاحت، وشبهة إذا
ندرت نبت، وقول كلما طال تثنى، وسكون كلما امتد أسى وأوفى. فالسلم
حرب، والهدوء شغب، والمستقيم مفوح، والخصوم في السحر ملتج (٤)،
١٥ والوقت كدر، والزمان غدر، والرجى فائت، والقصد هائت، فيل لي لأي

(١) السواني جمع سانية، والسانية الناضحة وهي الناقة يستقى عليها
من البئر؛ وفي المثل: سير السواني سفر لا ينقطع.
(٢) مصدر ميمي من عاج يعوج عوجاً ومعاجاً بالمكان: أقام به.
(٣) ص: نعست، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا. وتعّس الرجل تعبا
[illegible]، ويعني الأمر: قاسه وتجشمه.
(٤) [illegible] واضطرب [illegible] في التحد
الأصدر [illegible]

بمن أتعلق؟ ولمن أتملق؟ وماذا أقول؟ وأي شيء أسمع؟ وفي أي شيء أفكر؟ وبأي ذكر أجود؟ وفي أي واد أهيم؟ ومن ماذا أخرج؟ وإلى ماذا أنتسب؟ قد ضاقت بي مذاهبي، وارتهنت بما أردتني علي، فلا جرم لا استطاعة باقية، والعجز منبسط، والأمر محال، واليأس واقع، والتحدث حسرة، والحديث حرارة. ومع هذا كله فإني كنت من بلاد، فلي إلى وجهه [illegible] أمل

أيا لوعة بين الأحباب نفوسنا بمنقطع إذا ما تعمموا [illegible]
ولست أدري إذا طال [illegible] هل تجمع الدار؟ أم لا نلتقي أبدا؟

يا هذا، إذا سمعت مني الكلام فاعلم أن فيه زاجرا. وإذا صحفتك من البيان فاعلم أن نحوي لاتح[١]، وإذا شممت منه فاعلم أن إشارتي وراءه، وإذا [illegible] حكاية فاعلم أن معناي دونها، وإذا أبرزت لك العين فاعلم أن سري عرفانه، وإذا [illegible] عليك [illegible] فاعلم أن قصدي استمداد ذلك لك، وإذا صرحت بالدعوى فاعلم أني حاشيت[٢] إليه، وإذا كنيت لك عن المعنى فاعلم أني مشفق عليك من هذه الحال التي أنت مبتلى بها أو مبتلى به.

قلت: كيف [illegible] وكيف [illegible] عليك، فلا تشهدني في أقول، ولا تعدني من أن تسمع، فإن هذا كله سقط من الحق في حمية [١٢١ ب] القصص، وبحش من الحق في شكل الالتباس، ونفث لمراقب نسيم الغيب

(١) [illegible] : بعيد؛ أي اعلم أن مقصودي بعيد ليس هو الظاهر المتبادر لك

(٢) حش الصيد يحوشه حوشا: جاء من حواليه ليصرفه إلى الحبالة؛ وحاش الإبل: جمعها وساقها.

في فضاء الشهادة حتى تطيب الأنفاس، وتحيا به النفوس[1]، وينعم التنافس،
وترق أخلاق، وتطمئن قلوب، وتقشعر جلود، وتطرب أرواح، وتفصح ألسن،
وتلين جوارح، وتمتلئ صدور، وتزهو عيون، وتنضر وجوه، وتسكن أيد،
وتخف أقدام، وتبرد أكباد، وتحلو شمائل، وتنتفي شواكل[2]، وتزول
غوائل، وتكثر نوافل، وترد نوائل، وتخرس عوادل، وتسفر فواضل،
وتدرك طوائل. وفي هذا ما لا يجرى به [illegible] ولا ينشرحه قلم، ولا يستطيع تشقيقه
كلم، ولا يصير محروسه ومكنونه علم. فهذه الآن [illegible] إن كنت في هذه
اللمة عارفا، أو هبت في جناب صدرك من هذا الحديث إشارة، وبدا وحس
بجنانك ذلك فاستمل من [illegible] حتى تجد [illegible] وتبيت حصرا وتنهض
منتصرا، وتنصر منتصفا، وتحيا متكرما ومكرما، لا [illegible] في هذه المدحة
فيها والله صحيفة عنه من «ألقى السمع وهو شهيد»[3] أتدري ما تفسير هذا
الحرف؟ لست تدري، ولكن ليس لك الآن بحث مع الإلقاء المصيب، والسمع
القبول، والشهادة الوجد، بل الإلقاء [illegible]، والسمع [illegible]، والشهادة
الكنه، بل الإلقاء الدنو[4]، والسمع السمو، والشهادة الدنو [illegible]
فالله هذا الذي [illegible] في هذا المضيق، والله لو وقفت بدراكك، وسكنت إلى نيلك،
ووصلت [illegible] وتمحو وتثبت وتقرب [illegible] في عنوان هذا الأمر العجيب،
ما ينبعث عن مثله الغريب [illegible] على [illegible] أمسكت فهنالك لا بد من أن يطاع،
وإن صعقة [illegible] لا بد من أن يداس.

(1) [illegible] فاجره [illegible]
(2) [illegible] كلمة [illegible].
(3) سورة ق ٥٠: ٣٧
(4) [illegible] في كلا الموضعين في الأصل. ولعل [illegible]

يا هذا ! طالت الديدنة ، واشتعلت النجوى ، وتكرر التشور ، والقلب في خلال ذلك واجب[1] ، والطرف عليه واجم ، والظهر والرجل [illegible] ، وربك [illegible] وما أولانا مع هذه الأمثال المضروبة ، وهذه الأنباء المسكوبة ، وهذه الأسباب [illegible] ، وهذه الأصوات المطوية ، أن ننتهي حيث انتهى بنا ، ونقف [illegible] ، ونستحق من أنفسنا ، ونسلم ما حق علينا ، ونكتفي بما بدا لنا ، ونقدم على ذلك كله بدائه ، ونكل جميع ما بنا إلى من يملك حركاتنا وسرائرنا . وبه [illegible] [١١٢٢] لأن العبد ، والذي يليق بالعبد أن [illegible] ، ويبذل [illegible] ، و[illegible] وكده[2] ، ويحفظ وَحده[3] ، ويذلل نفسه ، ويطلب [illegible] ، ويلحظ [illegible] ، ويبسط وعده ، ويصحح قصده ، و[illegible] أُوكده[4] ، ويحسن [illegible] ، و[illegible] . فإن العبد إذا فرغ مما عليه بحق العبودية ، شمله ما له من حق الربوبية ، وكما كان في حاله الأولى [illegible] عليه ، كذلك يكون في حاله الثانية مبسوطاً بما لديه . فهل رأيت عبودية أدت إلى ربوبية غير هذه ؟ وإنما كان هذا على هذا لأنها عبودية بحق من [illegible] بحق ، والحق أحق بالحق . فتعال حتى نسكت هائبين ، ونقول [illegible] ، ونعمل مخبتين ، ونعلم مستسلمين ، ونزيد مودعين ، و[illegible] ، ونصطحب مشفقين ، ونفترق متواصلين ، ونتذاكر

(١) من الوجيب : الخفقان .
(٢) [illegible] من المال .
(٣) من الوحد [illegible] لا [illegible] والمواظبة
(٤) الوكد (بضم الواو) السعي والجهد
(٥) من الإخبات [illegible] أخبت القوم إلى ربهم : اطمأنوا إليه ، ومنه « هو أصلي بخشوع ، [illegible] وخضوع واتضاع » فهو مخبت .

مستفيدين ، ونعتقد مخلصين ، ونحقق مصدقين ، ونستغفر الله مستغفرين ،
ونذكر في الذاكرين مولانا ، ونتنبه من الغفلة ، ونرجو خائفين ، ونخاف
راجين ، ونفرق بين الشك واليقين ، ونتوسل في إقامة وظائف الدين ،
ونزاحم مناكب المتقين . فإذ نعود في هذه الأحوال الخمسة في هذا الزمان
الذي قد عاد الإسلام فيه غريباً كما بدأ غريباً[1] ، نكن نجوم الأرض وأعلام
الخلق ، وآتانا الله من عنده ما نغتبط به ونتنافس فيه . وقد نزل الحق في تنزيله
على قلب رسول الله عليه السلام : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا
على الإثم والعدوان »[2] فما الذي يبقى بعد هذا [illegible] على إحراز
النصيب والحظ ، إلا أن نكون جاهلين بما لنا وعلينا ، [illegible] ؟
ونعوذ بجلال وجه ربنا من ذلك أن نكون . وكيف ذلك وإنا بين تحول
في ملكوته ، ونعيش في نعمه [illegible] . وكان [illegible]
نحمده بأياديه عندنا ، ومننه [illegible] ، [illegible]
لا عين ولا أثر ، ولا عين ولا خبر ، فشأنا وأظهرنا ، وبصرنا وعلمنا
وقدمنا وكرمنا ، وهدانا وأرشدنا ، وأبرز وأشهد وأنشأ وأوجد ،
وجاد علينا بما لم يكن في حسابنا ، [illegible] لم نستحق به [illegible]
وفي منة [illegible] لم نتسع له [illegible] وفي نعمة [illegible] وفي [illegible]

(١) إشارة إلى الحديث المشهور : « بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً ، فطوبى للغرباء » (مسلم ، ج ١ ص ٢٣٢ ؛ الترمذي ، ج ٢٨ ص ١٣ ؛ الدارمي ، ج ٢٠ ص ٤٢ ؛ ابن ماجه ، ج ٣٦ ص ١٥ ؛ ابن حنبل ، ج ١ ص ٣٩٨ ، وج ٤ ص ٧٣) .

(٢) سورة « المائدة » ٢ .

فيشفع له على كل واحد منه ، وأي روح لم يصل منه إلى غرضها ، وأي كرب لم يرد به عنها ! وأي [١٢٢ ب] رائحة لم تعبق به لنا

اللهم إنا قد أحسسنا بأياديك عندنا ، وتقلبنا في زلفك قبلنا ، وشممنا روائح [illegible] ، ووجدنا حقيقتك في أسرارنا ، وذقنا حلاوة مناجاتك لنا ، ورأينا عيانا آثار [illegible] ، وأمنا [illegible] وجودك [illegible] ما [illegible] وفوق ما [illegible] وبهذه المعرفة التي [illegible] في نعمك [illegible] لا خفيت لك ماخفي ، وقويت [illegible] المصير إلى [illegible] الأنس [illegible] ، فإنا نسألك أن [illegible] مؤونة [illegible] ، [illegible] عن سبيلك ، و [illegible] من أحداث ، وطمسوا [illegible] ، لا [illegible] ، و [illegible] حتى لا ندو سوى غيرك

[illegible] من [illegible] ، و [illegible] حتى [illegible] بالإخلاص [illegible] بالاختصاص ، [illegible] الناس « مَلِكُ الناس » ، إنه [illegible] ، [illegible] ، [illegible] ، وجهت [illegible] الكرامة [illegible] ، وتسمع نداءنا ، وترحم [illegible] [٣] ، وتسبل [illegible] وما أولاك [illegible] ذلك وما أوفق ذلك !

[illegible] الأحمق في هذه [illegible] . [illegible] هذه الحقيقة ! حرام عليك أن تسمع من هذا الديوان حرفاً بقلبك المحرف ، وحرفك المنكشف ، و [illegible] وحرام [illegible] أن تهتدي [illegible] من هذه الصحائف كلمة سائغة أو حكمة تامة ، [illegible] ، [illegible] ، والله [illegible] المستعين

(١) سورة الناس [illegible] ٢ ، ٣

(٢) [illegible] (لعلها [illegible]) وجه [illegible]

(٣) [illegible] الحواس

عند كل من ، ومحنة قد أودت به (١) . وقاك الله فتنة القول ، وكفاك فتنة
الجحود . وجعلك جميعاً تحت خضوع رحمته طالباً إلى ذروة عزه ، ونفيس
من حيران ملكه ، والنعيم في رياض نعمته ، ساعياً إلى حيازة رضاه
أبى المزوّر (٢) عن أكناف الحكمة ، والمائل لعطفه عند موانع المعرفة ،
والمتكبر عن نفسه حسبه [illegible] الريب والثروة ، والمتشدق في حديثه
إذا جرى بشأن المملكة ، والمفتخر عند أخذه الصدرة [illegible] في الحرية ،
أقدم من حدث هذه المصيبة ، وتوقى مواقف هذه الطرائق الوخيمة ،
وتطلع نحو هذه الأسرار [illegible] ، ونحو حلاوة هذه الثمرة [illegible] ، وبحث
عن هذه الأسرار المكنونة ، وعن هذه [١٢٣ ا] الأحوال الغريبة المصونة ،
واثق صدق ما أقول ، وحقيقة ما [illegible] مرة واحدة [illegible] . بث الرشد والعظة
[illegible] والحضور [illegible] [illegible] في ذلك [illegible] ذلك ، واتسع
في اعتقاده [illegible] إلى [illegible] في اجتهاده ، وحقق [illegible] في كل وقت
يحسن أن يبدو ، وإن لم ترد ولا شئ معه ، فقرب في يديه ، [illegible] إليك ،
واعتبر [illegible] إليك ، وهذه مكاشفة (٣) من في محاضرتك (٤) [illegible] وردت
هذه [illegible] ، ووقفت [illegible] ، وأدركت ما [illegible] منها
كل [illegible] حقاً وكلياً . اللهم حقق [illegible] وعظمه [illegible] ، [illegible] الجلال
والإكرام

(١) أودى به [illegible]
(٢) [illegible] عن [illegible] وقبض ولوى [illegible] .
(٣) [illegible] ملاحظة
(٤) [illegible] محاضرتك ، وتصح ، ولكن [illegible] ما أثبتناه

رسالة (هـ [illegible] ب)

اللهم اسعدنا [illegible] في سبيل مرضاتك على [illegible] العارفين بك [1] في درجات
المحبين لك [illegible] حظ [illegible] مع كل لسان مع تنبيه بذكرك .
و[illegible] خيفة [illegible] الأجور [illegible] الشباب بعد الشيب وصل
[illegible] وأسمائنا [illegible] كتب [illegible] وأملاكنا [illegible] ٥
[illegible] على [illegible] وحمدنا [illegible] وحمدنا لك
وأشياء [illegible] نهتدي به [illegible] ، وحملنا في [illegible] وتفصيل كلامنا كله
كلاما [2] [illegible] ، [illegible] ، وسكوننا [illegible] ،
و[illegible] ، و[illegible] لك [illegible] فيك ، [illegible] عليك ، وقرة أعيننا عندك

[illegible] إذا [illegible] ، [illegible] إذا عصينا ، وتقينا ١٠
إذا [illegible] ، [illegible] إذا [illegible] ، وتذكرنا إذا هفنا ، وتهذيب إذا
حزنا ، [illegible] إذا [illegible] [3] ، [illegible] ، وتعزنا إذا ذللنا ، وتكثرنا
إذا قللنا ، وترشدنا إذا ضللنا ، [illegible] ، وتجبرنا إذا انكسرنا ،
[illegible] إذا افتقرنا ، [illegible] إذا [illegible] ، [illegible] إذا [illegible] ، وترحمنا
إذا [illegible] ، وتنصرنا إذا استنصرنا ، وتمهلنا إذا قصرنا ، وتعفو عنا إذا ١٥
قصرنا ، [illegible] إذا [illegible] [illegible] علمنا ، يا هادينا إذا أهلك [4] لدعائه

(١) ص [illegible] الك
(٢) في الأصل : كلاما
(٣) [illegible]
(٤) ص : هلك

فقد عرضت لأسبابه [illegible] وإذا وصلت بغنائه فقد احتملك لعطائه ، فاحتر

[2] في جميع خطراتك اللطيفة ونظراتك الظاهرة بين قدرة

استترت في [١٢٣ ب] هذا العالم ، وبين حكمة [illegible] استعليت في هذا الأنام ،

والحظ النسمة بعين الوقار ، وبين بحث[3] فيما نص الوقار امتراء[4] من الزيادة

فيه ومنه [5] ومهما خطت هكذا وهكذا فانه يملك ، وتوجه بيت

بصلاتك ، واحس واحدة فيه نسمة حاجة ، وفيه قربة [illegible] ، ولا تألف

الشكوى ، ولا تسحب [illegible] الهوى ، ولا تسوح [illegible] ، ولا تطلب السكنى في غير

دار السكنى ، فإن من أحب الشكوى [illegible] من البلوى على البلوى ، ومن طلب

السكنى في غير دار السكنى فقد [illegible] «وقد ولى»

يا هذا [illegible] لأنس زهرة ، وجنة في المعرفة مصرة ، ونجوى العيب

زاهرة ، وآيات الحق حاضرة ، [illegible] هذا [illegible] أحلام النائمين وما هذا الزهد

في حياة [illegible] ، وما هذا الإعراض عن شأن الآتين وسلم الماضين ؟

يا هذا [illegible] المعزوزة الوثقى التي لا انفصام لها [illegible] النسيمة الناعمة

التي لا كدر فيها [illegible] شجرة التي لا [illegible] تمر فاسكنت

التي لا [illegible] بعدها ، [illegible] التي لا تيأس [illegible] بان [illegible] التي لا حجر

لك [illegible] أسس عثرات التي لا تعثر [illegible] وراءها [illegible] عنيت من هذه

(١) يمكن أن تقرأ [illegible] لا [illegible]

(٢) [illegible] في الأصل ، [illegible] يمكن أن يستقيم ويتصل

(٣) ص [illegible]

(٤) [illegible] ، امتراء [illegible]

(٥) [illegible]

الزهرة التي في الحياة الدنيا . وأوْنَ (١) إلى ما وراءك وأزِن (٢) إلى ما وراءها في الدرجات العُلَى ! فقد أُلقيت [illegible] به لطامك ، فلم تتشبّث ؟ ودُعيت مرعاة بها قوامُك فلم تنعت ؟ وكُفيت أموراً وطولت بإحصارها العُمْر عنها حولك وقوّتك . وباد دونها شحك ومقتك (٣) و[illegible] هذه الكهرية التي سمعت لك في القسم ، وضيع لك [illegible] وأنت في نعم [illegible] ما لاح لك في مقامك هذا من العلم بعد الدم حتى رَويت بعد العطش ، وشبعت بعد الدهش

يا هذا ! [illegible] في [illegible] (٤) [illegible] الحق ، و[illegible] ووروده ، فاحسر كل احذر أن [illegible] قسمتك [illegible] ثوبا [illegible] من [illegible] و[illegible] ولا[illegible] عليك . ولا [illegible] . ولا [illegible] قد أمكنت من [illegible] الشمتين لك ، و[illegible] عنك ، و[illegible]

| ١١٢٤ يا هذا [illegible] ، وأرزاق وحيك ، و[illegible] ، و[illegible] عن مكانك هذه ، وثبة [illegible] من [illegible] ، [illegible] الكائنات لهذا [illegible] إلى [illegible] ، [illegible] الواصل إلى هدايته وثقته ، [illegible] من [illegible]

(١) كذا !

(٢) فعل أمر من [illegible]

(٣) [illegible] ، [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) سورة « النحل » ٩٤

(٦) كذا !

(٧) الرحمة [illegible] ، الرحمة [illegible]

يا هذا ، هذه مناجاة الحق لأصحاب القلوب المحترقة فيه ، ونجوى الحق لأسرار الحائمة عليه . فالزم هذا اليفاع [1] فإن الألطاف تترعيك ، واعلم أنها إذا انتشرت عليك انتظمت لديك ، وإذا انتظمت لديك غنيت بها ، وإذا غنيت بها أغنيت منها ، وإذا أغنيت منها استغنيت عنها ، وإذا استغنيت عنها [2] < عشت غنياً بها وعنها !

يا هذا ! أما ترى هذه الدقائق كيف تحن بالحروف المجموعة المفرقة ؟ أما ترى هذه العجائب كيف تدق عن الدلالات المرقومة [3] المنمقة ؟ أما تراني فيها كأني من أهلها ولست من أهلها ؟ أما تراني غائباً عنها وكأني حال بها ؟ أما تراني غريباً فيها وكأني مستأنس بها ؟ الويل لي إن كنت فيما أقوله غريباً منه ، والويل لك إن كنت فيما تسمعه بعيداً عنه . إن الشيء إذا لم يعل عن الحقيقة الأولى لم يسمع السمع على الطريقة المثلى . ولقد قال القائل إذا لم يكن واجداً [4] لما يقوله لم يكن السامع واجداً [4] بما يسمعه : إنما هو قلب يناجي قلباً ، وروح [5] تناجي روحاً ، وعقل يحاور عقلاً ، ورب ينادي عبداً ، وعبد ينادي عبداً : فالمنادي من حيث ينادي بالصدق مجيب ، والمنادى من حيث يجيب بالحق مناد .

يا هذا ، التيقظ بالمعروف إسقاط اللغوب من مطالب المعارف ، فالمذاكرة مستحضرة للغيوب من الملكوت . فاحتفل بدم المذاكرة ، فإن أدنى ما فيها

(١) اليفاع : التل المشرف ، وقيل : ما ارتفع من الأرض وحده ، وجمعه يفوع
(٢) أضفنا هذه الزيادة لأنه يلوح أنها ناقصة
(٣) المصبوغة الموشّاة
(٤) واجد الأولى ضد فاقد ، والثانية من الوجد وهو الانفعال والتأثر
(٥) ص : روح

أن يتصرّم عنك وقتك ولك فيه أثر، وليس يتصرف عنك وقتك ولك فيه أثر إلّا وبقي عليك منه روح يكون لك عنه خبر. ودَعْ عنك الشواغل من زيد وعمرو وبكر وخالد فإن الخلق عليك لا لك، واجعل الحق قُبالة سرّك ونحوه حبة قلبك و [illegible] وراء شغف فؤادك، فإن الحق لك لا عليك وثق بأنك إذا أدمجت صفاتك وخلائقك وعاداتك ومعارفك وخصوصيتك في هذه الصفة التي قد تكررت عليك وصارت ديوانًا ووسمًا عندك، لم تعدم روحًا يفي [illegible] ١٢٤ ب [illegible] حاتم كل على [illegible]، [illegible] لم تعدم كشفًا به تشرف على كائنات غيب [illegible] لك في طيّك، بل لم تعدم حالًا إذا رُمت وصفها ما لك [illegible] والحد، لم تسعه، لأن لغة ذلك البلد لا تفهم في هذه المدينة، كما أن عادة هذه المدينة لا تستمر في ذلك البلد.

يا هذا! إن شعاع هذا الشمس يجتذب أنوار هذه الأقمار، وبحر هذه الأحوال يبتلع [illegible]، وورد هذه الشجرة تغني عن كل الثمار. وسرّ هذه [illegible] يمحو رسوم سائر الأسرار، فالزم حدك في حدك، وتحرّ وعهدك بأمرك وعهدك، وخف رشدك [illegible]، ومتى ما [illegible] فإنه إلى [illegible] كهف مؤونة [illegible] و [illegible]، وأبعد من ترفك ورشدك.

اللهم إنا [illegible]، فاجعل غدونا إذا غدونا لك، ورواحنا إذا رحنا بك، و [illegible]، وتوجهنا إذا توجهنا على قاتلنا منك، حتى نكون في حالات [illegible] متشبثين بحبل الدال لك، منتسبين إلى حرز [illegible]، [illegible] نفس [illegible]، [illegible] في سقوة [illegible] عزك، متيقنين

(١) [illegible] الساحة [illegible] يقل: « ما يصور لعقوته أحد، أي لا يدنو منه أحد ولا يعرف ساحته إنسان.

نطق كرامتك، متقلبين بنعمتك في عصمتك، سالكين طريق طاعتك بطاعتك، واصلين إلى معرفتك بمعرفتك

يا هذا! تحسب الأضداد فيهم مختلفة، وتحسب الأمثال فيهم مشتبهة واعلم في الجملة أن وصالهم صرم، ودنوّهم نقص، و... ، وعطاؤهم صدود، ومسالمتهم حرب، وإصلاحهم كرب، ونوالهم حرب ، ولعل فيهم عطب

يا هذا! إن كنت مع العلم فأين العمل؟ وإن كنت مع اليقين فأين الهيبة؟ وإن كنت مع الحب فأين الذبذبة؟ وإن كنت مع الطمع فأين الذل؟ وإن كنت مع كبر الهمة فأين الشدة؟ وإن كنت مع المحنة فأين الاستماع؟ وإن كنت مع الشعر فأين الأدب؟ وإن كنت مع السمع فأين الطرب؟ وإن كنت مع التقوى فأين الدمعة؟ وإن كنت من أهل الديوان فأين المحسوب؟ وإن كنت من عبيد الصاحب فأين الخاتم؟ فلا لك من المبدأ خبر، ولا لك من المنتهى أثر، رضيت بزخرف القول غروراً، وذهبت بما لك عما عليك حسرة وسروراً، حتى إذا أخذ بعنانك وحصرك ... سبيلك، بقيت على قارعة الطريق بلا هاد ولا حاد. أما علمت أن من شار إلى الحق ولا تركن إلى سيره فقد خرج عن الطريق عداً واحداً؟ أما علمت أن كل عمل [١٢٥ ا] مطرود إلا من أريد بذلك، وكل وارد محدود إلا من أصل له في ... ، وكل متمكن معذور إلا من كوشف هذا؟ يا هذا! إن قصصت بالذنب حققت، وإن حدثت في قصصك لفظت ... ما علمت

( ) حزب الرجل منه ... ، فهو محزوب ... (من باب ...) يحزب: كذب، و... ، ودث بلوبل

أن [illegible] مبسوطاً، والكتاب محفوظاً، ثم سمعت منّي أو ممّن سمعه حين قال
أوفوا بعهدي في دار محنتي على بساط خدمتي من حفظ حرمتي، أوف بعهدكم
في دار نعمتي على بساط قربي بجلال عزّتي.

يا هذا إن أصبحت في نعمة لم تجر عندك [illegible] وأحكام
المشيئة، بين أمن وسلامة من المحنة، [illegible] واحدة،
فلا تتعرّض لتغييرها [illegible] حين قال: «إن الله
لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم»[2].

يا هذا [illegible] بأحداثك وبذنوبك [illegible] بلطف [illegible]
وشممت [illegible] تارة [illegible] مالك مما قد أقذاك، وتارة
جرحت عينيك [illegible] حتى [illegible]، وتارة [illegible]
عن حاجاتك وأعدائك [illegible] وعدك، وتارة [illegible][3]
سيف الدهر [illegible]، وتارة شوّقتك إلى الوطن [illegible]، وتارة سترت
بينك وبين [illegible] ذاكراً،
أو إذا [illegible]، أو إذا وجدته [illegible]،
أو إذا [illegible]، أو إذا [illegible] محبّاً، أو إذا [illegible] مستحسناً،
أو إذا ناجيته متعزّزاً، أو إذا [illegible] شاكراً، أو إذا وصفته ممتحناً

(١) الكِنّ (بالكسر) وقاء كل شيء وستره، والبيت، والجمع
أكنان وأكنّة [illegible]
(٢) سورة الرعد ١٢
(٣) ص: تكون
(٤) ص: أحدسه [illegible]
بالمال ومكن

فمن جرأني على ما تعرضت بك له، وما ثوبي على ما أقرعت عليه من ذنوبه؟
بل جرأني أن تضاعف سوابغ نعمك علي، وتتابع إحسانك إليّ، وقطع ما بيني
وبينك نفسي، وتصل ما بيني وبينك من أجلي فمن قولك من يريدني
رغبة في إرادة الخير بك جهدي وطاقتي

٥ إلهي، إني قد لاحظت سعة ليبق بك، وبطلب ما لديك. فأعنه
على ذلك، وأمنن عليه في ذلك، و بك أحوال ...

يا هذا! لقد بليت مما علمك ولا تزيد، وقد عرفت منك فيك فلا تغفل
وضيق بليت ما كان عنك سبب ما سكن، وكيفما دارت بك الدائرة
فكن مستكناً فيك تزحم، وإذا زحمت فقد فار بغنمك. وفوى رشدك
١٠ إن الرحمة من المولى لنفسه ... بالعد ... ويأتي [١٢٥ب] وإياك لننجو.
قال الساعي: فإنما خبير ... والأسف، و ... والأهف.

اللهم أعنا على ... الوجهة علينا حتى ... عنا(١) ... لمرائه
الأحرار وشكائم الأبرار، يا ذا الجلال والإكرام.

رسالة (ث)

١٥ اللهم إنا لا نعوذ بلسان الإخلاص من معدن الاختصاص، فنقول إنه
لا ثقة لنا إلا إليك، ولا اعتماد لنا إلا عليك، ولا فرار لنا إلا لديك،
أنت كهفنا الحصين، وحبلنا المتين، ومالكنا الرؤوف، وقربنا اللطيف.
فهب لنا من لدنك رحمة واسعة تغمرنا بجودك وكرمك، وأفض علينا
من عندك نعمة سابقة تسترنا بفضلك وإحسانك، ولا تكلنا إلى ... فنعجز
٢٠ عن إصابة خيرك، ولا تردنا علينا فنكد في غيرك

(١) كذا؛ ولعلها: عنا.

أيها السامع المحتضر نفسك ، واصبر نفسك ، وانظر لنفسك في يومك

بغير ما كنت عليه في أمسك ، واتّبه للآخر من [illegible]ك ، واسمع من الشدّة

من املاك الموكل بك فلا خاسر أخسر منك إن لم يكن لك سكون من يقين ،

أو تحذير من معرفة ، أو حياء في مراقبة ، أو خوف من سطوة ، أو رغبة

في قربة ، أو طمع في وصلة ، أو ندم على هفوة ، أو حنين إلى مناجاة ، أو ضنّ

إلى مجالسة ، أو مسارعة في سبيل التوحيد ، أو غيرة على محض التجريد ،

أو سطوة من عقل قد تخلّق بالتأييد ، أو وجد مشاهدة حصلت على الاتصال

والتبدد فيا حسرتى على أن [illegible] هذا [illegible] ونحن [illegible] هذا الأمر [illegible] دون

العلامة التي تدل على هذه الكرامة ، [illegible] لا [illegible] مردودة ، ولعلّ

في الغاية ملاطفة [illegible] مكدودة [illegible] متى كان [illegible] متى كان

الأمر [illegible] فلك [illegible] متى كانت [illegible] متى كانت حركاتك

مقصورة على [illegible] متى كانت [illegible] في التوحش و[illegible] متى حمدت

حياتك [illegible] متى [illegible] متى وجدت الله في أقصى

نظرك و[illegible] متى [illegible] متى [illegible] هنا

بحرك [illegible] ليس قبل [illegible] صحن

المؤمن ؟ لم [illegible] وصفت وبحثت ؟ ثم [illegible] إليها بجهلك [١٢٦ ا]

وعزّتك ؟ وهلا [illegible] في تحصيل ذلك و[illegible] ؟ متى كان [illegible]

في طريقك ؟ متى كان الجوع والعطش صاحبك في حالك ؟ متى كان اللوم

١) لدمه (من باب نصر) لدما [illegible] ويمكن أن يكون مقلوب لدمه ولدمه (من باب ضرب) لطمه ، فاللدم هو اللطم ، وكذا اللدم وهو الأقرب إلى المعنى هنا

٢) [illegible] ص : ما.

والرواية مصيبتك على نفسك الأمارة بالسوء ! متى تحسن الصدّيقين إمامك
وإخوانك فى أمرك ؟ متى استشعرت بالورع والتقوى فى شأنك ؟ متى كان ذكر
الله بالخشوع شعارك ، والاعتماد إليه دثارك ؟ متى كان القرآن حديثك والخلوة
بمناجاة الله ديدنك ؟ متى تحسن الصبر وسادة ، والصمت عصمة ، والحكمة جنة ،
والتسليم حجة ، والخوف قريبا ، والرجاء حديثا ، والتوبة فراشا ، والأمانة
بيتا ، والاعتماد معاشا ؟ أين ستر العيوب وموت الطبع فى الجمعة ؟ أين حنين
القلب وشدة النزاع إلى المواصلة ؟ أين راح النفوس والشوق إلى أخى المأنوس ،
وتنطق من ذلك الحى المعروس ، أين متعة الأرواح لطائف المساء والصباح ،
وهناء نعمه ، والأرواح ؟ أين المشاشة بالمصلح ، والشهوة بالفلاح ، لا تعرف
الفرق بين الظلام والشعاع

يا من تهاون بنظرة الله إليه حتى استحجر بجهله عمله ، غير ذاكر لموته ،
ولا خائف من فوته ! يا من عطل حرمه ، وتضعضع عزمه ، وقل بما عليه وله علمه !
يا من طالت غفلته ، واستحكمت قسوته ، واستمر على ماشه وتاه[1] نيته !

يا من اشتد به نومه ، وضيع أمسه ويومه ، وشمت به عشيرته وقومه ! يا من
من حيوته فلا يكترث لنظر الله إليه ، ولا يهاب اطلاعه عليه ! يا من توالى
وعظه ، وتمادى حنقه ، وتقدم عهده ، وقرب سكنه ، وخاف لمرته ثم وفى ،
وغاص فى ينابيع الهدى ثم صفا ، وولى عن معشه ومعاده ثم كفى ! يا من
يدمن صحبته وأعزبه وإخوانه وجيرانه كل يوم ثم يقلع عن غيه من اللعب
واللهو والعشر[2] والظلم ! يا من ذنوبه لا تحصى مع التضييع لما أمر به

(١) كذا فى الأصل ولعل صوابه : ماشاه وتاه
(٢) عشر الوالى فلانا (من باب نصر) عشرا : ظلمه

قد رضي أن يكون مطروداً عن بابه لا يراه أهلاً لمعرفته فصدق الحكيم المتقدم

لا يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

يا أخا العثرات بعد العثرات ، يا كاسب السيئات بعد السيئات ، يا صريع الشهوات في الشبهات ، [١٢٦ ب] يا خائضاً في الشبهات على الشبهات ، يا أسير العادات في الملمات ، يا رهين الغفلات في الغفلات ، يا ثاوياً في الضلالات بعد الضلالات ، يا مقيماً في الجهالات بعد الجهالات ، متى يكون انتباهك ؟ وفي أي حين ينبعث ... ؟ فمتى تطمع لأرواح من الأجساد سعيد ، ولكن هلاك الأرواح والأجساد أشد ، وفوت الدنيا والآخرة وخسرانه أبين وأبين ويحك إذا فاتك ... ، وإذا وجدت الله فعلام تحزن ؟ أما تعلم أن في الله عوضاً من كل فائت ، وبدلاً لكل مؤمل ، ومنتفعاً إلى كل مراد ؟ ألا فقفوا على ديار الهالكين ، واستخبروها عنها إن كنتم سائلين ، وتأملوا في أقطاب الربوع الهامدة ، وآثار الجموع البائدة : يا منازل الأمم الخالية ، ومعقل أولى الهمم العالية ! ما فعل سكانك الأولون ، وأين حل قطانك المتحملون (١) ؟ وكيف عفت تلك الأجساد الكثيفة ، واضمحلت تلك الجواهر الشريفة ؟

أيها المغرور عن تصريف الأيام : ما شعرت أنها تعثر على كل من قبلك ! أطاعتهم الآمال فهم ساهون ، وغرتهم الأماني وهم غافلون ، واخترمتهم (٢)

(١) تحمل : سافر وارتحل .

(٢) اخترمت المنية فلاناً : أخذته . وكذا تخرمته ؛ واخترمت القوم وتخرمتهم : استأصلتهم .

يد المنون وهم يلعبون ، واعتورتهم الأيام بكرّ صروفها وهم يمرحون . لقد نبههم
ذو الجلال بالتنبيه لو كانوا يسمعون ، فقال : « أوَأمن أهل القرى أن يأتيهم
بأسنا بياتًا وهم نائمون — إلى قوله — [illegible] يأمنون [illegible] إلا القوم الخاسرون »(١)
أنذرتكم الأيام بعبرها فلم ترعووا ، وأ[illegible]كم [illegible] فلم تسمعوا
وناديكم الدنيا [illegible] السكون إلى [illegible] فلم تستمعوا [illegible]
[illegible]تكم ، وغرتكم الأماني فأهلكتكم . و[illegible] من [illegible]
في أرض عداتكم [illegible] ، [illegible]
حيارى [illegible] بلا أنس ولا [illegible] بين [illegible]
و[illegible] ، و[illegible] ، [illegible]
قد غرقتم في بحر الغرور ، و[illegible] في [illegible] ،
و[illegible] في ميدان أعمالكم [illegible] ، فلا [illegible] ١٢٧]
من مراركم [illegible] ، ولا في [illegible] ، فلا من عذاب
ربكم يوم القيامة مشفقون [illegible] تسمعون قوله :
« إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون »(٤) [illegible]
أنفسهم العبرات ! ويا [illegible] ! ويا [illegible] على وجوههم
من شدة الحسرات ! ويا [illegible] من حُرَق [illegible] !
فيارحمتا(٥) لقوم بعدوا عن منازل المقربين [illegible] ، و[illegible] عن درجات

(١) سورة « الأعراف » : ٩٧ — ١٠٠
(٢) كذا في الأصل بالذال المعجمة !
(٣) من باع يبوع : أبعد خُطاه .
(٤) سورة « المؤمنون » : ٥٨
(٥) ص : فارحمتا

الغافلين فأصبحت [illegible] . ووقفوا عن باب الله الكريم فحبطت أعمالهم فلو رأيتهم يوم العرض وقد ساخت بهم الأرض(١)، فندموا على ما فرطوا أيام المهل، وحقت عليهم كلمة العذاب بالوعيد الأول، لعلمت أن التحسر في الدنيا من صدق رجعة في الآخرة، ولاحق منها من تبع بصفقة وبحرقة. أتدرى ما كلمة العذاب؟ هو قوله «ادخلوا أبواب جهنم»(٢) و«اخسئوا فيها ولا تكلمون»(٣) [illegible] من الشقاوة التي ليس بعدها شقوة

يا هذا! من شغله [illegible] في أعمال حوائج سره، شهد الأول والآخر في [illegible] ومن [illegible] عن صيانة ما تحت سره، أخذ نفسه إلى غاية [illegible] في [illegible] ومن [illegible] نفسه بودائع الحق في صدره، أظهر [illegible] من خلقه [illegible] ومن شغل نفسه بنفسه، نكص على عقبيه في حيرته وعجزه، ومن [illegible] على عفوه مع إصراره فقد [illegible] تسخط في [illegible] ومن [illegible] الحمد في صبره وشكره، فقد أمن من [illegible] ومكره، ومن استعز بحوله وقوته، فقد حشد على وجهه من [illegible] على سره و[illegible]

يا هذا! إن كنت عبداً [illegible] فأمل واتق، وإن كنت [illegible] فأبرز [illegible] على ثقة أنك [illegible] ثم [illegible] اشهد صمتك في قوتك، وأشرف على قوتك في صمتك، تجد مسوحاً بعد الزيادة، ووددت قبل أن تحوم فشرفت [illegible] قبل أن ترد شربت سائغاً، ورجعت هنيئاً،

(١) ساخت به الأرض: غارت فيها
(٢) سورة «النحل» ٢٩
(٣) سورة «المؤمنون» ١٠٨

وثبت ناهلا ، وعصيت لك مكونا معك ، ومشرّفا لك ... فلا وقد حدك
سوء الاختيار ، إذ يحسن المتصل والاستتار ، فليس لك من دونه انتصار
ولا انتصار . إن قمت فمفصله عليك ، وإن رددته فمسكت الذي لا يجوز حبيك ،
وإن عاتبك فلأنه يستصحبك . وإن أعرض عنك فلأنه [١٢٧ ب] ليستدرجك ،
وإن تابعك فلأنه يحب أن يحتبيك ، وإن محا بيانك وبينه فلأنه قد علاك
واطّرحك

يا هذا ، إياك أن تسأله في الصنعة إلا الصنعة في الصنعة ، وإياك أن تطلب
منه العطية ولكن المعطية في العطية ، وإياك أن تشير إليه بالإشارة ولكن
الإشارة في الإشارة . أتعلل ما تسمع ، أتعد ما تخرج ... أو تحتي ما يبقى
أبيت من هذه النجوى التي هي أهل الهدى ، ليس لها من لا ... الشخص
ولا الظل ، ولا ... ولا الأثر

يا هذا ، الطاعة في الطاعة الإخلاص ، والعصمة في المعصية ... ،
والإشارة في الإشارة التجريد — حدثني بعد هذا الشرح : هل وقع دوائي منك
على الجرح ؟ وهل وجدت شفاء من برح الخفاء[3] ؟ وهل وثقت ... وعده
بمس الفرح ؟ إن كنت مرادا فقد نوديت ، وإن كنت مرادًا فقد بوديت ،
وإن كنت مردودا فقد عوديت ، وإن كنت محبا فقد هوديت . أنت أعلم
بنفسك بقدر ما أعطيت ، وأنصر به قدر ما نصرت ... أرى العين
لتبصر العين في العين ، وأشهدك الشاهد لتشهد الشاهد في الشاهد ، وأحضر...

(١) اسم مفعول من آنه : رفق به .
(٢) ص : إلا .
(٣) برح الخفاء : وضح الأمر .

عن الغائب تغيب في الغائب . وكمنوا ليرقبوك وتغلوا حيث ليحجبوا عنك،
وكدوك ليبغوا بك الراحة التي لن تدرك إلا بالكد . فلا تسلم مالكك ،
ولا تستغش ناصحك ، ولا تركن إلى ما سوّلت لك نفسك وزخرفه لك هواك ،
وغده وتبداه قرين اسوه معك . واعلم أنك غرض لمرض جسيم ، وغرض
خطر عظيم . ومدعو إلى خلود ونعيم مقيم ، في جوار رب كريم . فلا تقعد
على هذه الممكنات كذا هو قعيد . ونفس أيام معدودة قد ذهب أكثرها
باللهو واللعب ، وبقي آخرها بالكلال والتعب ، فمتى بدت قليلا ، لتقوّض
كثيرا ومتى صحت سيرا ، لتستريح طويلا

يا هذا دع هذا وحد [illegible] في حديقة الحقائق لعلك تتخلص من هذه
العوائق ، وتطلع على [2] هذه الدقائق ، وتسأل عن هذه العلائق ، وتصف
تلك الأنوار والبوارق ، وتتبع ما ذكرت في وصف الملكوت [3] [illegible]
الخلائق ، وغير السوابق من [illegible] تراب [illegible] الصور ، ووارث
الخير [128 أ] [illegible] الجواهر [4] . فإن ترى الصور فشواهد الحق الذي
الذي هو المصور لها ، [illegible] بها ، والمرئي فيها والمرئي منها ، [illegible]
والمراتب بها ، وإن حيرة [illegible] فشواهد الحق الذي هو المصور لها والمحيط
بها والمقوت بها والمقهور عليها وإن ترى [illegible] المحفوف بها والسلطان
القاهر [illegible] والتدبير الحق فيها ، وإن ترى الجواهر فالقدرة [illegible] والوحدة

(١) جمع [illegible] داهية

(٢) يعني على [illegible] من هذه العوائق [illegible] تحريف صوابه من

(٣) ص ، التي .

(٤) جمع جوهرة [illegible] يعني الأمور [illegible] من جوهرة [illegible] .

به والشوق إليه والتلهف عليه . وهذه حدود ملاذ بشر إلا بقي مسحوراً ،
ولا بحث عنها إلا عاد مبهوراً مقهوراً ، ولا وقف عنها إلا كان معذوراً ،
ولا ادعى تملكها إلا كان مهجوراً مكوراً

رسالة (مد)

من قرع باب الله فُتح له ، ومن طلب ما عند الله أدلج[1] ، ومن توجه إلى الله سلم ، ومن صحب السكينة لحمية عند الله استعصم ، ومن ذاق ما أعد الله استحلاه ، ومن اشتاق إلى من قصد به استخلاه[2] وفي البيت من تذهب واستعبر بدده ، وخلص من بعده ، وتعرى من مراده ، فإنه يصل إلى ساحته ويهجر والراحة ورشده . ومن سكر من شراب الأهواء هلك في خمار[3] الهوى ، ولعله من أوصل الهدى ، وتاه في أودية الردى .

يا هذا تستصحي فوقنا ما تركت جهداً فيما عاد عليك بمحو الخلود والمسرة الدائمة والجدوى الحسنة ، وإن رددت نصحي وشققت عن قولي ، ونبذت عن ذلك كله ذهبت مكابرة لي ، ونسبة مني ، فلا عجب ! فلك في هذا شركاء ، وهم[4] نفسه بلاءه ولا عجب منك ، فيما تسمع ، إذا نأيت عنه . فهذا أقول ما أقول ، وعصى منه قبل القبول . ولولا أني مراد بما ترى ،

(١) أدلج القوم إدلاجاً : ساروا من آخر الليل ، والاسم الدُّلجة والدَّلجة .
(٢) في الأصل استحلاه (بالحاء المهملة) وصوابه ما أثبتنا . ويستخلي الملك استخلاءً : سأله أن يجتمع به في خلوة ، يقال « استخلى الملك فأخلاه وأخلى به » أي اجتمع به في خلوة .
(٣) الخمار (بضم الخاء المعجمة) صداع الخمر وأذاها ، وبقية السكر .
(٤) جمع ملىء .

سكنت من طريقة ليس في وسع [illegible] ولا قوى ، فأصبح المصحح إذ كان الناسخ
به محاولاً تصحيحه في مدونته ، ومن شرط الوسط إذا كان لو [illegible] غير مستحيل
لاحتمه ، [illegible] دعوى لا بينة فصحيحه ، والظاهر بالإبطال فاحشة ،
والقول [illegible] ، [illegible] صعو [illegible] ، والسعي بالتوفيق [illegible] ،
وركب [illegible] . ٥

[illegible] على [illegible] الأولى ، [illegible] الطريقة
التي [illegible] ١٢٨ [illegible] في الآخرة والأولى !
[illegible] بالحصص اثنت !
[illegible] المك [illegible] خالف أخ !
[illegible] احفظ ول ١٠
[illegible] في [illegible] أبد مطرود
[illegible] أنه واسم لعلك تعس
[illegible] في [illegible] لعلك تسلم [illegible] المعتز
بالصحة [illegible] والنعمة
[illegible] ١٥

[illegible] ولا [illegible] الذي [illegible] ،
و[illegible] في [illegible] وكرمك لم توهنا ما أهلك
[illegible] في [illegible] والأزود ، ولشقك

(١) [illegible] حدى شفتيه [illegible] أنحراف [illegible] .
(٢) كذا ، ولعله [illegible] والشبب
(٣) [illegible] المنوث .
(٤) كذا ، ولعلها [illegible]

[illegible] مُطمحة بالرياء و[illegible] والخبث و[illegible] و[illegible] ، و[illegible] عليك [illegible]
إذا [illegible] [illegible] [illegible] مستوراً لأنك لا ترى [illegible] [illegible] لك ،
ولا [illegible] من [illegible] ، ولا خيالا [illegible] في [illegible] ثم إذا كان [illegible]
[illegible] في [illegible] [illegible] ، وفي [illegible] [illegible] ، وفي [illegible] [illegible]
٥ قصد [illegible] ، فكيف [illegible] . وكيف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] ، وأ[illegible] فيك [illegible] لا [illegible] [illegible] . [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible]
والإ[illegible] [illegible] ومن [illegible] [illegible] ، و[illegible] [illegible] [illegible]
والعادى بالأ[illegible] هذا [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] أ[illegible] [illegible]
الكرام ، و[illegible] [illegible] كل كريم ، كيف لا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
١٠ ونحن [illegible] [illegible] هذا [illegible] ، و[illegible] هذا [illegible] ، و[illegible] [illegible]
[illegible] و[illegible] و[illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] من هذا [illegible]
[illegible] ، وكيف [illegible] [illegible] وقد أ[illegible] [illegible] ؟ [illegible]
في عقولنا التي وهبتها لنا وحملت حجة عليها

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عن [illegible] و[illegible] ،
١٥ [illegible] في [illegible] [illegible] ١٢٩ [illegible] المس[illegible] ، ولا [illegible]
[illegible] المس[illegible]

(١) [illegible] والأ[illegible] أن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
(٢) أى [illegible]
(٣) أى [illegible] بالمعروف قبل أن [illegible]
(٤) [illegible] عن [illegible] [illegible] (من [illegible] ضرب)
(٥) [illegible] [illegible] ، والصواب [illegible] و[illegible] [illegible] [illegible]
والمسطهرين [illegible] ، من [illegible] [illegible] [illegible] ، و [illegible] [illegible] : [illegible]

يا هذا! إن الله وَهَبَ لك هذه الأحاسيس لتعتبر بما ترى، وتسمع،
وتذوق، وتشم، وتلمس، فملت الاعتبار بها بطراً وأشراً، وتأنقت
حتى وهبت لك منهمكاً مستكبراً. هكذا يشكر النعم، وهكذا تقابل النعم،
وإلى هنا كان الشوط! ما في حيوة [illegible] وما [illegible] وجهت وما [illegible]
حمّلتك! من ما أسرفت في جوارحك، وما [illegible] في [illegible] الضلال، من ما أعرت
[illegible] لك، وما [illegible] فيما هو [illegible] يا عدو نفسه. [illegible] حتفه بيده،
ويا شارب حتفه بأنفه، ويا حافر حفرة بجسده، ويا مخرّب بيته [illegible]، ويا ساعي
السعي لنفسه، ويا [illegible] بحبله، ويا [illegible] خسرته [illegible]، ويا مجهّز
على وجهه بخنجره! إنما [illegible] مليت [illegible] حتفه [illegible] في [illegible]،
[illegible]،
حتى إذا [illegible] عن الأسباب التي [illegible]، [illegible] وسطات [illegible]
من خير نعمه، وشر [illegible]، و[illegible]، و[illegible]، [illegible]،
وخائف [illegible]، و[illegible] تحفظه، ودوام [illegible]، و[illegible]، و[illegible]،
وباطل [illegible]، و[illegible] [illegible] [illegible] تعوّذه [illegible]، و[illegible]، و[illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وأشده [illegible] النعم وأسداه، لا [illegible] لله [illegible]
والعكوف على محارمه، و[illegible] من رضوانه

(١) الحادي: السائق (ومعطي الحدوي [illegible])
(٢) رَقَّه (من باب ضرب) رقاً و[illegible] عطفه
(٣) البرّ (بفتح الباء وتشديد الراء) [illegible] وعوذه به تعويذاً [illegible] له بالحفظ وقال له: أعيذك بالله، ويقال: تعوّذ بالله واستعاذه وعوّذه وتعوّذ به منه. [illegible] أو [illegible] تعوذه؟

يا هذا ! قد صرّفتُ لك القولَ، وضربتُ لك الأمثال، وأفنيت
في الوعظ والنهي نصحاً لك، وطلباً لسعادتك، وهدياً لك إلى راحتك.
فإن أصغيت إلى هذه كلها قائلاً، وتشبثت بها عملاً، وتبنّيتَ عليها راجياً
آملاً، ضمنت لك الفوز بالنعيم الدائم، والحياة الصافية، والعيش الطيب،
والرَّوْح المتصل، والرضوان الرحيب، والنظر إلى وجه الله الكريم كفاحاً
بلا حائل ولا حاجز. وليس بعد ذلك أمل أفسحه لك، ولا مطلوب
فأشوقك إليه.

يا هذا ! كيف هذا الحديث حق، ولم عنه منحرف، وإنه ندندن
حول هذه المعاني [٢]، فهنالك نيل ما لا أذن سمعت، ولا عين رأت،
ولا خطر في [١٢٩ ب] قلب بشر فلق ... بعث لله ... ما الذي كنينا
عنه ثقة توقي حتى ما صرحنا به، فإن غاية الإيمان ليتنبى، وغاية اليقين ما تجده
بملك، وتحيبه بروحك، وتثير عليه ... تنبه به عن نفسك وحسك
وإن سعداً تلم مع لله هذا النعم، حتى أن يكون ... ، مبسوط
الحال، عظيم الفكر، واضح الصدر، شريف الحلية، عجيب الخلق، غريب
التفصيل، بديع الخبر، طريف الأمر، غريب الوصف، إن ذكر وجد عليه،
وإن نعت اشتيق إليه.

اللهم كما جعلت هذه الصفات التي تختص بها من تشاء من عبادك بمشيئتك
السابقة وقدرتك النافذة وحكمتك الجامعة حتى وصفناه بوصف شاف،

(١) دندن الذباب والزنبور: صوّت وطنّ. والرجل: نغّم ولم يفهم
منه كلام.

(٢) ص: المعاني. ولعل صوابه ما أثبتنا وهو جمع معنى، مصدر ميمي
من عنا يعنو تام.

وذكرناه بذكر [illegible] حتى نعبر إليك بحسب ونتحلى [illegible] ،
[illegible] إلى حضرتك بما يعود [illegible] ، [illegible] ، ويكون
[illegible] في محبتك [illegible] ، وطلب [illegible] ،
[illegible] ، والتعلق بأسمائك [illegible] ، [illegible]

إلهنا أنت أهلتنا لهذا التوجه ، وألهمتنا هذا الدعاء ، وصرفتنا
في هذا [2] [illegible] ، [illegible] في هذه [illegible] ، [illegible] الكؤوس ،
[illegible] في هذه [illegible] ، [illegible] ، [illegible] في هذه الدنيا ،
[illegible] ، [illegible] في هذه [illegible] ، [illegible] في [illegible]
في [illegible] [illegible] ، ولا [illegible] ،
[illegible] ، [illegible] ، ولا [illegible] .

اللهم ! لا [illegible] من [illegible] ، ولا [illegible] من [illegible] ، [illegible]
[illegible] ، [illegible] في الانبساط

يا هذا إن كنت [illegible] [3] ، وإن كنت [illegible]
فله [illegible] ، وإن كنت عليلاً [illegible] ، وإن كنت
فقيراً [illegible] فله الغنى وما فوق الغنى ، وإن كنت [illegible]
فله الإرشاد و[illegible] ، وإن كنت معزولاً فاخطب [١٣٠ ا] فله الولاية
الكبرى ، وإن كنت [illegible] فاعترف فإنك تنال المرتبة العليا ،
وإن كنت حزيناً فاذكر [illegible] فله الرحمة [illegible] ، وإن كنت تريد

(١) ص . بأسبابه
(٢) كذا !
(٣) من حبا يحبو [illegible] على يديه [illegible] ، زحف قبل القيام .
(٤) أي توجه بالسؤال إلى الله

الدنيا فلا تذكرْ ملولا ، ما بين أن العيش مع الموت أحلى من المنّ والسلوى (١) ؟ ما ترى يرحمك الله يا صاحبي ما نحن فيه ، نعرف كأنا لا نعرف ، ونعرف ما نصف كأننا نصف قوماً نعرف . وألسنة تختلف ، وعقول لا تنتظم ولا تأتلف . ليت هذا يكن شيئاً ، ولا استمر حالنا .

اللهم إليك نفزع في كل ملمة ودهمة ، وعليك نتوكل في كل ما نابَ وألم . وقد أهمنا أمرُنا ، ودهمنا بلاؤنا ، وتاه القصد ، لدى مصحب ، وتخلط بنا الخوف من الجرى إلى أمالك لنا كما أنت ، وارؤف بنا كما أنت ، واعطف علينا كما أنت ، فإنك أنت أنت . وإنما نحن بك لأننا لك نتقلب في ظلال نعمتك ، ونرجو عوائد رحمتك ، ونسألك لاتصالنا بك ، الدعاء إليك والخشوع لك وأنت مالكُ ومصرِّف ، فارفع سوءنا عنك بإصالة عدل أمرك .

أيها السامع هذا لسان الحق واعظاً وموقظاً ، فانظر أين أنت منه ، فإنه إن كان لك فيه نصيب فأنت حبيب ، وإن لم يكن لك منه نصيب فأنت غريب ، وإذا أردت أن تعرف نصيبك منه فانظر إلى سرك كيف استنارته عند ذكر الحق ، وإلى قلبك كيف استراحته عند مجارى الأحكام ، وإلى روحك كيف هشاشته وبشاشته إذا صَرَّت بوادى الغيب إلى مواطن الملك ، وإلى شمائلك كيف اهتزارها في أرجاء القدس ، وإلى نفسك كيف استجابتك للصبر عند الكوارث ، وإلى جملتك كيف انتهاضها لتمثل الحوادث ، وإلى كُلك كيف ثباته عند اختلاف الصوارف والبواعث ، وإلى نفسك كيف قراره عند طلوع السواحر البواهت ، وإلى وجدانك كيف صحته عند السماع ،

(١) المنّ هو الطعام الذي يقال إن الله أنزله على بني إسرائيل ليقتاتوا به ؛ والسلوى : العسل .

وإلى صدمتك | وصلك | كيف خذلتك عند الوداع ، وإلى طاعتك كيف
[١٣٠ ب] إخلاصك منه عند الجاهر ، وإلى معصيتك كيف تبور منها عند
الحدود تصحيح البيتى - نعوذ الله ... صمت . وتحلّيه على الحدود سديد ،
وإدعا الحق مشهور ، وإنصافها متعذر ، والانتصاف منه معدوم ، وبلاء
بلا نهاية ، ومرآياه ملتبسة ، فيا خداع ومن أنحداع ، فمتى يبقى من الخداع
والانخداع مع سرد العادة ، وخبث الطبع ، ومن مكاره الوقت وفقه ... مال ،
لأن الحكمة متشتتة ، والمودة مدخولة ، والراحة مفقودة ، والوحدة دائمة ومهجورة ،
وعادة فاشية ، وخيبة ناشئة ... ، والاصطلاح واقع على رفض موعظة وترك
النصيحة لأحد إلا البيت كئيب ، ومحصّل غريب ، والقول في هذه الحال
لعامة العامة طويل عريض ، فقد أصبح الدين ومن المحجة ... لك ، ولا عن حكمة
... ، وأمست ... وحوطه ضرٌّ وهب ضرٌّ . عسى والله الناس
... غير الناس ... بيت المشتكي ما إنما

يا هذا ! الدارُ دارُه ، والخلقُ خلقُه ، والمصدر عنه ، والمورد إليه ،
والمشيئة منه ، والتصريف بإذنه ، والحدث بأمره [٣] ، يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد . اهـ

فما بالنا نعلق همنا بالخلق ، ونعرض عن هذا الحق ؟ يحسن بنا أن نتدبر
التدبير ، وأن نرد عليه التقدير ، وأن نعلم أن نظرنا أصلح ، وربنا أصلح .

١) مشتقة من مشيئة — أو من نشى بالشيء تعوده مرة بعد أخرى -
أي الخيبة تتكرر مرارا .
(٢) مشتقة من اليأس .
(٣) ص ... فأصبره
(٤) كذا ! والأرجح أن تكون ... ينعق .

وسمها بالعيب أو جرح، ومعرفتي لكونه بريئاً لا والله فهذا لائق به .
ولا متهم له، لأنا دللنا بمعرفته عليه بالحجة، موصوفون بالحكمة، محمولون
على الحكمة إن رأيناها رأيه، ومن حث النفس بالشك ضل، ومن حكم
احتكم بالجور حكمه . ومن [illegible] فكيف صدر
عن التقصير، ونشأ مشوب بالحس، وهو صحيح راجع إلى [illegible]، وصلاحه
ممزوج بالفساد . فمن هذا كيف يصح له تعييبه، وكيف يحق له حديثه،
وكيف يهم لما سر به [1]؟ وكيف تسمو له همة، وكيف [illegible]،
وكيف تخلص له طوية، وكيف تبقى فيه [2] سنة؟ هذا ما لا ينبغي
أن نطمع فيه وأن نحوم حوله، ونريده [illegible]،
ويحسن به . ويحسن في [illegible] في المنال
على شيء كون الكلمات [illegible]،
مواتية [3] لينة فيها النشاط والأريحية، وما كان منافراً شديداً حملناه
بالمسرة السوية والعقيدة السوية [illegible] ولا [illegible] لكن
هذا القياس مخالفة للسواء [illegible]، [illegible] لأشكال [illegible]،
مطربة بأنواع [illegible]، مطردة لأشباه [illegible]، مفرقة لأحوال [illegible].

هذا ما أفضى إليه نظري، ووقف عليه بصري، وحمى نحوه ورأيي
وصدري، ووضح في شرحه حضري وسري، [illegible] .

(١) [illegible] ([illegible] ذات السطة الواحدة) رأيه [illegible] .
(٢) السري : الجيد من كل شيء
(٣) [illegible] — [illegible] أن تكون [illegible]، [illegible] (بكسر الفاء
وضمها وسكون النون)، فهي [illegible]، والجمع رقى
(٤) أي . سهلاً ميسوراً

والاستشارة المحمة ، ونعم الوجه تطلب لشفاء الضمير ، ونعم لتبرؤ من التدبير والتدبير . فمن سرك أن تعرف به الحكمة ، وتتخلص من ضروب الخدعة ، وتفوز بمراتب المتقة بعد المتية — فافعل ، فإن احتجت في ذلك كله إليك ، وأرجع في بدائه ، ومنحة وكلمة تربيك . مشتملة عنك ، والسلام .

رسالة (هـ ـ مه)

كتبت إليك والربيع مقبل ، والزمن ضاحك ، والأرض عروس ، والسماء زهر ، والأنهار [illegible] ، والأشجار [illegible] ، والغدران [illegible] ، والخمائل متبسمة ، والرياض [illegible] ، والأودية [illegible] ، والأودية مطردة ، [illegible] ، فلا تقع العين إلا على [illegible] ومشرق ووشى [illegible] ووشى [illegible] [illegible] ووشى الحدائق ، ولأن [illegible] في [illegible] ما وصفت مرداً[1] ، كتبت [illegible] في غرض ذلك كله مراد ، وكل [illegible] وبين [illegible] وبين [illegible] وبين ما يعمله [illegible] معصر الأنوار [illegible] ، والشمس [illegible] الأحزان [illegible] ، والحيب [illegible] بعد [illegible] ، وأن [illegible] ، فكيف [illegible] والفؤاد [illegible] ، [illegible] ، وتحمد . وليت الحسن كان [illegible] ، وليت في [illegible] وبعد [illegible] ، وبقربه بما صنعت من الأيام حدية في نفس في حنوة[2] ، ومن في حنوة ، وكانت الجبال عشرة ، والأسجار [illegible] ، والأودية تتصبب ، والغدران تجف ، والرياض تقف[3] ،

(1) موضع الرياد

(2) « حنوة » الأولى بمعنى المكان الذي يحل فيه الرجل ، و « حنوة » الثانية بمعنى انفراد المرء بنفسه .

(3) قف العشب والشجر (من باب نصر) قفوفاً يبس ؛ وقفت الأرض تقف (من باب ضرب) قفاً وقفوفاً يبس نبتها .

والأغصان تعسو [1] ، والسلاء عسو ، وبي في مشاهدة لجميع عوضاً
من كل فقيد [١٣١ب] وقريب — فحدثني يا سيدي كيف أسرح طرفي في آثار
هذا الربيع ، وكيف أفرح بما أرى من الزهر والنور ، وبي قلب أثقال الهموم
وليس له مفتح ، وبي كاهل أثقال الهموم وليس له منها سراح [2] ؟
وإنما كتبت إليك بعنوان حالي على غير إشباع بذكر ما أنا عليه لواعج
في محادثتك ، وكثيراً ما يصدري من حرارة الشيطان إلى من طوى نفسه ،
ثم عرفني بعده ، ثم ذوقني بمحنته ، ثم ختم عليّ بالصبر وأغلق دوني بابه ، ونهاني
عن الشكوى وأغلق دوني أسبابه ، وطوقني على رؤوس الأعداء سمج الوجه
بالخيلة ، ذا من الشنة بالبؤس ، كئيب البال بالحزن ، مقيد الشهد والعقب
بالتحكم ، متلجلج اللسان في الاعتذار ، مردود الحجة عند الانتصار . إن رمقتني
عين رحمتني بالبكاء ، وإن دنا مني إنسان وجدني كريم العهد ، بعد ما عهدتني
جذلان ناعم البال رخي القلب ، أرجع إلى ثقة النفس في السراء والضراء ،
وإلى منعة الأنس في الأمن والخشاء [3] . فهل تعرف يا سيدي بلوى تشبه
هذه البلوى ؟ وهل يصبر الصبر على مثل هذا من المولى ؟ بل يصبر ويصبر ،
ولكن له مادة من طرف جميل يغتذيها ، ويقوى على حاله التي يتقلب في جزعها
وصونها . فالمسجون يُرفق به لئلا يموت ، والآخرون يعطف عليه لئلا يبلى ،
والمهجور يُسأل عنه لئلا ينقطع . وما غاية أملي بعد هذا الذي صوت به حيري
إلا أن أنظر بعين قدمي من مكاني ، وهذا الذي نصباي من زماني ، فالزوال

(١) عسا (من باب نصر) يعسو عُسُوّاً : يبس وصلب ، فهو عاس . وعسا الشيخ : بلغ غاية السن ، وعسا الماء : جمد .

(٢) السراح : الانطلاق .

(٣) الخشاء : الأمر الخشن

أسحق ؟ وهل العطفة مرجوة ؟ وهل الفيئة[1] منتظرة ؟ وهل الراحة متوقعة ؟ وهل زمان الفكرة والمؤانسة ، والمتعة والمنافسة ، وحضور وغياب ، وشهادة وغياب ، وعتب واعتتاب[2] ، واغتراب [illegible] واشتراك ، وتباعد واقتراب ؟ فهل ذلك ساعد بحلاوات الشجى ، بل هل ذلك الافتراق [illegible] ثقال الشجى ، بل هل [illegible] تلك [illegible] التي كانت تحفظ [illegible] ، بل هل [illegible] ذلك [illegible] الذي كان يتوقف حظي من مثل أيام كنت [illegible] في كل شغف ، و[illegible] من كل [illegible] ، [illegible] بكل فضيلة ، وأبرأ من كل رذيلة ، وأقول للمجد [illegible] ، [illegible] ، وأقول للمجد [illegible] فطن أنه استحب ، أيام [illegible]

[١٣٢] يا [illegible] طول [illegible] والسلام [illegible] أهلا [illegible] السلام ؟

[illegible] إذا [illegible] دعوا [illegible] شق [illegible]

أيام [illegible] كل [illegible] محوقا ، وتصور لي كل باطل محقوقا ، وتدعيني حال [illegible] عن الوهم ، حال كلما [illegible] إلى الإشارة حلت عن عقده ، وزلت عن حاله — حال كانت التي تحطها على وجه الدهر [illegible] بحقيقتها استولت [illegible] يد الدهر [illegible] من [illegible] وجد فقد ، وكلما ملك هلك ، ولما أبصر غشي ، ولما [illegible] من [illegible] ، ولما [illegible] افتضح ، ولما ارتفع اتضع ، ولما علا هبط ، ولما استوى سقط [illegible] على [illegible] حتى لا نعرف منه لا اسم

(١) الإنابة والرجعة
(٢) بالعين المهملة في الأصل . والمدعة [illegible] من [illegible] [illegible]
(٣) من أعاره .

ولا الاسم[.] لعلك تظن أن الاسم ملا[1] تعرف لأنه سر [illegible] فيا ويحك ! هذا
خيال منك، وولاه عنيت [illegible] من الاسم الذي هو حروف، من مضمونه الذي
هو وراء الحروف، الذي لا تناله الوهم لا بالمعنى ولا بالوقوف [illegible] وذلك هو الذي
أفاد الاسم مرتبته، وجمع بينه وبين نظيره، وفرق بينه وبين ضده، ذلك
الذي نظر فعلم، وأراد فكر، وصبر [illegible]، و[illegible]، و[illegible] ،
وكمل [illegible][2]، ووفى [illegible]، و[illegible] سر هو كاتمه، و[illegible] هو ناطقه،
وبرق هو عارضه، وشأن هو فارضه، و[illegible] هو [illegible]، و[illegible] هو [illegible]،
فليس يتحقق أن يلم بجهات[3] هذا الخطب زمر [illegible] أو [illegible]
أو هند، إلا من لعله [illegible] [illegible] [illegible]

سيدي [illegible] قد أوحيت سائى منك، وصرحت [illegible] [illegible]، وتقلبك[4]
سة أنت تعرف بها من سر [illegible] وأوقف [illegible] من سواه [illegible] وبما كان ذلك
من الأشياء كثيرة شريفة خطيرة، [illegible] [illegible] هذه الصورة التي قد [illegible]
هو [illegible] بما يدلك على [illegible]، و[illegible] [illegible] [illegible] منك [illegible] الله
فيك، و[illegible] [illegible] بالاعتراف [illegible] [illegible] و[illegible]
الأضداد وما لم يمتنع [illegible] [illegible]، والخامس استقراء[5] [illegible][6]

(١) ص: فلا !

(٢) [illegible] [illegible] [illegible] احتمل [illegible] [illegible] [illegible] فهو [illegible]

(٣) كذا ولعل أصله بجهات [illegible] [illegible] [illegible]

(٤) ص: فاقلبك (بالقاف)، والصواب [illegible] [illegible] [illegible] حدثته
حدثته وحدثني، أي [illegible] إليه [illegible] [illegible] [illegible] وحدثه .

(٥) [illegible] [illegible] الإ[illegible] من [illegible] [illegible] استبرأت الشيء، طلبت
آخره لأعرفه وأقطع الشبهة عني .

(٦) ص [illegible]، ويجوز أن تكون العيب (بالعين المهملة) كما ثبت

بما هو متعلق[1] له من هذه النبذة ، و[illegible] لتعوذ على نيل المراد من جناب
الملك بحال لا تفسرها ألف ولا ياء ، ولا يخبر عنها حي ولا ماء.

فإنه يا سيدى [illegible] كيف [illegible] بلسان قد ظهر بيانه ، فى معرض
شأن [illegible] هذا إلا لأن [illegible] لم تدعو إلى مثل هذه الحال
التى [illegible] الله فيها . فهل بقى الآن ٥
[illegible] من غيرك [illegible]
[illegible] لى من [illegible] بما يضاعف نشاطك ؟
[illegible] بحديث [illegible] ، ووقفت على [illegible]
[illegible] الحق ، [illegible]
[illegible] ما خصصت به من [illegible] ١٠
[illegible] وليس لى إلى غيرك فيه [illegible] ما أقوله
[illegible] الوقت
[illegible] الحق

[illegible] فى [illegible] شعفاء ما
[illegible] من أحوالهم [illegible] حتى يكون لنا فى ذلك وصلتك ١٥
[illegible] لأجلك ، [illegible]
[illegible] إلى من كان [illegible] لك [illegible]
[illegible] على كل ما [illegible] إلى عين
[illegible] صنعتك ، [illegible]
[illegible] فى ساحة خدمتك ، [illegible] على [illegible] منك ، [illegible] ٢٠

(1) [illegible]

عن [illegible] [illegible] [illegible] اللهو [illegible] [illegible] ، وتصبيب [illegible] ،
ونصيبا[2] نقرب [illegible] ، ثم تصفيه [illegible] ومن ذلك كله ، كما
مؤونة [illegible] وسوائل [illegible] [illegible] أصفوا[3] في [illegible] وحمائم لا [illegible]
بحبلك ، وانت [illegible] إلى نفسك ، وشفعنا [illegible] ، واقتسمنا من [illegible] ،
٥ واعتزازنا بو [illegible]

[illegible] [illegible] لك هذه الطرائف تُخضب [illegible] ، ثم [illegible] على [illegible] ،
ولا [illegible] [illegible] ، ولا [illegible] [illegible] منكراً ، ولا [illegible] [illegible] [illegible] كأ
عيب ، ولا قريبك السوء [illegible] [illegible] . [illegible] أكثر [illegible] لا [illegible]
ولا يعقلون ، وإنهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] | ١٣٣ | [illegible] عقلا [illegible]
١٠ عن هذه [illegible] [illegible] [illegible] وما [illegible] إلى هذه [illegible] [illegible] وحداً
يحق بهذه [illegible] [illegible] فديت [illegible] لأن [illegible] هذه [illegible] فديت [illegible]
[illegible] على هذه [illegible] فديت [illegible] حرى بهذه [illegible] فديت [illegible]
على هذا الجنون . فديت عينا اغرورقت على هذه العيون [illegible] الأمر [illegible]
ومن بعد

١٥ أين نحن ، ويحك ! وفي أي شيء [illegible] ؟ ومن [illegible] بما [illegible] وإلى
أي غاية [illegible] ومن أي [illegible] فطم ؟ وبأي [illegible] [illegible] ؟ وعن أي [illegible]
أسأنا وأي ذرة [illegible] وبأي معرض [illegible] ومن [illegible] [illegible]
وبأي بيت [illegible] وشحونا ؟ وكذب من قصصنا وقرنا ؟ وعتاب من [illegible]

(١) السجل : الدلو العظيمة
(٢) أصفاه : اختاره
(٣) صفق على كذا : [illegible]
(٤) [illegible] مواضع [illegible] .

وهما! وبحكمة من هزنا ونهرنا [illegible] ودعوه من خمد وقنط، وحضره من
قصدنا وصمدنا! وجده من جحده وصكه، ونعر من هجرنا وقهرنا [وبحكمة
من قهرنا وشهرنا، وكبه من اعتمدنا واستمده، ونجتذبه من ضربت وشرنا
وبحث من نحّنا وَوَحّدنا (٢)، وتب من تجربنا وتوحيد، وفي محسن
من زعقنا (٣) ورققت ورثه من حدث وسحب، ووجه من كفنا وسجدنا
وسدد من سنه وأسعد [illegible] ورد من رفض ووصف! ونص من اعتمرنا
وجحجح، ورد من شده وصب [illegible] ومراد من خصص وخشع، ونعمه
من يسره وشده، وفي دبره من [illegible] وسكه، وهيبة من سكنت وحرسه
ولحنة من فقد وحصد، وعلى اسعد من نفسه وترحّب،

[illegible] هذا لمن له الحق والأمر، ولمن له الحل والعقد، ولمن
له التصريف والتصنيف، ولمن له التأليف والتكييف، ولمن له الأول والآخر،
ولمن له الإرادة والمشيئة، ولمن له اسم بحكامه وسكناته، وباستدانه ورحمته،
وسره وعلانيته، له كل شيء، ومنه كل شيء، وإليه كل شيء، وفيه
كل شيء، وعليه كل شيء، وأما له كل شيء فلأنه مالكه، وأما به كل شيء
فلأنه منشئه، وأما إليه كل شيء فلأنه غايته، وأما فيه كل شيء فلأنه
مداه، وأما عليه كل شيء فلأنه حامله. ووراء هذا أيضاً ما يقف الفهم
على ترقيشه (٤)، ويتهالك العقل عن تفتيشه، ويتلجلج اللسان عن تنقيشه
وكيف لا يكون هذا هكذا وكل ما دونه ناقص، وليس لناقص أن يحيط

(١) كذا في الأصل وقد تكررت.
(٢) من وَحّده توحيداً: أفرده. ووحّده [illegible]
(٣) زعق الرجل (من باب قطع) زعقاً: صاح؛ وزعق فلان وفلان: ذعره.
(٤) رقش كلامه: زوّره وزخرفه؛ ورقش الرجل: نمّ.

ما ليس بناقص ، لا بالنوادي في [illegible] الراس ، ولا بالعقل الذي
في آخر المذاهب

[١٣٣ب] إلهي [illegible] شأنك [illegible] ومثر [illegible] لا تزعم مبهو[تاً] ، ولا سمعك
نعت إلا [illegible] مقهوراً ولا [illegible] ، [illegible] بلا [illegible] عنه [illegible] كذا [illegible] يدل
٥ عليه لفظ ، لأنك فوق كل [illegible] ، [illegible] كل [illegible] عقل ، وفوق [illegible] موصوف
بوصف ، وفوق كل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بمعرفتك ،
وحرس [illegible] [illegible] وحيد [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] عليك ،
وادكرنا [illegible] ذكرك [illegible] ، وإذا ذكر [illegible] [illegible] ، و [illegible] كرما [illegible] فبين
ذلك [illegible] [illegible] دلك لي [illegible] حتى لا [illegible] [illegible] ولا [illegible] وحداً
١٠ عليه ، [illegible] الاكرام

([illegible] ١٠٠)

اللهم [illegible] [illegible] الشيطان [illegible] ، [illegible] من [illegible] [illegible]
[illegible] ، [illegible] يذكرك [illegible] [illegible] ، [illegible] من الآثث و [illegible]
[illegible] ، و [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] بجودك ولا [illegible] ،
١٥ و [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
و [illegible] [illegible] إلا [illegible] ولا [illegible] [illegible] ولا [illegible] [illegible] [illegible]
بجودك ، و [illegible] [illegible] [illegible] بالشوق [illegible] ، و [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] بأدبك ، و [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(١) ص حرس
(٢) كذا
(٣) لأصح [illegible] [illegible] [illegible] ويصح [illegible] [illegible] [illegible]

هوى استعبد[1] [illegible] بعد الهدى ، وإن سفه البيت سائق الدعوى
فو[illegible] يحقق [illegible] الدعوى[2] والمثوى [illegible] حرف فى أعين حاضر الدنيا
كيف [illegible] عنه [illegible] نجوى [illegible][3] كل هذا لنا إلا بتوفيقك
الذى يحال به [illegible] ، ويجود [illegible] ، وتصير الكآبة
به [illegible] أمله فى [illegible] فى [illegible] وازددنا به
أنس [illegible] ذكر إلا وهو يريد [illegible] من حضرته ، ولا كرر
اسمه [illegible] إلا وهو يريد أن [illegible] فى حضرته ، ولا [illegible] بحسبك
إلا وهو [illegible] وطن [illegible] ، ولا [illegible] للتصير إلا وقد عزم
على [illegible] ، ولا [illegible] إلا وقد [illegible] فى نعيم
[illegible] ، ولا [illegible] إلا وقد [illegible] فيه ؛
ولا [illegible] الإجلال | ١٣٤ ا | عنه إلا وقد [illegible] فى الانبساط معه ؛
ولا [illegible] ونهيه إلا وقد [illegible] ، ولا [illegible][4] على ثقتك
إلا وهو [illegible] ، ولا [illegible] عليك حديث من [illegible] إلا لتعتبر
به [illegible] يا هذا كيف [illegible] ، وكيف قبلك
[illegible] ، وكيف [illegible] ، كيف جمعك
بعد ما كنت متفرقا ، وكيف [illegible] بعد ما كنت متبددا ، وكيف هداك
بعد ما كنت متحيرا ، وكيف [illegible] بعد ما كنت متسحرا[5] ؟

(١) ص : استعبا
(٢) [illegible]
(٣) [illegible] سيوسق لك الأمر أمامك
(٤) ص : ينبهك !
(٥) كذا ولعل صوابه [illegible] الرقة .

وكيف ذوى غصنك بعد ما كنت لاهياً ، وكيف وهنت لأحد بعد ما كنت
عاتياً ، وكيف فتح لعبرة عينك بعد ما كنت عصيته ، وكيف سُرّ
صدرك بعد ما كنت مريضاً ، وكيف فتق ضحكك بعد ما كنت مُرتَتِقاً (١) ،
وكيف رق طبعك بعد ما كان ممتنعاً ؟ والله لو صابرتُ على هذه [illegible]
الجسيمة ، وعلى إحصاء هذه الأمور الكريمة [illegible] والأمر [illegible]
على عشير من ذلك [illegible] كتبت [illegible] ، وعلى [illegible]
من هذا العاجل المحشو بتمويه [illegible] الأمر [illegible] عن
[illegible] عنك [illegible] شيئك لا يستأخر ولا يستقدم [illegible] وعدت الوعد ،
ونصح لك الناصح ، وقد [illegible] إليك المشفق [illegible] كان [illegible] في خلاص
مهجتك والخوض إلى جنتك ، فقد [illegible]

يا أهل الحضرة ، تهيئوا لموارد [illegible] ، يا أهل الولاء [illegible] حلاوة الصفاء ،
يا أهل الفرق في السعي ، تقربوا إلى وجه [illegible] عن الله ،
استأنسوا ، فلكم [illegible] إلا قربه ، ولا [illegible] أحداً
إلا حببه ، ولا خص أحداً إلا حسده ، ولا [illegible] أحداً إلا اصطفاه ،
ولا اصطفاه إلا ولاه ، ولا ولى أحداً إلا تولاه ، ولا [illegible] أحداً إلا كفاه ،
ولا كفى أحداً إلا ملأ قلبه وجداً به ، وشوق نفسه حنينه منه ، و[illegible] به
في الوصف له ، وأعلى كعبه مباهاة به ، ولا عجب ، فالآلاء منه متتابعة ، والنعم
منه متواترة ، والمدائح له كثيرة ، والأفواه [illegible] ناطقة ، والنفوس [illegible]
خاضعة ، والأيدي إليه مبسوطة ، والعيون نحوه طامحة ، [١٣٤ ب] والآمال
بجوده متعلقة ، ومظان الرجاء والطمع فسيحة ، ولا [illegible] إلا وهو [illegible] منه ، ولا [illegible]

(١) ارتتق الشيء : التأم

إلا وهو شاهد، ولا صغير إلا وهو مشير إليه، ولا كبير إلا وهو دال عليه.
فهل بقي بعد هذه الصدور وما وراءها مما هو من جنس هذه(١) الحدث
إلا غفولتك في سرك، وتوانيك في مصلحتك، واستبدادك برأيك، وقلة
ثقتك بموعودك، وسوء نظرك في أمرك!

يا هذا! أما حان لكبدك(٢) أن تبرد؟ أما وجب لعيونكم أن تستر؟
[illegible] أن يحضر وأن تبرد(٣)، ولسمعكم أن [illegible]
أن يستحق [illegible] ولكن صدق الله
العظيم حيث يقول: «كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون»(٤)

أين [illegible] عن الرحمة، الجاهل بقدر الرحمة، [illegible] مخرج المضغة!
استق إليه [illegible]
عينه [illegible] البينونة [illegible] أتدري ما البينونة؟
والبينونة هي [illegible]
[illegible] وكيف [illegible]
[illegible] التي [illegible] الآن [illegible]
التي قامت [illegible] إلى الآن [illegible]
بالاعتراف، في هذه الدار بالاستكانة [illegible] فالله!

(١) ص: هذا المكان. ويمكن أن يقرأ: الحيثات
(٢) مكان [illegible] (في ص [illegible]) يمكن [illegible]
قبل ماؤها.
(٣) ص: وأن ترق!
(٤) سورة «المطففين»: ١٤
(٥) محل أمر من [illegible] وله.

أما تأنف من مشابهة البهائم في الثَّرَط بعد الثَّرَط[1]، والثَّلْط بعد الثَّلْط[2]،
والبَلْع بعد البلع، والجرع بعد الجرع، والجشاء بعد الجشاء، والامتلاء بعد
الامتلاء، والسُّكْر بعد السكر، والخُمار بعد الخمار؟ أما تعرف هذه المرحلة
التي قد قمعت[3] أملك بعد الأمل [illegible]؟ أما تحن إلى الخلود الذي هو حياة
الأبد دون الدهر وحياة الملوك في [illegible]. ومع وخطك الشيب وأنت مشتمل
على لعب، وخائض في الريب، لا تقلع عن ضلالك، ولا تعتذر من زلاتك،
ولا تعتبر عن معنى فيك؟ كأنك لست من طينتهم، أو كأنك سير جار
على شيمته؟ أو جاد إلى [illegible] ١٣٥ | وقد عميت عنها بالتغافل وانتقلتها
لما كنت تنحله في كل وقت من[4] [illegible] «أولا يرون أنهم يفتنون
في كل عام مرة أو مرتين، ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون، وإذا قيل له اتق
الله أخذته العزة بالإثم، فحسبه جهنم[5]»

أيها الصاحب بالجنب، والسامع بالأذن دون القلب، ها أنا قد أعذرت
إليك فيما أوردت عليك، وإن كنت في بعض ما لا أرتضيه منك، ولا أحمده لك،
فإن علمت أني قد نصحت لك، وأمسكت من حظك. فقصارى قولي، ومصير
أمري، إلى أن [illegible] ولعلي [illegible] هذه
[illegible]، ولا بقية الجرحة إلا كمثل [illegible] على [illegible]، وكثرة [illegible]

(١) مصدر ثرط (من باب نصر وعلم): ثرط ثرطا وثرطانا: [illegible]
(٢) ثلط (من باب ضرب ونصر وعلم) الثور والبعير والصبي: ثلطا: سلح سلحا
رقيقا، [illegible] الإنسان [illegible] نحوه هو يثلط ثلطا
(٣) ص: قمعت. وقمع الشيء: [illegible]، وقمعه [illegible] (من باب
ضرب) [illegible]
(٤) كذا! ولعل صواب [illegible]
(٥) سورة البقرة ٢٠٦

في الماء، أو كحلم النائم في الليل، أو كظل قد أخذ في التقلص، وكأنه [illegible][1]
من منزل، أو كنوم من النعاس، أو «كلمح البصر أو هو أقرب»[2].
هل تحس من خير ما مضى؟ هل تجد من أمرك ما قد انقضى؟ كما لا تحس
ولا تجد [illegible] وإنما أنت [illegible] . [illegible] ما بك هي أنت [illegible]
وشغل . وانصب على عملك و [illegible] . واجعل في ذلك مثل في بدء عضلك[3]،
فاصطب [illegible] بجميع جوفك [illegible] . ولا بد من أخذه شيئاً
فشيئاً [illegible]

يا [illegible] [illegible] [illegible] إليه [illegible] لأمور لتتوكل عليه،
وأصحابك [illegible] به، و[illegible] في عينيك [illegible] منه، و[illegible]
في السر [illegible] و[illegible][4] في [illegible] في صدق في [illegible]
فلو كنت مأخوذاً [illegible] [illegible] كنت أبداً في هذه [illegible]
التي [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] و[illegible] و[illegible] [illegible]
أخرى، لأن [illegible] [illegible] على [illegible] عن حقائقه و[illegible] عليك [illegible]
[illegible] على [illegible] و[illegible] في [illegible] [illegible] إلى [illegible]

(١) [illegible] (بفتح الأول) مصدر [illegible] على [illegible] (من بابي علم وكرم)
[illegible] [illegible] و[illegible] بالكسر الاسم، وبالفتح المصدر.

(٢) سورة النحل ٧٧.

(٣) جمع [illegible] من [illegible] على فلان (من باب نصر) [illegible] [illegible]
أشد [illegible]

(٤) [illegible] [illegible]

(٥) [illegible] إني لأستجم قلبي بشيء من اللهو حتى أقوى على الحق. أي
إني لأجعل قلبي بمعكه بشيء من اللهو ليستجمع قوته

فيا أيها المكدي اقصد فقد قيل السعيد من كدى ويا أيها المتحير قف فالمعوص من قبل ويا أيها الغافل تنبه فالمحدود(١) من سبه ويا أيها الجاهل اعلمْ، فالناجي من علم ويا أيها [illegible] عش، فالمحيي من عش ويا أيها الآخذ حدّ، فالمتطهر من حد ويا أيها المشتاق توق فالمسرور من توق ويا أيها السامع عِهْ، فالراشد من وعى ويا أيها الممسك أنفق، فالشحيح من شح ويا أيها العبد أخلِص، فالمقبول من أخلص ويا أيها [illegible] احلم(٢)، فالضال من لم يحلم

اللهم إنا كيفما درنا فإليك نبوء، وحيثما [illegible] . وكيفما خضنا فعليك نعول ومنك نشرف [illegible] طوينا فوق ثوابك، ونوالك [illegible] دون أمدك، وفعالك كله، رضوانك عنا وإذا امتعت فلا [illegible]، وإذا طردتنا فلا نطعن، وإذا تسخطت علينا فلا نعتب وإذا منتنا فلا نأبى وإذا [illegible] في بعض ما دعوتنا إليه: فلا تأخذنا في بعض ما قصرنا فيه من [illegible] عفوك كله!

يا هذا ما شئت فاصنع لابد من العفو، واعمل ما شئت من خلال الكرام، وأنت أكرم الأكرمين فاعف عنا يا ذا الجلال والإكرام.

أيها الحاصر بحثه، المذنب بهمته، الناظر في عطفه، المتغافل عن سخفه، الماشق له حلته، الذائق محه بيده، الساعي بيومه عن غده، الظان بنفسه أنه ذو حول وقوة، سوأة لك، والسوأة عليك مشتملة، وقف نفسك؛ وأنت لذلك أهل أما تستحي أن تكون في مصلحتك بالدرهم والدينار ولا تحابي منهم بالحبة والذرة، وترى [illegible] ذلك [illegible] في رأي [illegible] نقله

(١) السعيد

(٢) هكذا في الأصل، والأنسب أن يكون [illegible] (بالقاف ذات المعطتين، بدليل قوله احلم، من الحلم) أي المنام والرؤيا فيه

[illegible] بعد ذلك
[illegible] وقعة حدثاً
[illegible] أو مكروه ،
[illegible]
[illegible] ٥
[illegible]
[illegible] ؟
[illegible] ؟
[illegible] ؟
[illegible] لا والله ما أنت إلا [illegible] ١٠
[illegible]
[illegible] ١٣٦ | من عين الله ،
ومن [illegible] من الله على [illegible] ومن الله [illegible] . ومن [illegible]
نعمة الله . ومن قرب السوء الذي [illegible] ومن [illegible]
في مخالفتك لله ١٥

يا هذا ! إلى متى هذا [illegible] . وهذا [illegible] ، وهذا [illegible] ،
وهذا [illegible] ، وهذه [illegible] . وهذه [illegible] أنت من طين ؟ [illegible]

(١) [illegible] واضحة تماماً في الأصل هكذا [illegible]
(٢) العينة (بكسر العين) مدة الحرب والجمع عين .
(٣) كذا في المخطوط واضحة ولم نهتد لمدلولها ، على [illegible] في معنى التكبر
وقد ورد في اللسان : باه مثل باع : تكبّر .

من ماء مهين ؟ أم أنت على ما عرفت من نفسك أشد لؤماً وأضعف جارحة
لك لأسمعتك ، ولو شاء لاختطفك من مأمنك ؟ أتجحد قدرة الله القادرة فيك ؟
أتنكر إحاطته بك ؟ أتظن أن أمورك تهمل ، أو جملة عملك تهمل ؟ كلا والله ،
ولكنه يبقي ويرزق ، ويعيد ويبدئ ، ويعفو ويكرم ، ويستر ويرحم ،
ويضع ذلك منه موضعه ، وهو به معروف . ولكنك في غفلتك غشوم ،
وعلى ما فاتك من حظك أسوف .

اللهم خذ بنا بما أنت أهله ، ولا تعاملنا بما نحن أهله .

يا هذا إنما أنت في حال كرة في الحلم أو حلم كالصبح ، ثم الاطلاع
على نعيم كما ترى لا نهاية له لا يحد ثمنه ، ونحن في شدة لا تلي معانيه ،
وتطلب أنك وجدت من أين وعد كما تريد . وأي عز لك يسمله الناس مشهور ،
وأي قدر ما يتحوّبه (١) البؤس والإدبار ، وأي شرف لك لا يثبت في حضرته
على حال به في كل ما اسم ، وفي كل زمان وسم ، حتى إنه يبدل له عرض
وذالك وحسبه وخلق ، وسائر مقومه ، ومعنى وموقوف على هذا . فإن
الأمثال بمثله مضروبة ، ووارده على نصرة مصبوبة . ولكن الصوت
عن التحقق بها محجوبة ، والنفس في طلب ذلك منهم وفيها مكروبة .

يا هذا العرض حتى تجد بعد مرادة ، تكون العارض فإنه كلمة لاهث
أو كلمعة عصفي ، فإن ذلك يؤذن بعلك الصبر ، ويفسح ملك الصدر ،
ويريك نفسه بالعوض ، وهاء في هذا الغرض .

يا هذا إن كنت تحب نفسك فلا تحرم لها مثوبة (٢) بيدك ،

(١) تحوّبه : تعهده بقصه ، أتاه .
(٢) مصدر ميمي من ... ثواب ، معونة ... في مصلات .

ولا تتبع [illegible] بحيرته ، واستيقن أن محنة النفس في معرفة النفس ،
وأن في معرفة النفس استكشافاً لحلة النفس ، حتى أنك إذا صحت [illegible]
عرفت الله الذي به قوام النفس ، وإليه مصير الحق والإنس . وفي هذه المسألة
دقائق ١٣٦ ب | من البحث ، وغوامض من النظر ، وغرائب من الجواب ،
وبدائع من الإيضاح ، والله المستعان .

رسالة (ص)

يا هذا ! تعبد لله متأبداً ، وتأبد لله متعبداً ، وتأيد(١) في طلب ما تأمله
متأوداً ، وتأود(٢) في التماس ما تؤمله متودداً ؛ تدري ما التعبد وما التأله
وما التأبد وما التأود ؟ إني أخشى لا تدري ، فإن أسلوبك في ديوان الأدب ،
ولا خلوك بصحبة ذوي الشكل والعرف والأدب . التعبد ظاهر ، وباطن .
ظاهره أن تكون بخدمتك متحرياً ، وباطنه أن تكون بهمتك لمن أنت له متعززاً
والتأله أن تكون من حيث متميزاً ، ومن انتشه بما هو عنده سراً
وجهراً متحيراً . والتأبد أن تصل إلى حضرات الحق مجتنياً ثمرات الصدق
والتأود أن تدل هذا متميزاً واحداً . فإنك إن انتصبت هذه الحالات
التي ذكرتها لك متصفاً بها ، وقفت عن قرب على عيونها وأساسها ، فحينئذ ينثال
عليك من معنى قد شد ما يطويك عن الكون ، ويشركك بين الملأ الأعلى ،
وهناك تشق الحجب شقاً ، وتجد ما تجده يقيناً وحقاً . وتدل [illegible] عيانه

(١) تأيّد : تقوى .
(٢) تأوّد : انحنى وانعطف .

وذوقاً ، ثم نطمع ونتشوق . ونتمر حلماً ولا نتشوق . اللهم إنا نعتزي (١) إليك
عند تشرفنا في ذلك ، ونتحدث عنك بصفاتك وانتفس بأنك فوق ما هنالك ،
ونصرح معترفين بالحاجة إلى ما لديك لتنقذنا من هذه المهالك . ونقترح مدلين
عليك أن تصفح في تلك المسالك ، وتنزل في برد ظلالك متغاضياً عما
قد سلف منا ، آخذاً بالجود الإلهي معنا ، ناظراً بالعطف والرحمة إلينا

اللهم إنا بقدرتك ظهرنا ، وعلى مشيئتك جرينا ، وإلى إرادتك انتهينا ،
وبعلمك فيما حدثنا — وإن كنا قد تركنا أمرك وخالفنا . ولولا ذلك ما شهدنا
بالتقصير ، ولا اعترفنا ؛ وعلى كل حال ، حكمك فيما أنفذت من حكمه ،
وقضاؤك أحرى علينا من قضائنا ، وقدرتك أشد إحاطة من قدرتنا
على أنفسنا . فأي نسبة الآن لنا معنا ! وأي نقطة لنا عيبنا ! فبحق إلهيتك
في هذه الصفات التي نشرنا وطويت ، وبحق هذه الكلمات التي ألهمتناها
حتى رويناها ، إلا تجاوزت عنا ، وسامحتنا في معاملتنا ، وأريتنا في حضورنا
من يديك ووقوفنا من جودك العام لنا ، وفضلك [١٣٧] المستمر علينا ،
وخيرك المحيط بما حسب ظننا ويقيننا . وأشهد أنك لم تنطق بهذا الدعاء
ألسنتنا إلا وأنت تحب أن تستجيب لنا ، يا مجيب الدعوات في الخلوات
على كثرة الخطايا والزلات !

(١) اعتزى إليه وله ، اعتزاء : انتمى إليه صدقاً أو كذباً وانتسب ،
والاسم العزاء .

رسالة (ج)

واهًا لنفسٍ مُنِيَتْ بسوءٍ شديد، ورُمِيَتْ عن مدى بعيد، وفقدت نفسًا عتيدًا، وفُطِمَت لعائدٍ[1] شريد، حتى خفقت[2] في اختلاف شكولها واختلاف تقاطعها ووصولها بمعارف حال في مباكر أخرى، بين ظنٍّ موسوم بيقين، وعلم مرسوم بشك، ورأيٍ مخصوص في الأهواء، وعيب مُفَوَّض للأكناف والأرجاء، معرضة دون نائل، ومراقبة دون رائد، ومشاعبها لهفُ رائد، ومطالبها تلف عائد. فلا جَرَمَ سرورُها ألم، وحزنها قطع، وأسبابها جشع، ومواردها جزع، وحليها خرع، وخوفها فزع، ولسانها عيّ، وشأنها غيّ، ونشرها طيّ، ووسطها لي، ومزيدها دل، ومركزها قل، وكلها كلّ، ونومها كلف، ويقظتها كلف، ووعدها سعف، واستدرها تلف، وظاهرها حسرة، وباطنها حيرة، ووصلها فرقة، ومرتبها حرقة، وروايتها تكذيب، وكرامتها تعذيب، وفطنتها تخييب، ووفقها ترتيب، وسكرها خطر، وصحوها بطر، وحملها عدوان، ودعواها بهتان، وشكرها كفران، وأولها خداع، وأوسطها متاع، وآخرها ضياع، وكلها في كلها قناع ورواع. أتدري لم هذا كله؟ هذا لأن مقصد صاحب الحق مبهمة في عمق بحار العقل، لا لغاية بادية يقصد إليها، ولا لأبد هادئة تدل عليها، ولكن لستر التبهم الأسرار، ومعنى هتك الأسرار، وعائب[3] مع من الاستحسار والاستكبار، وعاجز وقف من دون الاسترسال والاستظهار، وسبق كلَّ أمة سبقًا عنيفًا. وحجب الجميع عنها حجابًا كثيفًا،

(١) يمكن أن تقرأ أيضاً: عائر، عابر، عائب.
(٢) ضرب عليها وكتب في الهامش مكانها: شاهدت.
(٣) ص: عالب مع

ويرد هو على ذلك ردًّا صحيحًا، ثم نوّع بعض الأمر بالبيان، وطوى كله،
وأعلى لفظه ... الأمر، وأسرّ حقيقة المراد، ... مكشف، وحجب
نقيب المعلوم، ووهب ... ، ووشحه شايت البلوى، [١٣٧ ب]
وأبهم بمحصول الحيلة، وحصر بمكروه التمحيص، ... لونه. وأنسا(٢)
٥ الإشعار بالتسويف، ومن ... ، حتى صوت الضعف، ... ،
وفصح بالسحر الخفي(٣). ثم ... الأسرار في الأسرار، وطمس صُواه(٤)،
وأخفى الآثار في الآثار، وأدرج أولاه في أخراه، ... من وجه تشترك الجميع
فيه، وخصّ من وجه اضطرب ... عنه. فالحسن مشغول بزينة عمله، والعقل
مبهوت في بدائع صنعه، والنفس ... مع دوام الحاجة إليه، والحجة داحضة
١٠ عند محاولة الاعتراض عليه، ولا تحيّر رأيت منه تحيّر من فيه. فيا ... من
قل لي الآن كيف أرجو شفاء علّي وداني من دوائي، وسألتني من طبّي؟
اتصلت الحروف بالحروف، وعاد الطرف(٥) في الظروف، واشترك الدستر
بالمكشوف، والتبس المنكور بالمعروف، واشتبهت الصفات على الموصوف،
وعاد حتى العيب يخطف ناصع النسيب، وحلى الشاهد يشكل في حشو المكتوم،
١٥ ويشير إلى الفصل الواقع بين الخصوص والعموم، في فصل الإ... ... ،

(١) كذا في الأصل!
(٢) أنسا: أخّر.
(٣) كذا!
(٤) الصُّوى: علامات الطريق.
(٥) الطروف جمع طرف (بكسر الطاء) للكريم الطرفين في الأب والأم،
والمستطرف الذي ليس من نتج صاحبه، والحديث من المال؛ ورجل لا يثبت
على صحبة أحد — وهي طرفة

المعد به . المغرور فيه فاصمه من علم لعين دمت مشوقه ، ودنت معوقة ، وست عمرة ، وعدت مطبقة ، واسدمت قاهرة ، وأمدت محنة ، وحست مصمة ، وزفرحت مؤنسة ، ونزحت محجمة ، وأرامت محمية — فلا أسمع حديثى وأمت حضر ما ثلث ، ومحصى بؤ سعث ، ومسعف لعض عدمت تشى محاصر البعد ، وتخشى باداته ، واسرقى حب العقل ، وأعتقنى لعشق التحير ، وألاح لأمر مفهومه حمى ، وورى عن المراد بمعونة سرآ ، وقربنى من شهد العموى ، وأقصر من ال المحوى ، وقصى بإزاء سحمال الهوى وقصيحة الشكوى ، و اهوى واحتلاف المنوى فلانى من وقد مقصى ، ولاقى على حم ذوى ، ولاعدى شح مرفى ، ولامعى ب معى صعى بلى كل عهد العبد مسى مرى ، وحبيبى لدى النه مسى مسى . وبكل دهية شهد مراد ومفنى ، وبكل ة شهد ، مقصود ومحوى فأين تصيبى لمعنى ؟ وأين سعى إلى من حعمى ؟ وأين مونى وتوفى ؟ وأين تصرف [١١٣٨] وتصوق ! وأين تمسى ومعنى ؟ وأين ترفق وتحقق ؟ وأين تحرق وتشوق ؟ وبيانى وتبيى ؟ وأين سسطى وقصى ؟ وأين سدى ، ومجنى ؟ وأين بى وأنى وأنى ؟ وأين كونى ، عن وعينى وتى ومى وكنّى ؟ هيهات صب ماء عمى ورسمى ، وباد شاهد حلمى وقسمى ، وسامرنى الأمانى مخيلة لى حتى فى تيى عاجلى ، وتجمعت لدى الأسباب بالأمل البسيط فارتبت بها فى صورة مخدوع حتى رفضت فيما يشعر به الحس ، كالمظنون لا يصل إليه الحدس ، وافترحت عن موجود يشهد به العين . الحمد بينة أسباب وإنه عن فهو لا على واحد

(١) الأن ٥٧ ٤٥ المجود والوحود ولأن بعدها فى الأبين

(٢) غير واضحة تماما

ما ملته حتى قلبي ، ولا حبيب حتى أمانى ، ولا سئمته حتى نادني ، ولا ه ب به
حتى عادني ، ولا أعادني حتى أقذني . سلام عليه وإن كثر جوره ، وتحية به
وإن لم يبلغ غوره ، ومرحباً بأفنه وإن أصمى ، وتسليم لحكمه وإن عمى

حدثوني عن معنى يحيى ويع إن حه بمحيى ، وأشفقه ويمشي ، ويع عشقه
بمعنى أمر خرج عن العادة وغريب في المعروف ومنكر عند الجمهور ،
وأعود فأقول : الويل لي إن أعرضت عن الكه مشرفاً إلى لعلمه
في ظهوره لي ، بل الويل لي إن آنست منه بعد اما يجيء حتى ، بل الويل لي
إن رمته شاهد الرسم وشائع الخبر وموضوع ذلك ، بل الويل لي إن فاتني
مع حضوره وظهوره كيفما أشرت إليه وأصبت إليه بسمع
أو سددت نحوه بطرف أو نحوته بقلب ، أو نعته بيد ، أو أشرته
بذكر ، أو عبته بفكر حتى أقول ، والحق أقول . فلعلى أصرة في حد
الأمثل إعراض عنه ، وابتعادي لإرادته تمكنك به ، وتبرى منا في حاله
جبن به قتى ، واستترى عن إشراك ماقطع عنى ، وانشدري لمعنى مشوق
منى بالجوهرى ، وحيرى عن قربى وخذلان لما بقى مني ، وطماحي[2] نحوى
سكر قد غلب علي ، واستيلاء إصهار لمجرى ، واستمساكي احتياط
على مقرى[3] ، وإفراطي في القول عدول عن منهجي اللائق بي ، وإسرافي
في الاعتذار تشكك في حالى ، وتحدى على من به حلاى تعرض لقطع
مادته منى ، وظنى في ظنى أنى مصيبت في ظنى [١٣٨ ب] ومال عنى وسكرنى

(١) نحا فلاناً نحواً ونحوى (من باب نصر) . سارة
(٢) الطماح (بكسر الطاء) : الكبر والفخر
(٣) احتاط على الشيء : حفظه . والمقر (محركة) صلابة ، بقصد
محافظة على كيانى

فى معرفتى مقام لا تثبت لى عليه ، ومعرفتى فى نكرتى باب لا سبيل لى إليه ، واستحدثنى فى بروزى أمر لا قرار لى لديه [illegible] وما حيلتى وجملتى رهينةُ مُمسكه وأسيرةُ قبضته ، وواقفة عند حدود مشيئته ، وجرية على تصريف قدرته وتكاليف حكمته (١) — وإن كانت الإضافة عارية عندى والنسبة لاحقة بى ، والدعوى راجعة علىّ ، وكنت وحدى فى مصدرى وموردى ، وفقدت وجدى فى وجدى بما غاب من مشهدى ، ووجدت فقدى فى فقدى بما تذكرت من معهدى . أتدرى ما الذى قيل لى ؟ قيل لى : هيهات ! هب للواهب ما وهب لك ، فإنه مردود إليك بشرط شفقة عليك ؛ وأنت مُحبًّا به [illegible] على طريق المكافأة . فإن كان هذا ممحوًّا من الجبروت ، ممحوقًا فى شاهد الملكوت فيكون فى كون غير كائن ، ويظهر فى بيت غير مُخبر ولا معين ، ويبقى به [illegible] غير موصل ولا مبين ، وينقضب عنه غير حق ولا شك [illegible] وهذا كلام يصم الأذن عند السمع ، ويستفه الذهن عند الفكر ، ويجب الوسوس مع المس ، وحروج (٢) [illegible] عليه الحس [illegible] فقد أصبح قد كان ما كان وصى [illegible] بما زان وشان ؛ وعرت [illegible] فى الأسلوب ، ولم يبق الإيمان لما هو به إيمان وقلتُ ما سمعتُ ، ونسيتُ ما حفظتُ ، وأذيتُ ما أودعتُ . إن كنت نسيت فمعه الثنىُ والثنى ، وإن كنت أحسنت فمعه [illegible] لا يحيط [illegible] همى وأمى وإن كنت ما أحسنتُ فلا أسأت ، فمعه أمر رحمت من شهادتى وغيبى نعم ! وقيل أيضاً : أتحب أن تصير إلى ما تنتهى بكل معنىً وتروى ، وبكل مرقى ومتلى ؟ قلت : نعم ! ومن لى بذلك ، وأنا دائم الدؤوب فى النزوع إلى هذا ؟

(١) ص : مخدّبه ، فهل صوابها مخنوق ؟

(٢) ص : خرج .

من لي العط كُلّك عن هذه الخ بة ، ورفضْ عينك في به الغيبة ، ثم اقبض
حقو بيد الخيبة ، ثم الحظ حقّ بظاهر الهيبة ، ثم اقطع الطمع عن الأوبة
إلى هذه حوبة [١] ، ثم اقنَ ما به كما ثبتت قابً لك ، ثم افنَ أيضاً عن فنائك
سعه له لك لا بعدته به ، حتى يسمع سلك عن عقد معه ، ويدرس [٣] حركك
٥ بكل معنى مرور ، ويعفو أثرك عن كل علم مصور ، ويبوحد كنهك
عن كل مراد مجوز اهـ .

حسبي دع أيضاً وله عن معنى واسعى ، واعمل عملا تصل به إلى
الص ، وإن عصت في حر العف |١٣٩| وعلم به سقط النواظر إليه ،
وأشد من الحط عليه ، ومقه مستشعراً له ، وهو من دونه قرباً ودنواً ، ووصعه
١٠ فاشيا في خلقه ، وهو من ورائه بعداً وعلواً ليس لغرب واسعد هو ها
محويين في رسم شهدك وحرى عدتك وحروف اسمائك ، لكن [٤]
مسوبان إليك بحكم الاصطلاح والاعرق ، ومصون عنه بحق البشرية
والاستحصى وإياك أن تعف مع اللفظ القصير فتنحز به عن المعنى العريض ،
عبر اللفظ العامة والمعنى الخاصة . وما فى عنهما فهو سُبُحات الإلهية ونفحات
١٥ الربوبية ، فانظر أين كنت ، وكيف كنت ، وما كنت ، ومن أى كنت ،
ومتى كنت ، وما الذي تريد ، وما الذي يراد بك ؟ وهل حصولك هنا

(١) الجوبة الحفرة ، المكان الوطيء في جلد من الأرض و جبها ،
والجمع جُوَب .
(٢) الأنم
(٣) درس الرسم دروساً (من باب نصر) عفا فهو دارس
(٤) كذا ، والأصوب أن تكون ولكنهما (أي القرب والبعد)

حصول ، وهل بعد فصولك [١] من ثمّ وصول ، ومهما شككت فيه فلا تشكّ
فيما أُوحي إليك وأُشير به عليك ، فإنه [illegible] من صدر [illegible] ، ونُطف
من [illegible] ، واقتبس من حضرة [illegible] ، وأُتقن من أفواه
[illegible] ، واستُملي من [illegible] بالحكمة والمعين ، وحصل عن قوم
[illegible] ، وأدّى به أمراً ، وأمر الوهم
عن [illegible] ، وقيّد لهم عند [illegible] ، وسدّ فيه مكاناً ، ونفى
[illegible] ، وقضى للسائل عن [illegible] ، وانطلق به [illegible] ،
[illegible] بحروف واشتمل عليه [illegible] ، وليس هذا إلا لخفية [illegible]
[illegible] في الخطأ والصواب

[illegible] فصولاً بالعمل ، [illegible] للأمر ، ولا تصانف
[illegible] ، وكشف عليه [illegible] ، واحتطب بما هو أليق
بك ، بأداء [illegible] ولا إكراه

رسالة (مص)

[illegible] [٢] [illegible] [٣] ، ومن [illegible]
لا خير [illegible] من العرف واللباقة ، ومن [illegible] من المروءة والظرافة ،
ومن [illegible] [٤] . [١٣٩ ب] ومن حالة قد اشتملت

(١) فصل فلانٌ من البلد (من باب نصر) فصولاً : خرج منه .
(٢) أي الاستمالة .
(٣) [illegible] محبة [illegible]
(٤) [illegible] في العمل جزافاً : أي باطل وتخمين ، من جازف في كلامه : أرسله إرسالا من غير روية ولا حسن تدبر .

على الآفة بعد الآفة ، ومن تفصيل قد أشرف على الحافة بعد الحافة . يا هذا

إذا كان هذا خبرى عن باطن الأمر ، فلم تخادع نفسك فى ظاهره ؟ وإذا كان

هذا وارى من سر الغيب ، فلم تجترئ على بادى الشهادة ؟ وإذا كان هذا شرحى

لحق القصة ، فلم تذهب مع حلى الحس ؟ كأنك تستغشى فيما أقول ، فكأنك

تصحح لنفسك فيما تسمع . هيهات ! دون شروط لا يفى بها مكنتك ، وسبل

حدود لا يمسكها مثلك . فكم تدور بفكرك فى قفر مثلك ! وكم تعثر بعثر

صبرك ! وكم تظن أنك متقدم وأنت متأخر ! وكم تحسب أنك فى أعلى عليين

وأنت فى أسفل السافلين . فى ملكت الآفة قد نسيم ، وطرت فى خيشومك

الخنزوانة [2] عما ترى ، فهو يحق ما بدا لك مما لا شك فيه [illegible] ، [illegible] تعمق

[illegible] فى حديقة [illegible] إلى [illegible] ، ووجدت به ، و[illegible] [3]

فيه . ويلك إذا تصححت هذه المعانى بإشراف لا [illegible] فيه ، واستقمت [illegible]

لا جهل معه ، وتوجهت نحوه بسعى لا فتور به ، [illegible] فى رشدك ، ورشد [illegible] ،

وقوى [illegible] ، واستوى [illegible] بذلك [illegible] ، وسمعت فى مراملك [illegible] ،

وسمعت فى [illegible] والمدم [illegible] .

يا هذا

يُؤيسنى فيُطمعنى بوَصْلٍ ودون وِصاله وَقْعُ النِّصال

سعى من يَبْتَليلى هواه ومَنْ ذكراه موصولٌ ببال

(١) أى : [illegible] إلى [illegible]

(٢) الخُنزُوان والخنزُوانة والخُنْزُوانية والخُنْزُوة (بضم الخاء فى الجميع) الكِبْر ، يقال هو شديد الخنزوانة ، وزن فى أنفه خنزوانة

(٣) الجِدَة : الفقر — أى الاحتياج إليه .

(٤) هَبت عنه .

يا هذا ، أتدرى فى أى غاية ضمنت لك ! وإلى أى عقبة أخذ بيدك !
وأىّ سرّ أودع صدرك ، وأى كلمة أَنطق لسانك ! وبأى ميل (١) كحّل
طَرْفك ، وبأى يُمن خصصت ناصيتك ، وبأى عناية نظر بك ، وبأى سمة
شوّق نفسك ، وبأى نور زيّن كنهك ، وبأى وديعة خصّ نفسك ، وفى أى
روضة فتح بصرك ، وبأى شراب زاد عيانك ، وإلى أى تحفة مدت يدك ،
وبأى هدية ملئت كمّك ، وبأى تحية لاق وجهك ، وبأى توفيق حفظ
أمرك ، وبأى عذب خوطب ضميرك ، [١٤٠ ا] وبأى لطف قوى ركنك ؟
والله ما تدرى ! وإنما أحيف لمعنى [illegible] ، وأصلانى على لعدك وطولك
وما يصرفنى عن الرحمة لك والعطف عليك إلا ما يبقيه عن حصه على دونك
ولو نصحتك ، كان حيفى منك يشفى [illegible] ولكن ، ناحرة إنذره ،
وللإنارة بنارة ، ومع كل حلاوة مرارة ، وعند كل لذة عرارة (٢) ، وفى كل
قدحة شرارة

يا هذا القول حجة على القائل متى لم يؤيدها بما يحققه ، والسماع وبال
على السامع متى لم يزكّه عما يشهد الوجد به ، على أن السكوت على التقصير
رضا به ، كما أن الكلام عليه اعتراض فيه ، وكما أن الثوب لا يخلو من فتنة
الزخرفة ، كذلك السكوت ليس يعرَى من محنة مفسدة ، وإذا كان الكلام
والصمت محشوَّين بالبلاء ، فبلاء اللسان أشق لنكد النفس ، وأرجى لمعانى
اليأس . وبعد ، فالشَّكيّة (٣) بلية ، ولبليه دية ، والعيش بين هذه وتلك

(١) الميل (بكسر الميم) المِرْوَد الذى يكحل به البصر ؛ وآلة للجراح يختبر بها غور الجرح ؛ ومنار يبنى للمسافر فى أنشاز الأرض وأشرافها
(٢) العرارة : الشدة ، الرفعة ، السؤدد ، سوء الخلق .
(٣) الشكوى ، ومثلها شَكاة ، شكاوة ، شكاية .

ثنية . إلا أن بعد ذلك الرحمة التي وسعت رحمته كل شيء ، وأحاط علمه بكل
شيء ، وقدر على كل شيء ، وانقاد له كل شيء .

يا هذا ! أين عزة الربوبية الصادرة عن القدرة التامة ، من ذلة العبودية
الواقفة على العجز البادي ؟ أحق ربك نفسك ، وبان حيث بان منك ، وظهر عليك لك .
فاشهد الآن ما حلاك به ، واشكره على ما آتاك من لدنه ، واشكر في معرفته
سواه ، واعرف في ذكره نعماءه ، واستخلص بشرتك من كل غادية [1]
حتى تذوق حلاوة ما خصصت به ، وتجد عاقبة ما صرت من أجله . فإنك
إن فرغت هذا الباب انفتح لك ، وإن لزمت هذا الجد الذي أقبل
عليك وإن قبرت على الحسه ، حتى تموت ، وبعثت بعد ذلك تحيا تحية
الملوك ، وتوج على سرير الملكوت ، ويقال لك : من وصل ، وتحكم وتقبل ،
وترق وتنق ، وتخص وتحب ، فقبلنا منك في حضرتك [2] ، وحملت إلينا
معرفتك ، وتحدثت بإخلاصك ، ولدت بما منك ، وصدقت عن نفسك ،
وهجرت من أجلنا من كان كريماً عندك ، وعاديت فينا من كان عزيزاً
عليك ، فنعم الآن ما وصلناك به ، ووصلنا عليه ، وثق بأنك عندنا
في دار الأمر وكيف القرار مع الروح والريحان ، والقرب والرضوان

يا هذا ! أما ترى كيف آنستك وأخرجتك ، وكيف أوقفت عليك وأصغيت
عندك ، وكيف بسطت رحمتك ، وكيف قبضت [١٤٠ ب] قوطك ؟ هذا كله
تطهير لك واستظهار منك ، لأن العادة حينئذ ، والعرس تمهيدك ، والجار حاسد ،
والصاحب مريب ، وهذه أشياء لا تزول عنك إلا بالانسلاخ منك . والقول
في هذا الباب سهل على المستمع ، ولكن بحقيقته صعب في المرأى ولن يتم ذلك

(١) كذا في الأصل : غاديه
(٢) كذا ! ويمكن أن تقرأ حيرتك وحسب كذا ، والأصح طلبتنا .

إلا بمعرفة الأوّاهين المنيبين، بل لا يتم إلا [إلا] بشعر المحتسبين [1] وبوثبة الأولياء
المؤمنين، بل لا يتم إلا بالأخلاص [2] الموفقين المخصوصين، بل لا يتم
إلا بشعر المختبين المهتدين، بل لا يتم إلا بإيثار فُرصة اليقين على هدى
المتقين [3]، بل لا يتم إلا بجود رب العالمين الذي هو غاية الطالبين من التائبين

فهات الآن من نفسك ما وعدت به من الصدق في التشمير، وقدّم   ٥
على ذلك الجد في ترك التقصير، واعلم أنك واثقاً [4] متى عدمت دراكاً، عدمت
مرادك منك باتاً، ومتى توجهت إليك [5] فاتك، ومتى وقفت عنده فاتك
منه، ومتى نسبت به فاتوك، ومتى تركت شيئاً لوجهه عوّضك ما يسع
عنده كل عمل، ولا جوف نفسه من آمل له لطائف لا تهتدي إليه [6] الأماني،
ونعمٌ لا يلحقها سير السواني [7] يسمع وهو في سمعه منقطع، ويُحرِم وهو   ١٠
في حرمانه واهب، ويضع وهو في وضعه رافع، ويُذِلّ وهو في إذلاله معزّ،

(١) في الأصل كلمة يوجد شطب على هذه الكلمة، وقد وردت ص ٣
(٢) كذا في الأصل ولعله أراد منها أن تكون جمع خلص (بكسر الخاء) أي حسن، ولكن الجمع المشهور هو خلصاء، أو يكون صوابها بالإخلاص
(٣) هنا وردت جملة مكررة هي: بل لا يتم إلا بشعر المختبين المهتدين، بل لا يتم إلا بالأخلاص الموفقين المخصوصين
(٤) كذا في الأصل، ونرى صوابه: واعلم واثقاً أنك
(٥) كذا: والأصح إليه
(٦) كذا: والأصح إليه.
(٧) السواني جمع سانية، وهي الناضحة أي الناقة يستقى عليها من البئر، والجمع سوانٍ. يقال «أذل من السانية» ومنه المثل «سير السواني سفر لا ينقطع».

ويُعرِض وهو في إعراضه مُقبِل ، ويُبعِد وهو في إبعاده مقرِّب . الظاهر عند
الخلق بما علمهم باطن عنده بحق حكمته ، والباطن عنده مجهولٌ عند سواه .

يا هذا ! إذا كنت نائماً في بزّ الخيرة فانتبه بنور ما ترى من غيبك ،
وتسمع بأذنك ، وتجد بحسك ، وتلحظ بعقلك ، وتدرك بنفسك . أما ترى
هذه الزينة ؟ أما ترى هذه الأشكال المبينة ؟ أما ترى هذه الأصول الممهدة ؟
أما ترى هذه الفروع الموطدة ؟ أما ترى هذه الحلل المتسددة ؟ أما ترى هذه النعم
المُجدَّدة ؟ أما ترى هذه الألطاف الممددة ؟ أما تسمع هذه النغمات المرددة ؟
أما ترى هذه الأنضاد (1) المؤتلفة ؟ أما ترى هذه الأحوال المؤتنفة ؟ أما أنا
فأستفتك ولا | ١٤١ | أكفرك ، وأشهدك ولا أحجب عنك ، وحقِّ الحق
لقد تناحت الأرواح بصنوف الأرباح ، بين هذا الصباح والمساء ، على قلوب
كانت دامية بأنواع الجراح ، لا جرم ملأت الفرق ، وتباعدت الحُرَق ،
وتوضحت الطُّرُق ، وصار يرى بغميض البصر ما كان لا يرى بافتتاح العين ،
ويقرب من البعد ما كان لا يوجد بالقرب . فهل هذا إلا بتيسير مَنْ له دقُّ هذا
العلم وجُلُّه ، وإليه بعضه وكله ، وبه عزه وذله ، وعنده كَنْزه وحله ؟ !

حدثني عنك . هل هزّ روحك هذا الكلام ؟ وهل حولك من مقام
إلى مقام ؟ وهل فرّق بك بين اليقظة والمنام ؟ وهل وجدت به شفاء بعد سقام ؟
وهل أحسست بعافية بعد آلام ؟ ! ه .

بل حدثني عنك . هل حسبت أنك رابح أو خاسر ، وغانم أو غارم ،
أو (2) قادر أو عاجز ، ومقبول أو مردود ، وموصول أو مهجور ، وحبيب
أو بغيض ، وقريب أو بعيد ، ومراد أو مريد ؟ وهل حدّثك مُحدِّث بلا لفظ

(1) النضد : العز والشرف ، والجمع : أنضاد .
(2) كذا ! والأصح أن تكون : وقادر .

مَحْكِيّ ، ولا معنى مَرْوِيّ ، ولا قول مسطور ، ولا مُراد مشهود ؟ وهل ترنّمت
فيما سمعت وبحثت بما لا ترجمة له بين الخلق ، ولا بيان له إلا عند الحق ؟
وهل تمددت بما أدركت في ورق ، وتحرفت فيما فاتك قبل ؟ وهل أحسست
بسوق عن الدنيا المشوقة لك بما كنت بما لاح لك من مكنون الغيب
مذ بنتَ ؟ غالب ظني أنك قد وجدت هذا كله وأهملت لما ستجده بعده ،
فالمظ [1] به ، واستكشف سليه ، وارقَ لشرابه ، وابلُ سرك بسحابه ، ورنَّ
طرباً عليه ، وهِمْ عجباً بما حُبيت به ، وإذا فرغت من ذلك — وأنَّى لك
بالفراغ — فارشُش [2] ما فضل من الإحسان إليك ، وأنعم عليك بما أنعم
الله عليك والسعيد من اقتدى بربه

بلغتْ هذه ثقة هذا المكان في منقلبك ومثواك ولكني قد عشت
لعيني . ولكن قد نشب بي فراقي ، ولعيني قد فارق لعيني . وكلي قد تنكّر
على كلي . فاعذُرْني إن كنتُ مقصراً في أمرك لتقصيري في أمري ، والفتوة
حاكمةٌ عليك بما سألتك ، وحرمة هذه النقطة شاهدة بتحقيق مثلك . وأنت جار
في كل حالٍ مع حسن الظن ، حاوٍ في كل أمر كلَّما كنتَ جميلَ الثناء عليك ،
يا قُرّة عين الإخوان ، ويا واحدَ [١٤١ ب] من نطق في هذا الزمان بغرائب
البيان ، وأظهر غرائب البرهان في وصف ما يكون وكان ، وقام وجاب بنصره
هذا الشأن ، متحملاً أثقال الذل والهوان ! هذا أنت فردٌ في لمك ، لطيف

(١) ص : المط به ؛ وصوابه : المظ به (بالظاء المعجمة) . ولمظ الرجل (من باب نصر) لمظاً : أخرج لسانه بعد الأكل والشرب فمسح به شفتيه ، أو تتبع الطعام وتذوق

(٢) رشّ الماء والدمعَ (من باب نصر) ، رشاً ورشاشاً : نفضه ؛ رشّ الشيء : عدله .

في مقتك ، مشوق في جميع أحوالك ، صُرِفتَ عنك عن السوء ، وأنا حرٍ
أن يرثي الله بهذا وأمثاله فترثي ، ويغني عنه كمثك ، حتى تبحث عن أسرار
الغيب من حافات الألوهية من تضاعيف [illegible] خصائص الولاية على أحكام
الهداية ، بعقل مصون بالتوفيق ، وبصر مقرون بالتوسيع والتشقيق ، وبيان
معقود بالتدقيق والتحقيق ، وإنه يعمل ذلك بك فحينئذ لطيفة ، وإلهامه
فيك صادقة ، وعلامات منك بادية ، وسحائب الحق عليك وادقة

اللهم إنا نقف بين يديك ، ونرى [illegible] سطواتك ، ونقول ذلك ،
ونسكت للعجز عن وصفك ، ونفكر متحيرين في عظمتك ، ونسعى مسرعين
إلى عبوديتك ، ونبذل [illegible] ، ونأمل الأمر ، ونحن في كل حال على وجهك ،
ونعز عليك ، ونرى أن لا نقص إلا بأن تعصى عن كل ما هو [illegible] ، شوقاً
إلى السكنى في دارك وندائك إلى أن نزلك

إلهنا ! فأعنا على مطالبنا بتوفيقك ، واحرسنا في مسالك [illegible] ،
فأنت محركنا في هذا [illegible] ، فكن أنت مجيب في هذا السؤال ، أترانا يا إلهنا
ندعوك بهذه الضراعة جاهلين بقدرتك ؟ فإن كنا مقصرين في طاعتك ،
لا وحقك فإنك حق لا يؤدى بذل الروح والنفس ، بل ندعوك عارفين
بأنك أنت الجواد الواهب المعطي لمن سأل ، والبادئ لمن لم يسأل .

اللهم اكفنا مؤونة المتمردين عليك ، لطائف بك طرق السوء ، واضرب
بيننا وبينهم سوراً من قدرتك لئلا نراهم بأعيننا ، ولا نسمع أصواتهم بآذاننا ،
فقد كادونا من أجلك ، وعادونا بسببك ، وما ذنبنا إليهم إلا أنا ندعوهم
إليك ، وما نقصنا عليهم إلا أنا نردهم عليك ونقيمهم من خير ما لديك

إلهنا ! جهلوك فخالفوك ، وشكروك فجحدوك ، ولو فطنوا بما فاتهم منك
لأحبوك ، ولو أحبوك لعبدوك ، ولو عبدوك لعرفوك ، ولو عرفوك لكنت
لهم فوق الأم الرؤوف والأب الرحيم ، [١٤٢ ا] يا ذا الجلال والإكرام !

رسالة (ز ح)

اللهم اغرس أشجار كلامنا فى خطط قد بنا ، ثم اسقها بصوب [1] تأييدك عند رقدتنا وانتباهنا ، ثم استخرج أوراقها وأزهارها فى تصاريف أحوالنا ، ثم حمّل ثمارها بصيرتنا ووثائقنا على اختلاف مراتبنا وصرائمنا . فإنك إذا دبّرتنا هذا التدبير ، فمتيزنا من قصدك أخذ التشمير

يا هذا ! أعلى الدنيا تعرّج [2] ، وفى طلبها تلجّج [3] ، وفى نيرانها تؤجج ؟ لم هذا ؟ وكيف به ؟ أين حصافتك وبصيرتك ؟ وأين نظرك واجتهادك ؟ وأين استنباطك وفطنتك ؟ وأين معرفتك بالدقيق والجليل ؟ وأين تحصيلك للقليل والكثير ؟ وأين حكمك الصادق عن الصحيح والعليل ؟ أما ترى ؟ — وليس فيها معنى إلا وفيه مكر ، ولا معنى إلا وعنده مهوى ، ولا مرعى إلا ودونه [4] . . أما ترى صروفها ، وفى صروفها حتوفها ؟ أما ترى أهلها كيف تطارقهم طوارقها ، وفى طوارقها بوائقها [5] ؟ أما ترى كيف تشرّم [6] مراتبها ، وفى مراتبها معاطبها ؟ أما ترى خدعها ، وفى خدعها عبرها ؟ أما ترى غناها كيف يفنى ، وفقرها كيف يجرى ؟ أما ترى أعلاقها تنهب أعلاقها ؟ أما ترى قصورها موقوفة على حريها ؟ وهل تركت الدنيا لأحد شبهة وإشكالا

(١) ص : الصوت .
(٢) عرج فى الشيء وعليه (من بابى ضرب و نصر) عروجاً : رقى وصعد .
(٣) لجج القوم : ركبوا اللجة ، واللجة معظم الماء أو معظم البحر .
(٤) كذا ! ويظهر أن هنا نقصاً .
(٥) البائقة : الداهية ، والجمع : بوائق .
(٦) ص : تسرهم !

فى فصل الإعراض عنها ؟ أليس مُرّها عامراً حلوها ؟ أليس كَدَرُها غالباً لصفوها ؟ متى أفادت أحداً من سكانها فائدة لم يكن عليه بائدة ؟ أليس أسؤها منية السالكين ؟ أليس جديدها ميراث الدبين ؟ اللهم غفراً ! نصفها صفة العارفين ، ونصحبها صحبة الخائبين . ما أقبح الأمن فى عرصة

٥ الخوف ، وما أشنع الجهل فى وقت العلم ما أضر النوم فى مكان الانتباه ! ما أشد حسرة الخاسرين فى تجارته ، بعد كسبه فى خانه ! ما أسخن عيناً قرّت بما لا حاصل له ! ما أخرب قلباً سكن إلى ما لا عائدة منه ! يا هذا .

هل أنت معتبر بمن خَربتْ   عنه ، غداة قضى ، دساكره ؟
ومن أذلّ الدهر مَصْرَعه   فتبرّأت منه عشائره ؟
١٠ وبمن خلت منه أسرّته   وبمن خلت منه منابره ؟
[١٤٢ب] أين الملوك ، وأين عزهم[١]   صاروا مصيراً أنت صائره ؟
بل ما بدا لك أن تنال من الدنيا ؟ ! فإن الموت آخره

يا هذا ! إنما أذكر لك معايب الدنيا حتى تطهّر نفسك من أنجاسها ، وتشاعد حفيدك من أدناسها ، وتفرد حديثك من أحوال ناسها خيفة إذا

١٥ صفا لك جوّ الدين تنفست فيه ، وإذا تدلى على فؤادك حبلُ اليقين تمسّكت منه ، وإذا انكشف عنك غطاء الجهل سَرّحْتَ طَرْفَك بعده ، وإذا سمعت فنّاً من نحوِ الحق طربت عليه ، وإذا أودعت سراً من الغيب لم تفشه إلى ما ليس من أهله ، وإذا كوشفت بعين الاختصاص لم تحس بما عداه ، وإذا قيل لك : ادْنُ إليه لم تَدْنُ وفيك هيئة البَشر ، وإذا قيل لك : اطلب —

٢٠ لم تطلب وعليك أثر من آثار أهل الشر ، وإذا قيل لك : اسمع ! — لم تسمع وأنت منتشر[٢] .

(١) كذا ! ولعل أصله : عزّهم .
(٢) أى مشتت الذهن .

اللهم عزيز على أن أقول ما أقول [ما أقول] (١) وتصيبني منه اللفظ الخبيث، ومحصولى منه الأمر الخشن. فما أنت أيها السميع، فموكول إلى شأنك بما أنت عليه أهله وبه من وذلك وشمائلك، لا مسلط لى على قلبك، ولا مستسلط لى من عيبك. إن أنت إلا لنفسك على ما كنت عليه فى أمسك، فإن كنت ذا عطلة فى ذلك فارجع، فالعطلة هى المطلوبة لك والمرادة بك ولكن بقى عليك شىء، هل أنت عرفت بالعطلة ما هى؟ وكيف هى؟ فإنى خائف عليك أن تظن أن العطلة فى شهوة نفس، ونعمة تدرك، ولين يلبس، وحلو يتطعم، وبارد يشرب، وكأس يتعاطى، ونديم يضحك، وعود يضرب، وصوت يقترح، ومجلس يعمى، ووجه ينظر إليه، وحديث يتفقه عنه

هيهات! عزب (٢) أملك، وتاه قلبك، وركلك شيطانك. هذه أضاليل قد حفت بأباطيل بزهانها. من لا حكمة به ولا حكمة عنده لا يفرق بين العرف والنكر، ولا بين اليوم والغد، ولا بين الثابت والزائل، ولا بين الباقى والحاصل، ولا بين الصاعد والنازل، ولا بين الحذف والمنازل. العطلة - عافاك الله - فى حال أخرى أنت منها فى قطر شسع لا يعرج لك ولا يتراءى لعينك. العطلة فى النجوة (٣) من هذه التى [١٤٣ ا] قد ضربت (٤) على عصب الألباب من زبرجها، ومرنت على تصديع الشمل بين ألافها وحببها، إلى محل الألم فيه (٥) ولا ألم ولا أذى، ولا شوب به ولا قذى،

(١) زيادة فى الأصل لا محل لها.

(٢) عزب الشىء عنه (من بابى نصر وضرب) عزوباً. بعد وغاب وخفى، فهو عازب؛ يقال: عزب عنه حلمه أى غاب.

(٣) هو فى النجوة من كذا: أى بعيد عنه، سالم منه.

(٤) أو صوابها: دربت؟ بدليل قوله بعد: مرنت.

(٥) كذا! ولعل صواب العبارة محل لا ألم فيه ولا أذى

إلى محل تجد فيه النعيم صفواً والحق دائباً، إلى محل لا يعتريك منه ملل،
ولا يتتابك فيه علل، حيث تنسى فيه الحزن جثاً ورغماً، حيث يحكمك المولى
فتحكم، ويدنيك إلى حضرته فتتنعم، حيث لا يلتهب لك في صدرك نَفَس،
ولا يجمد بين يديك قَبَس.

يا هذا! إنما أشوّقك إلى هذا المحل نظراً لك، وأدلك السبيل إليه
شفقاً عليك. فثِق على نفسك والتكثير في أنسي بأنسك، واعتقد أني مقيض
لك من جهة وَليّك ليكون له عندك في، فقد يجب عليك شكره ونعمة يلزمك
القيام بحقها. فإن شهدت هذا التقييض الذي أشرت لك إليه، صححت بذلك
التفويض الذي حملك عليه. وإن عميت — والعياذ بالله — فما أتيت
إلا من جهة أذن إذا سمعت لم تع، وإذا وعت لم تف؛ وإلا من جهة عين
لا تبصر، وإذا أبصرت لا تحصل؛ وإلا من جهة قلب لا يهتم، وإذا اهتم
لا يستمر؛ وإلا من جهة نفس لا تتعدد، وإذا اعتدت لا تزداد؛ وإلا من جهة
عدة لا تفرق، وإذا فارقت لا ترتفع؛ وإلا من جهة قرين لا ينصح، وإذا نصح
لا ينفع، وإذا كنت ماثلاً(٢) من هذه السنن الخفية كيف الأمان لي منك
عليك، وكيف الرجاء لي فيك، وكيف الشغل لي بك؟!(١) حدثني عنك فقد
بُليت بك، واصدقني حينئذ فقد أصغيتُ إليك. وإذا استحييتَ أن تقول لك،
واستحييت أن تسمع مني فلا أقل من التعاون الذي هو شيمة الصديق، ولا أقل
من الرقة التي تدرك الإنسان على الإنسان. فإن لم ترحم نفسك في قلة قبولك
مني، فارحمني لشدة إقبالي عليك أحنى إلى حظك. صفحتي عن الوفاء لك
أخجلني عن بعض الشكر من حظك، حتى ميزتني حسرةً على ضياعك. تعصب

(١) كذا! والعبارة لا تستقيم إلا بافتراض مثل: عندك مصيبة..
(٢) وإذا كنت ماثلاً: كذا في الأصل، وهو لا يستقيم تماماً مع ما مضى.

لعزّنى عليك، تعجب من انتصابى بنسك أعطى أجرى على سعيى. اشكرنى
على سهرى لك. أمِنَ الفتوة أن ترانى أتعب لك، فلا ترحمنى؟ أمن المروءة
أن تجدنى مكمودًا على سعادتك، فلا تسعدنى؟ أمن الفضل أن أحسن إليك
منك، فلا تقبل إحسانى فيك؟ لو كنت غريبًا لعذرتك، ولو لم يخطك الشيب
لأطلتُ زمنك [illegible]، ولو لم يجمعنا دين الحق لأهملتك، ولو لم يعقد بيننا الملحُ
لازوررتُ عنك، ولولا علائق [١٢٣ ب] بينى وبينك لأرحتُ أملى
من ذيلك. فلا تعمل [illegible] ادنُ منى وأقبل علىّ. وشرّف بذلك كلامى، وميّزْ
مالك مما عليك بإرشادى. فعن قليل تفقدنى، وتبكى سويداء من سوادى.
فملك حينئذ أن تتمنى أن يحول بى [illegible] صوتى. وتقف لتسمع صوتى،
وتلتمس نفسك نصحى فلا تجدنى. وإذا كان ذلك، فلا تبخل بدمعتك لتكون
رحمة لى ورقة لك، فإن العين إذا جادت بدمعتها شوقًا إلى أخ، أو ندمًا
على سالف، أو حسرة على فائت، أو استحداثًا لعذر، كان ذلك شاهدًا
لصاحبه برقة الطبع، وسرعة الانصياع. وشدة النزاع إلى الله عز وجل
ونعمه وقربه، فلست أدعو بك أن تنهض [illegible] العصمة ذات يد مولاك.
وإذا أهلك ألبسك، وإذا أراك أشخصك، وإذا احتجت [illegible] لا تقدم
لى أخره، ولا تؤخر لى ما قدمه. ومن دعوتى أن تحتجب العصبية بينك
وبينه، وتمشى حلالا فى المعروف به، وتحت لسلطة [illegible] حسنة حديثة،
فإن هذا وما شبهه يعتق حيث يجعل الله حبك، ويورثك مثل المخلصين،
ويكتب اسمك فى صحيفة المخلصين، ويجرى ذكرك فى الملأ (٢) الأعلى

(١) الأصل ([illegible]) [illegible]
(٢) ص : الملا

فإن لم تستجب لى صرخة واحدة، فاستجب لها بجملة. ولا تأنف ولا تستكبر.
فما أحد من الله أحد فقدح، ولا استكبر أحد على الله فنجح. هذا رفق بك
ونظرى لك، فكن أنت لنفسى أكثر منى لك. اللهم لولا إذنك ما دعونا
إليك، ولولا تفضلك ما دللنا عليك، ولولا أنسنا بك ما استوحشنا من غيرك،
ولولا رجاؤنا فيك ما عطفنا على خيرك. بك نعوذ معتصمين، وإياك نسترحم
محتاجين، وبآلائك نتحدث معجبين متعجبين، وفى صفاتك نذوى و نفنى
مدهشين، وبصلتك نتعلق صاعدين، وفى آفاق ملكوتك نجول راغبين ومرعبين،
وبصوالت نحطك عرفين موحدين، وفى رياض نعمائك نرتع شرهين ولهين.

يا هذا! زم باب الافتقار إليه بالدعاء، فإنك مادمت على هذا الالتزام
رجوت لك الفوز. وقد قيل:

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته
ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

وثق بالله! ما أوهمك بذكره إلا وهو رشحك لوصله، ولا أوحشك
من خلقه إلا وقد هيأك لأنسه، وهذه ولاية مانظنها أحدثته العرب، فلا حد
له الجد فتاه الجزل. فاشدد الآن وصمت، واطلب | ١٤٤ ا | فسطك، وشمر
ذيلك، وقطع ليلك، فكأنك وقد رأيت مسماك صباحاً وعلامتك مصبحاً.

يا هذا اسمع رطانة أخرى، ولغة ليس فيها نحوى، وكن من قبولك لها
وسموك عنها بين نقوى، فإن العبارة قد طالت فى وصف الدنيا، والإشارة
قد توات فى الخبر عن أصحاب النجوى. وهذا كله لما أقوله وتسمعه عنى. قولى
لا شرح له. وسمعك لا فتح معه. ولكن لا بد من التنفس عند تضييق الخنق،
ولا بد من التصبى عند تعذر الإغلاق، ولا بد من الانحدار[1] عند تعذر

(١) الانحدار: أى انحدر، نجد: أى نجداً، عرق: أى العراق.

الإنجاد والإغراق. نعم حبيبي! كنت ثم تكونت، ثم بنت ثم تبينت أتفهم هذه العويصة؟ إنك تخلص من هذه القبيصة[1]

يا هذا! كنت كوناً بائداً من أنت به، فكانت كونك مطلقاً، ثم تكونت بإمداد مَنْ كنت له فصار تكونك امتداداً لكونك. فلما بلغت آخر التكون بِنْتَ، وإنما بِنْتَ لمن كنت به، فلما بنت تبينت، أعني ظهرت خالقاً بعد ما كنت غبت بائداً. إلا أن بيدودتك[2] كانت بالحس، ووجودك كانت[3] بالقدس. فحدثني عنك، وخبّرني منك: أين أنت من هذه اللمعة الثاقبة، ومن هذه البارقة الصادقة؟ هل وجدت منها سبباً أهدى إليك نصباً؟ بل هل وجدت منها ما لم تجده، فإنك في إحدى الوجهين منهبٌ، وفي الآخر مُعَرّى!

يا هذا! ما أشد تجاهلي لك بما ألقي إليك! وما أفسح إعراضك عني في أحمده عليك! ولو كنت مقصّراً في أمرك وما له عائد في خالصة حالك، لبسطت الصدر سراً وجهراً، ولكني وحقِّ الحق جوادٌ بما وجدته، بذول لما ملكته، غيور على ما عرفته، شحيح لمن أضعته، صبور على من بلوته. ولولا حركات أسرارٍ لها جولات في الغيبة، ورجعات إلى الشهادة، لما نبست بحرف من هذه الغرائب، ولا ترنمت بشيء من هذه اللحون. ولكن: مكرَهٌ أخوك فاعذر، ومغرور بك فاصبر، ومستعين بك فانصُر.

يا هذا! مَنْ عرف في الشاهد لم يحفل بالغائب، ومن اعتنق الغائب لم يلتفت إلى الشاهد، ومن تذبذب بينهما هو الساقط الهالك.

(١) القبيصة: التراب المجموع، الحصى؛ يقصد: المعضلة الشديدة.

(٢) مصدر باد يبيد: هلك.

(٣) كانت: كذا! والأصح أن تكون: كان.

ياهذا ! أتريد أن تصيب الهدف ولم تسدد ! أتريد أن تبلغ المنزل ولم تجتهد ! أتريد أن تلحظ الأفق ولم تحدق ! أتريد أن تجالس الملوك ولم تتأدب ! أتريد أن تسمع خرافاً وتنال مرادك احتلاماً !

هيهات ! إن المراصد مشحونة بالموانع ، وإن الآفاق مموهة بالمقدع ، وإن الأسرار ملتهبة بالنوازع ، وإن المناظر مفروشة بالروائع ، وإن الألحاظ مصطحبة بالبدائع ، فلا عين إلا وهي عبرى ، ولا نفس إلا وهي حيرى ، ولا لفظ إلا وهو معاد ، ولا وصل إلا وهو ممتد .

دعنا في هذه الزاوية الحرجة حتى نتشاكى ونتباكى : تارة على فقد حاصل لم يبق ، وتارة على طلب مراد لم يرزق ، وتارة على مترك تعلق لم يخلص ، وتارة على فائت يحس لم ينقص

اللهم رحمتك نرجو ، ورأفتك نتمنى ، وإليك نتضرع (١) إذا صغونا ، وإلى عدلك نسير إذا خطونا ، وإياك نطلب إذا عطونا (٢) ، وبك نستجير إذا نبونا ، وباسمك نلهج إذا صحونا ، وآلاءك نذكر إذا صبونا ، وإلى بابك نقصد إذا حبونا ، وعفوك نلتمس إذا هفونا ، وبجنتك نتقي إذا رمونا . فكن لنا ولا تكن علينا يا ذا الجلال والإكرام !

رسالة (هـ)

أيها الصاحب المستأنس بهذا الفن ، المدعو إلى هذا الوصل ، الساكن في هذا الموطن ، المستجير بما ظهر فيه وبطن ، لكراهة أن يقال فيه توهم وظن ، العجب بأن يسمع فيه حق واستيقن ، هل شهدت حالا تقال عن الزمان والمكان العرى بنقرب منهما كل إنس وجان ، وهل ورد عليك

(١) ناقصة في الأصل هي أو ما في معناها .

(٢) عطا يعطو عطواً — إليه رأسه ويديه : رفعه

ما يحجبك عنك وسدت معك وتركك بلا أوان تجده واسطة بين أنت
محجوج به، مخبي فيه، محوى عليه. وهل قام في نفسك أن الزمة [١٢٥ ا]
عند الحق هي البراءة من جميع الخلق؟ كان ذلك زمانًا ومكانًا، أو خبرًا
أو عيانًا، أو حجة (١) أو بينة، أو بينة أو برهانًا. فإن كان ذلك كذلك
فلقد خصصت بحلاوة الأنس، ومشرفة ودائع الله في حضيرة القدس، مما لا يقدر
عليه الجن والإنس. وإن كنت في هذه البلاد غريبًا، وعن هذه السرائر
والعيوب طريدًا، فلا عليك أن تصل ليلك بنهارك، وتوطئ سرك
بجهرك، وتجمع بين إصغارك وإظهارك، وتحقق حالك في إيرادك وإصدارك،
وتفرق بين حالك في اعتبارك واستظهارك، وتتقي من شعارك ودثارك،
في استصدارك واقتدارك. فإنك إذا هديت هذا الطريق ملكت واحدًا،
ووجدت عالمًا، ووسمت جدلا، وجدلت تابعًا، ووسمت واصلا، ووصلت
مقبولا، وقبلت مرضيًا، ودعيت مكفيًا، وكفيت مخفيًا، وحميت مهديًا.
وليس بعد الهداية والوجدان، والعيشة والجذل، والنعمة والوصل، والقبول
والرضا، والكفاية والحماية، غاية — تنتهي بالعبودية، ولا نهاية يترقى إليها
بالبشرية. وكل ما وراء ذلك إنما هو من جنس الأمنية التي إذا سطعت
أنوارها غصت بالهدى والصحب قطارها، وتلألأت بالآلاء والنعم أنفاقها (٢)،

(١) كذا في الأصل؛ ونعتقد أن صوابه «مجمجة»؛ يقال: مجمج في خبره إذا لم يبينه أو لم يشف.

(٢) جمع نفق (محركة): سرب في الأرض له مخرج إلى مكان؛ يقال: ابتغى نفقًا في الأرض

وفاضت بالزيادة والفضل والجدوى كفّاها . يا من يَرُمّ (1) هذه القضيمة (2)
متمنياً في الخلوة ، لِمَ لا تتبرأ من زخرف هذه الدار ، مطهراً لنفسك من ضروب
الأوطار والأقذار ، حتى تؤهل للأسرار ، وتصافح بالمبارّ والمسارّ (3) ؟
ولِمَ لا تصحح نسبك ممن أنت منسوب إليه ؟ عَنِي بذلك أنك تنسب إلى أبيك
الأدنى باللحم والدم ، وإلى أبيك الأقصى بالماء والطين ؛ وقد غرّك هذا
النسب ، وأغواك هذا السبب حتى نسيت الذي تنسب إليه بكلك وبعضك ،
وبأصلك وفصلك ، وبه تعرف في أولك وآخرك ، وله تكرم في غيبك
وشهادتك ، وإليه تصرع في نازلتك . وإياك تسأل دوام رَوْحك وراحتك ،
في سعيك ونصرتك . ولِمَ لا تقسم على ذلك نظرك في نفسك وفي عوائدها
عندك ، ولِمَ لا تحاسب نفسك لنفسك ؟ متى تعرف الفضل الذي لك [١٤٥ ب]
فتحرزه ، وتقف على الوكس (4) الذي عليك فتميزه ؟ هذا بيان حالك
فيما هو ظاهر دينك ، هات بيّن حالك فيما هو حقيقة دعواك ، وإليه توجهك
وعنده منتهاك . فإن كانت عينك لا تبصر إلا العاجلة ، ونفسك لا تهوى
[هذه] (5) إلا الصور المتفانية ، فقد أحاط بك الردى وأنت لا تشعر ،

(1) رمّ البناء وغيره (من بابي نصر وضرب) رمًّا ومَرَمّة : أصلحه ؛
رمّ الشيء : أكله .

(2) وتقرأ أيضاً : القاضمة . وبهذه القراءة يكون المعنى : يا من تأكل
ما يأكلك (أي الدنيا) ، أي أنت بإقبالك على الدنيا إنما تعني نفسك .
فأكلك لها هو أن تؤكل منها .

(3) جمعا . مبرّة ومسرّة .

(4) الوكس : الخسران والنقصان .

(5) زيادة لا محل لها .

وحق بك أمرُ الله وأنت لا تشعر ، وحدك ملك ما يمسك عنك ، وقدر عليك ما يشغلك فيك . وما أدرى ما أقول سوى أنى أستريح إلى قول ربى : « ومَن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور »[1]

يا هذا ! الوقت مختنع معصوم ، ومعترق مرحوم ، ولله فيه نظرات إلى عباده المؤمنين ، فيجبر بها كلَّ كسير ، وينعش بها كل عاثر ، ويهتدى كل تائه . ويرتاح لها كل حريق ، ويغنى بها كل محتاج ، ويحد بها حر كل ... معتصم . فالويل لمن انقلب عنه حسيراً باسراً قد حُثى[2] فى وجهه التراب ، وحرم جزيل الثواب ، وقيل له : أمَلك عنيك مردود ، وجوارحك بمخالفتك عليك شهود ، وسوط العذاب على هامتك مصبوب ، وخذلان الله إليك مجلوب ... من المخالفة إلى ما نهى عنه ، وواحسرتا على مخالفة ما أمر به ! هذا مع ذرور النعم التى لا تخفى ، واتصال أياديه التى لا تستقصى ، ولطائفه التى لا يأتى عليها لسان وإن كان رقيق الحاشية ، وخيراته التى لا يهتدى إليها إلا إذا خص أولياءه بالمعرفة الناشئة . وأين قدرة العبد الشاكرة إذا أنعم عليه ، من تفضل الرب الرؤوف إذا نظر أنواع بره بين يديه ؟ ! ليس بينهما نسب يعتمد ، ولا حاصل يتمهد .

يا أخى ! لقد عصيت زاجرك إذ زجرك ، وخالفت أمرك إذ أمرك ، وركنت إلى زهرة الدنيا وزخرف الأمل ، ورضيت بوخيم عاجلها ، وزهدت فى نعيم آجلها ، وتهورت على نظرتها ولألائها ، فإنك[3] لا تؤمن بأعراضها وقمائها . فإلى متى هذه الغفلة والسهو ، وهذه الغرة واللهو ، وهذه الأبهة والزهو .

(١) سورة « النور » . ٤٠

(٢) صيغة المبنى للمجهول من حثا يحثو التراب : نثره .

(٣) كذا ! والأصح أن تكون : كأنك .

وهذه السفاهة واللهو ؟ ملكت الهوى زمامك ، واحتلت بسوء الاختيار جماحك ، وانخدعت بلماعة (١) الدنيا ، وزخرف فيها . . . والله يا أخي — المخاوف والمتالف . اهـ .

وأورثك الجهل والإعترا ... ر صنوف البلايا ، وما يتقي

٥ وملت إلى عاجل زائل ... وصادتك أشراك باشق

حتى متى إلى الشيطان سكونك ، وإلى الدنيا وعمارتها ركونك ، وعلى حطامها وسخامها حنونك ؟ أما تعتبر بمن مضى من أسلافك ، ومن وارته الأرض من حلفائك وألافك ؟ أما يردعك عن جهلك رادع ؟ أما يقمعك عن غيك قامع ؟ أما لك عما أنت عليه من الخطايا مقيم نازع ؟ أما تلحظ

١٠ بعين فكرك الأمم الخالية ، والملوك الفانية ، والفراعنة الماضية ؟ هل تحس منهم من أحد ؟ وهل ترى لهم من باقية ؟ طوتهم يد الحمام ، وطحنتهم رحى الأيام ، وقرضهم (٢) مر العام بعد العام . فهاتيك بيوتهم خاوية ، ومجالسهم في قصورهم ثاوية (٣) ، والأوزار في أعناقهم باقية . اهـ .

وحلوا بدار لا تزاور بينهم ... وأني لسكان القبور تزاور ؟!

١٥ لقد نجا امرؤ نجا عن نفسه بتعهد . . . هذا الموجود ملزوم الخدمة لله الملك المعبود . ألا صادق من كدر الأقذار ؟ ألا متبصر عن عدة الأعمار ؟ ألا راغب في طريق الأخيار ؟ ألا آنف من مذاهب الأشرار ؟ ألا مزاحم لمراكب الأبرار ؟ ألا هارب من أوطان الشاردين عن الله ؟ ألا منقطع إلى الحق بحقائق الواجدين لله ؟ ألا طامع فيما عند الله على ما وعد به

(١) اللماعة (بضم اللام) : الخصب والدنيا .

(٢) قرض الشيء (من باب ضرب) قرضاً قطعه

(٣) ثويت الدار ثوياً وثواية : خلت .

أولياء الله ؟ ألا مستحيي من إعراضه عن الله مع علمه بما يصل إلى الله من طرائف ما عند الله ؟

يا أكَلَةَ الحرام ، وحلة الآثام ، وسقَلَة الأنام ! النجاء النجاء ! فقد أظلكم عمّ الانتقام ، وفاتكم من الله — ذى الجلال والإكرام — الخلودُ فى جوار الله والدوامُ .

أيها الناس ! حدثونى عنكم ، إذ وقفتم خدمتم[1] الذنب أعماركم ، بأى شئ ظفرتم ؟ بدلتم حياتكم ، فأى زيادة ربحتم ، وبأى فائدة انقلبتم ؟ خاطرتم بأرواحكم ، فأى فائت أدركتم ؟ أتعبتم أبدانكم هل بنسيم حضرته عبقتم ؟ هل على لمحات سره طرتم ؟ هل بعذوبة مناجاته تلذذتم ؟ هل بحقيقة محبته خصصتم ؟ هل بحلاوة بواديه من عنده أنستم ؟ هل على بساط تكرمته جلستم ؟ بل هل بصحته لرزقكم وثقتم ؟ هل على وعده توكلتم ؟ وهل علمتم ماذا أريد [١٤٦] بكم ؟ أو فكرتم فيما أريد منكم ؟ إن كان ذلك أو بعضه فأين دلائله وروائده ؟ وأين أوائله وعوائده ؟ وأين مخائله وشواهده ؟ وأين وسائله وفوائده ؟ بل أين حواشيه وبواديه ؟ وأين مقدماته وهواديه ؟ وأين نوائبه وحوادثه ؟ وأين الخلع التى[2] يخلعها على مصافيه ؟ وأين السرائر التى يستودعها من يتهالك فيه ؟ فلا أجسامكم نحلت بالعبادة ، ولا قلوبكم ارتاحت فى طلب الزيادة ، ولا صدوركم ضرفت عن الهوى بصدق الإرادة ، ولا أرواحكم تهشّت للاستفادة ، ولا أطماعكم انحسمت بالزهادة ، ولا سيرتكم استمرت على الزيادة

(١) كذا ! ولعل صوابه : على خدمة .

(٢) ص : الذى .

والديادة (١). لا جرم (٢) شمت بكم عدو الله إبليس، وبلغ بكم فوق ما أراد بالحيلة والتلبيس. «أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات» (٣)؟! هيهات هيهات! «إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً. لقد أحصاهم وعدّهم عدّاً * وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً» (٤). رحم الله عبداً رفع طرفه، وبسط كفه، وشرح وهمه، وسيّح (٥) همه، ونظر إلى ما له فطلبه، وإلى ما عليه فاجتنبه.

اللهم لا تؤاخذنا بالدعاء إليك قبل إجابتك، ولا بإجابتك قبل اليقين معك، ولا باليقين معك دون التهالك عليك، ولا بالتهالك عليك دون (٦) تجرّع الغصص من أجلك، ولا بتجرع الغصص من أجلك دون الرضا والتسليم لك، ولا بالرضا والتسليم لك دون الصبوة عن كل ما عداك، ودون البراءة من كل ما سواك.

إلهنا، إنا لا نصل إليك إلا بك، ولا نسلو عن غيرك إلا لك. نواصينا معقودة بتصريفك، وآمالنا موقوفة على تشريفك، وسرورنا مهدوم إلا إذا كفيت، وحريمنا مستباح إلا إذا حميت.

اللهمّ إنا حضرناك دَنِسين فطهّرتنا، وسألناك محتاجين فأجبتنا، ولذنا بك عاجزين فقوّيتنا، وجئناك لإجرامنا فرحمتنا، وتكشّفنا عندك فسترتنا، واعترف

(١) من داد يدود: حمى.
(٢) لا جرم: حق.
(٣) سورة «الجاثية»: ٢٠
(٤) سورة ١٩ «مريم»: ٩٤ – ٩٥
(٥) حطه يسيح.
(٦) كذا! ولعل فيه نقصاً أصله ما أثبتنا.

بحكمتك فاقبلنا ، وخصصنا لقدرتك فارحمنا ، وانهدمنا في محاسنك فاغفر لنا ، وتمددنا في مسكنك فانصب . وشنّتنا على أنفسنا .

[١١٤٧] اللهم أنت بنا أبصر ، ونحن عن مصالحنا أقصر ! فرقّنا بكرمك إلى حظيرة القدس ، واسقنا بكأس القبول شراب الأنس ، فإنك إن فعلت ذلك بنا لم نظمأ بعده أبداً ، ولم نؤثر عليك أحداً . آه على أقدام كانت تستثقل حمل رقيق النعال كيف تطيق غداً حمل ثقل القيود والأنكال(١) ! آه على جنوب(٢) كانت تستخشن لين الحرير ، كيف تصبر غداً على مقاساة لهب السعير ! آه على خدود في ظلال الترف تتقلب ناعمة ، كيف تكون غداً في أطباق الثرى ساهمة واجمة ! آه على أجساد في خفض الدنيا مصونة ، إذا أصبحت غداً في أثناء الجنادل(٣) رهينة مدفونة ! آه على من قد غدا في ضروب المعاصي منهمكا ، كيف يكون إذا وقف بين يدي لمليك الحق مرتبكا ! — عجيب لقلب سكنه عقل ، أو علق به فهم ، أو صححت فيه فطنة ، أو هبّ فيه انتباه ، أو ألمّ به رأي ، كيف ركن في الدنيا جهلاً ، ورضي بها وطناً ، ووجدها من الجنان بدلاً ، وغفل عن مصير من مضى وخلا ! اسمع قول القائل .

تورّعْ سبيلَ البرّ واجنحْ إلى التقى ... وحِدْ عن الآثام واجتنبِ الفحشا
تفرّدْ عن القوم الذين ادّخرتهم ... لأنسك ، واستبدلْ من الأنس الوحشا

---

(١) النكل (بكسر النون وسكون الكاف) : القيد الشديد من أي شيء كان ، وقيل قيد من نار ، والجمع : أنكال ونكول .

(٢) ص : جيوب . وهو تحريف ظاهر .

(٣) الجندل : الحجارة ، الواحدة جندلة والجمع جنادل ، يقال : « شاد قصره بصمّ الجندل وصمّ الجنادل » . أثناء : ثنيات ، طيّات .

فلست ترى إلا مشيرًا عداوةٍ لغيرك نصحًا وهو معتقد غشًا
أرى باطن الدنيا سموم أراقمٍ ومن[1] ملأت للعين ظاهرها نقشا

أفلا يعتبر المرء اللبيب بما يرى من تنغيصه[2] وورود الفجائع على أهله : من علة فاجئة ، أو ميتة قاضية ، أو دار بعد سكنها موحشة ، أو حلٍ بهولها وصعوبتها مدهشة ؟ قد تكرر منها المون ماحقا ، وتركها ريب الزمان قاعًا صفصفا .

يا هذا ! شمّر وخذ في الجد ، فالأمر والله حق . أتدرى ما الأمر ؟ الأمر هو الرحيل عن هذا الموضع النّبى[3] بأهله المزعج إلى محل آخر : إما أن يكون خيرًا منه ، وإما أن يكون أنبا[4] منه ، وبين الرحيل [١٤٧ب] والوصول وحشة الفراق ، وطلوع الروح العراق ، والتفاف الساق بالساق ، وحشرجة الصدور ، وتسكاب الماق[5] . ياقوم ، هذا ما أقول لكم ، وكيف أعرض نصحى عليكم ؟ وما أنا في الحقيقة مرادى ، بل أنا ذلك المراد ، وأنا الحاضر ذلك النادى ، وأنا المعادى بذلك العناد ، وأنا المستجير لتلك العهاد[6] ، وأنا المخاطب لذلك الرشاد ، وأنا الشهيد على نفسى ولتلك الأشهاد . اللهم صنا بعيرتك ، ولا تكلنا إلى غيرك ، يا ذا الجلال والإكرام !

(١) ص : فإن

(٢) كذا في الأصل ؛ والمعنى على هذه القراءة : بما يرى من نعمه ثم ما توردة بعد النعم من الفواجع . .

(٣) نبا به المكان : لم يطب له .

(٤) أفعل تفضيل من نبا بمعنى لم يطب

(٥) أى : المآق .

(٦) جمع عهدة : كل مطر بعد مطر .

رسالة (مى)

إلهي وإله الخلق أجمعين ! طوبى لمن أهلته لمواجهتك بحديثه على طريق الانبساط ! طوبى لمن وفقته في عبادتك بالأخذ بالاحتياط ! طوبى لمن صفيته في إشارته إليك عما تشابيت به غيره من التكدر والاختلاط ! طوبى لمن سبقت له منا الحسنى فصار بين أهل السموات والأرض من أولي الاغتباط ! طوبى لمن رفعتَ مقامه في الملأ الأعلى عن كل استظهار واستنباط ! طوبى لمن عرَفك فوصفَك أو وَصفك فعرفك !

إلهي ! سوابق مننك تدعو إلى الاعتراف بفضلك ، وسوابغ نعمك تبعث على الحمدة لك ، وروادف برك تستعيد قوى الشاكرين على ذلك ، وسوالف لطفك تأتي على آخر ما يقدر عليه أولو المتهالك بدعائك أحسابك ، وبإرادتك أردناك ، وبصنعك عرفناك ، وبإيادتك وصفناك ، ومن أجل ما عهدنا منك اشتقناك ، وبجهلنا عصيناك ، وبفرط دالّتك قصدناك ، وبسوء أدبنا جفوناك ، وبحسن توفيقك استعطفناك ، ولولا جودك ما سألناك ، ولولا جاذبتك ما شهدناك ، ولولا عنايتك عنيب ما وحدناك ، ولولا لطفك ما عبدناك ، ولولا أنت في كل ما نحن فيه وعليه ما أطعناك . لآلاؤك أشيع من أن تستر ، وآلاؤك أظهر من أن تنكر . قدرةٌ محفوفةٌ بالحكمة ، وحكمة مكفوفة بالقدرة ، ونعمة محوطة بالرحمة ، ورحمة موصولة بالنعمة . فكل شيء منك لائق بالربوبية ، وكل شيء لك شائق [١٤٨ ا] إلى العبودية . عزبت موجوداً ، وكرمت معبوداً ، وحضرت مشهوداً ، وجللت مقصوداً .

أيها السامع المتأيد ، والصاحب المتوحد ! لا ينتهي في مشاهدتك غير من هو شاهدك فتغيب عن غيبتك بغيبتك . ولا تجد غيره ظنا أنه هو ، فتكون عدما

حقيقته بما أنت عليه، ولا تتهم تمييز حديثه، فيذهب طريقك هباء منثوراً،
ويطوى عمرك حسرة وثبورا. واحترس من نفسك لنفسك، فإنه عقرب
إذا لدغتك لم تبل[١]، وإذا صرفتك لم تسل. واحفظ عنه الله عدلا، ولحظ
رفده[٢] قبلك، واستقبل أمره بالشباح[٣] والجد، والتشمير والجهد. فقد حملت
من سره غصصا، وكُفّئت من أمره حسبا، وعرفت له كره في جميع أحوالك
كلها. فازرر بالخشية والتقوى، واحتجب عن النوى بالبراءة من الشكوى،
واستيقن أنه مختبر في المحنة، وممتحن في الاحنة. فإن يك شغف[٤] رجعت به
ولا عونك من النادمين. أما أنى أشكو، وفؤادي مهيم، وقلبي مقيم أملى في هذا
الهوى الناعم منتشر، وفي هذه الأرض العريضة منوشر. سر قد باح على قبل
أن أكتم، وخبر قد شاع على قبل أن أعلم، وبعض قد تولى من حلى قبل
أن أعلم. فلا جرم أن المقول مردود قبل أن يسمع، والعقاب واقع قبل أن يستحق،
والمحذور نازل قبل أن يحذر. وكيف يكون الشيء إلا كما تسمع، وهل يكون
المعتوب عليه إلا على ما ترى؟ فمن لي الآن بحظ سعيد[٥]، وصديق ودود،
لعلي أبو عنه شيئي وأستنجده على ما أنا محمول فيه ومدعو إليه. هيهات! ا
نفس حد ، وحرس الصديق، ودام التعب، واشتد الأسى، وتوالى الندم
على أمر ملك أوله، ولم يدر آخره، ولم نظفر بما بينهما لمور مالو جيد[٦]

(١) أى من رضه شق
(٢) الرفد العطاء.
(٣) الشباح (بكسر الشين): الجد والحذق في كل شيء.
(٤) الشغف (بفتح الشين وكسرها): الريح، العصر.
(٥) الحظ.
(٦) بمعنى: لو قيل.

وجميع شيء منه ، كان مكان هذه الشكية من هذه النسبة تنزه . ونقل هذا الترح ترح ، ودون هذا لتحرق تنقر . فالحمد لله الذي استأثر بالحكمة في عيب مصحتي ، وأوى على روح حياتي ، وطوى دوني سر عاقبتي ، وقرع على ذنبي البوى ، ومعنى فيها من بعض الشكوى [١٤٨ ب] — حمداً (١) سائقاً صلاح دينه ، مستثمراً من مصالح عقبه .

أما والله أيها السامع بأذنه الحاضر بنفسه لولا ثبوتي حدي في العبودية ، ووقوفي في تصفح الربوبية ، وأخذي بآداب من كان نماثل النفس ، عزيز الهمة ، بعيد الهمة ، لتعطفت على حوبتي ، وصرخت بجوانب صدر ليس لأحد من البشر عنه خبر ولا أثر ولكن ما أصنع وقد قبض بقبض خصمي أنفاسي ، والمه ومسكي في ناحية بيني وبين أمراسي (٢) ، فقد نقيت من كل صوب ، وصفوت من كل شعب ، لا أدعي على أحد بل على نفسي ، ولو [illegible] زكاني فكيف إذا أهملت بعض الحق ، وأغمضت بعض الرفق في بحثي . وبأي حال يشهد لي ! لسان ينطق باللهو ، ونفس تصرف على زهو ، وحس تدور في اللهو ، فإن باح مراده لم يبق إلا الاعتذار ، وإن [illegible] مصعب [illegible] لا معذرة ؟ فمع ذلك ليس الحال ناعماً ، ولا الأمل متوقعاً ، ولا الراحة مصونة ، ولا البلاء متجلياً ، ولا الصديق متوالياً ، ولا الشانئ منصفاً [illegible] عادت حسنات بسوء الأدب سيئات ، وصارت الطاعات بفرط الاعتراضات مخالفات . فاللوم حائق ، والأسى محدق ، والخوف متدارفة (٣) ، والدواهي متضاعفة . والويل لي أن

(١) مفعول مطلق لقوله : فالحمد لله . .

(٢) المرس (بفتح الميم وكسر الراء) الحبل المنشب بين البكرة والقعو ، والجمع أمراس .

(٣) تدارف : تقارب خطوه ، و — القومُ : تدانى بعضهم من بعض .

تحت هذا الثقل الفادح ، والخيبة لمن شكايته إلى القريب أو الدني . لقد شد الوثاق [1] من عنف في السوق ، ومنع من الاستحقار من رد صادق الاقتدار ، فلا قوة يستند بها ، ولا رحمة يستمد منها جهة معورة ، ومصلة موعرة ، ووسواس ملتهب ، وكرم حائم ، ومتمنى مفقود ، وفوق كل أعيد كان أصبح وأصر ، وأدهى وأمر ، وكمد كل صبر عليه كان أوذ للأحشاء ، وأقطع للرشاء ، وأكشف للغطاء والغشاء . خذ حديثي بجمله متعصبه باهظ ، وأقنع بالعنوان فمعصوصه موحش . لم يكف زماني ما رماني به غني وكذني به لي ، وغشني فيه علي ، حتى يحال بيني وبين من كان للعين روضة إذا سرحت ، وللنفس متنفس إذا تروحت ، وللحال ثقة إذا استبهمت ، وللغاية علامة إذا استعجمت ، وللصحة خمة إذا استحكمت . فلا جرم شوقي إلى ذلك الفاضل [١٤٩ ا] العزيز على قدر وجدي به ، ووجدي به على قدر ولهي فيه ، وولهي فيه على قدر تهالكي عليه ، وتهالكي عليه على قدر تحلي له ، وتحلي له على قدر امتزاجي به وهذه كناية مائعة من البينونة التي بها يشار إلى اثنين منهما واحد ، وإلى واحد أنه اثنان وهذا حد من استولى عليه كان خبره عن نفسه لنفسه ، ووجدانه لنفسه بنفسه . الصفات تتبرأ من هذه الخصوصية في العشق ، والعلامات تمحق في النبأ عن هذا الفتق والرتق . فما بعد هذا إلا أن تسد مجمعك عن هذا الكلمة الطيف تحرياً للسلامة ، وأزم لساني عن هذا الخبر الطريف حوفاً من لاذع الملامة إن العارف ، وإن ترقى في سلالم المعرفة بحقائق الحال على تبين المكاشفة وعيان المشاهدة ، ليس له أن يخبر إلا بعد الإذن له ، وإذا ورد الإذن ليس له إلا الجمجمة [2] إذا قال

(١) بالفتح ويكسر

(٢) ص الجمجمة ! وصوابه ما أثبتنا والجمجمة : عدم تبيين الكلام .

والمهمة إذ سكت حتى يدرج فيما إليه تدرج ، وتعرّج بى ما عنه تعرج . لغةٌ والله مُشكلة . وعبثة والله معضلة ، وديوان والله مختوم ، وسرٌّ والله مكتوم . إن لقيت مالك منه كنت محروماً ، وإن التمست منك فيه صرت عدماً ، لأن الذى ليس لك هو لك إلا إذا ملكته ، وإذا ملكته فليس هو أبعد لك إلا إذا بقى عنيك فإن الاستدراج شرط فى الإلهية ، والفرق شرط فى العبودية فلا يؤنسك من هذه الرفقة إلا إذا توكلت عليه ، ولا خيرة لك فى هذا التوكل إلا إذا أوصلك إليه ، ولا توكل ولا وصول وهناك نزاع إلى الشهوات وخوض فى الشبهات ، والتفاتٌ إلى اللذات بعد اللذات ، وإعراض عن تعديب بعد العقبات ، وأخذ بالرخصة فى الحالات بعد الحالات لا وحقك حتى تودع كل ما ألفته من هذه المرخصة ، وتدوب دونه بكل خطرة وغصة ، وتتبع هذا التوديع وتدوبك لكل حسنة وفرصة ومن لك بأن تؤهل بعد هذا كله باستراق لحظة من ذلك المنظر الأنيق الذى هو غاية الأماني والآمال ، ومنتهى طلب الطالبين فى كل حال من الأحوال ما وصل الواصلون إليه إلا بترك الروح ، وقتل الضرس ، واحتراق الصفة ، [١٤٩ ب] وتبدل السمة ، وتجرع الصبر ، ومعانقة البلاء والتبرم بالنعيم والتجافي عن المهاد الوثير ، والصعف عن الحسك الدست ، وحشو الدم بلا فحص تلابسه كراهة ، ولا خطر تفارقه نزاعة ، ولا عمل يشبه علم ، ولا علم يخالطه عمل ، بل حال واحدة يمرق فيها كل رسم وقول ، ويعيق بها كل شيء ، وطول حب لا يعرف اسمه إلا بعد أن يورث فيها أكثرها ، ويبدى منها قبلها ، عجزاً عن حقيقتها ، وتبلداً فى معرفة عينها . ولا يتفجر (١)

(١) كذا فى الأصل !

فى هذه الصفات التى هو استقدرات عن ملك حقائق ؟ أفلا يمعن دون بينها ما يملك من الذخائر ؟ أولا أنبهم عليه ككد الأبدان وبذل الأرواح ؟ أفلا يحاد لما بما هو دونها فى القيم والأرباح ؟ أفلا تتعرف الصرق إليه ؟ أفلا يستمس بكل صديق وصاحب عليه ؟ أفلا يتحسر على الفائت منه ؟ أفلا [١] يطرب على الحمر الصيب منه ؟ أفلا يقول كيف وما هى هى وإن هى ،

يا هذا ، كنت على هذه يقضى منى ، وزينى مثك لك ثنى [٣] ،

وهذه درجة لا أرضاه لمن هو على صعبى وأرخى إليه ؛ وحتى و تفرحى إلى متى أعرف بما عرف ، و ... ما لا يستدعى ، وأسير إلى ما لا تستشير ، وأروى ما لا يدرى ، وأستر نفسى مثك ... وعسى ، واليوم وغداً ، وكلا ولا ، وإن وبلى ؛ ... ت الأوصاف ، ونحت الأعطاف ، و... الرعى للسارح ، و... المأنى على العدى و... ... من سامع نحوى أهل الحق لسالك السكاسف ، وطمه الآ... إلى صراط الله المستقيم ، ومقامه الأمين ، حيث لا خوف ولا حزن ، ولا أين ولا حين ، حيث قرار ومعين ، ومكان ومكين . وهل من قارب ... الصفاء بيد الوفاء على الرفق والتأنيه ، والصبر والتوحيد ، والقناعة والنزهة والزهد ، والنسك والتعبد ، و ... والتفرد ، حتى أحسن لك ركائب العمل ، و... الأمل ، على الوحى ... والعمل واشوقاً إلى مريد لطيف ! واأسفا على ذى حال لطيف ! وحنيناً إلى عارف عريف !

(١) كذا فى الأصل ، وصوابه : هى .

(٢) ص : فلا وهو تحريف ظاهر .

(٣) ... ... وشكواى .

(٤) عشق .

(٥) ص ... و... ... والإ... ، كالوحه .

واحزناً من متكلم هفيف ! وا ويلي على ذي همة شريفة غريب ولله —
هذا الشأن على أهل زمان فلا حجر ولا استحسار ، ولا مُخْبِر ولا مُسْتَخْبِر .
أصبحت الدار خالية [١٥٠ ا] من قُطّانها ، وعادت أطلالاً بعد بهجتها
بسكانها ، فلا لافظ ولا حافظ ولا رافض [و] : لا لافظ بالحق ، ولا حافظ
للصدق ، ولا رافض للرزق . وإلى متى أُسِرّ وأطوي على أمرٍ وَلّى وقد يَقِف !
كُنْتُ قد ذاب الكبد ، أشكو إلى الله الواحد الصمد ، فالويل لمن رفع بثّه
إلى غير الله ، ويئس بجهله مما عند الله ، وظن أن به فرجاً إلا بالله

اللهم إنا لا نملك ضراً ولا نفعاً إلا بك ، ولا نرجو خيراً ومَيْزاً إلا منك ،
ولا نخاف وَلَداً (١) إلا عليك ، ولا نطمع إلا فيما لديك . واحملنا على ثقة
من قبولك لنا ، وآلِفْ بيننا وبين رفقك بنا ، وشُمّنا لعطفك علينا ، واسطع
بنورك في أسرارنا ، واصدع مُرْتَتَق (٢) عقولنا ، وردنا من عطائك لما يضيق
عنه وُسْعُنا عند مسألتك . وكما حرمتنا الدنيا لتسلّينا [illegible] ، فاصرف حياتها
من قلوبنا حتى نُسْهى عنها ، وخذ بأيدينا في مداحضها ، واحفظنا عند
عوارضها ، وسلّطنا على شيطاننا وعلى أهوائنا بالقمع ، وعلى شهواتنا بالعفاف ،
وعلى أمانينا بالكفاف ، ولا تجعل حظنا منك غضاً من عينك ، ولا دعاءنا
إليك سهواً من غفلة ، ولا انبساطنا معك سوء أدب منا في صحبتك ، فإنا لا نسلم
من الريبة إلا بتوفيقك ، كما أنا لا ننمي إلا بتصديقك ، يا ذا الجلال والإكرام !

(١) كذا ! ولعل المعنى : أن تكون مولداً عن غيرك .
(٢) اصدع : شقّ ؛ مرتتق : ملتئم ، مغلق ؛ أي : افتح مغاليق عقولنا

رسالة (ج هـ)

حرامٌ على قلبٍ استنار بنور الله أن يفكر في غير عظمة الله ؛ حرام على لسان
تعوّد ذكرَ الله أن يذكر غير الله ؛ حرام على نفسٍ طُهِّرت من أدناس الدنيا لله
أن تدنّس بشيء من مخالفة الله ؛ حرام على عينٍ نظرت إلى مملكة الله أن تُحدّق
إلى غير الله ؛ حرام على كبدٍ امتلأتْ بالثقة بالله أن تطمئن إلى غير الله ؛ حرامٌ
على مَن لم يَرَ الخير إلا من الله أن يُجدّد طمعاً في غير الله ؛ حرام على من شُرِّف
بخدمة الله أن يتسمّى بخدمة غير الله ؛ حرام على من ألف فِناء الله أن يخرج
إلى غير الله ؛ حَرَامٌ على من تعوّد بمدحة الله أن يستجدي غير الله ؛ حَرَام
على من رتع في نعمة الله أن يمدح غير الله ؛ حرامٌ [١٥٠ ب] على من سكن
حَرَمَ الله أن يتعرّض لحُرَمِ الله ؛ حرامٌ على من دعا إلى الله أن يجيب غير الله ؛
حرامٌ على عَبْدِ الله أن يتخذ مولى سوى الله ؛ حرامٌ على من أنس بالله
أن يأنس بغير الله ؛ حرام على من عرف قدرة الله أن يتعرّض لسخط الله ؛
حَرَامٌ على من عرف عفو الله أن يقنط أو ييأس من الله ؛

يا هذا ! إنك أنت بجوارحك ، وجوارحك بك . فإذا رسمتها في مراتبها ،
كانت لك وكنت لها . فإذا فسدت عليك كانت عليك ، لا لك . فعلى أن لك
قلباً فرتّبه على حدّ الفكر في أنعم الله ، وسِرّاً فاحْشُه بمحبة الله ؛ وضميراً
فقدّسه في نيّة خشية لوجه الله ، ونفساً فوكّلها بالحب عن الله ، وروحاً فسرّحه
في رياض نعم الله ، وعيناً فسدّدها في عيب خَلْق الله ، ويداً فرتّبها على تناول
الواجب من ملك الله ، وقدماً فصيّرها على خطوات إلى باب الله ، وعقلاً فاحمله

رائداً لك عند الله ، وعضداً فانصره على العمل لوجه الله ، وكَلًّا فابذله فدى لمرضاة الله ، ونقضاً فقفه على سلوك سبيل الله

يا هذا ! أما ترى حدثان الدهر ؟ أما تحس مصائب الدنيا ؟ أما تشعر بأحكام الوقت ؟ أما ترى دوران الشمس ؟ أما تحس باختلاف الليل والنهار ؟ أما تؤمن بغيب هذا الشاهد ؟ أما تثق بشهادة هذا الغيب ؟ أما تبصر بين الرأس تصاريف القدرة ؟ أما تضطر إلى الإقرار بربوبيته ؟ أما تلتجئ إلى القيام بعبوديته ؟ أما تعلم أنه يخص علمك ويعقب أثرك : بسمعه ، ثم باطلاعه ، ثم بإحاطته ، ثم بالخطة من قبله ، ثم بانكشاف الأشياء له وانتصابها لسمعه وبصره

إلهي ! استنزرني ما جنت حجتي ، دعوتني فلما أجبت حضرتني [1] ؛ خاطبتني فلما استفهمتك أبهمت علي ، عرّفتني فلما استعرفت نكرتني ؛ أظمأتني فلما استسقيتك ذدتني [2] ، أدنيتني فلما بدوت [3] أبعدتني . أحييتني فلما حييت أمتّني ؛ آمنتني فلما أمنت أخفتني . كوّنتني فلما كنت كيّنتني . فوحقّك لا فارقت بابك حتى تفصل أمري ، وتحكم لي ، وتجود علي ، وتنظر إلي ؛ وحتى تنقذني من دارك التي حشوتها بالغصص والآفات ، وبالبلايا والمسيئات ،

(١) كذا بالضاد المعجمة ، وعلى هذه القراءة تكون بمعنى : أصابتني بسوء ، من قولهم : « أعوذ بك رب أن يحضرون » أي يصيبوني بسوء . أو تكون صحتها : حصرتني ، بالصاد المهملة ، أي : ضيق عليه وأحاط به

(٢) غير واضحة تماماً في الأصل ، وما أثبتنا هو الأقرب إلى الرسم الظاهر . وذدتني : أي منعتني من الشرب ، من ذاد يذود : منع .

(٣) ص : بلغت .

وحتى ترفعنى إلى حوار ذى الظل السَّجْسَج[1] والماء المعين، وقرار المسكين، ومعدم الأمين. حيث لا تُسمع فيه لاغيةً، ولا تأسى [١٥١ أ] من ليس منى فى ناعية ولا راغية[2]».

أرسُمُ لك فى هذه الورقات كلاماً للحكماء فى صفة رجحى العاقل العادل كيف يكون، ومن أين تحصل له هذه الفضيلة، وصفة الرجل الجاهل الجائر كيف يكون، ومن أين تدخل عليه النقيصة. زعمت الحكماء على ما أوجبته آراؤها وديانتها أن من الوحى القديم النازل من الله قوله للإنسان «اعرفْ نفسك، فإن عرفتها عرفت الأشياء كلها». وهذا قول لا شىء أقصر منه لفظاً، ولا أطول منه فائدة ومعنى. وأوّلُ ما يبدو منه: الزراية على مَنْ جهل نفسه ولم يعرفها، وأخلقْ به إذا جهلها أن يكون لما سواها أجهلْ، وعن المعرفة به أبعد، فيصير حينئذ بمنزلة البهائم، بل أرى أنه أسوأ منها وأشد انحطاطاً وسفلاً[3] منها، لأنها لم تشركه فى التمييز ولا يشركها فى الجهل. فمن حاول امتثال هذا الأمر لم يصل إليه إلا بعد التمهر فى الفنون العقلية، والتوصل إلى فهم دقيقها وجليلها[4]، والإحاطة بكثيرها وقليلها. فكان ذلك الوحى إنما كان تعطفاً من الله له فى استيعابها بالإيماء والإشارة والخفيف من العبارة، ثم أداه

(١) السجسج: الأرضُ ليست بصلبة ولا سهلة، و[illegible] ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. ويقال: «يوم سجسج» إذا لم يكن فيه حرٌّ مؤذ ولا قُرّ، وكذا الليل.

(٢) الناعية: الشاة، والراغية: الناقة، ويقال: ماله ناعية ولا راغية. وفى النص: راغبه.

(٣) سفل (من أبواب: نصر، علم، كرم) سُفولا وسفلا: نقيض علا.

(٤) الدقيق هو المسائل الجزئية، والجليل هو المسائل العامة الكلية. وهذا الاصطلاح يرد كثيراً فى كتب علم الكلام.

الاختبار إلى أن عرف نفسه وحدها بأنه حيٌّ ناطق مائت، وأنه مركب من الأخلاط الأربعة التي هي عناصره وأصوله، وإن فيه نفساً ذات قوى ثلاث، وهي الناطقة التي مسكنها الدماغ، والغضبية التي مسكنها القلب، والشهوية التي مسكنها الكبد. لكن العادة جرت أن تسمى هذه القوى نفوساً، وإن كان مرجعها إلى واحدة فيقال: نفس ناطقة، ونفس غضبية، ونفس شهوية. فالناطقة في الدماغ ثلاثة أماكن: أحدها يكون به التخيل والإحاطة بالأشياء المنظورة والمسموعة على ما هي عليه، وهو المقدَّم منه؛ والثاني يكون به التمييز بين الأشياء ومعرفة حقها من باطلها، وصحيحها من سقيمها، وحسنها من قبيحها، وممكنها من مستحيلها، وهو الوسط؛ والثالث يكون به الحفظ لما وقع عليه التمييز. فكأن الأوسط هو الأشرف، إذ منزلته منزلة الحاكم الذي ترفع إليه الرفائع [٢] وتصدر عنه القضايا؛ ومنزلة المقدَّم [و] [٣] منزلة الشاهد الصدوق الذي يُنْهِي إليه ما يرى ويسمع؛ ومنزلة المؤخَّر منزلة خازن الحفظ يستودعه عين ما ميّزها وحصّله، فمتى احتاج إلى شيء منه استدعاه من خزانته. فهذه حال النفس الناطقة اهـ.

وأما النفس الغضبية فبها تكون الأنفة [٤] من العار، والإباءة من الضيم، وطلب الاقتصاص من الظلم، والانتقام عند الغضب. وأما النفس الشهوية فبها يكون حب المطاعم والمشارب والمناكح. ومثال الناطقة مثال الملك المستولي،

(١) كذا! والأصح: به.

(٢) الرفيعة: القصة المرفوعة إلى الحاكم، يقال: «رفع فلانٌ إلى العامل رفيعة».

(٣) وردت الواو زائدة في الأصل.

(٤) ص: الأنفة، وصوابه ما أثبت بدليل ما يرد بعد ص ٣٩٨ س ٣.

وأفضل أحواله أن يكون عدلاً سائساً مهيباً مطاعاً قوياً في غير عنف ورؤوفاً في مهانة. ومثال الغضبية مثال جُنده الذين يتفقّدون ثغوره، ويدفعون أعداءه، ويقوّمون رعيته، وينفّذون أمره. وأفضل أحوالها أن تكون عزيزة الجانب في نفسها، سليمة الانقياد والطاعة لسلطانها المستخدم لها. ومثال الشهوية مثال رعيته الذين يجب أن تكون عريكتهم (١) لينة مواتية، ورهبتهم منه ومن جنده تامة مُستحكمة.

وإذا جرى أمر الإنسان هذا المجرى واحتذت هذه القوى حدودها، وتعادلت على أوزانها وأقساطها، كان فاضلاً. وإن زال عن ذلك، نقصَ وكان نقصانه بحسب مقدار زواله. ومعلوم أن البهائم مساوية في جميع أجزاء التركيب إلا في النفس الناطقة التي بها صار مهيباً على جسمه وسائساً قاهراً لها، ومن أهملها كان ملكاً موثقاً، ومثاناً ممقتاً. ومن وصل إلى هذه الغاية من معرفة نفسه، لزمه أن يسوسها أحسن سياستها، ويسلكها أرشدَ سبيلها، وأن يميّز بين الخير والشر فيتوخى محمودات الأمور، ويتوقى مذموماتها.

وإذ قد نبهنا على هذه الجملة، فينبغي أن نحصل لطريق الخير معالم نهتدي (٢) إليه لنتبعه، ولطرق الشر معالم ننتهي عنه لنجتنب. فنقول. إن كل ما آثرت النفس الناطقة فاستحسنته من غيرها فهو الخير، وكل ما استقبحته منه فهو الشر. وإنما قلنا: «من غيرها» لأنها ربما عَميتْ عن العيب إذا كان فيها، وليست تعمى عنه إذا كان في سواها؛ وعلى أن الشاعر قد صدق ذلك ولم يرَ فيهم مُبرءاً منه ولا سليماً، فقال

(١) العريكة: النفس، الطبيعة، «رجل لين العريكة» أي سلس الخلق منقاد، شديد العريكة. شديد النفس، أبيّ.

(٢) كذا! ولعل صوابه - تهتدى

[١١٥٢] أرى كلَّ إنسانٍ يرى عَيْبَ غيرِه
ويَعْمَى عن العيب الذى هو فيه
وما خيرُ مَنْ تخفى عليه عيوبُه
ويبدو له العيبُ الذى لأخيه !

والذى أضارها فى هذه الحال اكتنافُ ما يكتنفها من شوائب القُوتين الدفيتين (١) المسَاكِنَيْن لها فى هيكلها. وهما الشهوية والعصبية. فإنهما يجذبانها (٢) إلى الغلط فى الأمر الخاص، ولا يجذبانها إلى الغلط فى مثله من غيرها؛ فليس تسلم من معارضتها إلا بأن تكون صارمة قوية، وعزوفًا أبية. وليت لها إذا كثرت قوتها واستحكمت شدتها أن تثبت لمعادلة العدوّين اللذين معها. قيل: وَيْلٌ للقوى بين الضعيفين: فما أن كانت ضعيفة بين قويتين، فهناك تجتمع العيوب والمثالب، وترتفع المحاسن والمناقب. وقد شبهت الحكماء الإنسان سبتت فيه إنسان وخنزير وسَبُع: فالإنسان العقل، والخنزير الشهوة، والسَّبُع الغضب. وقالت: أىّ الثلاثة غلبت، فالمسكن له. وذلك يوجد قياسًا وعيانًا. فإن الرجل اللبيب الضابط لنفسه هو الحقيق بأن يسمى إنسانًا، والرجل الذى قد استبعدته (٣) واستمتعته شهوته بالخنزير أشبه، والرجل الثائر الغضبان بالأسد أشبه. ونحتاج فى هذا الموضع إلى فضل إيضاح تنفصل به من زيادة الزائدين. وهو أن الشهوة والغضب، لو كان قهرهما وحصرهما واجبًا على الإطلاق، لسقطا من أصل التركيب سقوط ما يستغنى عنه، بل ما يتحرز منه. لكن هناك ضرورة إلى الشهوة لاجتذاب

(١) ص: الباطن!
(٢) ص: يجذبانهما.
(٣) كذا! ولعلها: استعبدته.

المطاعم التي بها قوام البدن، والإمساك من لطف له كيلا تبقى بها بعده البدن وضرورة أخرى إلى الغضب لدفع الظلم ونحوه عنه، ولأنفة من العار والذب عن الحريم، إلا أنه يجب أن تكون هاتان النفسان تحت طاعة النفس الناطقة وسلطانها تخدمانها تخدي [١٥٢ ب] المركوب الذي يركب عند الحاجة بسرج وألجمة وشكيمة تحكمه وعنان يقبضه وسوط يحثه وقد ذلل عنه راكبه أنواع الرياضة والشكال، فلا يجد على حال من الأحوال سبيلا إلى أن يشرد فيهلك نفسه، ويجني على غيره.

ومما ينبغي للإنسان أن يعلمه أن هاتين النفسين، أعني شهوته وغضبه، ربما احتالتا عليه وشبهتا له بالصديق الذي هو الغش، فظن أنه في طاعته إياهما مطيع له. واستعمل الشر على أنه خير، والجور على أنه عدل، والخطأ على أنه مصيب. وسبيل الحازم أن يستعمل على ما أشرنا إليه سابقاً، ليحذر من مصائدهما ومكائدهما، ويتحفظ من أشراكهما وحبائلهما، ويعرض على نفسه ما تدعو إليه نفسه، على أن الفعل واقع من غيره ووقوعه منه، فليعلم أنه خير صالح، وليمضه [illegible] وإن كان على الضد من هذه الصفة، فليعلم أنه شر محض وليمتنع منه. ثم يتأمل المستحسنات فإنه سيجدها مما يختص الإنسان به، ولا تشركه البهائم فيه، كالحلم والكظم والكف والمعروف وضبط الحمية وعصيان الشهوة وعفاف الفرج والتحوب(١) [illegible] من المآثم. وليتأمل المستهجنات، فإنه سيجدها مما تشركه البهائم فيه، بل هي أقوى منه ككثرة الطعم، وحب الفرج، ومحبة الانتقام. وكفاه بذلك وازعاً

(١) تحوب الرجل: احتسب. التحوب: الإثم، يقال: هو يتحوب من القبيح، أي يتحرج منه، وتحوب منه: توجع وتحزن. تحوب في دعائه تضرع

عن مصارعته فيه ، وباعثٌ عن استثنائه عليها . وليس كلُّ مَنْ قاده عقله
إلى العلم بمراشد الأمور ، انقادت له نفسه إلى العمل بها : فقد رأيت كثيراً
من أهل المعرفة يأمرون ولا يأتمرون ، ويزجرون ولا ينزجرون ، ويعرف
من المتطببين من كان ينهى عن يسير التخليط فى المآكل ، وينهمك
فى كثيره . ومن المتفقهين الذين هم أطباء النفوس مَنْ كان يَذُمُّ مقابح
الأخلاق ومستفحش الأفعال فيرتكبها فى خلواته . وتاركُ العمل مع الجهل
أعذرُ من تاركه مع العلم . والحازم من الناس من سدّ بالرأى ثغورَ الهوى ،
ورابط فيها بجيوش النهى : إما بالمزّ (١) والاعتزام الفحل إن وثق
من مُنّته (٢) بالقوة والاستقلال ، وإما بالتفويض إلى النُّصحاء إن أحسّ
منها بالضعف والانخذال . لأنه إنما يجاهد عدواً نازلاً بين جنبيه مالكاً
لجميع جوارحه عليه . فإن أضعفه عن الانفراد فليبارزه بالأعوان والأعضاد (٣) ؛
وإذا كان الإنسان قد علم أنه مركب من شيئين . أحدهما شريف وهو النفس ،
والآخر دنى، وهو الجسم ، فاتخذ للدنى، منهم أطباء يبحثون عن أمراضه التى تعروه ،
ويواظبون عليه بقوانينه التى تعمده ، ويتعهدونه بأدويته التى تنقّيه ،
وترك أن يفعل بالشىء الشريف مثلَ ذلك — فقد أساء الاختيار عن بيّنة ،
وأتى الغلط على بصيرة . وأطباء هذه النفوس هم أهل الفضل ، وقوانينها
العادية التى هى الآداب المأخوذة عنهم ، وأدويتها المنقية هى النواهى
والمواعظ المسموعة منهم والسلام . اهـ .

(١) المزّ : الصعب ، يقال : « أمرٌ مَزٌّ » أى صعب ، أى بالقهر والقسر .

(٢) المنة (بضم الميم وتشديد النون المفتوحة) . القوة .

(٣) جمع عضد (بفتح العين وسكون الضاد المعجمة) الناصر ، المعين .

زينة اللفظ في المعنى ، وحُسْنُ المعنى في الصِّدْق ، والصدقُ ينقسم على صالح القول المؤدب والنفس المهذب ، وميراث العمل باقٍ على وجه الدهر وحوادث الليالى ؛ وقيل :

الغَرْف أصلٌ يُجْتَنَى من فرعه الثَّمَرُ الجديد
يَبْلَى الفتى في قبره وفِعالُه غضٌّ جديد

٥

وإنما يُقَدِّم قائلُ الخطبة (١) على حروف الخطب .

أما بعد : أطال الله بقاءك مُحَسَّناً (٢) ، وأدام عزك حميداً مؤيداً ، وأنعم عليك مُرَفَّهاً مُسَدَّداً . فقد عفت مصادق تجربتك وتالف فطنتك ، وتعمر الأحداث لك ، وصروف الأحقاب عليك ، وصنائع الأيام عليك — أن الجهد فضلٌ محروم ، والعاقل حر مظلوم ، والرأى سيِّدٌ كمون ، والهوى عبدٌ مغلوب ، والطمع خُلُق خبيث ، والقدرَ طالب حثيث ، واللَّسْن (٣) عدو ناصح ، واللعف (٤) صديق فاضح ، والمُلْك ولد عقيم ، والعشق داء قديم ، والدهر عينٌ هَوَّان ، والقناعة حِرْزٌ أمن ، والحرصُ صورة شره ، والحسد حلة بلهاء ، والعلم عنوان دارس ، والجهل حظ ناقص ، والزمان عسير غدور ، والحزم فيه في طرفي غرور ، والفقر لباسُ ذلٍّ وثوب عرٍ ، والمِنّة لُؤْمٌ نفس

١٠

١٥

(١) يمكن أن تقرأ : يعني . الخطيب .
(٢) حَسَّنه تحسيناً ، مثل حسنه ، ومنه قوله :
إن العرانين تلقاها مُحَسَّدة ولن ترى لئام الناس حُسَّدا
(٣) اللسن (بسكون السين) من لسن فلاناً (من باب نصر) لسنا أخذه بلسانه وذكره بالسوء
(٤) اللعف (محركة) : ما لفموا من هب وهبه ، كما يلعف الرجل شهادة الزور .

وسوء اختيار . نعم ! والموت ركية [1] مورودة، وطريق مَهْيَع [2] ، وحال ملتبسة ،
والناس فيه أسوة واحد وحلفاء معاهد . ومع ضرب الأمثال وتصريف المقال ،
بيني وبينك أحوال اللسان لا يصفها ، والعبارة لا تصرفها ، والوصف لا يأتي
عليها ، والإشارة لا تصل إليها — كل ذلك للطافته ورقته ، ونحافته ودقته ،
مِنْ فضلك الذي أطلقني عمامته ، ومطرتْ عليّ سحابته ، وأزهرت بي أرضه ،
واخضلت عليَّ روضته ، والتفّت عندي زهرته ، وتكاملت عليَّ بهجته ،
وورثتُ منه شوقاً يقلع [3] الكبد والفؤاد ، ويجلب الفكر والسهاد ،
ويُزعج الروح والنفس ، ويَسْلُبُ الرَّوْحَ والأُنس ، وعراماً يَرْمي عزماً
لا طوق [4] في نقصانه ، ويسومني حنيناً لا أجد سبيلاً إلى عزائه ، ويُعليني
ثنية أرمي دونها معاقة الجسم ، ويُهبط [5] وادياً أسهل منه مصححة اللحد ، —
ونزاعاً ينازعني في أمري ويحاول بشدته انقضاء عزمي ؛ — وصبابة أكاد
من رقتها أطير إليك ، وأقف مراتب حالي عليك فليت ذلك كذلك .
فعلك تطالع شبحاً قد أنضاه السفر ، وأضناه الفكر ، وأنحله البلى ، وأذله
البلاء ، وجار عليه الزمان ، وصد عنه الإخوان ، ونبتْ به الأوطان ،
وبقي فرداً لا يُحدث ولا يُعان . إن سكت نُسب إلى الكمة والعيّ ،
وإن نطق رُمي بالريبة والغيّ ، وإن تحرك هبّ به الاضطراب والوله ،
وإن سكن تحكم فيه اليأس والتصنع . فكل حاله عبث ، وكل أمره خبث .

(١) الركية : البئر .
(٢) واسع .
(٣) قلعه (من باب قطع) قلعاً : انتزعه من أصله .
(٤) الطوق . الوسع والطاقة ، يقال : هو في طوق : أي في وسعي وطاقتي .
(٥) يجعلني أعلو وأصعد .

ليس له في أمره لسان ينطق بالحق، ولا شفيع يقبل على الصدق علّته في كونه، وراحته في فقده، واستراحته في عدمه، وهذيانه في ليله ونهاره قولُ القائل

كفى بك داءً(١) أن ترى الموتَ شافيا
وحسبُ المنايا أن يكنَّ أمانيا

يذمّ ما به وهو سبق مسموم فيه، ويهجو أيامه وهو قلادة العار عليه.

فيا سيدي فكيف يجد لعدد أحداثه مَنْ يعالج مع المحنة وفاته؟ أم كيف ينصرف بذكر ما حلّ به وضجّ به من ليس له لهجة تفصح، ولا صدر ينشرح؟ أم كيف يجد سكونًا من تزحزحت داره عن [١٥٤ ا] الحبيب، وحُرِم مشاهدة الصديق ومفاكهة الحبايب؟ بل كيف يصول بالعلم مَنْ منتهاه فيه الجهل، أم كيف يستحيي بالحيلة مَنْ فطرته العجز؟ أم كيف يتناول الثريا من مأواه الثرى؟ أم كيف يتشبّح(٢) الخير لمن يتنكّر عليه الإقبال؟ أم كيف يوفّق بالنجح من يتشكّك في العمل؟ أم كيف يطمئن إلى السكون من يهيجه التعيير؟ أم كيف يهتدي إلى الربح من لا يخلص له من الخسران؟ أم كيف يطمع في الكمال من لا يخرجه من النقصان؟ فسبحان مَنْ لو آثر تحكّمنا في أمورنا، لفعلنا(٣) كما نصيب بعض الإصابة، ونقف منه على طرف من أطراف السعادة. هيهات! تلك منية دونها منيّة، وجهالة قرينتها ضلالة؛ ها أنا لا أحيل على غيري

(١) بيت للمتنبي هو مطلع قصيدة له مشهورة (راجعها في ديوانه ص ٦٢٣ نشرة فريدريخ ديتريصي. برلين سنة ١٨٦١).

(٢) أي يصير ذا شبح، أي هيئة وصورة وحقيقة.

(٣) ص فلعل [illegible] وهو تحريف ظاهر

أستحلّ [١] الله عقدى ، وأستفكّه رهينتى ، وأستقيله عثرتى ، وأستنعشه صرعتى ، وأستمنحه خيرتى [٢] ، وأسأله بلسان الذل والضراعة توقيع الكفاية والقناعة منذ حين وزمان ، فى كل وطن ومكان ، فيأبى إلا ما هو أعلم بمصلحتى فيه ، وسلامتى عليه . وإليه الشكوى ، ونعم المولى !

هذا ولست آسى على فائت ، فإنى أحرزت قصب [٣] منه ، واستوفرت حظى فيه ، وقضيت وطرى به . وحكمت الأمانى عليه ، وسحبت ذيل الرضا معه . وإنما تحركنى رسومها المدفونة فى نفسى ، وآثارها الجارية على صدرى ، وصورها الماثلة لعينى ، وحيطانها المسم لسوادى ، وذكرها المولع بلسانى . فأما إذا حقت الحقائق ، وزال اللبس ، وصح العتاب . فليس الذاهب فى النزاع إليه بأنجح من المنتظر بجميل الصبر عليه . وإنى لأخبز من عود [٤] لحمية طلب .

قالوا : تصبّر : قلت : فالصبر شيمتى ألم تعلموا أن الكريم صبورُ ؟

فلئن صبرتُ لأصبرن بحسرة ولئن جزعت فإننى معذورُ

وليس الأول من الذى ، ولكن كما جرى القلم عليه وسمح الطبع به والوصلُ :

كُنْ للحوادث بالعزاء [٥] مُقطّعا فمن يوم لا ترى ما تكره

(١) ألتمس منه أن يحل . وأن يقيل . وأن يبعث . وأن يرحم ..
(٢) الخيرة (بفتح الخاء) : الحزن .
(٣) أحرز قصب السبق : استولى على الأمد .
(٤) العود (بفتح العين) المسن من الإبل ، وفى المثل : زاحم بعود أو دع ، معناه : استعن على حربك بمشايخ الكمل .
(٥) العزاء : الصبر .

[١٥٤ب] آخر: ومن جعل الكلام له قعوداً
أصاب به اللاحي خيراً وشراً

آخر: واصبر فما استشفعت في مطلب
بشافع خير من الصبر

٥ آخر: في كل يوم للزمان عثار
ونوائب تترى على الأحرار

وتنقّلٌ من نعمة في نعمة
ما تنقضي أو تنقضي الأعمارُ

وكأنني بصروفه وخطوبه
زرع تحسه الريح والأمطارُ

١٠ واصبر فإن الصبر عزمُ ذوي الحجى
وودادك إن عملتَ تبار

آخر: إذا الناس قالوا: كيف أنت وقد بدا
ضميرُ الذي في قلت للناس: صالحُ

١٥ آخر هوّن عليك فإن الدهر عاقبته
برم منتقَض أو نقضُ منبرم

ولقد سمعت بدوياً في أرض بني ربيعة يقول مسايره: أيها الإنسان! عِهْ مقالي: مَنْ ذا الذي نكثَ عوده على صفحة الزمان، وثبت عوده لعواقب الدهر؟ هوّن [illegible] فإنه على كرم مُصاص[1]. وجوهر نفيس، وعِرق موصول،

(١) المصاص (بضم الميم): خالص كل شيء؛ مصاص الشيء: سِرُّه ومنبته؛ يقال: فلان كريم المصاص.

وأصل شريف ، ومَغْنَى محمود ! فاستحسنته فتلقنته . فهل تشاركنى في استحسانه حتى تُشفى من وحشة الانفراد ، وتُحلى بأُنس الاقتران ؟ فإن أعجبك هذا [illegible] فإن سمعته يقول [illegible] الأول في أعطاف كلام كان [illegible] ويتحدث عن [illegible] ديباجة طبعه : يا أيها النسمة !

[illegible] حظ ؟

والله يا رفيق وشريك [illegible] ، لقد صحبتُ الليالى ستين عاماً مذ عقلت ، [illegible] إلا من استوفيته ، ولا [illegible] إلا من استصفيته . ولا أمِرَ لى إلا من استحسنته ، ولا [illegible] أمرى إلا من [illegible] ، ولا [illegible] عينى إلا من [illegible] ، ولا [illegible] إلا من [illegible] ، ولا [illegible] لى [illegible] إلا من حيث لم [illegible] ، ولا [illegible] لى [illegible] إلا من أكتسب . [illegible] لعيش ، [illegible] على فضل ؟ [illegible] ، [illegible] في [illegible] ، [illegible] أملاً [illegible] ، وعُصورة | ١٥٥ [illegible] على [illegible] شرط [illegible] ، فكان ذلك [illegible] تعلّمت ثم [illegible] ، و[illegible] ثم [illegible] أسمة لو [illegible] بالحديث الحلو ، والعلم [illegible] ، و[illegible] ، و[illegible] المصيب ، والأدب النفيس ،

(١) [illegible]

(٢) الضمير يعود على [illegible] ، وهذا [illegible]

(٣) [illegible] لا لا

(٤) [illegible] في الأمر [illegible] فيه

(٥) [illegible] ([illegible]) [illegible] من فيه .

والقول المزعفر (١) بالنضج ، والبشر المعصفر (٢) بالنجح ، والرأى المؤيد بالحكمة ، والصواب المستفاد من الحنكة ، وحل الجامعة لشوارد الأنس ، والأمر المؤلف بين مختلفات الحس ، ومن لى على بعد الدار وتراخى المزار لايحول بحواص العلم خواص الأدب ، والمعل الذى أعرف بها ٥ وأهدى إليه ، فيبت أوصال الحرمى الشى ، إلا يرضاى عار اتقى

بالله يا سيدى أهل عندك شيء مما عندى ؟ فبى بالوجد نطقت ، وعلى الحزن حريت ، وبالبرق الخفى اغتررت ، وإلى حبل المقل اضطربت ، وسورة الأنو تلوت ، وأثر الوسواس قفوت :

فمن أثر عشروش أهوى بوجهه على مدرك الدهر بى ومن خلل
١٠ كلاما يرد النفس وهى حزينة ويصير وحداً كالواحد بالمثل

إن كان — أيدك الله — مصارعة حكم، ومنتهى كل تدبير ، ولائتلاف الأرواح حقيقة ، فهذه القصة مرضية مستقيمة ، وهذه الصلة صحيحة قوية ؛ وإن تكن أخرى ، فليس هذه بأعجب من أخواتها

وإن اقتراب المرء من غير حاجة
١٥ ولا فاقة يسمو بها لعجيب
وحسب مرىء ذلا ، وإن أدرك العلى
ونال ثراء أن يقال : غريب
آخر لكل ولاية لابد عزل
وأمر أساس عقد ثم حل

(١) زعفره : صبغه بالزعفران ؛ — الطعام : جعل فيه الزعفران .
(٢) عصفر الثوب : صبغه بالعصفر ، و عصفر (كتعصفر) صبغ .

آخر : دع الدهر يجرى بمقداره

ويقضى عجائب أوطاره

ونَمْ نومة عن ولاة الأمور

وتقْ [illegible] وأدواره

لعلك ترجع من بعد ما شطّت ٥

ونعجب من سوء آثاره

آخر وصاحب حاجة ملتمس تذكره

ومبدأ ما تمنّى [illegible] مجتهدا

ورب [illegible] ليس أكله

ومسعف بيوم ليس في العدد ١٠

هذا كله [illegible] فيه وفى ، وشرد على ؛ ولكن الطريق بكل مرتبة حقيق ؛ ولو أدب [illegible] من [illegible] من بعض ما قاسى فى [illegible] ، فإن ذلك يزوج قلبى ، ويفرج كربى ، وأنا [illegible] | ١٥٥ ب ، [illegible] مطالب . وأنت العالم كل العلم ، وأنت كل [illegible] كل علم ، ودقيق كل معنى ، وعرض كل فائت . وأنت كل [illegible] ومولى لا يقف على منهج واحد ١٥

وحرة واحدة ، فإن قادحه مثلوب . ومنشئه مخسف ؛ وذلك لأنى أشهرتك بالرسوم وأشرعت [illegible] بالمعنى ، وتارة أدعى لك المعانى وأطالبك فيها بالحقائق ، ثم أناديك معا بعرف الغريب والبعيد ، والغائب والشهيد ، ثم أناجيك بحروف يرجح البعد عنده . وبعض الحرص عيب فهل من حيز فتقدم على مقدره ، أو هل تتوقف محض فتأخر عن معذرة ؟ سيدى ! لا تنكر [illegible] ٢٠

(١) كذا فى الأصل والوزن يقتضى . ورب [illegible] فهو من بحر البسيط .

حصدى وإعلاني به كتابي، فكل ذلك شاهد بحولي، وشتات أموري، واختلاف مقاصدي وفني.

أريد فلا أعطى، وأعطى ولم أرد

وقصر علمي أن أنال المغيبا

٥ فلا جرم صاحبي ساه، ومساري عي، ودعوى باطلة، وقولي زور، ومسعى تعلل، ووعدي موت، ووجدي حسن، وعلمي تخمين، ورجائي توهم، وظني شك، وحقي محيلة(١)، وطريقي حالك، ومصدري خديعة، ومعنى طمع، وضحكي بكاء، وحبي بغض، وولايتي عزل، وظاهري حسرة، وباطني حيرة، وحدي سرب، وسعيي خراب، وذوقي [illegible]، وصوابي خطأ، ويقيني حلم،

١٠ ودني [illegible]، و[illegible] [illegible] على جرف(٢) [illegible]، وكلي(٣) [illegible] فسيح، وتجنّي حبيبي بحبيبي [illegible] [illegible] [illegible] فيه قصة، وكل [illegible] فيه [illegible]، فهذا حالي وشأني، وديني ومبدأي، ومأخذي ومضطربي ومحوي، فهل عندك من علاج يكشف ما بي، أو من مساعدة تخفف بعض أوصابي؟ هيهات أن يكون

(١) المخيلة (بفتح الميم وكسر الخاء) الظن.

(٢) الجرف (بضمة وبضمتين) ما تجرفه السيول وأكلته الأرض، ومنه المثل: «فلان يبني على جرف هار، لا يدري ما ليل من نهار». والجمع أجراف. والجرف بضمتين: الجانب الذي أكله الماء من حاشية النهر فأصبح يسقط بعضه، ومنه الآية: «أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار؟» هار: الساقط. هدمه، وهار البناء: انهدم — لازم ومتعد.

(٣) ص: فكلي — والأنسب ما أثبتناه بدليل ما بعده.

لك هذا ، وإن كرهت لمه ، وأنت أيضاً فى قميصى تتبختر ، وفى ذيلى تتعثر ،
وإن كنت تمس عنى ، وإنما حسنه موقوف على مثل قولك :

والمرء يعرفه من كان قدّاحا

والشكل يعرفه من كان نوّاحا

هذه الفواصل [illegible] من [illegible] فأما ما اعتاص والتوى من مثل قولك : ٥

١١٥٦ إن كانت حظوتى فى تعالأى[1]

فلا بدّ ، إذا فكرتَ ، إلأى

وقولك فيه

لأنه طب فى هوبه إلأى[2]

مثل الدواء الذى تبعه للداء ١٠

فالبيت بيته ، وسلمت يداه ، ولسنا نُشاحك[3] فيه ، ولا نناقسك
به ، لأن الغطاء به كثير ، و[illegible] [4] ، والإرادة فى شقّ ، والعبارة
فى شق ، و[illegible] مضطرب ، وصحيحه سقيم

ونعوذ بالله من « الوسواس الخنّاس ، الذى يُوَسْوِسُ فى صدور الناس ،
من الجنّة والناس »[5] ١٥

(١) ص : تعلاى [illegible] لأى — وقد أثبتنا الهمزة ليستقيم الوزن ، وهو
من بحر البسيط . وتعلائى أى : « تعالى » الخاصة بى ؛ وإلأى : إلا أنا .
(٢) ص : لأيه طب فى هُوبه إلأى
(٣) شاحّ زيداً : ماحكه ونافسه
(٤) من [illegible] الأمر (من باب علم) عَسْرا وعُسْراً وعَسَراً :
صد يسر
(٥) سورة « الناس » ، آيات : ٤ — ٦

]« تمت المجلدة الأولى من الإشارات الالهية والأنفاس الروحانية ،
بحمد الله ومنّه ولطيف صُنْعِه

« ويتلوه المجلدة الثانية ، وهي الرسالة الخامسة والخمسون .

« كتابي إليك[1] أيها الصديق ، وأنا أسألك أن يسألك » .

« وفرغ من كتبه محمد بن أحمد بن علي الأشمي متاريخ جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين وأربعمائة » .

« معارض مصحح من أول المجلد إلى آخره » [.

(١) ص : كتابي .

تصويبات

صفحة	سطر	خطأ	الصواب
٩١	٢	القُرطات	القِرَطات
١١٠	٣	عطمط	عَطَمط
١١٠	تعليق ٢	يحذف ويوضع بدلا منه : الغطمطة : اضطراب الموج . وبحر غطامط وغطوطمط : عظيم كثير الأمواج .	
١١١	١٧	؟ إلا [illegible]	[illegible]

مراجعات

[illegible] من طبع هذا الكتاب [illegible] مصورة [illegible] موجود في [illegible] أشرنا في [illegible] (ص ك) . وهذه المصورة موجودة في دار الكتب المصرية رقم ٤١٧٩ تصوف . وقد [illegible] قراءة [illegible] الأول من [illegible] (ص كح) ، فأثبتناها في هذه المراجعة [illegible] مع اصلاحات [illegible] الأول في كتاب مستقل .

ص	س	المطبوع	المستدرك	ص	س	المطبوع	المستدرك
كح	١	[illegible]	[illegible]		١١	[illegible]	[illegible]
	١٧	١٧٨٣	١٨٨٣			[illegible]	[illegible]
١	١٢	[illegible]	[illegible]	٤	٤	[illegible]	[illegible] (وهذا وما بعده
	١٣	[illegible]	[illegible]				بيت شعر للبحتري
٣	٣	[illegible]	[illegible]				راجع ديوانه ج ١
			[illegible]				ص ١٩٢ س ٨ ، طبع
	٤	فأمده	[illegible]				الاستانة سنة ١٣٠٠ هـ)
	٦-٧	[illegible]	[illegible]	٤	٧	[illegible]	كذا في المخطوطة ، وفي
			[illegible]				ديوان البحتري أنه :
			[illegible]				المبهج (ص ١٠٢)
			[illegible]	٧	١١	[illegible]	[illegible]
			[illegible]			[illegible]	[illegible]
			[illegible]	٨	١٤	[illegible]	[illegible]
			[illegible]	١٣	٧	[illegible]	[illegible]
			[illegible]	١٧	١٨	[illegible]	بواحد
			[illegible]	١٨	٤	[illegible]	[illegible]
			[illegible]	١٩	٨	[illegible]	[illegible]
			[illegible]		١٤	[illegible]	لا يستحي من دون
٢	٨	[illegible]	[illegible]				فلا يستحي
	٩	بواقع	[illegible]	٢٠	٩	[illegible]	[illegible]
٣	٥	[illegible]	[illegible]		١٦	[illegible]	[illegible]
			[illegible]	٢١	١	[illegible]	[illegible]

ص	س	المطبوع	المستدرك
	١٣	قدم	قدّم
٢٢	١٠	أسرى	أسرى مقيدة
	١١	مختلفة	محلة
٢٤	٥	فيها يراد	فلعهد عن يراد
٣٠	٢-٣	أصمت ... حرا	صمت سمر
٣٥	٢٢	تعليق ٤	يستدل به التعليق ... سكر يسكر (من باب نصر) سكر (كـ ...) ... ج ٦ ص ١١ س ١٩) . وسكر (بالتشديد) سكور بدون معنى : سكن
٤٥	٦	[illegible]	على
		تعليق ١	يحذف
٥٠	١١	بسيلها ، فقست	[illegible]
٦٧	٤	الأخير ودارى	ودارى ، ارفأ ... وصعب ...
٩٠	٥	تسكتى	سكن
	٦	أشعار	أمقار
	٩	ساهه	[illegible]
	١٤	أصعب	صعب
٩١	٢	سك	[illegible]
	٣	إلى	[illegible]
٩٣	١٨	متعدية .. الصعبة .	متعدية ... أي ... الصعبة ؟ أي ... الصعبة أي ... التاميه ؟ أي القرائح الصعبة ...
٩٤	٤	الأشرار	لأسرار
٩٥	١١	[illegible]	[illegible]

ص	س	المطبوع	المستدرك
١٠١	٨	أكر	أكر (من أكر من أكرى أى استأجر)
١١٧	١٧	ورأيت... إلى قوله ص ١١٨ س ٥ - الورى	أبيات من قصيدة لأبي العتاهية ، وهي في ديوانه ص ٤ مع اختلاف في رواية بعضها .
	[illegible]	سكرت	سكرت
١١٨	٤	ولا ...	من غير ولا أعلى
	٥	نمر صاحبهم	تمر صاحبهم
١٢١	٧	حلف	حلف (وقد وردت هذه الأبيات في الأمالي ج ٢ ص ٢٣١ — ٢٣٢ ، القاهرة سنة ١٩٢٦ ، ولم ينسب إلى أحد) .
	٨	[illegible]	نُشط
١٢٤	٨	وماص في	[illegible] (البيت للبحتري راجع ديوانه ج ٢ ص ١٧٢ طبعة هندية ج ١ ص ١٢٦ طبعة الجوائب) .
١٢٥	١٨	[illegible]	عام
١٢٧	١	حيى	لحي
	١١	لتشوقى	فتشوقى
١٤٤	١٧	الدير	العاثر
١٤٨	٩	الدعوة والدعو والدعوه	دعو ودعوة
١٤٦	١-٢	مؤمن ...	الشعر لبشار بن برد ، راجع ديوانه ج ١ ص ٢٥٦ — ٢٥٧ طبع مصر سنة ١٩٥٠

ص	س	المطبوع	المستدرك
١٦٦	١٦	[illegible]	حالك
١٦٧	٤	لا ...	لا تلتمس ما وراءك بالحق
	٩	[illegible]	أن تستخدم
	١٠	أرا ...	[illegible]
	١٣	[illegible]	[illegible]
	١٩	[illegible]	[illegible]
	١٩	[illegible]	الصخر
١٦٨	٣	[illegible]	[illegible]
	١٥	[illegible]	[illegible]
	١٧	[illegible]	[illegible]
١٦٩	١٣	[illegible]	[illegible]
	١٤	[illegible]	[illegible]
	١٨	[illegible]	[illegible]
	١٨	[illegible]	[illegible]
١٧٠	١	[illegible]	[illegible]
	٣	[illegible]	[illegible]
	٦	[illegible]	[illegible]
	٩	[illegible]	[illegible]
	١٠	[illegible]	[illegible]
	١١	[illegible]	[illegible]
١٧٣	٢	[illegible]	[illegible]
	٨	ولا لاهم	ولا هم
	١١	[illegible]	[illegible]

ص	س	المطبوع	المستدرك
١٨٥	٣	أحز	أحزّ
١٩٦	١٠	[illegible]	[illegible]
٢٠٠	١١	الخلى	الخلى (مخفف : خلا أى : ممنوع عن الماء [illegible])
٢١٤	١٥	[illegible]	[illegible]
٢١٧	١٦	[illegible]	[illegible]
٢١٨	٥	[illegible]	[illegible]
	٩	[illegible]	[illegible]
	١١	[illegible]	[illegible]
	١٦	[illegible]	[illegible]
٢١٩	٣	[illegible]	[illegible]
	٨	[illegible]	وإن (كما اقترحنا)
	١٠	[illegible]	تشكلت
	١١	[illegible]	[illegible]
	١٢	[illegible]	عليا
	١٣	[illegible]	[illegible]
	١٤	[illegible]	ما
	١٥	[illegible]	[illegible]
	١٦	[illegible]	[illegible]
٢٢٠	١	[illegible]	[illegible]
	٢-٣	[illegible]	[illegible]
			[illegible]
	٦	حاجة الثبات	[illegible]
	٩	[illegible]	[illegible]

ص	س	المطبوع	المصحح	ص	س	المطبوع	المصحح
	١١	[illegible]	[illegible]		٧	[illegible]	[illegible]
٢٣٠	٧	[illegible]	[illegible]		١٠	[illegible]	[illegible]
٢٣١	٢	[illegible]	[illegible]	٣٠٤	١	[illegible]	[illegible]
٢٤١	٦	[illegible]	[illegible]		٥	[illegible]	[illegible]
٢٨٠	٩	[illegible]	[illegible]		٨	[illegible]	[illegible]
٢٨٩	١٣	[illegible]	[illegible]		١٤	[illegible]	[illegible]
٢٩٠	٥	[illegible]	[illegible]			[illegible]	[illegible]
		[illegible]	[illegible]				[illegible]
٢٩٣	٥	[illegible]	[illegible]				[illegible]
	٩	[illegible]	[illegible]				[illegible]
	١٠	[illegible]	[illegible]				[illegible]
	١	[illegible]	[illegible]				[illegible]
	١٣	[illegible]	[illegible]				[illegible]
٢٩٥	١	[illegible]	[illegible]	٣٠٥	٩	[illegible]	[illegible]
			[illegible]		١٢	[illegible]	[illegible]
	١١	[illegible]	[illegible]		٧	[illegible]	[illegible]
٢٩٧	٤	[illegible]	[illegible]		١٨	[illegible]	[illegible]
	٥	[illegible]	[illegible]	٣٠٦	٩	[illegible]	[illegible]
	١١	[illegible]	[illegible]	٣٠٧	٤	[illegible]	[illegible]
		[illegible]			٥-٩	[illegible]	[illegible]
	٨	[illegible]	[illegible]			[illegible]	
			[illegible]		٧	[illegible]	[illegible]
٢٩٨	١٠	[illegible]	[illegible]		٩	[illegible]	[illegible]
	١٨	[illegible]	محكا		١٠	[illegible]	[illegible]
٢٩٩	٨	[illegible]	[illegible]			[illegible]	[illegible]
	١٦	أو	[illegible]				ذيل الماء أو [illegible]
٣٠٠	٤	[illegible]	[illegible]		١٢	[illegible]	[illegible]
	٤	[illegible]	[illegible]		٧	[illegible]	[illegible]
	٨	[illegible]	التوفيق والتسديد	٣٠٨	١	[illegible]	[illegible]
٣٠٢	٤	[illegible]	[illegible]		٣	[illegible]	[illegible]
٣٠٣	٥	[illegible]	[illegible]		٨	[illegible]	[illegible]

ص	س	المطبوع	المستدرك
٣٠٩	٢	والطهر والرحيل أرق	والرحيل رق
	٣	هذ	هذه
	٨	يدس عقده	يؤكد عمده
٣١٠	٨	ملحس	واحس
	١٣	نصرنا	بصرنا
٣١١	٢	عيب	عبا
	٨	مرقوما	قرقوما
	١٧	حرقت	حرقتك
	١٩	فأطيت	آوهيت
٣١٢	٥	عن	على
	٦	عند أعاجيب	عند سوح أعاجيب
	١٥	صدو	صحابا
٣١٣	١٢	نصرنا	قمرنا
٣٤٩	١٦	الصدر	الصدر، أو أمن صوابه" نعمة
٣٦١	١١	كشف	المشف
٣٦١	١٥	حي	حر
٣٦٢	٣	قراري من شر	قراري من سر
	٣	نادي	نادى
	٤	مكانت	وكانت
	١٧	سق	أشق
٣٦٤	١	نادك الرحة	تدركك الرحة
	٦	ملوبة	قائده
	٨	لذى	الندى
	١١، ١٢	طمت . وقتب	طلقت في حمرتك ، وحثت بيب تحرفني
	٢٠	تحقيقته	تحقيقه
٣٦٥	٩	حاف	خاب
٣٦٦	٥	هذه الزية ..	هذه الصور المرئية ؟ أما ترى هذه الأشكال المبهمة؟

ص	س	المطبوع	المستدرك
	٦	الوقدة .. الحلم	المؤكدة .. الحكم
	٧	المحددة	المحددة
	٨	عده	هذه
	٨	المؤده	الوتده
	١	الصبح والمساء	المساء والصبح
٣٦٧	١	مشهود	مشهور
٣٦٨	٧	جب ركد	شجر . عقر
	٧	بأذنك	بدنك
	١٩	لأنا	أنا
	٢١	لمحدرك	لمحدوك
	٢٣	الرؤوف	الرؤوم
٣٨	٤	يتق	تتق
٣٨٥	٥	عن	صن
	١٠	حدثك أحست	حدثك أجبت
	١٢	دالتك	دنت
	٢١	عنك	عانت
٣٨٦	٤	أسرك	أسره
	٧	به	أبك
	٨	مقم	مقسم
	١٦	جبه	جبهه (ويحذف التعليق).
٣٨٧	٦	حدى	حدى
	٨	حواب	حوب أسرار
	١٢	تحدي . يتهدي	تحدي .. تتهدى
	١٥	متعب .. متواليا	متعباً .. مؤاتيه
	١٧	حاق	خاق
٣٨٨	٢	السبق	السياق
	٣	مموره موعرة	معمورة .. موعرة
	٤	كرم حانم	كرب حانم
	٦	[illegible]	مدهش
	٨	تحول	حال
	٩	غلة	نعلة

ص	س	المطبوع	المستدرك
	١٦	تحقق	تحقق
٣٨٩	٤	الذى ليس له هو لك	الذى لك من هو لك
	١٠	من	[illegible]
	١١	حسنة	[illegible]
	١٦	اسباب	الملقب
	١٨	ييق	[illegible]
٣٩٠	٥	ب	بى
	٧	عن	[illegible]
	٨	بك أعرف	به لا أعرف
	٨	يسدى	تسدى
	١٤	التأييد	تأييد
	١٦	[illegible] والعص	[illegible] والعص ([illegible])
٣٩١	١	شريعة	شريف
	٣	أصبحت	[illegible]
	٩	تولد	[illegible] (ويحذف [illegible])
	١١	[illegible]	[illegible]
	١٤	[illegible]	[illegible] وعلى [illegible]

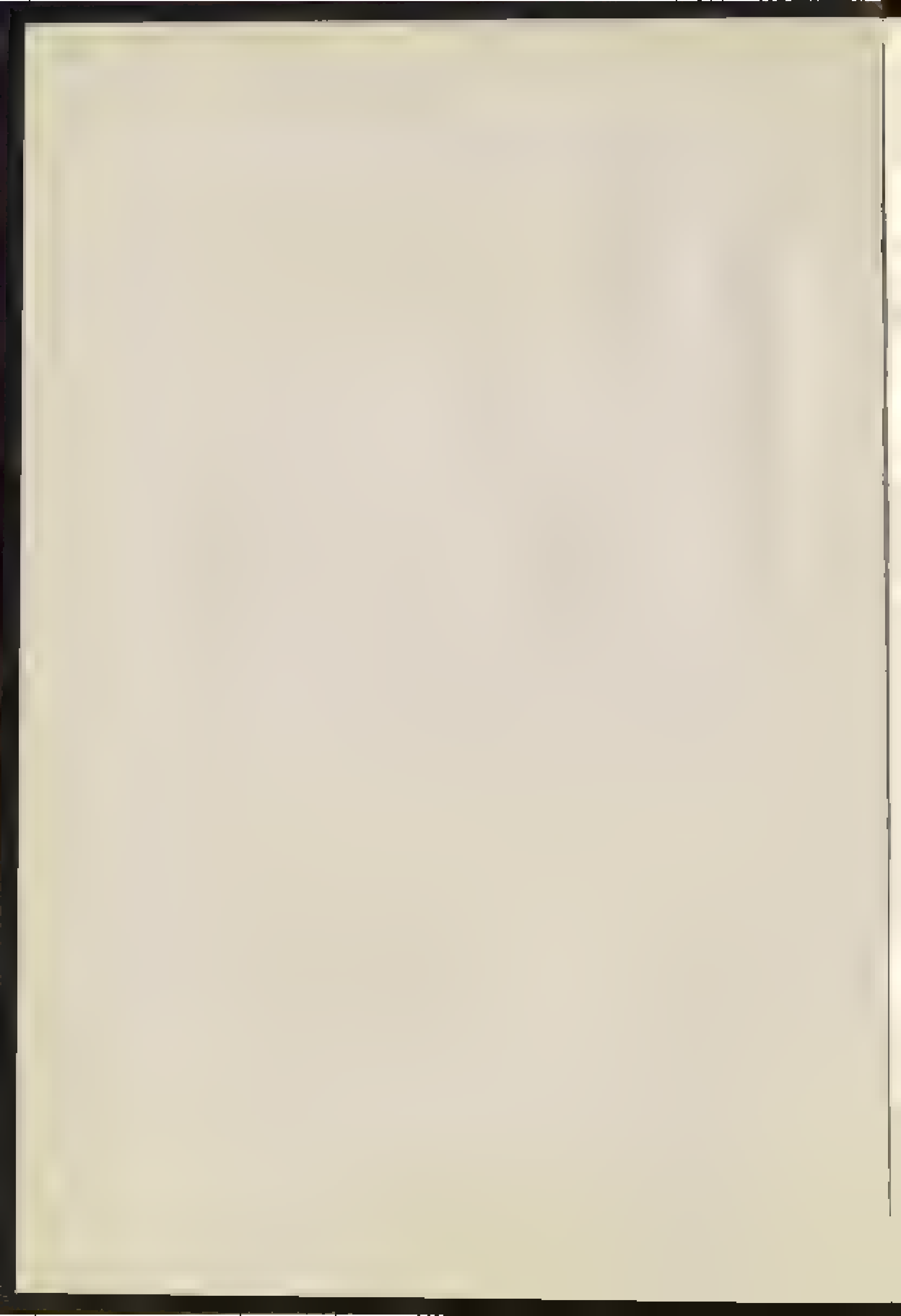
تم طبع هذا الكتاب في مطبعة [illegible] فؤاد [illegible]

بالقاهرة في يوم ١١ من [illegible] سنة ١٣٦٩ ه

محمد زكي [illegible]

[illegible]

[illegible]



ISLAMICA

— 12 —

TAUḤÎDÎ

DIVINAE INVOCATIONES

EDIDIT ET PROLEGOMENIS INSTRUXIT

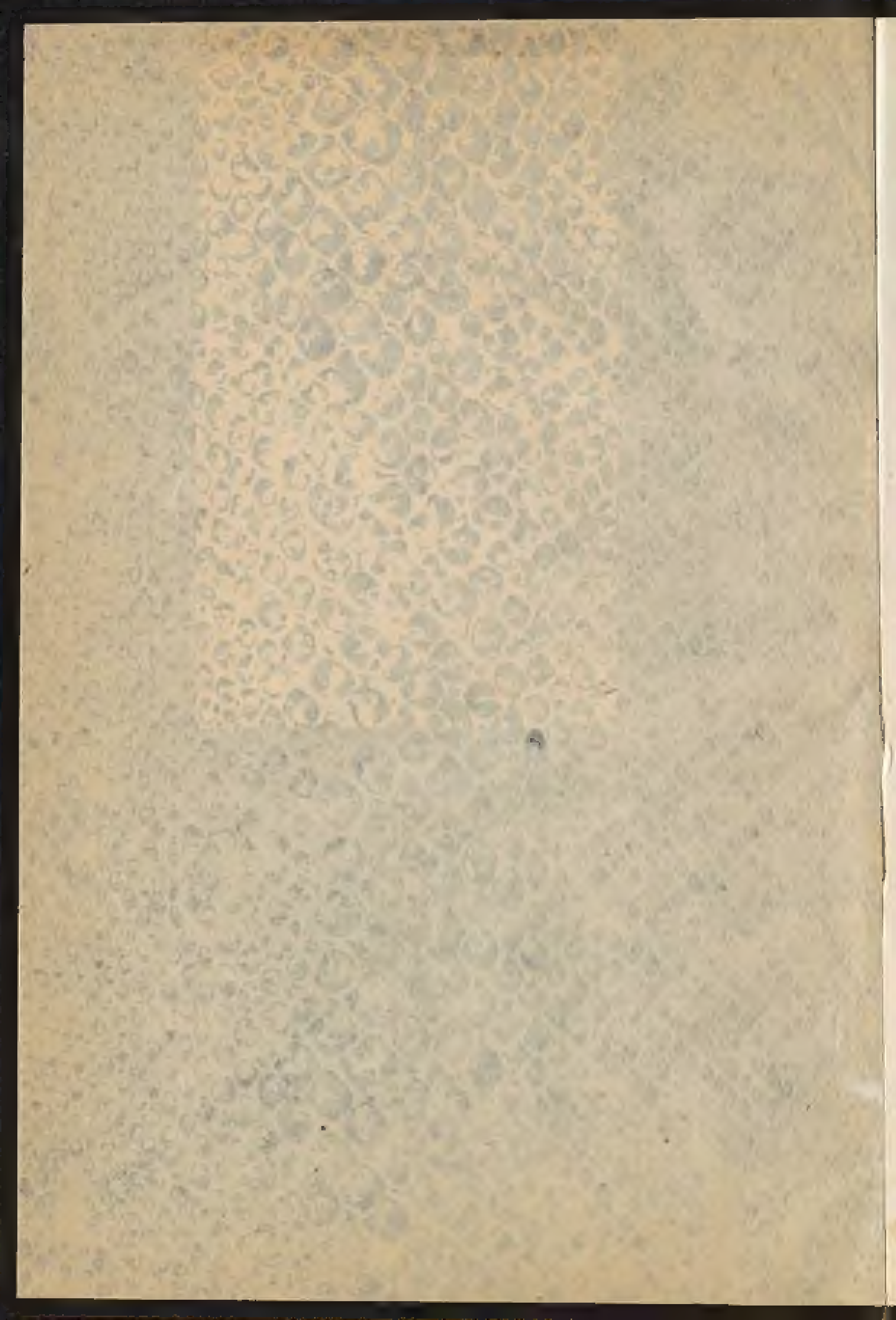
'ABDURRAHMĀN BADAWI

[PARS PRIOR]

CAHIRAE

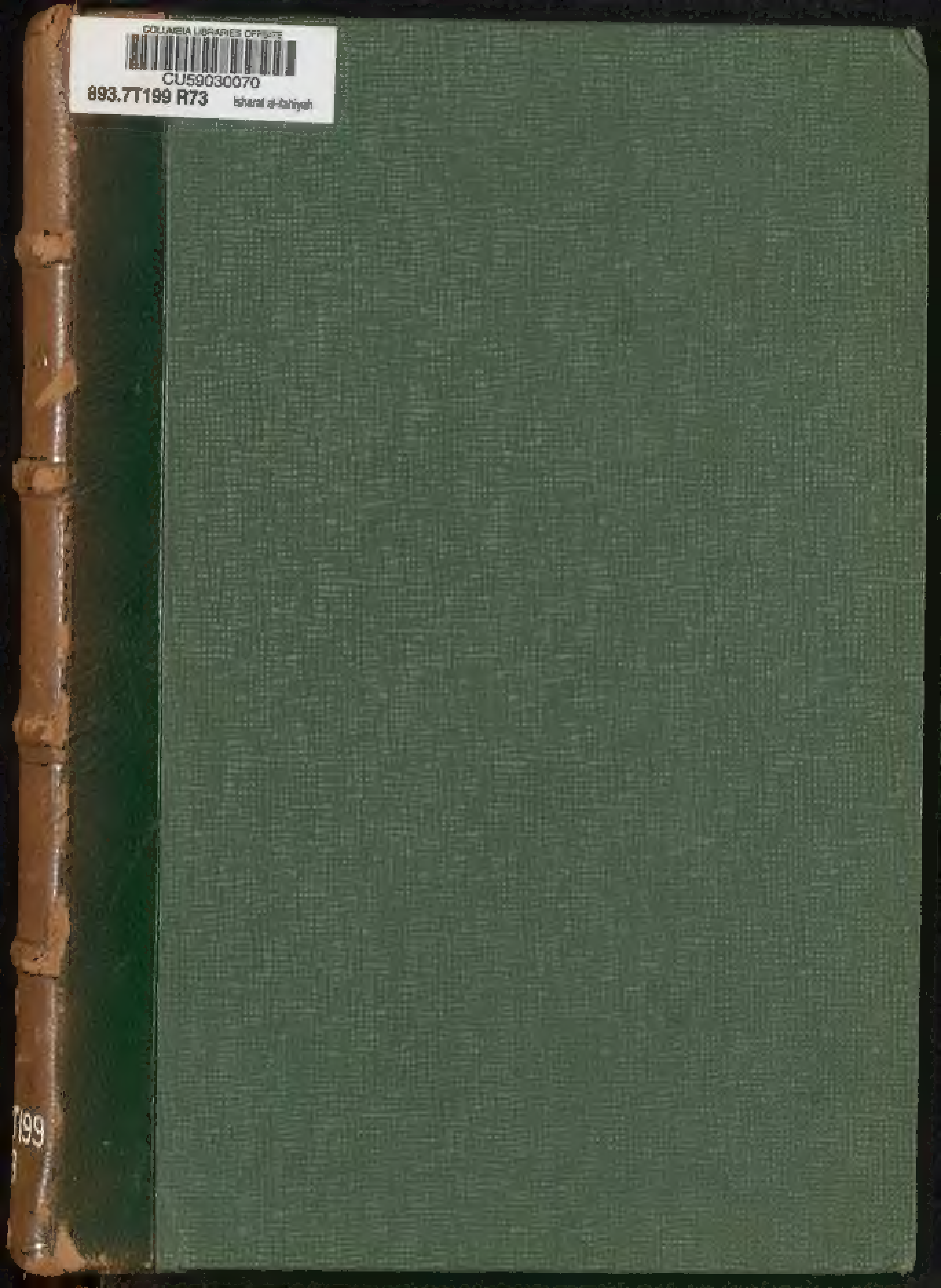
Ex typis Universitatis Fuadi I

MCML






COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0114815443



COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU59030070
893.7T199 R73
Isharat al-ilahiyah